

### تصدير...

لقد كان من دواعي اغتباط مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الحصول على قدر وافر من الأعمال النثرية للأخطل الصغير، فتحقق لها ضمن إصداراتها عن شاعر دورتها السادسة، جانب كبير من إبداعه النثري إلى جانب إبداعه الشعري.

إن مادة هذا الكتاب في مجملها عبارة عن افتتاحيات كتبها الشاعر في صحيفة «البرق» التي أسسها عام ١٩٠٨ وأغلقت عام ١٩٣٢ ولم تعد للصدور بعد ذلك. وإلى جانب أسلوب الأخطل الصغير الصحفي المتأدب، فإن تقلب العهود بين الصدور والإغلاق كان مصدر إثراء آخر للمادة النثرية لدى الأخطل الصغير، الشاعر والصحفي والأديب.

وعلى هذا فإنك من خلال الافتتاحيات «البرقية» ستعيش عقداً عثمانياً كاملاً من عام ١٩٠٨ - ١٩١٨ وهو العقد الأخير من عمر الدولة العثمانية. وستعيش فترة انتقالية بين انتهاء الحرب العالمية الأولى وبدء الانتداب الفرنسي على البلاد السورية (سوريا ولبنان) وستطالع أحداث أكثر من عقدين من الانتداب. وستتنقل بين متصرفية جبل لبنان ذات الامتيازات والحماية الدولية، وصولاً إلى إعلان «دولة لبنان الكبير» في الأول من أيلول ١٩٢٠، ومروراً بإعلان الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦، وما أعقب ذلك من أحداث حتى خبت ومضات «البرق».

وإن تكن ومضات «البرق» قد خبت في مفتتح الثلاثينات من هذا القرن، وألقى بشارة الخوري الصحفي عصا ترحاله بين الورق والحروف، إلا أن الشاعر فيه استمر ليواكب ما تلى إغلاق «البرق» من أحداث، بدءاً من ١٩٣٢، وحتى إعلان الاستقلال الناجز للجمهورية اللبنانية، ولم يخفت له صوت حتى أقعده المرض بعد مبايعته أميراً للشعراء عام ١٩٦١.

ومما يدعو إلى الاعتزاز أن شاعر دورتنا هذه كان وبامتياز صحفي العروبة وناثرها المجيد، جنباً إلى جنب مع كونه شاعرها وغريدها الصداح، لم تهن له قناة في الدعوة إلى القومية العربية ونبد الطائفية، ومناصرة القضايا العربية في سوريا وفلسطين والعراق وكل

أقطار العروبة التي ثارت على أيامه، ناصر الأقطار العربية وناصر الأدباء العرب وحتى الأفراد العاديين من منظور قومي وإنساني رفيع، تماماً مثلما ناصر ودافع عن قضايا لبنان الوطنية ومواطنيه، معلماً شأن الجميع، دافعه الوحيد في كل ذلك الوحدة الوطنية والقومية، لا فرق بينهم بسبب دين أو مذهب «فمن نحن ومن أنتم» على حد قوله.

ولنا وطيء الثقة أن يسد هذا الكتاب فراغاً في موضوعه، ويعرّف الأجيال الطالعة بكفاح الرواد والمبدعين من رموزهم الأدبية خلال هذا القرن.

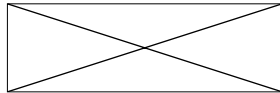
لقد كان جهداً مشكوراً قامت به الدكتورة سهام أبوجودة بجمعها مادة هذا الكتاب، فخدمت الجانب الإبداعي الصحفي والنثري للأخطل الصغير، خدمتها للجانب الشعري الغالب فيه، فلها بالغ الشكر.

كما يسعدني أن أنوه بالجهد القيم الذي نهض به الدكتور ياسين الأيوبي بمراجعته مادة الكتاب واختيار معظمها ووضع بعض الهوامش والتعليقات التي تفسر كلمة أو حدثاً وضبط كلمات الكتاب وتصويبها، وستبقى جهوده موضع التقدير والاعتزاز.

على أن الأمانة العامة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وقد راجعت الكتاب مراجعة شاملة ولأكثر من مرة، رأت إضافة هوامش كثيرة تتعلق بترجمات الأعلام وتوضيح الأحداث وإجلاء غموض بعض الإشارات والإيماءات، إذ إنها وإن كانت جلية واضحة آنذاك، لم تعد كذلك بعد مرور تسعة عقود على إنشاء بعضها، الأمر الذي استوجب جهوداً كبيرة ووقتاً طويلاً واستعانة بمراجع كثيرة وبخاصة في تاريخ لبنان الحديث.

والله نسأل أن يكون هذا الكتاب نافعاً مع منظومة الإصدارات الأخرى للمؤسسة في دورة أمير الشعراء الكبير.

ولله الحمد والمنة على ما أنعم.



الكويت، ٢٣/٧/١٩٩٨

## مقدمة ..

ما أمتع أن يكتب الشعراء بحوثاً أو مقالاتٍ تتناول الحياة والمجتمع وتدخل إلى حرم الأسرار!

والأمتع أن يحترفوا الصحافة، ويكتبوا على صفحاتها الأولى، الافتتاحيات يَضمّنونها خلاصات آرائهم، وزُبد أفكارهم وتأملاتهم..

وأمتع المُتَع أن يمتلك الشاعر صحيفةً، ويتولى الإشراف على تحريرها، وتنفيذ أهدافها وميولها واتجاهاتها.. لا رقيبَ عليه يَشطب ويُعدل أو يُلغي وتَحجب، وما سوى ذلك مما يفعله رؤساء تحرير صحف اليوم، في الكثير من المقالات والدراسات الواردة إليهم، يحذفون، ويبترون، ويضعون العناوين التي يرتأون، فيصدرُ المقالُ غيرَ المقال، ويُمْنى الكاتب بالخيبة عوضاً عن الابتهاج.

ونادراً ما قُيِّض للشعراء مثلاك ناصبة التحرير والتصرف بنتائجهم المكتوب، بحرية وسلطة مطلقة.

وإنها نعمة النعم، وسانحة العمر، لا يعلوها إلا نعمة الكتابة نفسها وممارستها: نقداً ودراسة وإبداعاً.

فكيف إذا جمع الكاتبُ مَجْدَ النعمتين، واعتلى صهوات الكلام، وبلغ فيه السُّمّا كَيْن؟.

ذلكم هو الشاعر الملهم، والكاتب المغنُّ، بشارة عبدالله الخوري أو الأخطل الصغير، الذي أوكل إلينا قراءة أعماله النثرية، وتقديمها إلى القارئ العربي الذي يعرفه شاعراً مُحَلِّقاً، ويجهل الكثير من نحيال قلمه النثري، وهبه الله منه ملكاتٍ مختلفةٍ ألوانه ومذاقاته وأبعاده..

ومن نعم الصحافة عليه وعلينا أنها شرّعت كلَّ النوافذ، ليُودعها مجمل كتاباته النثرية، فكانت «البرق» المصدر شبه الوحيد لهذا النتاج النثري، وعليها كان المعولُّ والرجوع.

### طبيعة عملنا في هذا الكتاب

لا بد من التنويه - في هذا المقام - بالدور الهام الذي قامت به الدكتورة سهام أبو جودة، بجمع وتصوير معظم مقالات الأخطل التي كان ينشرها أسبوعياً، في جريدته المذكورة، منذ صدورها أول مرة في سنة ١٩٠٨ حتى ١٩١٤؛ ثم توقفت طوال سنوات الحرب الكبرى، ليُصدرها من جديد، يوميةً سياسية على مدى إحدى عشرة سنة (١٩١٨ - ١٩٢٩)؛ ثم تعود إلى الصدور، أسبوعية أدبية ما بين ١٩٣٠، و١٩٣٢.

وقد قامت الدكتورة أبو جودة بجمع افتتاحيات «البرق» طوال سنوات ثلاث لإعداد رسالة للماجستير، ناقشتها في الجامعة الأميركية ببيروت في شباط ١٩٢٠ بعنوان: «الأخطل الصغير: بشارة عبدالله الخوري/سيرته وأدبه».

فقمنا بقراءة هذه المقالات، قراءة متأنية، سبرنا فيها الأغوار ورصدنا الفوائد، فأبقينا على معظمها، وأهملنا الباقي؛ لأنه يدخل في مسائل وأمور محلية تهم قارئ زمانها، ولا فائدة تذكر من إعادة نشرها..

وقد وجدنا في نص الأخطل شيئاً من التصحيف والكلام المحو، وبتراً في سياق الجمل، وشيئاً من الخلل اللغوي، وما إلى ذلك، جهدنا في تبيانها وتصويبه ما وسعنا إلى ذلك، وما سمحت لنا موضوعية النقل وأمانته، مع إشارات أثبتناها في الحواشي، وهي كثيرة: بعضها راجع إلى الأسلوب الصحفي أو ما يُعرف بلغة الجرائد التي يغلب عليها الارتجال والصياغة المتداولة.

ضبطنا النصوص جميعها، وصوبنا بعض سقطات القلم العائدة إلى سهو الناسخ أو الطابع، أو الكاتب نفسه، لم نشأ الإبقاء عليها تنزيهاً لقلمٍ مَتَحَ من معين العربية وخبراً عرق أساليبها، نصائح منها الدرر في إطارَي الشعر والنثر؛ ومع ذلك فسيجد القارئ عدداً من الألفاظ والصيغ المضطربة، بقيت كما هي في المتن، وتمّ تصويبها أو تشذيبها، في الحاشية؛ مُؤَفِّقين بين أمانة النقل من جهة، ودفع التُّهم الجرافية عن الكاتب، من جهة ثانية. هذا في اللغة والتراكيب..

أما الموضوعات، فقد نحينا جانباً، معظم مقالاته الموسومة بعنوان: «الطائفية»، لأنها سجلات صحفية حول أحداثٍ دمويةٍ جرت في غضون ١٩٢٠، قام بها طائفة من المتعصبين، أحدثت أصداءً أليمة، ودفعت الأخطل الصغير إلى الانتقاد، ووضع النقاط والأمور في مواضعها الصحيحة.

ومن أراد الاطلاع عليها، فهي في أعداد متفرقة من جريدة «البرق» ومنها الأعداد ١٠١٧ و ١٠٢١ و ١٠٢٨ من سنة ١٩٢٠ وأعداد أخرى غيرها.

#### مضامين الكتاب

تحدث الأخطل في مقالاته «البرقية» ع هموم زمانه، وانشغاله هو وإخوانه أهل الصحافة والقلم؛ كما تحدث عن قضايا العصر والمنطقة كحرية الشعوب واستقلالها، والمستعمر والانتداب، والحكومات العربية، والسلطنة العثمانية؛ وتوقف طويلاً عند القضية الفلسطينية وفصول المؤامرات الصهيونية المحوكة ضدها منذ زمن طويل؛ ومثل ذلك فعل في القضايا اللبنانية والعلاقات الأخوية مع سوريا، وما يدخل في صميم الوطن اللبناني، من هجرة، ومجالس وهيئات، ومساعٍ حثيثة لمعالجة المعضلة الطائفية.

ولم يفته الكلام على القضايا الأدبية التي دارت حولها مناقشات كثيرة بين أدباء عصره داخل لبنان وخارجه، والتي تشكل مع الباب الخاص: من بقايا الذاكرة – وجُّله في مناسبات أدبية حميمة – ثلث صفحات هذا الكتاب، تقريباً.

إلا أن هاجسه الأكبر، ودأبه الفكري الغالب، هما مجتمع وطني عربي لا طائفي، على درجة عالية من القيم الأخلاقية.

في البداية، كان الولاء الوطني مترجحاً ما بين سوريا ولبنان، تارة هو ولاء سوري عام، وتارة لبناني صرف، من غير أن يكون هناك أيُّ إشارة إلى مفهوم عقائدي حزبي.. فاطلاق الأخطل، النسبة الوطنية لسورية، مرتبط بالبيئة الجغرافية التي ينضوي فيها كلٌّ من لبنان وسوريا.

ولا ضابط عنده لهذا الولاء – فهو القائل – على سبيل المثال – «وإن الوطن

السوري واللبناني لم يزدهر بالعمران إلا بمال المهاجرين، من جهة، وبما نقلوه إليه من روح الديمقراطية والمعارف من جهة ثانية»<sup>(١)</sup>.

ثم تأكد ولاؤه إلى لبنان وطناً لا طغيان فيه لفئة على فئة أو طائفة على طائفة؛ إلى أن انتهى به المطاف إلى مجتمع لا يدين إلا بدين الوطن والحب.

ولتكن له ديانة إنسانية كبرى موحدة، تأخذ من كل المذاهب والأديان، جوهرها لا قشورها وطقوسها الخارجية.

ففي مقالٍ افتتح به «البرق» يوم ٢١ تموز ١٩٢٣، العدد ١٨٨٠، كتب الأخطل تحت عنوان: «لو ملكتُ الأمر يوماً وليلة» صفحات مُضيئة، مفتتحة بأبيات شعرية للشاعر الصوفي ابن الفارض؛ أراد من ورائها التمثُّل بمضمونها وتطبيقه في مجتمعه، شريعة لا تعرف التعصب والتزمت.. والأبيات هي:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكرُ  
إذا لم يكن ديني على دينه داني  
وقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ  
فمرعي لغزلان، وديرَ لرهبانٍ  
وبيتَ لأوثانٍ وكعبةً طائفٍ  
وألواحَ تواراةٍ ومُصحفٍ قرآنٍ  
أينُ بدينِ الحبِّ أنَّى توجَّهتُ  
ركائبه، فالحبُّ ديني وإيماني..

فلو أنه ملكَ أمرَ وطنه يوماً وليلةً فقط، لسنَّ كلَّ الشرائع وجَهَّز كلَّ الوسائل والطقوس لتحقيق هذا الدين الإنساني الوجداني، قائلاً في نهاية مقالته:

«... وكان صباحٌ وكان مساءً. فإذا بيومي سيادتي انتهياً، ولكن بعد أن جعلتُ من هذا الوطن البالي، وطناً فتياً في بُنيته، كبيراً في فكرته»..

كلُّ ذلك، ليقف في وجه الطائفية ومعوقاتِها الاجتماعية، وليحول دون وضعها في

---

(١) راجع باب: المقالات السياسية، فقرة: «في عهد الاحتلال والانتداب»

صلب الدستور اللبناني.

«.. ولا نظنُّ وظيفةً أو ظيفتين أو عشرة أو عشرين، نُضَحِّي بها الطوائف اللبنانية، توازي هذا العار الذي ستزداد وصمته توسعاً وقُبْحاً، عندما ننزل الطائفية بمطلق إرادتنا في صلب دستورنا.»<sup>(٢)</sup>

#### المنحى والأسلوب

يغلب على كتابة الأخطل طابع النقد الأدبي الساخر الذي يجمع في طياته التوعية البناءة، وشحن الأذهان والمشاعر بالأفكار والآراء التقدمية النيرة والهمم الإنسانية العالية، من جهة، والطرافة والعبث المتسريل بالهزء والاستخفاف والتحسر على غياب القيم والمبادئ الكبرى، لدى هذه الفئة أو تلك من طبقات المجتمع وطوائفه وشرائحه المختلفة، من جهة ثانية نتبين ذلك في كثير من مقالاته الأدبية والاجتماعية التي يبدو فيها باحثاً ومعالجاً لنواقص المجتمع وثغراته وحاجاته، كقوله، وهو يشخص واحدة من أكبر علل التخصص العلمي وتبعات التحصيل العالي:

«فا لطبيب يأخذ من المريض ثمن الدواء وثمر العلم.

وأما المحامون فيأخذون ولا يعطون.

وأما المصورون والشعراء، فلا يأخذون ولا يعطون، إلا إذا كان للخيالات ثمن، وإلا إذا كانت تصلح أن تكون دعامةً لبنيان أمةٍ في هذا العام الذي لا يعترف بغير المادة.

هذه هي مدارسنا، وهذه هي بضائعها. وهي - على شديد تخمّتنا منها - لا تزال تكثر وتنمر، حتى لنخشى أن يجيئ يوم يصبح فيه لكل بيتٍ طبيبه ولكل بيت محاميه، ولكل بيت صحافيّه أو شاعرّه أو خطيبه.

وبعد كل هذا، إذا احتجنا إلى خيط نرتق فيه ثوباً، شريناه من الخارج؛ أو إلى

---

(٢) انظر مقالته: «مبازا يبرر الطائفيون موقفهم». باب الطائفية - افتتاحية «البرق» ٣٠ آذار ١٩٢٦، العدد ٢٥٦٢.

مسمار نغرزہ فی نعل، شریناہ من الخارج...»<sup>(٣)</sup>.

ما أصدقہ من قول، وما أشدَّ انطباقہ على الواقع العلمي الراهن!!

لئن تصدى الأخطل لهذه العلل، وبسطها بتؤدة على مشرحة النقد، فلأنه أدرك أن الأديب الحق، والصحافي الناجح، والمواطن الصالح، هم - في النهاية، الرجال الذين يرون العيب فيدُلُّون عليه ويسلِّطون الأضواء التي تنير جوانبه؛ ولا يكتفون بذلك، بل يحاولون ما وسعهم، رَتَقَ الخروق، ودَمَلَ الجراح، وسدَّ الفراغات، وتقديم كل ما من شأنه شيدُّ البناء على أقوى الأسس والدعائم وأسلم الأركان والجدران.

من هنا نظرته المخالفة لواقع حال جريدته اليومية، من إخبارية إعلامية، إلى مجلة تعنى وتُلمُّ بشتى المسائل التي تتطلب معالجة جادة<sup>(٤)</sup>.

أما اللغة، فله معها غير أسلوب غير اتجاهك بحسب الموضوع والمناسبة.. تتَّسم مقالاته السياسية، بأسلوب خطابي منبري، يكثر فيه تكرار الكلام، واختصاره الذي إن ساغ للجمهور المتلقي وتبيَّنه في لحظتها، أشكل على القارئ، البعيد عن صخب المنابر، وما يكتنف النفس من عناصر التعبئة بشتى الحواس والمدرجات.

وما أكثر صيغ الانشاء الطلبي لديه، من استفهام وانكار وتعجب، وزجر ونداء وتمنٍّ وما شابه. ولا تفوتنا كلمة بعينها لا يكاد يتخلّى عنها في مختلف مقالاته ومحاوراته هي: «أجل!» التي بدت وكأنها منطلق لأفكار ومطارحات ومعالجات تضجُّ في ذاته، فيفتتحها ويطلقها بـ «أجل»..

على أن هذا الأسلوب الخطابي، لا يبقى على وتيرة واحدة.

فهو تارة عالي النبرة، مُزبدٌ صخَّاب لكثرة الصيغ والمصطلحات التي لا تقال إلا ارتجالاً، ومن فوق المنابر..

وتارة هادئ رصين، يصدر عن عمق وتؤدة، وحرص على الوفاء بأصول

---

(٤) انظر مقالته «حاجتنا القصوى الي زراع وصناع» في باب: المقالات الاجتماعية.



التعبير وتراكيبه.

أما المقالات الاجتماعية والأدبية، فتتخذ اللغة فيها منحى أكثر وجدانية وموضوعية من المقالات السياسية.. وبخاصة الباب الخاص «ببقايا الذاكرة» الذي عمد فيه الكاتب الى قدراته اللغوية المتنوعة يتبرع فيها أساليب العرض والتذكر والحوار والتحليل، يُنسّق ما بينها، ويسكّب فيها خلاصة تأثراته وجميل انطباعاته مع هذا الأديب وذاك، وهذه المناسبة الأدبية أو تلك، بحيث لا يتوقف القارئ عن متابعة القراءة إلا للمزيد، بسبب عنصر الطرافة والصدق الجميل في سرد الوقائع والأوصاف، وسائر عناصر التشويق الأدبي من سياق قصصي مطّرد وتراكيب رشيقة المتن خفيفة الوقع، حالية الوشد؛ أضف إلى ذلك هذا الخليط العضوي ما بين الشعر والنثر والأمثال والحكم والأقوال المأثورة، وتلك العاطفة الصادقة التي تشع وامضة بين المقاطع والسطور.

ويقف القارئ المتأمل، حائراً أمام هذا الأديب الفذ الذي يمتشق سيف الكلام، من جهة، ويخطُّ بريشة الفن، من جهة ثانية..

فهو -أي القارئ - عندما يقرأ مقالاته وافتتاحياته السياسية ومذكراته في الحرب، وما بعد الحرب، لا يقول إنه هو صاحب «الهوى والشباب» و «الصبا والجمال» و «جفنته علم الغزل»..

والعكس صحيح.. أي أنه يستبعد أن يكون الأخطل الشاعر، هو نفسه الكاتب السياسي والوطني المناضل، والقلم الحرّ الجريء..

أيكون ذلك كله، من رَحِم الأصالة التي جعلت الأخطل الصغير، شاعراً أصيلاً وعاشقاً مخلصاً متبتلاً، ومناضلاً أبيعاً ووطنياً فارساً لا يُشَقُّ له غبار؟

لا غرو.. فقد حفلَ تراثنا بأدباء جمعوا الرصانة والصلابة في الحياة، مع الرقة وخضوع النفس لمشاعر القلب ولُبانات العمر، كأبي تمام والمتنبي والشريف الرضوي، قديماً، وأحمد شوقي ومحمد مهدي الجواهري ومحمود درويش وغيرهم، حديثاً..

وبوسع أي قارئ الاطلاع على عدد غير يسير من قصائد الحب والغزل لدى الشعراء المذكورين، لأنهم ذوو قلوب نابضة ومشاعر تهيجها الأحزان ونداء القلب، كما تهيجها الرايات الخفاقة وغبار الساحات ونشيد النفوس العطشى إلى الحرية والسيادة في آن.. وبعد،

فإن عملنا في هذا الكتاب، لم يقف عند حدود الاختيار، والضبط، والمراجعة، بل تجاوزها إلى شروح وتعليقات تناولت الأحداث، والأعلام، والأماكن، والأمثال، وكثيراً من الأقوال والمعاني الغامضة.

الأمر الذي رفع من درجة جهدنا إلى قاب قوسين من التحقيق الذي لاندعيه بحالٍ من الأحوال.. ملتمسين العذر حيال كل تقصير، من أي نوع كان..  
راجين المولى العلي القدير، أن يُثبينا على قدر ما نستحق!!

د. ياسين الأيوبي

طرابلس - لبنان ٢٨ مخرم ١٤١٩ هـ

الموافق ٢٤ نوار ١٩٩٨

## كيف عرفت

### الشيخ اسكندر العازار<sup>(١)</sup>

بين عام ١٩٠٦ - و ١٩١٤ - مكانة العازار الأدبية - تذكارات قديمة - العازار في مبادئه.

ما عرفت رجلاً اجتمع له الجمال والجلال، كما اجتمعاً للشيخ اسكندر العازار معتدل القامة، لطيف السميت، ناضر الابتسام، رصين الخطى، أبيض الوجه، مشرب بالحمرة، حسن اللحية، لا يتركها المقص تمتد عرضاً ولا طولاً، حاشاً رأساً لها رفيعاً على شكل الإجازة أو قريب منها.

ولكنك إذا جلست إليه، فقد جلست الى صناجة طرب تأخذ النكتة بطرف النكتة، والحديث بطرف الحديث، حتى إنه لا يكاد يجد جلسيه منفذاً للكلمة يقولها. فهو وخليط مطران، صنوان في احتكار الحديث، على تباين نوعه واختلاف نغمه، مع تطرف قليل في الأول وتأنق كثير في الثاني.

لقد عرفت العازار وشمسه في الطفّل<sup>(٢)</sup>؛ فلم يسعدني الحظ بإدراكه أيام شمسهِ تتلأل في متوسط الأفق.

كان العام ١٩٠٦ أو قريباً منه يوم أقيمت حفلة الأربعين للمرحوم نجيب حبيقة<sup>(٣)</sup>، وكنت قبل سنة أختلس فرصة المدرسة لأتردد على إدارة «المصباح»<sup>(٤)</sup> التي كان يرأس تحريرها؛ وكان يتردد عليها يومذاك الصديق يوسف نخلة ثابت، والشيخ سليم الدحداح، فصادفت منه عطفاً كثيراً، وتشجيعاً كبيراً حتى نمت له في نفسي العاطفة التي رثيته بها.

وكانت «قاعة مار مارون» غاصة بنخبة أهل الأدب، يوم أقيمت قصيدتي في رثاء «النقيب» فما انفضت الحفلة، حتى أخذ الصديق ثابت بيدي وقال لي: لقد سألني الشيخ العازار عنك، وطلب مني أن يتعرف إليك لإعجابه بقصيدتك.

ولم ألتق بالعازار بعد ذلك اليوم حتى تركت المدرسة؛ وكانت مدرسة الفريز<sup>(٥)</sup> آخر مراحلها فأنشأت «البرق» سنة ١٩٠٨، والعازار يومذاك منصرف الى جريدة «الوطن» لصاحبها شبلي بك ملاط<sup>(٦)</sup>. ولم يأنس الى «البرق» إلا في أواخر عام ١٩٠٩، وهو العام الذي قدم فيه الرصافي<sup>(٧)</sup> إلى بيروت لأول مرة من بغداد، وكان واسطة عقدنا. ومنذ ذلك الوقت اتصل الشيخ اسكندر العازار «بالبرق» وتوثقت لنا تلك المودة، وفاض علينا ذلك النور، وشرع «البرق» يحمل الى قرائه مقاطع من خطبه العديدة القديمة والحواضر، و «الترلي ترلي» وغيرها من تلك الأطايب التي كانت خمورا معتقة.

لم يكن العازار منصرفا الى الأدب. فهو كان يأتيه لماما، نزولاً عند طلب جمعية خيرية أو تنفيساً لعاطفة، أو انتقاداً لخلل. ولقد كان مع ذلك ركنًا من أركان النهضة الأدبية، لم تنطو الصحف على أسلس من عبارته، وأعذب من نكتته، وأحلى من خياله.

لقد قال لي مرارا: إنني رجل مالي أو رجل اقتصادي؛ فإذا كنت أواصل الأدب فإنها مواصلة شغف: «amateur» فكنت أغرق في الضحك لقوله عن نفسه إنه رجل مالي أو اقتصادي (لم أعد أذكر الكلمة). فكان يفهم سر ضحكي، فينقلب ضاحكا معي.

والحق أن العازار شب واکتهل في إدارة «بنك سرسق» حاسباً مالياً اقتصادياً، ولكنه، لسوء الحظ، لم يكن هناك أبعد من الحساب والمال والاقتصاد، عن تصرفه.

وعلى ذكر المال هناك فقد رأت بلدية بيروت عام ١٩١٠ أن يعقد قرضاً بمئة ألف ليرة عثمانية.. فتقدمت لإقراضها هذا المبلغ، بالاتفاق مع بيت مالي في أوروبا. وكان الشيخ اسكندر يضع لي اللوائح، ويتولى الدفاع عنها، ولقد عثرت بين أوراقه على عريضة كتبها بخطه، أطلب فيها الى البلدية مهلة للبت في قضية القرض، فرأيت أن أحفرها على الزنك كأثر عزيز وذكرى جميلة، وهذه هي :

لجانب رئاستي بلدية بيروت الموقرة

المعروض لجنايبكم وللمجلس البلدي الموقر، ومن مَوْقِع هذه العريضة، بشارة الخوري، صاحب جريدة «البرق» العارض إقراض البلدية مبلغاً ( ) بشروط معلومة.

إنه في جلسة عقدت أخيراً، تقرر إعطائي مهلة عشرة أيام لكي يثبت المقرض اقتداره المالي. ومع أن مثل هذه المخابرات المهمة، تستلزم حصولها من البوستة<sup>(٨)</sup> لاستكمال الإيضاحات. لقد عمدت الى المراسلات البرقية، ولكن عناصر السماء حالت دون رغبتني ورغبتكم في إنجاز هذا العمل بأقرب ما يكون. فالعواصف التي هبت كل هذه الأيام، كما تعلمون، وكما لا شك قرأتم أخبارها في الجرائد، والثلوج المتراكمة التي وصلت حتى صواري - بيروت قطعت الأسلاك البرقية، ومنعت المخابرات التلغرافية، فيما أن القوة عالية سماوية، كما تشاهدون. فمن البديهي وجوب الانتظار أياماً، لا تقل عن خمسة عشر، حيثما أنتم (والعاجز)<sup>(٩)</sup> يتمكن من خدمة بلدية بيروت العزيزة خدمة صحيحة.

فالمسؤول أن تحلوا طلبي محل الاعتبار، وأرجو قبول مزيد إكرامي وإخلاصي.

٢٧ شباط ١٩٢٠

قلت: لقد اتصلت بالعازار بعد أن اصفرّت شمسها ولكنه بقي محتفظاً بذلك الشعاع الضحاك، ينفذه إلى نفوس صحبه، وتلك الشوارد العطرة، يضحك بها الجو الذي يظله.

لم يترك العازار أثراً كبيراً، لأنه كما قلنا، لم يمارس الأدب لصناعة، ولكن في القليل الذي تركه ما هو أثمن من الدر وأنفع من العطر.

فكان كالمنهل العذب يتسابق الورد إلى ارتشافه، أو الثمر الشهوي يُدعون إلى اقتطافه.

وإنني لا أزال أحفظ من آثاره أبياتاً لي مكتوبة بخطه الفارسي الجميل، رفعتها، في عيد الجلوس<sup>(١٠)</sup> سنة ١٩١٠ إلى حازم بك والي بيروت، أستنهضه للإفراج عن جريدتي، وقد عطّلها المجلس العرفي لأجل غير معين، وحكم بغرامة ستين ليرة عثمانية، وذلك على أثر ضرب السفن الطليانية مرفأً بيروت، وإنشاء مقال فُسرُّ لأعضاء المجلس العسكري أنني أُلْع إلى إثارة الراية الفرنسية، وذلك في مقابلة شعرية بينها وبين

الراية الطليانية<sup>(١١)</sup>. ورأيت أن أخلد هذا الأثر بالزنك، للدلالة على ذلك الحب الصادق،  
والعطف الكبير اللذين كان يحيطني ذلك الصديق بهما - أما الأبيات فهي هذه:

مولاي

أبَا بَكْرٍ ظَلَمْتَ وَأَنْتَ وَالِ  
فَرَدُّ لَنَا زَمَانُ الرَّاشِدِينَ  
أَخَذْتُ - وَأَنْتَ تَعْلَمُ - دُونَ ذَنْبِ  
وَسَلَّ مَنْ شِئْتُ يُخْبِرُكَ الْيَقِينُ  
فَإِنْ أَكْ مُذْنِبًا - لَا كُنْتُ (لِهَا)  
فَإِنِّي جَاعِلُ رَأْسِي ضَمِينًا  
وإن أنا لم أكنْ إِلَّا بِرِيئًا  
أَعِنْدَكَ أَنْ أَكُونَ وَلَا تَكُونَا؟  
يَعِزُّ عَلَى الْعَدَالَةِ أَنْ تَرَانِي  
فَتُغْمِضَ مِنْ تَأَثَّرِهَا الْعَيُونَا  
وَلَوْلَا أَنْتَ وَالْأَمَلُ الْمُـرَجَى  
لَكَانَتْ تَمَلُّ الدُّنْيَا أَنِينَا  
أَتَى عَيْدُ الْجُلُوسِ فَأَيُّ شَعْرِ  
إِذَا يُنْشَدُ سَمِعْتَ لَهُ رَنِينَا  
أَيَنْطَلِقُ الْغَرَابُ عَلَى هَوَاهُ  
وَيَبْقَى الْبَلْبَلُ الشَّادِي سَجِينَا؟  
وَيُجْزَى الْمُخْلِصُونَ كَمَا جُزِينَا  
وَيَشْقَى الصَّادِقُونَ كَمَا شَقِينَا؟  
وَعَدْتُ الْعَفْوَ مُدَّةً لَهُ يَمِينًا  
فَيُكْرِمُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(١٢)</sup>

بشارة عبدالله الخوري

صاحب البرق

بيروت ٢٧/١٤ نيسان ١٩١٢

لم أدرك العازار خطيباً يرقص المنابر، بل لم أدركه محفلاً من تلك المحافل الخطابية التي تاهت بها بيروت على سائر المدن العربية، فقد سكت العازار وسافر فياض، وطراد وخار البستاني والهوراني وغيرهم من إخوانهم، وأنا بعد ضمن، جدران المدرسة. لقد جئت في الزمن الأخير ولكن «ما يرى وما لا يرى» و«زمور فرنكلان» و«جرائدهم وجرائدنا» وأخيراً هذه (الحواضر)<sup>(١٣)</sup> التي كانت سمر الأدباء وفاكهة الندامى، ثم تلك المقاطع الشعرية البارعة، تكفي لتضع العازار في المقام الأول بين أدباء عصره وقادة الأدباء من بعده.

وبعد فاسمع إلى هذه النغمة الناشئة من شعره:  
يا ترابَ الحبيب فيك فتاةٌ  
كلُّ أرواحنا تحنُّ إليها  
هي كانت عليك أطفَظْلاً  
أيها الترابُ لا تُثَقِّلْ عليها

وكانت قد ملكت عليه السويدياً مشاعره، فأدمن على الشراب<sup>(١٤)</sup>، فكان ينهض من نومه، ليستحمَّ ويلبس ثيابه، فيجلس قليلاً إلى مكتبه، ثم يخرج من البيت فيُعرِّجُ على صيدلية صديقه رشيد أفندي بدورة على مفرق المخلص، فيأخذ كأساً من «الأمير» (وكان هذا شرابه) ثم يمر بصيدلية (اختيارنا) داود أفندي نحول فيأخذ كأساً أخرى، حتى يصل إلى إدارة «البرق» حيث يكون (كل شيء جاهزاً) فيبدأ عمله نقرة في القرطاس ونقرة في الكاس.

ولم يكن العازار، على ما يتوصمه<sup>(١٥)</sup> الناس، ملحداً. فلا أذكر أنه جلس على الطعام إلا وقد رسم إشارة الصليب. وكان لا يغفل ذلك - وقد قاله لي - عندما يجلس إلى طعام، عليه غير النصارى. وما برحت أذكر إشارته، عندما كنا نأكل في الإدارة بيضتين مسلوقتين، مع قليل من النعنع الأخضر وشيء من الزيتون الأسود.

ما عرفت رجلاً أخف روحاً من العازار، ولا ألمع نكتة؛ ونوادره كثيرة لا يتسع لها المجال هنا. ولكنني سأصطادها السانحة بعد السانحة.

ولا أذكر حادثاً وقع لي معه، إلا وقد ضحكت لنفسى - جاء الإدارة يوماً بعدما مر (ببدورة ونحول) وأطال الإقامة، وكانت الإدارة مقفلة بفرصة الظهر؛ وقد رحبت وهو بعد لا يزال على السلم؛ وإذا آثار بول على الحائط قرب الباب، فنظرت إليه وضحكت. فقال «جيت ما شفتك. حطيتك كارت فيزيت».

هذا ولا أنسى - وكنت لا أزال في جنون الصبا - كيف كان يعنى الصديق العازار «بالبرق» عناية الجد بحفيده الصغير؛ يعينه عليه الصديق الأوفى والكاتب القدير: يوسف أفندي نخلة ثابت؛ حتى ليستمر الأسبوع والأسبوعين، دون أن يعلما على جناح أي سحابة أنا طائر، أو في قلب أي مهواة أنا غائر.

ألا رحم الله ذلك البدر الذي أنار أفق الأدب العربي حقبة من الدهر، وما برح يرسل شعاعه من خلل ذلك القبر المكفن بوفاء هذا القلب وحنانه، ورحمة الله ورضوانه.

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦١، ص: ٦ - ٧

\*\*\*\*



## كيف عرفت

### معروف الرصافي<sup>(١)</sup>

سبقت معروف الرصافي شهرته إلينا، بما كانت تنشره له صحف مصر، قبل إعلان الدستور<sup>(٢)</sup>، من غرر القصائد، تنبعث منها لفحات الحرية، ويتطاير عن جوانبها شرر الوطنية، حتى اعتقدنا أن معروف الرصافي اسمٌ مستعارٌ لشاعرٍ عراقي كبير، وإلا فكيف يجسر رجلٌ يظله خيال عبد الحميد، ورجال عبد الحميد، على بعث هذه الثورة في قلب البلاد العثمانية، وينفخ في موقد الإصلاح الإسلامي، في بلدٍ كبغداد حيث تسود الرجعية الدينية وتطغى؟

فإذا أنت قرأت له في «سجن بغداد» وهي من أبرع قصائده:

بلادُ أناخَ الذلُّ فيها بـكـلِّ

على كل مفتول السُّبَّالين أصيدُ

ثم إذا قرأت له قصيدته «التربية والأمهات» :

وقالوا شرعةُ الإسلام تقضي

بتفضيل الذين على اللواتي

لقد كذبوا على الإسلام كذباً

تـزولُ الشُّمُّ منه مُـزَلْزَلاتُ

شككتُ في أن يكون الرصافي اسماً من لحم ودم، يُستهدف لنقمة السلطان ومن تحت قدميه البوسفور، ثم لِمَن في بغداد من الرجعيين وهم حَرَبٌ على رجال الإصلاح، يخشون منهم أن يقطعوا ما بينهم وبين العامة، فيهوون صغاراً ويموتون جوعاً.

ولكن معروف الرصافي لم يلبث أن قدِمَ بيروت في أوائل شباط سنة ١٩٠٩،

فاجتمعنا إليه لأول مرة في «قهوة البحر» وقد ذهبتُ إليها مع الشاعر المعروف أسعد أفندي رستم<sup>(٣)</sup>، فإذا هو يحيط به الشيخ رشيد رضا<sup>(٤)</sup> والرحوم الشيخ محيي الدين الخياط<sup>(٥)</sup> والشيخ مصطفى الغلاييني<sup>(٦)</sup> والرحوم الشيخ محمد ياسين ومحمد أفندي الباقر. ولقد كان الرصافي، كما هو في هذا الرسم<sup>(٧)</sup>، مجيباً معمماً، فذكرنا مجلسه معنا، تلك المجالس التي تقرأ عنها في كتب الأدب، عندما كان يجلس النابغة بين شعراء المدينة، ينصتون إليه ويقومون على تبجيله.

ولقد كان الرصافي، على ما أذكر، يَطرَب لطريقة رستم، حتى كثيراً ما كان يقاطعه قائلاً: هذا هو الشعر!

ولكنَّ الرصافي الشاعر، يفي الكأس كما يفي القرطاسَ حقه. فما لبثنا أن انتزعناه - ممتناً - من حلقة قطبها الشيخ رضا، إلى حلقة أخرى قطبها العازار، وما أدراك بالفرق بين الحلقتين.

وكان «الكلوب» وهو مكان يجابه «مدرسة الثلاثة أقمار» مقراً ليلياً لنا، ونحن عصابة من أعضائها المرحوم الشيخ يوسف أبي صعب، وسعيد صباغة، وإميل خوري، وأسعد رستم، وديب العم، ويوسف نخلة ثابت وجرجي نخلة سعد، وأمين تقي الدين، والياس فياض، صيفاً، لأنهما كانا يشنوان في مصر، وغيرهم من الأدباء وعشاق الأدب. ولا تزال تلك الليالي أعذب ذكريات الماضي، لجميع الذين ترشفوا زلالها وتفيأوا ظلالها.

ولم يطل الرصافي مقامه في بيروت، لأنه كان في طريقه إلى الآستانة، وقد دعي إليها ليتولى إنشاء جريدة «إقدام» العربية. ولكنه لم ينقطع بروحه عنا؛ فلقد جعل «البرق» روضته ينشد فيها أغانيه الخالدة. وكان أول ما تلقيناه منه، عن الآستانة، الرسالة الآتية المؤرخة في ٣ شباط، سنة ١٣٢٤ هـ<sup>(٨)</sup>، [الموافق للعام ١٩٠٦/١٩٠٧ م.]، ينشرها البرق بخط الرصافي<sup>(٩)</sup>.

وعاد الرصافي من الآستانة، في أواخر آب ١٩٠٩، فأقبل توّاً على إدارة «البرق» -

عادة معظم أدباء ذلك العهد. وكنا ساعِثُ نَهمٍ بنزْهةٍ في الجبل. فلم يتردد الأستاذ في قبول دعوتنا، لا سيما وقد كان الريحاني<sup>(١٠)</sup> في الفريكة؛ فأطبّقنا به واحتلّنا صيوانه<sup>(١١)</sup> وقد كان يصحبنا الفكّه المرحوم الياس خليل شديد، يمتعنا بنكاته حيناً وبصوته حيناً.

في الحق، إنها متعة الأنفس ومشتهاها: «الرصافي والريحاني» يتلاقيان لأول مرة، تحت وابلٍ من الأحاديث العلمية، والآراء في الألوهية وتأثير القمر بالجاذبية، ومكان المرأة الشرقية من الرجل، إلى ألف «ضربة» أخرى؛ لا بل نسيتُ وقفتهم أمام مكتبة المضيف العزيز<sup>(١٢)</sup> برهةً، يتناوبان كتبها.

لا أكذب.. إنها نبراتهما كانت تقع في أذني، وأنا ورفيقنا جالسان إلى سفرة اعتنت بها سيدة المنزل الجليّة أيما عناية، فكانت كؤوسنا تُقهقه سراً وعلانيةً، حتى أيقظتُهما من ذلك البُحْران، فهرولا إلينا وشاركانا بما لدينا.

وودعنا الريحاني في الصباح، نضربُ إلى بيت شباب، فبكفيا، فالشوير، فبحسّس، وقد اجتمعنا فيها بالمرحوم الشيخ كنعان الزاهر، وكان يومئذٍ قائمقام المتن. ثم هبطنا بُعْبدات عند الظهر، فسرنا إلى منزل المرحوم نعوم اللبكي<sup>(١٣)</sup>، فكانت لنا فتكة بالكُبة والبصل. ولم يُفلح معنا غيرهما من ألوان الطعام، حاشا الجبنة الخضراء والقهوة البيضاء.

ولم نكد ننزل إلى بيروت، حتى تلقيتُ من الصديق الريحاني الرسالة الآتية، ولقد رأيتُ لها مجالا هنا.

#### عزيزي بشارة

إن يوما قضيته عندنا مع شاعرنا الرصافي المحبوب وذاك (الشديد) المضروب، لكوقفه الحسن على غصن الزيتون.

أما «البرق» فلا يفوتك إرساله مع الموزع، كي لا يضيع في المدينة عند الأصحاب.

وما من أحد يكره البرق في الظلمات. ولا لوم على مَنْ يختطف مثل هذه الجريدة. فإن بعض الأشياء المقدسة مُتسامحٌ بسرقتها، في بعض الأحيان. و «البرق» عندي من هذه الأشياء. فإني وإن كنتُ لا أجد فيه دائماً ما أتمناه، أنسى، عندما أطلع صفحاته المتقنة المرتبة الجميلة الظاهر والباطن، ما يتطلبه العقل دائماً من بنيه والحقيقة من أنصارها. على أنكم لم تقصروا، والله في خدمة الاثنين ونصرهما. قوأكم الله ووفقكم في جهادكم.

**صديقكم أمين**

وعاد الرصافي إلى بغداد. وكنتُ قد اقترحت عليه إثر نزولنا من الجبل، نظم قصيدة في لبنان. فما هو أن استقر في بغداد حتى جاني منه كتابٌ أشار فيه إلى هذه القصيدة؛ فرأيت إثباته هنا بخط صاحبه، لترى حكومة اليوم، أننا منذ ذلك العهد، ونحن نعمل في سبيل لبنان، وتحبيب الناس بالاصطياف في لبنان، دون أن نمس خزينة الحكومة كما هو حادث الآن.

ولقد كان للقصيدة التي نظمها شاعر العراق في لبنان وقّعها المستحب؛ فتناقلتها الصحف في سوريا، ومصر، وأميركا، حتى اقترح بعضها إقامة حفلة تكريم للرصافي في مدينة بيروت، ليعرب له اللبنانيون عن شعورهم نحوه وتقديرهم تلك العواطف الطيبة التي ترقرت على قصيدة الجميلة؛ فحال دون ذلك أسباب لا نذكرها. ولقد كنا نقترح على الحكومة اللبنانية أن تمنح الرصافي وسام الاستحقاق اللبناني أسوةً له بشوقي وحافظ، لولا علمنا بشذوذه في مثل هذه الأمور.

وبعد فهذا كتاب شاعر العراق.

**أخي ومولاي**

أخذت كتابك، فطربت لصدق إحساسك، وعلو تصورك، ونزاهة مقالك. وها هي سيكارة أمامي، يتصاعد دخانها في الفضاء وخيالك نصب عيني، غير أنه يتلاشى في

بحر دخانها في الفضاء.

وقد أخذت تلغرافك أيضا، قبل كتابك ولم أجبك عليه، لأنني على وشك السفر إلى بلادك ولأنني أخذت عدة تلغرافات من مفاخر<sup>(١٤)</sup> بك وأجبتة عليها. أما تأخري عن السفر فلعدم وجود عربيات في بغداد. فأنا أنتظر ورود بعض العربيات من حلب الشهباء على ما يقولون قريبا ونسافر.

كتبت على غلاف رسالتك : (لا تنس قصيدة لبنان) وما كنت لها ناسيا ، ولكن الشواغل كانت مانعة عنها. غير أن كلمتك هذه منحنتني قوة تغلبت بها على تلك الشواغل فراجعت شيطاني في الشعر، فطاوعني حتى أخذت أكتب قصيدة تم منها الآن زهاء أربعين بيتا. غير أنها لم تستوف المرام بعد بتمامه. وأنا أذكر لك هنا شيئا عنها تستأنس به حتى إذا ما تمت أرسلتها إليك، أو جئتُ بها معي هدية.

من نسيم جو العراق الهاب على شطوط دجلة والفرات، أبيت شيطان الشعر إلا أن أقدم شيئا من النسيب في هذه القصيدة فقلت في مطلعها:

برزت تميس كخطرة النشوان

هيفاء مخجلة غصون البان

وبعد أن كتبت عدة أبيات في النسيب، تخلصت إلى ذكر لبنان فيها بقولي:

لم أنس في قلبي صعود غرامها

إذ نحن نصعد في ربي لبنان

وهنا وصفت لبنان بأبيات ثم أخذت أخاطب صاحبي بشارة والياس<sup>(١٥)</sup>، بقولي:

يا صاحبي أتذكران فإنني

لم أنس بعد كما سرى النسيان

إذ كان يغبطنا الزمان ونحن في

### وادي الفريكة منبت الريحاني

وهنا أخذت أهيمُ في وديان لبنان، وهضابه ضارباً صفحاً عن ذكر «حوملٍ والدُّخول» إلى ذكر «بيت شبابه» و «بكفياه»<sup>(١٦)</sup> وعن ذكر «الغدير» إلى ذكر «الشوير» تخلّصت إلى ذكر أهل لبنان بقولي:

تلك الربى أمّا الجمالُ فواحدٌ  
فيها وأما أهلُها فأتنان  
رجلٌ يسيرُ إلى النجّاح وآخرُ  
يسعى وغايتهُ إلى الخُسران

وأخذت في هذا الموضوع بما ستقرؤه ولم أدر هل أسقط هنا في سخط أهل لبنان الكرام أو في رضاهم.

وصلتني أعدادُ «البرق» وقدمتُ الأعداد الخمسة منه، إلى جميل أفندي الزهاوي<sup>(١٧)</sup>، وهو يشركُ ويقرئك السلام، كما يقرئك السلام مشغوفاً بكل حب واحترامٍ، محبك وأخوك.

### معروف الرصافي

٢٣ تشرين الأول: ١٣٢٥هـ / [١٩٠٧م].

ولم يُقم الرصافي في بغداد طويلاً، حتى أبرقنا إليه بالحضور، بناءً على برقية من الآستانة، تأذن بتعيينه أستاذاً للعربية، في مدرسة الحكومة، مع تحرير جريدة كان قد أزمع على إصدارها باسم «سبيل الرشاد». فنزل الرصافي في بيروت على قلوبٍ تشنّاقه وترتقبه. وكنتُ قد هيأتُ مجلساً في «الكلوب» جمعت فيه بين الشيخ عبد الله البستاني<sup>(١٨)</sup> وبينه، فكانت حلقةً بديعةً، كتبت على أثرها في «برق» ٤ ك ١ من عام ١٩٠٩ هذه الشاردة:

«هي ليلةُ التقى فيها الرصافي والبستاني. وكان «الكلوب» نقطة الدائرة».

وكناً، بارك الله - نحواً من خمسة عشر (ذاتاً) - على لغة لبنان الرسمية - وكاد يُوحشنا شيخنا العازار لولا الذي أنشده داود مجاعص وإميل خوري من شعره،

ووقف له الرصافي إعجاباً<sup>(١٩)</sup>.

وشرب البستاني نخب زميله، فقال:

إني لأشربُها على ذكرِ امرئٍ  
هو بالبلاغة والنُّهى معروفُ  
إن كنتَ تذكره فليس بضائر  
أبدأُ عليه، فإنه معروفُ

فرد عليه الرصافي بقوله:

إني لأشربُها على شرفِ الذي  
الفضلُ فيه ليس بالمُتناهى  
إن الفصاحة والبلاغة والنُّهى  
والفضلُ أجمع، عند عبد الله

ثم كانت ليلةً أخرى، حضرها العازار وأنشدنا الرصافي فيها قصيدته «العالم  
شعر» فما هو أن انتهى منها حتى استكتبنا العازار هذين البيتين:

«ألا إن هذا الشعرَ من أبدع الشعر»  
فلا تعجبوا إن كان في شعره سُكري  
ولا تعجبوا إن كنتُ أهواه إنَّه  
«عيونُ المها بين الرصافة والجسر»<sup>(٢٠)</sup>

ومضت لنا ليالٍ على هذا النمط. حتى إذا هممنا بالانصراف، نادى «أبو متری»  
«قيم الكلوب» بالخادم «فُوتَ علأوضة كنس أشعار»!

ولقد جمعت بين الرصافي والبستاني والعازار، في رسمٍ واحد، فكان أحسن أثرٍ  
في تاريخ الأدب العربي. وقد ظهر فيه الرصافي بالبذلة الإفرنجية التي كان يرتديها عند  
خروجه من بغداد، حتى إذا عاد إليها، عاد إلى جُبَّتِه وعِمَّتِه.

وقد كتب الشيخ عبد الله، تحت هذا الرسم، هذين البيتين:

إِنْ نِلْتُ يَا بَيْنَ مِنْ أَجْسَادِنَا طَبَعَتْ

فيها، لشاكي النوى الأنوار أشباحا  
تخال أرواحها رُوحاً إذا اجتمعت  
وإن تناءت تخال الروح أرواحا

وأصبح الرصافي بعد ذلك، مبعوثاً<sup>(٢١)</sup>. وغامر مع مَنْ غامر في السياسة، فأصبح مقامه في بيروت، كما يحط الطائر على الغصن. ولكنه كان لا يزال يحمل لواء الشعر العالي في الشرق العربي. غير أنَّ خروجه من بغداد، وملامسته الحضارة الغربية رَفَقَتْ من ديباجته الأولى، فلم يزد ذلك من قيمة شعره القديم الذي انفطر عليه فهو ما برح عندي شاعر «السجن في بغداد» و«التربية والأمهات» و«أم اليتيم» و«العالم شعر» و«اليتيم في العيد» و«الصديق المضاع».. وكلها مما نظمها الرصافي يوم كان عندنا «اسماً مستعاراً» لشاعر محبوب. هذا عدا قصيدة «اليتيم في العيد»: فلقد بدأ بنظمها في الأستانة لسفرته الأولى إليها، وأتمها في النزهة القصيرة التي صرفناها معاً في الجبل.

وإنه ليؤلم الأدب والأدباء، أن يكون حظ الرصافي، ذلك الشاعر الذي حمل بقصائده الثورية على العرش الحميدي، وهو في قلب بغداد، أيام كان معظم القائمين في الأمر هناك، يتهاكون على نظرة رضى وتعفير جبين، أجل: إنه ليؤلم الأدب والأدباء، أن يكون الرصافي مغموطاً حقاً، مجنياً عليه؛ ولا يأكل الأكلون اليوم، سوى الفتات التي كانت تتساقط، في ذلك العهد المخيف، عن موائد الصحف الحرة والأقلام الحرة: فأين همُّ الذاكرون؟

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٤، ص: ٩٠٨

\*\*\*\*\*



## كيف عرفت

### الشيخ يوسف أبي صعب<sup>(١)</sup>

كان في عداد من سلبتنا الحرب العالمية، الشيخ يوسف أبي صعب المتشعر  
القدير. وقد كان له مشاركة في الأدب، يتناول الشعر فيرسله، على الغالب، زوجين  
زوجين، بعد أن يصوغه في قالب حسنٍ على معنى دقيق جميل.

فمن شعره وقد اقترحته عليه إحدى السيدات على «رأس العين» في بعلبك:

يا بَعْلَبَكْ، مَدِينَةُ الشَّمْسِ الَّتِي  
نَاغَتْ قَبَابُكَ مَطْلِعِ الْقَمَرَيْنِ  
لَوْلَمْ تَكُونِي مَنَزَلًا لِلشَّمْسِ مَا  
طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا بِرَأْسِ الْعَيْنِ

ومنه، وقد ذهب لنزهة مع بعض أصدقاء، إلى نهر الكلب، وفيه إشارة إلى الخرافة  
القائلة بأن ديانا إلهة الأحرار أقامت على مياه نهر الكلب أرصاداً:

كُنُوزٌ نَحَوْنَاهَا عَلَى مَتْنِ ضُمُرٍ  
وَأَرْصَادُ نَهْرِ الْكَلْبِ فُكَّتْ مِنَ الضَّرْبِ  
وَإِنِّي لَأَرْصَادُ الْكُنُوزِ وَأَصْلُهَا  
وُقُوفٌ أَمَامَ الْأُسْدِ فِي الْمَوْقِفِ الصَّعْبِ

وكان على ظاهر الشيخ يوسف أبي صعب، مسحة من العنجهية، وفي حديثه نبرة  
فيها شيء من العنف، قد تنبوان بك عنه لأول مرة. حتى إذا عرفت أن تمزق هذين  
الحجابين عن نفسه، وعرفت كيف تستميله بقليل من المصانعة، أنست إلى مجلس طرب  
نادر المثل؛ قد يكون هو محور النكات التي يرسلها الإخوان من كل جانب.

ولقد كان - كما رأيت في حديثنا عن العازار والرصافي - أحد أركان الحلقة  
الأدبية، لا يكاد يتغيب ليلة. كان إذا تأخر طلبناه بجميع الوسائل، وبعثنا في أثره

الرسـل نـحـمـلـهـم إـلـيـهـ ما نـكـون قـد اخـتـلـقـنـاه مـما نـعـرف أنه يـدـفـعه إـلـيـنا مـسـالـمـاً أو مـحـاربـاً راضـيـاً أو مـغـاضـبـاً.

ولقد كان له شيطانان لا يزايلانه: أنا وإميل أفندي خوري، يحاول كل منا أن يطعن في الآخر عنده، مختلقاً له عن رفيقه كل كلمة تُسيئه. فمن سَبَقَ إليه رمى بصاحبه في هوة غضبه أياماً إلى أن يعمل الإخوان على إصلاح ذات البين، فنجتمع على مائدة تتصافح فيها الكؤوس والنفوس، ثم لا نلبث بعد أيام أن نعيد الكرة. وهكذا دواليك.

ولقد كنا في الأشهر الأولى من الحرب العالمية - أي قبل دخول تركيا في الحرب - تجمعنا «قهوة المرصد» - كاريون اليوم - وفينا الشيخ عبدالله البستاني، والكونت طرازي، وكامل بك حمية، وشقيقه فؤاد بك، ويوسف نخلة ثابت، وجرجي أفندي نقولا باز، والأستاذ جبرائيل نصار، وإلياس أفندي الريف، والمرحومان يوسف خطار غانم، ويوسف عباس الحلو وغيرهم. وكنا نعتقد يومئذٍ أن الحرب لن تطول أكثر من أشهرٍ معدودة. فرحنا نقطع الأيام في القهاوي قتلاً للمل، وكانت لعبة «المتشكا أو البطشكا» دارجة في تلك الأيام. فأخذنا بعض دروسها على يد أستاذنا شبلي بك ملاط والمرحوم يوسف خطار غانم الذي كان يردد مفاخره «أنا رب الطشكا في هذا البلد». (فيطيب) له شبلي هادراً بغمغماتٍ من شعر المهلهل في كليب «لو كنت حاضر أمرهم لم يَنْبَسُوا»<sup>(٢)</sup>

وأقبل الشيخ يوسف يوماً يحمل ورقة؛ فانتبذ ناحيةً ودعاني إليه. فإذا هو قد نظم ثلاثة أو أربعة أبيات في مدح المرحوم الدكتور حبيب درعوني - وقد كان من أبرع أطبائنا - أذكر أنه ابتدع معنى جميلاً في البيت الأخير، ولكنه لم تتفق له صياغته كما يجب؛ فرحنا نقدح الفكرة معاً حتى استوى له. فنهض ينفذ السرور عن جانبيه. وقد كنت حفظت الأبيات تقريباً ولا سيما البيت الأخير. فعدت إلى يوسف خطار غانم، وقلت له: ما قولك في أبيات تقدمها باسمك إلى الدكتور درعوني، وهو صديقك الحميم، وقد شفي من مرضه؟ فأدرك أن في الأمر لعبة، فكشفتها له. فنهض للحال، وكتب ما هو قريب جداً من الأبيات الأولى، والبيت الأخير بحرفه. وقد وضع الأبيات ضمن إطار، وقدمها للطبيب درعوني، في ذلك اليوم. فعلقها هذا على جدارٍ في حفلة بيتية صغيرة.

ولسنا نحدثك عن الموقف في اليوم التالي، عندما جاء الشيخ يوسف بأبياته، بعد أن ضربت لها الطبول. فإذا هو يراها معلقة بتوقيع يوسف خطار غانم.

لقد اصطلينا حرباً ثانية منذ تلك الدقيقة، وكاد يكون حطبها المرحوم يوسف غانم لو لم ينقذه إخوانُ «المرصد» منه. أما أنا فلبثت متوارياً أسبوعاً لا أجرؤ على الظهور، حتى عملت على تبرئة نفسي، أن زعمت أنني لكثرة إعجابي بالأبيات ، حفظتها ورويتها لغانم، عن سلامة نية، ففعل هو فعلته الممقوتة، ومن ثم عادت المياه إلى مجاريها.

لم يكن في القلوب، أطيب من ذلك القلب، ولا في المروءات أعظم من تلك المروءة، بل لم أعرف ذاكرة - بعد ذاكرة الأستاذ حبيب أسطفان- أحفظ من ذاكرة الشيخ يوسف؛ وهو فوق ذلك، قد كان حجة في الشرع الإسلامي؛ تقف الفتاوى على بابه، فيجلو غوامضها، ويفك مشاكلها، ولكنها خفة الشباب، كانت تغرينا بذلك العبث البريء، والهفوات الصغيرة، فيغسلها هو بفيض من مكارم أخلاقه ويرسل عليها بوارق مستعذبة من شفتيه وعينيه.

ولقد عثرنا بين أوراقنا المبعثرة، على أبيات نظمناها له تهنئة في ميلاد طفله عام ١٩١٥، على نية أن يتيح لنا الزمان مجلساً مطمئناً نقرأها فيه، فإذا الدهر يواصل تهجمه، والحرب تواصل ويلاتها، والإخوان يتبعثرون في كل مكان؛ حتى بلغنا ويا لهول ما بلغنا- أن الشيخ يوسف، مات بالتيفوس، وكان ذلك على ما نظن: عام ١٩١٥؛ فكان خطبه خطب العلم والأدب والظرف والمروءة.

وإني ناشر هنا القصيدة التي أشرت إليها، وقد سلكت فيها الطريقة التي أعرف أنها تهزه وتلذه:

أهلاً بها كالقمر  
في مُسْتَهْل الشَّهَر  
لها ابتسامُ الزَّهَر  
لقَطَرَاتِ المَطَر  
وئغَمَاتِ القَمَر  
لنَسَمَاتِ السَّحَر



يا حُسْنُهَا فِي الصَّغْرِ  
 دَرَجَةٌ فِي حُجْرٍ  
 لِسَيْدٍ مُشَاهِرٍ  
 مُرَّاسٍ مُصَدِّرٍ  
 عِلَامَةٌ مُفَقِّدٍ  
 مُحَدَّثٍ مُحَرَّرٍ  
 مُعَيِّدٍ فُقْهٍ زُفَرٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَلِغَةِ الزَّمْخَشَرِيِّ<sup>(٤)</sup>  
 وَمُرْقِصَاتِ الْبُحْتَرِيِّ  
 وَمُعْجَزَاتِ عُنْتَرٍ  
 مِنْ آلِ صَعْبِ الْغُرَرِ  
 مَا فِيهِمْ غَيْرُ السَّرِيِّ



وَحُسْنُهَا فِي النُّظَرِ  
 وَهِيَ بَعُومَرِ الْقَمَرِ  
 طَالِعَةٌ فِي نَقَرٍ  
 مِنْ تَرْبِيهَا، مُزْدَهَرٍ  
 مَصُونَةٌ بِالْخَفَرِ  
 مُحْفُوفَةٌ بِالطُّهْرِ  
 هَادِيَةٌ بِأَنْثَرٍ  
 لَأَمِّهَا، مُشْتَتَهَرٍ



وَحُسْنُهَا فِي الْكِبَرِ  
 قُرْبَ فِتْيٍ مُنْخَدِرٍ  
 عَنِ الْوَدْدِ ذِي خَطَرٍ  
 مُمْلٍ مُمَوِّدٍ

فَتَى كَنُورِ الْبَحْرِ  
 حَلَوِ الْمُحَايَا أَسْمَرِ  
 ذِي أَدَبٍ وَبِدْرِ  
 مِنْ أَبْيَضٍ وَأَصْفَرِ  
 لَيْسَ لَهُ مِنْ وَطَرِ  
 بَغْيِ رَهَا فِي الْبَشَرِ  
 وَهِيَ بِمِمَّا مِنْ حَوَرِ  
 فِي طَرْفِهَا الْمُكَسَّرِ  
 تَفْعَلْ فَعَلَ السُّمَرِ  
 بِقَلْبِهِ الْمُشْطَرِ  
 وَمَا بِذَاكَ التَّغَرِ  
 مِنَ الرَّحِيقِ الْمُسْكِرِ  
 تَجَلَّى غَيُومَ الْكَدَرِ  
 مِنْ رَأْسِهِ الْمُغَوَّرِ



وَبَعْدَ بَعْضِ الْعُمَرِ  
 مِنْ ذَا الزَّوْجِ الْمُثْمَرِ  
 يَجْنِي لِذِيذِ التُّمَرِ  
 مِنَ الْبَنَنِ النَّضَرِ  
 مَا نَغَمَاتُ الْوَتَرِ  
 إِذَا شَدَّوْا فِي الْوُكُورِ  
 وَإِنْ مَشَّوْا لِلكِبَرِ  
 قَادُوا زِمَامَ الدَّهْرِ  
 كَجَدِّهِمْ إِذْ يُنْبَرِي  
 لِخَطْبِ دَامِي الظُّفْرِ  
 مُقْلًا بِأَسْمَرِ  
 مَقْتَطِعٌ مِنْ صَقَرِ

يَرْمِي بِهِ عَنْ شَرِّهِ  
مِنَ الْحِمَامِ الْأَحْمَرِ



وَأَفْتُكَ مِيَّ فَا بُشِيرِ  
وَلَا أَقُولُ (أَقْنَتَ صِرِّ)  
فَإِنْهَا فِي نَظَرِي  
وَنَظَرِ الْمُخْتَبَرِ  
أَفْضَلُ فِي ذَا الْعَصْرِ  
مِنَ الْغُلَامِ الذَّكَرِ

هذا ، وإني ما برحت أذكر ليلةً جمعتنا دار الشيخ، وحفلت بنا سفرتة الفخمة اللذيذة، وكان ذلك في تشرين عام ١٩١٢. فقلت يوم ذاك في تقريره، وكأنما تنبأت عن زواجه واسم قرينته:

نحن في جنة الخلود بببيت  
الشيخ بيت الفخار والعلياء  
شيخنا (آدم) به فمتى يسفر  
هذا الخلود عن حواء

فاهتز الشيخ للشعر اهتزاز المهند، وتلطف معنا بأن أقترح على الإخوان نظم هذا المعنى وهو « لا بدع أن يصدر (البرق) على هوله، عن فتى كصاحبه، لأن الصواعق، على هولها، هي من الغمام اللطيف».

فقال جرجي أفندي عطية:

عَجَبْتُ هُنْدُ كَيْفَ يَنْشَأُ (بَرْقُ)  
هَائِلٌ مِنْ يَنْبُوعِ لُطْفِ سَامِي  
قُلْتُ لَا بَدْعَ! فَالصَّوَاعِقُ تَنْشَأُ  
يَا ابْنَةَ الْعُرْبِ مِنْ لَطِيفِ الْغَمَامِ

وقال جرجي أفندي سعد:

لا بدع في البرق ينشأ  
بَرْقُهُ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ  
فَمَا الصَّوَاعِقُ إِلَّا  
مِنْ الْغَمَامِ اللَّطِيفِ

وقال يوسف أفندي نخلة ثابت:

عَجِبْتُ لِهَذَا الْبَرْقِ يَصْدُرُ عَنْ فَتَى  
هُوَ فِي لَطَافَتِهِ شَبِيهُ مَدَامِهِ  
لَا تَعْجَبَنَّ فَالصَّاعِقَاتُ بِهِ وَلِهَا  
لَيْسَتْ سِوَى نَفْثَاتِ تَغْرِ غَمَامِهِ

وقال الشيخ يوسف رحمه الله:

لَا بَدْعَ إِنْ كَانَ هَذَا الْبَرْقُ مَصْدَرُهُ  
لُطْفٌ يَحَاكِي نُسَيْمَاتِ الصَّبَا سَحَرَا  
فَمَا الصَّوَاعِقُ فِي أَهْوَالِهَا هَبَطَتْ  
إِلَّا بَنَاتِ سَحَابٍ رَقَّ فَأَنْتَشَرَا

وعلى الجملة فلقد كان الشيخ يوسف أبا صعب روضاً جنياً وماءً رويًا تنشقُّ  
عنهما أزهارُ العلم والأدب، وتسجُّ فيهما بلابلُ الشَّعر كلَّ عشية.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٥، ص: ٨-٩

\*\*\*\*

## كيف عرفت طانيوس عبده<sup>(١)</sup>

إذا عُدَّ أعلام الأدب العربي بين الشام مصر، جاء فيهم طانيوس عبده يزجي أمامه جيشاً من الكتب، لا تكاد تفي أيام السنة ولياليها، بمطالعتها. وحسبك منها هذه الروايات الخالدة التي عربها، والتي جعلت اسمه على شفة كل أديب عربي في كل بلد فيه عربي يقرأ.

ولقد كنت في عصر الحداثة، من الذين أولعوا بمطالعة الروايات، فما كنت أرقب بريد مصر ولا البحث في مكاتب بيروت إلا عن رواية عليها اسم طانيوس عبده.

فلقد كان له في التعريب طريقة عرفته فيها بعد أن رجع إلى بيروت، وذلك على ما أذكر عند إعلان الدستور في تركيا (أيلول عام ١٩٠٨).

أنظر إلى هذا الرجل الضئيل الشاحب، أو بالأحرى إلى هذا الوجه المحروق بالسويداء والكحول جالساً إلى طاولة صغيرة عليها كأس من العرق في قهوة - خضراء - وبيده رواية فرنسية، يطالع العشرين صفحة من صفحاتها دفعة واحدة، ثم يضعها جانباً ويتناول أوراقاً وقلم رصاص بطول الإصبع ويأخذ في (درز) الكلمات (درزاً) سريعاً، فما هو إلا نصف ساعة حتى يملأ نحو الخمسين ورقة بحجم وسط، إذن فقد عرفت أن طانيوس عبده كان يستوعب الفصل، حتى إذا تملاه أخذ هو في وضعه من غير أن يراجع كلمة، أو يأتي بحركة، إلا أن يمد يده إلى الكأس المرة بعد المرة. وكان ذلك بدء التعارف بيننا ثم أصبح شريكاً لفائق بك غرور في جريدة «الأيام» التي أصدرها عام ١٩٠٨، وما لبثا أن افترقا، فأنشأ مجلة «الراوي» ثم ما لبث أن تركها، وانبرى من هناك يكتب في بعض صحف الثغر، ويعرّب الروايات فيبيعث بها إلى بعض مكاتب مصر.

ولم يكن طانيوس عبده خلال السنوات الخمس (بين ١٩٠٩ و ١٩١٤) ليحدث دويّاً في العالم الأدبي، لأنه كان من عادة الصحف في بيروت أن لا تأذن لمحرريها أن يعلقوا



أسماءهم في ذيل مقالاتهم. فحمل ذكره أو كاد إلا ضمن دائرة محددة من صحبه، يرسل فيها المقطع إثر المقطع من شعره، لغرضٍ من الأغراض الخاصة، يضمّنه نكتة لطيفة سائغة، فينتشر في الحلقات الأدبية الأخرى، فينعش ذلك من ذكره بعض إنعاش.

كان حظ طانيوس عبده في الحرب كحظ الأكثرين منا شؤماً وتعساً، فلقد قضى عليه سوء الطالع أن يكون تحت سن العسكرية عندما اضطر الأتراك إلى تجنيد الاحتياطي فكان يلوذ حيناً بالاختفاء، وحيناً بالسعي لجمع البديل العسكري<sup>(٢)</sup>، وهو مع ذلك رب عائلةٍ لها عليه واجبات المعيل. وعلى الجملة، فلقد كانت سنوات الحرب عليه قاسية جداً، صورها في بعض شعره فقال يصف ملاحقة الجند له:

سَجِينٌ فِي الْبُيُوتِ وَلَيْسَ ذَنْبِي  
سَوَى أَنِّي أَخَافُ مِنَ الْقِتَالِ  
أَرْوَحُ فَتَبَحُّثُ الْأَجْنَادُ عَنِّي  
كَأَنِّي مِنْ صَنَادِيدِ الرِّجَالِ  
أُيْرَجَى مِنْ خِيَالَتِي<sup>(٣)</sup> قِتَالِ  
وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَفْرَعُ مِنْ خِيَالِي؛

وقال من ضيق ذات يده:

أَمُوتُ كِي أَكْسِبُهَا لِيَرَةً  
عَزَزْتُ عِنْدَ قَوْمٍ وَقَوْمِ  
أَمُوتُ كِي أَبْدِلُهَا فَضْلاً  
رَائِجَةً مِنْ بَعْدِ خُسْرٍ وَسَوْمِ  
أَمُوتُ حَتَّى أَشْتَرِيَ إِنْ أَجِدُ  
خُبْزاً بِهَا مِنْ بَعْدِ جُوعٍ وَصَوْمِ  
فِيَا لَهُ عَيْشاً نَذُوقُ الرَّدَى  
ثَلَاثَ مَمَرَاتٍ بِهِ كُلَّ يَوْمِ

وقد وجه بهذين البيتين الى المرحوم يوسف خطار غانم، وكان يومئذٍ خازناً في شركة القمح التي تولى إدارتها الدكتور نجيب بك الأصفر.

يا يوسف اذكُرْ سَمِيكَ يوسُفُاً<sup>(٤)</sup>  
واذكُرْ أَخاكْ بِهِ وَفَرَجْ كُربَتَهُ  
قد كان مِثْلَكَ خازِناً، وَلَكِنَّهُ  
لم يَنْسَ في زَمَنِ المِجَاعَةِ إِخْوَتَهُ

كان ذلك على ما أذكر، في أواخر سنة ١٩١٧، عندما تلقيت - وأنا مغترب في معتزلي قرب نهر بيروت، وذلك بعد انقضاء عهد الفزع الأكبر- تذكرة من طانيوس عبده يطلب إليَّ فيها أن ألاقيه إلى «قهوة النهر» لشأن من الشؤون، ولم أكن ساعة وصول التذكرة في المنزل حتى إذا عدت أسرعْتُ إلى «القهوة» فإذا هو قد مل الانتظار فذهب تاركاً لي هذه الأبيات:

إلى الأديب الفاضل ابنِ الخوري  
والشاعر المتقَدِّ المشهور  
أرجو بأن تدفَعَ عني قهوة  
قد رسبتْ من ثِقَلِها في الركوة  
غِبْ أَطْلَاعَ لـلـخِوِاجِا مِثْري  
في حانةٍ في النهرِ قُربَ الجِسْرِ  
رُبْعَ رِيالٍ ورِقْماً لافِضْهُ  
فقد مَضَتْ أَيامُها المُبْيَضْهُ  
وهذه القِيميَّةُ لِلجَنابِ  
تدفعُها في موقِفِ الحِسابِ  
حُرِّرَ واليَوْمَ بِأَخْريِّهِ  
مِنْ شَهْرٍ تَشْرينَ بأوَّلِئِهِ

وبينما أنا في اليوم الثاني، أتفقد بقرة لي، كنت اقتنيتها في بستانٍ استأجرته للاستعانة على ضنك تلك الأيام، إذا بطانيوس مُطل عليَّ من البيت، يناديني ضاحكاً من موقعي هذا. فما إن أقبلت عليه حتى ابتدرني بقوله:

## عَهْدُكَ مِنْ قَبْلِ تَرْعَى الْبَشَرِ فَمَا بِالْكَ الْيَوْمَ تَرْعَى الْبَقَرُ

وكانت زيارته توسطاً لبيع مطبعة «البرق». فتمت الصفقة على يده، بعد شهرين من هذه المقابلة، فبعنا ما ثمنه ألف ليرة ذهبية بألف ليرة تركية، وكان سعر الليرة ستة عشر غرشاً، وكانت المطبعة آخر ما نملك.

وكان عام ١٩٢٢ عندما أصبح طانيوس عبده رقيقاً في تحرير «البرق»؛ فكان يتولى فيه تعريب الرواية، ومقالة السياسة الخارجية، فنَقَدَاتٍ طائرٍ، هو العنوان الذي كنا نكتب تحته بعض الشوارد بتوقيع «دوري».

وكتب في اليوم الأول، نقدته الأولى بدون توقيع أو بوضع نجمة تحتها على ما نذكر، ووضع في رأس الرواية: تعريب «البرق». وشد ما كان عجبه عندما صدر «البرق» في اليوم التالي، وقد رأى اسمه تحت «النقدات» وفي رأس الرواية، لأنه كان من عادة الصحف، كما قلنا، التحريم على محرريها توقيع ما يكتبون، فالتفت إليّ، رحمه الله، وقال: عجباً منك كيف تثور على عادة زملائك؟ فقلت له مازحاً: أو تظن أنني أرضى أن يُنسب إليّ نقدتك هذه ... وكان قد كتبها على أنها ستنشر بدون توقيع فجاءت على غير ما أرضى، ولكنه عندما علم أن اسمه سيعلق على جميع ما يكتبه شرع يعتني به، حتى أصبحت النقدات قبلة القارئ، وبُعِثَتْ بها شهرة طانيوس عبده، بعد أن كان علاها الصداً في السنوات الأخيرة.

لم يكن طانيوس عبده يعنى بإنشائه معشار عنايته بشعره. وربما ذلك بتأثير الإنشاء الروائي المتراخي، حتى إن النقدات نفسها، كان يعوزها بعض الشد في أوتارها، ولا سيما في ختاماتها؛ كأن تَختَمُ بنكته أو بسجعةٍ مستقاةٍ من نكته، لتبقي أثرها في نفس القارئ. وهو ما لم يكن ينتبه إليه، ولكن اسمه كان يسيطر على القارئ فيخضعه لسلطانه. أما دقته في شعره، وحيلته إلى النكته يرسلها علي أجنحةٍ من ذهبٍ، تحت أشعة الشمس، فهو فيه نسيج وحده.

لم يكن طانيوس عبده يخالطنا كثيراً. فهو كان من حلقة ثانية، أذكر من أركانها الشيخ وديع نفاع الذي كان شديد العطف عليه، وقد صدفنا يوماً أن أحد أعضاء حلقتنا الليلية، وأظنه المرحوم يوسف عودة، أهدى أعضاء الحلقة التي كان طانيوس من أعضائها. هدية من العرق حكمت الحلقة بعدم جودتها، وكلفوا طانيوس أن يكتب للمهدي أبياتاً يداعبه بها فقال:

يا مُهْدِيَ الرّاحِ إنْهَا  
جَازَتْ بِرِقَّتِهَا مَعَانِي الرّاحِ  
أَهْدِي إِلَيَّ مُدَامَهُ وَكَأَنَّمَا  
أَهْدَى إِلَيَّ خِلَاصَةَ الأرواحِ  
ولقد شَمَمْنَاها قُبيل مَذَاقِهَا  
فإذا بَنَا لم يَبْقَ فِينَا صَاحِي  
وتَبَلَّجَتْ وتَأَرَّجَتْ فَرَفَفَتْهَا  
لَا بِنَ السَّحَابِ فلم تَطْبُ بِنِكَاحِ  
حتى إذا أدركتُ سِرَّ شُعَاعِهَا  
وفهمتُ معنَى عَطْرِهَا الفَيَّاحِ  
أَشْفَقْتُ أَشْرَبُهَا لِبَاهِرِ نَوْرِهَا  
فَأَنْرْتُهَا وجعلْتُهَا مِصْبَاحِي

فنظم المرحوم الشيخ اسكندر العازار، باسم صاحب الهدية، أبياتاً رد بها على أبياته، هذا بعضها:

إِنِّي رَفَفْتُ إِلَى الكَرِيمِ سَبِيلَةً  
لَوْلَاهُ لم تَرَمِ يَدَيَّ سَرَاحَا  
كَانَتْ لِرُوحِي رَاحَةً وَلِطَالَمَا  
أَهْدَتْ إِلَى ذَوَائِقِهَا الأرواحَا  
وَالله مَا هِيَ خَمْرٌ لِيَظْنُهَا  
الأَعْشَى، بِحَالَةِ سُكْرِهِ، مِصْبَاحَا  
هِيَ بِنْتُهَا، مَاءُ الْفِرَاتِ أَدِيمُهَا  
وَالعَطْرُ كَانَ بَرْدُنَهَا فَيَّاحَا

ما أسكرت بالشَّم إلا شارباً  
ما عدَّ ليلة شُرْبِه الأقداحا  
فصحا يُمرِّقُ عَرْضَها بقريضة  
وعلى ربابته غدا نواحا  
هي لم تكن كُفْواً فجُذ بطلاقها  
وكفى الإلهُ الصاحبين صياحا

وتسمرت نار الحرب بين الفريقين؛ فنظم المرحوم طانيوس باسم المهدى إليه قصيدةً طويلةً، حكمت عليَّ الحلقة التي أنا منها أن أردُّ عليها، باسم صاحب الهدية؛ ففعلت.

وها نحن ننشر بعض القصيدتين للتفكّهة:

قصيدة طانيوس عبده:

ورَهْتَ<sup>(٥)</sup> قصيدتك التي ضَمَنْتَها  
دُرَّ البَيَّانِ بمنطق الأعرابِ  
ورأيَتْهم يتحمَّسون كأنهم  
يتأهبون حوالها لضرابِ  
يتهافتون على انتقاد قصيدتي  
في خمركم وملامتي وعتابي  
ما إن عتبتُ على انتقاص قصائدي  
يوما فليس الشعرُ من أرابي  
لكن عتبتُ على الندامى أنَّهم  
يتنقَّصون مكانة الشُّرابِ  
أنا من عرفتُ فإنَّ جهلتُ مكانتي  
فانظروا إلى من شئتُ من أصحابي  
من كل مشغوفٍ بفاتنٍ حُبِّها  
مُتَنَكِّبٍ فيها على الأحبابِ  
لو أعوزَتْهُ وأحبَّستُ أنفاسَهُ  
لغدا بها ثملاً بغير شرابِ

هذا هو الرهطُ العزيزُ ورأيه  
في الخمر رأيَ تعقُّلٍ وصوابٍ  
وهب التلامذة الكرامَ تخبُّطوا  
في حكمهم لتدفُّقِ الأكوابِ  
ما عذركم في ما ارتأى أستاذهم  
وهو المشار إليه في ذا البابِ  
أفتنكرونَ تضلُّعي وتثبتي  
وأنا ربيبٌ بواطئ<sup>(٦)</sup> وخوابي؟  
والله لولا أن يقالَ أسأتَ في  
ردِّ الهديةِ للحبیبِ جوابِ  
لردِّئُها والطبلُ يضربُ حولها  
والزُّمرُ يصحبُ زُمرةَ الأصحابِ

قصيدة بشارة الخوري:

أمَّا الجوابُ فقد عني لبيانه  
رأسُ الأئمةِ من بني الأعرابِ  
دُرٌّ من الألفاظِ لو نمتَ لها  
غررُ المعاني طار بالآلِبابِ  
لم يُغلقِ المعنى عليك وإنما  
جرَّبتَ أنَ تمشي بغيرِ صوابِ  
أستاذ من نهبِ الكؤوسِ مشعةً  
عَفَواً فحِلْمُكَ فوق كل حسابِ  
هو ما زعمتَ فأنتَ من ندمائها  
في عنفوانِ المَلِكِ والحُجَّابِ  
مفتاحُ هيكلها ليدك منْعَتُهُ  
إلاَّ على رَهْطٍ من الأصحابِ  
برعوا فلم يسلمَ لهم نطقُ بلا  
لَحْنٍ ولا رأسُ بلا دولا

مِنْ كُلِّ مَخْمُورِ الدِّمَاغِ إِذَا مَشَى  
 يَكْبُوتُ فَتُنْهَضُهُ، فَيَرْجِعُ كَابِي  
 جَحَظْتُ لَوَاحِظُهُ وَجَفَّ دِمَاؤُهُ  
 فَكَأَنَّهُ نُصِبُ مِنَ الْأَنْصَابِ  
 أَنَا إِنْ أَكُنْ مِنْ غَيْرِ رَهْطِكَ فِي الطَّلَا  
 فَعَلَى هِيَ أَكَلَهَا حَرَقْتُ شَبَابِي  
 سَارَتْ مَسِيرَ دَمِي، فَأَعْصَابِي إِذَا  
 أَشْعَلَتْهَا شَعَلْتُ بِهَا أَعْصَابِي  
 وَتَخِيرْتُ لِي مَعْشَرًا عَرَفُوا بِهَا  
 فَغَدْتُ لَهُمْ نَسَبًا مِنَ الْأَنْسَابِ  
 نَقَدُوا مَعَانِيَهَا وَإِنْ دَقْتُ، كَمَا  
 نَقَدَ النِّحَاةُ الشِّكْلَ فِي الْإِعْرَابِ  
 أَكْوَابُهُمْ أَبَدًا تَدْفُقُ وَلَيْكُنْ  
 لِلْأَرْضِ حَصْنُ ثَمَّهَا مِنَ الْأَكْوَابِ  
 سَهَرُوا وَنَمْتُ، فَلَوْ رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ  
 وَقَفْتُ مِنْهُمْ مَوْقِفَ الطَّلَابِ  
 إِنِّي جَنَيْتُ فِكْمَ جَنَيْتُ لَأَنْنِي  
 أَهْدَيْتُ لِلْأَصْحَابِ خَيْرَ شَرَابِ  
 وَلَكِنْتُ لَوْ أَدْرَكْتُ مَبْلَغَ عِلْمِهِمْ  
 فِيهَا بَدَلْتُ الْخُمْرَ (بِالْجَلَابِ)  
 رَدُّوا الْهَدِيَّةَ وَاشْرَبُوا مِنْ غَيْرِهَا  
 يَا بَادِلِينَ حَمَامَةً بِغُرَابِ

وذهب طانيوس إلى مصر سنة ١٩٢٦، تحت ضغطٍ داخلي قاهر. وقُطِعَ ما بيننا وبينه، حتى كدنا نجهل أثره لولا ما كنا نقرأه من حين إلى آخر، في صحف مصر الكبرى؛ فكتبنا إلى صديقنا الكريم شاعر القطرين خليل بك مطران، نعتبه<sup>(٧)</sup> وطانيوس لسكوتهما على سابق وعدهما بالمواصلة؛ فجاءنا من خليل بعد أسابيع الرسالة الآتية:

## أخي الحبيب

كتابك أقام في القاهرة أياماً طوالاً، ينتظر عودتي من رحلة صيفية؛ ولم أدع في مدتها - كعادتي - ، عنواناً يخاطبني به أحد؛ لأنني التمسْتُ شيئاً من الراحة بعد عناء مُجهد وشغلٍ بغيضٍ ثَقِيل. فلما رجعتُ كان الكتاب وتلقاهُ أعدادُ جمَّةٍ من «البرق» على المنضدة تجاهي. فأما «البرق» فقد سُررتُ كثيراً بعوده شائعاً مملوءاً حياةً، وأما الفرصة التي سنحت لي، وتولت قبل أن أستطيع انتهازها، لخدمةٍ أُودِيها إلى الأخ العزيز والأديب الذي يباهي به البيانُ العربيُّ كلَّ أديبٍ، فهذا قد أسفني نهايةً ما تُؤسفُ معاكساتُ الزمن.

على أنني سأهدي إلى «البرق» أشياء ربما كُفرتُ عن ذنب الزمن لا ذنبي، ويومئذٍ ينشرح صدري بعد انقباض.

الأخ طانيوس عبده مريضٌ من مدة باليرقان، وهو على ضعفه وأخذ العلة مأخذها منه، يكتب لأن واجباته غير مقصورة على ذاته. فإن هان ما يختص به فجانِبُ العيلة، وهي بعيدة عنه، غيرُ هيِّن. لهذا لم أقرأ له عتابك، واكتفيتُ بأن أُبلغه سلامك. وشدَّ ما اهتزَّ له طرباً، كما أنني دعوتُ له بالشفاء العاجل، حتى يتسنى له ولي بجانبه، أن نفي ببعض ما علينا للأخ النابغة الحبيب.

وأختتمُ بلثمٍ عارضيكٍ مشتاقاً، وبإهداءٍ أزكى تحياتي إلى إخواني الأعزاء من كل أديب ومنتسبٍ إلى الأدب؛ وإنَّ بي لحينياً إلى كلِّ منكم وأسألُ الله أن يُقيضَ لي لقاءكم في الصيف الآتي.

## المخلص

### خليل مطران

مصر ٢٧ ت ١ / ١٩٢٦



ولم تمض أيامٌ على وصول هذه الرسالة، حتى فوجئنا ذات مساءٍ برسولٍ يقول لنا:

إنَّ طانيوس عبده يريد مقابلتي، وهو الآن في مستشفى الروم ويظهر أنه ثقل عليه المرض سريعاً فاحتملوه إلى بيروت ثم إلى المستشفى رأساً.



لا نذكر الرفيق الذي صحبنا ذلك اليوم إلى المستشفى، وكانت الساعة الثامنة مساءً. فدخلتُ إلى الغرفة التي أقاموه فيها، لقد كان النور ضعيفاً ولكنني وقفتُ عند الباب وقد وقعت عيني على خيالٍ أسود مُسجى على سرير أبيض أخطر ببالي تلك المومياة التي ليوسف بك كرم<sup>(٨)</sup> في إحدى كنائس اهدن. ولكنه أسرع فبادرني بكلمة ألبسها - نكتة على عادته - نكتة كانت أشبه بحرقة عظامٍ على حفافي قبر جديد.

مر ذلك بسرعة البرق، وكنت قد دنوت منه وصافحته متكلفاً الابتسام، ومتكلفاً النكتة أريد أن أهوّن عليه موقفه، وأبدد ولو قليلاً، هذه الغيوم السوداء التي حَجَبَتْ كُلَّ وجهه. فما استطعتُ أن أنفذ منها إلى تلك الابتسامة الحزينة التي كانت تقف حائرة على شفثيه أيام الحياة، أقول: أيام الحياة، لأن طانيوس عبده كان بالفعل قد مات وما هو إلا تراب الذي حمّله - كما يقولون - إلى بيروت التي استقبل فجره الأول فيها، وسكب آلامه عليها، وصبَّ فضلة كأسه على جبينها، وصرف وجهه إلى الأبدية عنها يائساً منها حانقاً عليها.

فلقد وهبها أبهر مواهبه، وترك في جيدها أجمل جواهره، فما ظفر منها بابتسامة، ولا بادلتها الوفاء قدر قُلامه.

وانصرفتُ عنه ساعةً أدونُ بعض ما أُراده مني على أن أجيء في اليوم الثاني، ولقد جئتُه، ولكن لأسكب عليه الدموع؛ فأطرقتُ عند سريره برهة كأنني واحدة من تلك الشموع!

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٦٦، ص: ٨-٧

\*\*\*\*\*

## كيف عرفت جميل الزهاوي<sup>(١)</sup>

الرجوع إلى ١٩١١

شاء الزهاوي شاعرُ العراق، أن يختص «البرق» بهذه التحفة النفيسة من شعره، فكان له بذلك فضلان: فضلٌ للسبيل الودي وقد تلطف بتمهيده بيننا، وفضلٌ لهذه العناية (بالبرق) مع ما هو عليه الأستاذ من انحراف صحة.

وهذه الصورة الجميلة لنفس الشاعر الكبير، ونريد بها القصيدة، هي آخر ما شداه من الشعر، كما صرح لنا في كتابه إذ قال:

«... وقد منعني الأطباء في بغداد إجهاد الفكر؛ يريدون بمنعهم أن يعودَ إليّ قليلٌ من الصحة. ولكنني أعصيتهم، فأشدو الشعر؛ وهذه النفثات آخر ما شدوته منه، أهديها إلى «البرق» المتألق في سماء الصحافة العربية».

### جميل الزهاوي

بغداد ١١ حزيران، ١٩١١



أما القصيدة التي أشير إليها هنا، فهي عندنا من محاسن شعر الزهاوي، وقد نشرت في «برق» ٢٤ حزيران سنة ١٩١١ نختار لهذا المقام بعض أبياتها:

لقد هاجَ ليلُ البَيْنِ شجوي ولا غرّوا  
إذا هاجَ ليلُ البين من مُغرمٍ شجوا  
متى أيها الأثل<sup>(٢)</sup> الذي ظلّ ساكناً  
تهبُّ الصِّبَا إنَّ الصِّبَا وفدٌ منْ أهوى؟

بَكَيْتُ وَخَلْتُ الدَّمْعَ يُجْدِي مِنَ الْأَسَى  
فَمَا كَانَ دَمْعِي إِذْ بَكَيْتُ بِذِي جَدْوَى  
وَلَا يَعْلَمُ الصَّبُّ الْمَصَارِعُ لِلْهَوَى  
أَيَقْوَى عَلَيْهِ، أَمْ عَلَيْهِ الْهَوَى يَقْوَى  
لِيَجْتَنِبَ الْإِنْسَانُ أَوَّلَ سَكْرَةٍ  
فَقَدْ لَا يُلَاقِي بَعْدَ سَكْرَتِهِ صَحْوًا  
وَمَنْ كَانَ فِيهِ غَلَّةٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ صَبَابَةٍ  
فَقَدْ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقِرَاحَ وَلَا يَرَوَى  
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ الْحَبَّ يَقْسِمُ مَنْصِفًا  
فَيَسْلُبَنِي عَضْوًا وَيَتْرَكَ لِي عُضْوًا

#### في نصرة الزهاوي

وكان هذا فاتحة الوداد بيننا، وبين فيلسوف العراق وشاعره، وطَّده أننا جمعنا  
لِنُصْرَتِهِ - وكان قد أُسِيءَ إليه من زعائف بلده - المرحومين الشيخ العازار والشيخ  
محيي الدين الخياط شاعر بيروت وكبير أدبائها. وذلك عندما علمنا أن الزهاوي أقصي  
عن وظيفته في مدرسة الحقوق، عهد ولاية ناظم باشا عليها. فرحنا نرتقب مرورَ جمال  
بك، واليها الجديد ببيروت، لنثيرَ ضجة في صحفها حول عزل الزهاوي، وتقصير  
حكومة (المشروطة)<sup>(٤)</sup> نحو كبار أدباء العرب الذي ساعدوا بأدبهم على دكِّ صروح  
الظلم، ومهدوا للدستور سبيل الظهور، كما فعل فيلسوف العراق جميل صدقي  
الزهاوي، في العهد الحميدي من غير ما خشية.

وإننا ناشرون هنا، بعض كلمة للعازار في هذا الصدد، مأخوذة من «برق» ٢٦ آب  
سنة ١٩١١ بعنوان «نحو بغداد»<sup>(٥)</sup> قال:

خطر في بالي «غطا» موالٌ بغداديّ كانوا يغنونه في صباي:

بغدادُ دار السَّعد سكَّانُها إسلام

ويا حسرتي ما طلعُ لي من الرفاق خوّه

أُترى يردد مثلَ هذا جميل الزهاوي، على ضفة دجلة كاسفَ البال:

«يا ماء دجلة ما أراك تلذ لي»؟

الجواب في ضمير الشاعر.

أعجبُ والله لصحيفة «البرق» الحبيبة إليّ؛ فإنها قامت بشأن الرصافي  
البغداديّ<sup>(٦)</sup>. إنها تسمعن رنة الهناء في كرمة ابن هاني المصري<sup>(٧)</sup> فعلام لا تشجينا  
بأنة الشقاء في أنفاس الزهاوي<sup>(٨)</sup>؟

سعى به ساعي شرٌّ عند ناظم باشا، وهذا الوالي عسكريٌّ خالص، خالي الذهن  
من مفاصد الوشاة؛ فقطع راتبه من مدرسة الحقوق، ثم حاول أن يُكفّر عن الإساءة، ولكن  
بعد ضياع اللب؛ أما جمال بك، وقد عُيّن لولاية بغداد، فلا شك أن يُقدّر الرجل قدره.

وفي النهاية أجسر وأذكّر حضرة جمال بك [أن] في بغداد، مثلما في كثير من  
مدن الشرق الداجي، السنة كاذبةٌ نمامةٌ. وإن دار السلام هذه، تعودت أن يهجرها  
أدباؤها، وأن لها في كل زمن ابن زريقٍ البغداديّ.

ولقد نشر المرحوم الشيخ محيي الدين الخياط، في «الاقبال» ورئيس تحرير  
«لسان الحال»، كلمةً بهذا الصدد، ساعدنا على إيصالها إلى جمال بك، عند وصوله  
إلى بيروت، سعادة عبدالغني سني بك<sup>(٩)</sup>، وكان لنا صديقاً حميماً، وحسني بك مدير  
بوليس بيروت عهدئذٍ؛ وكان قبل ذلك مدير بوليس أضنة وله بجمال صلة صداقة.

ولم يكد يستقر والي بغداد فيها، حتى صدر الأمر بتعيين الزهاوي براتب أربعين ليرة عثمانية في الشهر.

### الزهاوي في بيروت

جرى كل هذا، ولم نكن قد عرفنا الزهاوي وجهاً لوجه؛ فما هي إلا الرسائل تتردد بيننا، إلى أن كان صيف ١٩١٤ حين فاجأنا في الإدارة شيخ نحيل الجسم مسترسل اللحية والسالفين، حسبناه، لأول وهلة، أحد أحبار اليهود. فسألنا عما إذا كان بشارة الخوري موجودا في الإدارة، يحسبنا أحد «المتمرنين»، وقد ألحق سؤاله عنا بقوله: أنا جميل الزهاوي! فنهضنا نحتفي به؛ وكان الوقت قد قارب الظهر، فإذا العازار يدخل علينا؛ فعرفنا أحدهما للآخر، وتركناهما في خلوة مباركة الناصية، وانصرفنا إلى إلقاء آخر نظرة على الجريدة، ثم عدنا إليهما، ومضينا معاً إلى حديقة الأريكة حيث تناولنا الغداء بين الماء والشجر.

لم تكن صحة الزهاوي تساعد على الخمر، وكأني به يحتسي القليل منها، وهو مع ذلك ربان بأدب المجالس، لا تُملُّ له الأحاديث، يُصرفها في الفنون والأدب، مُسندة إلى العلم، واطلاع بعيد الغور.

وإننا لا نزال نذكر ذلك الاجتماع الذي كان للأستاذ الزهاوي في مكتب «البرق»، مع الشاعر المبدع أمين تقي الدين<sup>(١٠)</sup>، وما أفاض به علينا من أحاديث «الأدب الخاص» في بغداد، وما كان يدور حوله من الأهاجي بين كبار شعرائه<sup>(١١)</sup>.

### أدب الزهاوي

ولبت فيلسوف العراق عندنا أياماً قليلة، كان خلالها موضوع إجلال الأدباء، تُعقد له المجالس، وتطوف بها كؤوس الأدب مترعة. ولا غرو فلقد كان للزهاوي في الأدب العربي أثره البليغ بما كان يُحلي جيد الصحف من قلائده نظماً ونثراً. فضلاً عما كان

له في الأدب السياسي، من مواقف جلتها تلك القصائد الخالدة ليحمل بها على الظلم، غير مبالٍ بطرقه أن تكون أذاةً أم نجاةً أم هلاكاً. وهو هذا الذي مهد لشهرته البعيدة عندنا، وحببه إلى النشء السوري اللبناني، المتوثب يوم ذاك إلى الحياة الحرة، يركب لها الآمال فإذا هي أوهام، ويطالع لها ابتسامات المستقبل، فإذا هي تستحيل إلى جرح دام. وعندنا أن الزهاوي أحد بحور الشعر، ما ينفك يقذف بأواجه بين الهادئ البطيء والمتوثب السريع، لما ينبعث في نفسه من المؤثرات، أهي العواصف المهيبة أم النسائم العليقة.

ولقد قيل لنا أمس إنَّ الزهاوي قادمٌ إلى الشام، فلبنان، انتجاعاً للعافية التي نرجو أن تكون ثوبه الذي لا يبلى، وهو دعاء للعلم برفع مناره، وللشعر بحفظ ابن روميه وبشاره<sup>(١٢)</sup>.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٧٢، ص: ٨

\*\*\*\*

## لصقة رماد

كان ذلك اليوم، من أيام كانون الثاني سنة ١٩١٨. فهو إذن من أيام الغيوم التي كان في نفسي منها الكثيف الممطر؛ ولا غرابة، فهي الحرب العالمية بعواصفها الهوج وأنا في مهابها: الورقة الصفراء، لا تكاد تستقرُّ في جوفٍ حتى يعصف بها ثانية إلى جوفٍ آخر.

على أنَّ هذه الظلمات من أيام كانون ١٩١٨، أي بعد مغادرة جمال السفاح سوريا، واستقرار كوجك جمال باشا محله، وبعد إعلان هذا الأخير العفو عن ذنوب الماضي مهما كانت، والاقتصار على الذنوب المقبلة، كل هذا أعاد إلى النفس بعض اطمئنانها، فأصبحت أزور إخواني في الجديدة - مركز حكومة المتن<sup>(١)</sup> - على نور الشمس، وكانوا نفرًا كريما حبيبا أعدّ منهم ذلك الطيب ابن الطيب المرحوم فائز شهاب الذي كان يسهر عليّ سهر الأخ الرفيق، والأستاذ جبرائيل نصار والشيخ سليم علم الدين ونجيب بك الحكيم والشيخ ابراهيم المنذر وملحم أفندي الزغزغي والرحوم اسكندر عازار والإخوان الأنسباء يوسف وجرجي ومترى فاضل وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

### صدفة<sup>(٢)</sup> جميلة

وكان أن جمعنا «الجديدة»<sup>(٣)</sup> في يوم واحد بالصديقين الكريمين جورج بك ثابت والشيخ أمين تقي الدين بعد فرقة وشوق؛ وكان جورج بك قبل الحرب، لا يصبر عن مجالسنا، فنجتمع إليه حلقة تحتل حيناً حديقة قصره، وأحياناً الخوان عليه ألوان الشراب والطعام، تتصدره على الغالب السيدة النبيلة والدته، فنصرف الليل بين المطارحات الشعرية والمباحث الاجتماعية. وإنني لأذكر أن ثلاثاً أو أربعاً من القصائد التي عربتها عن الفرنسية<sup>(٤)</sup>، له عليها حق الأبوة من حيث إنه هو الذي اقترح عليّ تعريبها.

## ضياء في ظلام

ورأت السيدة النبيلة لبيبة ثابت، بعد أن نقل إليها جورج خبرنا، أن تجمعنا على مائدتها في مثل مجالسنا السالفة، فنطالع ولو بسملة واحدة، في وجه ذلك الزمن الكالح فيما وسعني النزول إلى بيروت وبعض «كرام» بوليسها لي في المرصاد؛ فاحتضنتنا يومئذ دار الأصدقاء الوجهاء آل فاضل في البوشرية. فامتدت لنا مائدة فخمة اجتمع حولها أكثر الذين اشتاقت إليهم نفسي من إخوان الصفاء؛ وكانوا لا يقلُّون عن خمسين شخصاً، في طليعتهم حضرة الخطيب الأشهر الدكتور حبيب اسطفان. فكان أول تعرفي إليه. وفي صدر كل واحد منا نفس العاطفة نحو الآخر، ونفس الشوق إلى معرفته.

## استدراك

وكان من الذين اعتذروا عن الحضور، وهو من أحب الناس إليّ: الصديق الأوفى والكاتب القدير «المتقاعد» يوسف نخلة ثابت، فغممني أن يتخلف عن شديد شوقي إليه وتعلقي به. فبعثت إليه أستحثه على الحضور بالأبيات الآتية، ففعل:

عُدْنَا إِلَى سَالِفِ اللَّيَالِي  
نَعْبَثُ فِي سَالِفِ الْحِيسَانِ  
نَصْدَعُ قَلْبَ الدَّجَى بِشَمْسٍ  
مَطْلِعُهَا مِنْ حِشَا الدُّنَانِ  
تُدِيرُهَا أُخْتُهَا عَلَيْنَا  
كَلَا الشَّقِيقَتَيْنِ خَمِرَتَانِ  
فَقُلْ لِمَنْ كَأْسُهُ زَجَاجُ  
وَنُقْلُهُ<sup>(٥)</sup> فَضْلَةُ الْجَفَانِ  
إِنَّا مَتَى نَفْرَعُ الْحُمَيَّا<sup>(٦)</sup>  
فَالْطَرَفُ وَالْخَدُّ وَاللِّسَانُ



إِنْ شَاكَ اللَّهُوْ وَالتَّصَابِي  
أَطْلِقْ لَخْطَوَاتِكَ الْعَيْنَانِ



ولا تقل: مطرحٌ بعيدٌ  
وأنت في قسوة الحسان  
فمن جنى الورد لا يبالي  
بشوكه تجرح البنان

#### الشعر والخمر

وكانت الكؤوس لا تفرغ حتى تمتلئ. فحميت الرؤوس واحتدمت الصدور، فكان ميدان الشعر العامي، انقسمنا فيه إلى فريقين: في طليعة الواحد الدكتور أسطفان، وفي طليعة الثاني خليل أفندي الجليخ، يفتحان الردة ويغلغانها، ويتنقلان على أغصان المعاني، ما شاءت لهما حدة الذهن وبراعة القول.

#### وفاء واجب

أما أنا فما نسيت صاحبة الفكرة الأولى، في هذا الاجتماع؛ وكانت عقيلة ثابتة في تلك الأيام ترأس عدة من جمعيات الإحسان التي أخذت على نفسها حماية العذارى، ووقاية الفتيان، ورعاية العجوز. فهي ما كانت تغادر ملجأً إلا لتدخل ملجأً؛ فرأيت من واجبي أن أعد لها هذه الأبيات، وقد أنشدتها في تلك الليلة:

لو نافس الروض يوماً  
بزهرة كنت طيبة  
لو هام قلب المعالي  
لكنت أنت الحبيبة  
لو مرّ غرّ الليالي  
لكنت فيه عذوبة  
لو كان مثلك فينا  
هانت علينا المصيبة  
فكم كففت لعين  
من أدمع مسكوبة

فدائماً قـطـراتٌ  
على يديك رطـيبـة  
إن تفخر الغـيـد يوماً  
بحـلـايـها المـحبـوبـة  
تركت أبهر منـها  
في دُرجـها مـحـجـوبـة  
وجئـتـنـهـنَّ ولـكنَّ  
«بأربع منـخـوبـة»<sup>(٧)</sup>  
من مـعـدنٍ تـابـتـي  
حيّـا الإله «فـلـيـبـة»<sup>(٨)</sup>  
وقلت لـلـغـيـد قـولاً  
ما شـابـه قـطـريـبـه  
يا مَن حـلـاهـا الـلـي  
حـلـالـي هـذي الشـبـيـبـة

#### لصقة رماد

وكنْتُ قد هجرتُ الخمر، إلا نادراً. وهي إذا هُجرت انتقمت، وكان انتقامها ليئماً. وكنْتُ لفرط سروري، أتبع الكأس بالكأس من غير طعام، كمألوف عادتي. فأثّر ذلك في تأثيراً لم أعتده، حتى إذا أويت إلى السرير عمدت «ستنا أم يوسف» والدّة الأصدقاء آل فاضل، إلى لصقة رمادٍ فوضعتها على بطني، فبقيت إلى الصباح حيث تركت بعدها حروقا احتملت أُلها أشهراً. وإني لا أشهد أثرها مرةً إلا جدت عهدي للخمرة، خشية انتقامها مرة أخرى؛ ولأنني ما برحت أذكر كيف كان يعلو بي السرير، حتى يلتصق بالسقف، ثم يهوي بي إلى الأرض، فأنتنفُض ويا لها من انتفاضة.

#### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٨٨، ص: ١-٢

\*\*\*\*

## عشرون يوما

### في ريفون باسم حنا فياض [١]

بين حزيران وأيار من سنة ١٩١٦ - ساعة خوف - الصديق يوسف عباس  
الحلو - جمعية أرز لبنان - القبض على سليم بك المعوشي<sup>(١)</sup> - يومان قبل الفرار.

#### بروق في غيوم

كانت السنة ١٩١٦، إذن فعهد الإرهاب كان في عنفوانه، وجمال السفاح ماضٍ  
في اصطلياد مَنْ بقي من نابهي البلاد، ممن عُرِفَ لهم ضلعٌ في السياسة أو هوىٌ مع  
الأهواء؛ وكنتُ يومذاك في عزلةٍ أُسيغُ مرارة تلك الليالي، من عزوبة الحب الذي بنيتُ  
في شجرته «عشي العائلي». وكان البيت الذي يضمّني والذي طالعت «نجمي» فيه،  
قائماً وسط أحراج الصنوبر، على مسافة دقائق من نهر بيروت - ألهو حيناً بالغزل  
شعراً وهمساً، وحيناً بالدبق نصطاد به العصافير؛ وثلثي في الليالي، حول «قصّاص»  
بادن يدعى سليماً يحكي لنا عن فيروزه وعنّرة ودليلة وأضرابهم.

وإني في هذا الحال، أعدُّ الليالي وأخشى مفاجأتها، إذا بصديقٍ هو من هؤلاء  
الذين تمطرهم السماء برداً على نيران القلوب، أو تُطلعهم الأرض رياحين بين أشواك  
اللؤم والضغينة؛ إذا بهذا الصديق يدخل عليّ حاملاً في شفتيه ابتساماً مصطنعةً  
يحاول بها تهدئتي؛ فبادرته: إن وراءك لأمرأ يا يوسف، فأسرع!

#### يوسف عباس الحلو

لا أخلو مرةً إلى نفسي، منذ سلَبنا الموت المرحوم يوسف عباس الحلو، إلا وقد  
شعرت بمثل الحراب تعمل في قلبي؛ ذاك لأنني لم أفِ ذاك الأخ الكريم حقه عليّ وعلى  
الأدب وعلى الأخلاق؛ إذ كثيراً ما يُداهمك الواجب، وأنت في حالةٍ نفسيةٍ أو حالةٍ

شخصية تكون فيها أولى بالإشفاق من الميت نفسه. وكذلك كنتُ ساعة سير بنعشه ووُوريَ في رسمه.

لقد كان المرحوم يوسف عباس الحلو، في طلائع الفوج الذي عمل للأدب حوالي عام ١٩٠٠، قبلها وبعدها قليلاً، يطلع بمقالاته في الصحف خفاف الجوانح، تعلق على الغصون حالية الأزاهير؛ فهو إذا بكى ألبس بكاءه غلافاً من البسمات، يطفو التهكم على حفاقيها. وأغلب ما يُرسل كلمته أساطير<sup>(٢)</sup> قلائل، كالقنا القصار لا تلتوي على الغمز، ولكنه كان لا يبالي، بعد إرسال المقالة بما أحدثته من أثر، حتى إنه كان لا يُطالعها بعد نشرها. ولقد يبقى الأشهر دون أن يتناول قلم «الأديب»، منحرفاً إلى «قلم المحاسب» ولكنه يحدث أن يتألم من أمر فيعمد إلى القلم، بعد سهرة طويلة أتعب فيها الكؤوس مما تروح وتغدو، أو على وجه فجرٍ باسمٍ من أيام الأحد البيضاء.

هذا هو الصديق الذي فاجأني بين ٢٧ - ٢٨ نيسان من سنة ١٩١٦، يحمل إليّ إيعازاً شديداً لوجوب مبارحتي المكان الذي أنا فيه، لأن رضا باشا<sup>(٣)</sup> يريدني حياً أو ميتاً.

#### ساعة خوف

إذا كنتُ أنا أعجزُ عن وصف الاضطراب الذي أحدثه الخبرُ فيّ، إذن فلا يقوى أجنبيُّ عنه، أن يُحيط بجهة من جهاته. فكيف يستطيع سبر عمقه في نفس صاحبه؟

هي عاطفة، أنا نفسي لا أذكر الآن كيف كان وقعها عليّ، ولا أستطيع استعادة أشباحها إلى خاطري، فلقد كانت بهذا المقدار شديدةً حتى إنها لم تترك ألباً بعد مضائها فيّ، كما تفعل الشفرة الحادة في الجسم: تقتل ولكنها لا توجع.

وكان قد قبض في ذلك الوقت، على المرحوم سليم بك المعوشي رئيس جمعية «أرز لبنان» - وكان رئيسها - فقضى التحقيق في قضيته إحضاري بصفتي كاتباً للجمعية، ثم لأن إدارة جريدة «البرق» كانت مركزاً لها، تشتمل على أوراقها وسجلاتها. وكان من ضيوف الديوان الحربي يومئذٍ المرحومان الشيخ فيليب والشيخ فريد الخازن. فأيقنتُ أن العزم مشحودٌ لإعدام جديدٍ ولا سيما في سجلات الجمعية مخابراتٌ مع قنصل فرنسا وغيره من القناصل.

- عليك إذن أيها الصديق، أن تنزل إلى المطبعة وتعدم جميع ما فيها من أوراق الجمعية - ومن ثم تعمدُ إلى بيع ما هنالك من الورق والغلافات؛ وهي كميةٌ غير قليلة. وجئتُني بما تيسَّر من المال. ولا تنس النظارات السوداء وأدوات الحلاقة!.

وعاد الصديق يوسف الحلو مسرعاً إلى المطبعة يُنجز ما طلبت إليه، وقد طلعَ عليّ مع فجر اليوم الثاني، يحملُ نحو مئتي ليرة تركية، هي ثمنُ ما باعَه.

#### احتياط للأمر

وهنا قلت للصديق يوسف: ربما فاجأً البوليس المطبعة، وقد لحظتُ أن أوراقاً بيضاء، منسيةً في دفتر الكوبيا، فاكتب ثلاثة كتب بلساني: الواحد لإلياس ساروفيم، وكان قد جاءني كتابٌ بتوقيعه يطعن فيه بالدولة ورجالها ويتمنى زوالها. والثاني لتوفيق مارون والثالث لشكري الخوري صاحب «أبو الهول». أما الأول فخطأه<sup>(٤)</sup> على ما جاء في كتابه؛ وأشدُّ بمدح الدولة العثمانية، وبما تتمتع به في ظلها من النعم، وأما الثاني فقلَّ له: إنني لا أرى لكم أن تُسموا جمعيتكم «جمعية الاتحاد السوري»، وقد كان الأجدر لكم أن تُسموها «الاتحاد العثماني» فتضموا إليها جميع العثمانيين المخلصين، فتقووا أدبياً ومادياً. وقل للثالث: إن الذين يغرونه من حين إلى آخر، بالإساءة إلى الدولة العثمانية، يسيئون إلى بلادهم قبل كل أحد، فضلاً عن أن الخلق اللبناني، يُحتم علينا بالوفاء في هذه الأزمة التي ستعرف بها دولتنا أصدقاءها من أعدائها.

أملت هذه الكلمات على الصديق يوسف الحلو، وطلبت إليه أن يكتبها ويقلد إمضائي فيها، ويطبّعها في الورقات البيضاء المنسية في دفتر الكوبيا، وفي نفسي أنه إذا قبض عليّ وضبطت أوراقِي، أدليت بهذه الحجة على قديم «إخلاصي» للدولة. ثم افترقنا: هو يعود إلى البلد، وأنا أدخل إلى البيت أعدُّ عُدَّة السفر.

ولقد كانت الساعات القليلة في ذلك البيت الذي غرست فيه حبي واخترت منه «رفيقتي»، من أفجع الساعات التي عرفتُها في حياتي؛ فلقد قام هناك شبه مأتم

اشتركت فيه العائلة بأسرها، على أني اغتنمت ساعة متأخرة من الليل، كتبت فيها رسالة الى صديقي الأستاذ جبرائيل نصار، سيرد ذكرها في ما بعد<sup>(٥)</sup>، وهذين البيتين من الشعر وقد تركتهما على الطاولة في غرفتي:

تَذَكَّرِينِي لَدَى الْغَابَاتِ كُلِّ ضُحَى  
فَقَدْ خَلَعْتُ عَلَيْهَا بَيْضَ أَيَّامِي  
تَرَكَتُ أَثَارَ أَقْدَامِي هُنَاكَ وَقَدْ  
طَبَعْتُ رُوحِي عَلَى أَثَارِ أَقْدَامِي

ولم يكد ينبثق فجر اليوم الأخير من نيسان ١٩١٦، حتى أقبلت العجلة التي أقلتني في طريق كسروان<sup>(٦)</sup>... وقد كنت قد قررت المكان الذي أنا قاصده.

### بشارة الخوري

البرق ، ١٩٣١ ، عدد: ٣٣٩٠ ، ص: ٢

\*\*\*\*\*

## عشرون يوماً في ريضون باسم حناً فياض [٢]

مديح جمال باشا - الشيخان الخازنيان - الأب العام أوغسطين - بولس سري  
- الأمير شكيب.

مدح جمال باشا

كانت «الجديدة» مركز حكومة المتن عام ١٩١٥ - ١٩١٧ حافلةً بعدد الأصدقاء،  
نأنس إليهم في أكثر الأوقات وتعد لنا مجالس نقتنص فيها سوانح الأُنس مقصوصة  
الجوانح.

وأردت أن يُذاع هناك أنني قصدت إلى حوران أو إلى الشام. حتى إذا سُئلت  
القائمقامية عني، كان لها من هذه الإذاعة مستندٌ. فأرسلت وأنا على أهبة الرحيل  
رسالةً إلى الأستاذ جبرائيل نصار، أشكو له فيها وطأة الزمن، وأكاشفه بما اعتزمته  
من السفر إلى حوران، عليّ أجد فيها مرتزقاً. وقد ختمتها بهذين البيتين:

أَمَمْتُ حَوْرَانَ كَيِّ أَقْضِي بِهِ وَطَرًا  
فَإِنْ يَفُتْنِي فَإِنِّي هَابِطُ الشَّامِ  
لَعَلَّنِي وَجَمَالَ الشَّرْقِ يَرْمِقُنِي  
أَحْيَا هُنَاكَ بِأَمَالِي وَأَحْلَامِي

الشيخان الخازنيان<sup>(٧)</sup>

تركتُ هذه الرسالةً باسم الصديق نصار، وامتطيتُ العربةَ في الفجر الباكر  
تُخَضِّضُ بي في ساقية الدورة<sup>(٨)</sup>. حتى إذا استقبلتُ الطريقَ العام، وكدتُ أكونُ  
على مسافة أمتارٍ من «الجديدة» إذا بي أرى المرحومين الشيخ فليب والشيخ فريد

الخازن، وبينهما الشيخ كسروان الخازن، على ما أُرَجِّح، تسير بهما العربة إلى جهة بيروت؛ فاستوقفتهما أسألهم إلى أين يقصدون؟ فقالوا إنهم قد استأذنوا جمال باشا لأيام يصرفونها بين أهلهم، وقطعوا له عهداً برجعهم في يوم معين، وأن مَروءتهم تأبى عليهم أن يَنكثوا بالعهد، وأنهم مطمئنون إلى سلامتهم ونيّة جمال من نحوهم؛ فقلتُ إنها لُخاطرة غير سَلِمة المَغَبّة. قالوا، وأنت، إلى أين من هنا؟ قلت: إلى بلدكم الذي تركتموه، فقد أرى لي فيه ملجأ.. ثم افترقنا، وفي نفسي من القلق على هذين الأخوين الطيبين، ما فيها.

#### في جونية

ولقد كان الحوذيُّ الذي أَقْلَنِي من البيت، قد اشترط إيصالي إلى «جونية»؛ فوقعتُ على حوذيّ نَدَّ اسمه عني من درعون<sup>(٩)</sup> قلت: بكم توصلني إلى ريفون؟<sup>(١٠)</sup> قال: بما تريد يا بك! قلت أيكفي خمس ليرات؟ قال: كما تأمر! وسارت بنا العربة، ولكن على عَجَلٍ؛ وكيف تقوى الخيل على العجلة وثمن رطل الشعير «كمشة» من الورق الملون؟<sup>(١١)</sup>.

لقد كان ذلك اليوم، الأول من أيار ١٩١٦، وكانت السماء نقيّة صافيةً، حتى كأننا في مطلع الصيف، لولا قرص البرد في الفجر والليل؛ وكان كلُّ ما يحيط بي جميلاً؛ بل غايةً في الجمال. ولكن أنى لتلك الشمس الساطعة في الأفق أن تُمزق الغيوم المتلبدة في نفسي؟.

وسألت الحوذيَّ: أترى أجْدُ (لوكدنة)<sup>(١٢)</sup> حسنة في ريفون؟- ولو .... ريفون وما فيها (لوكدات)؟ بتكفيك لوكدنة يوسف مانوك.

- حسن، خذنا إلى لوكدنة يوسف مانوك!

وكانت الشمس قد ترحلقت عن الأفق، وأخذت أشباح المغيّب تتخايل في الفضاء كأجنحة طوال رقيقة، أو كغلائل من الدخان بين الرمادي والقاتم، إلى أن تتلاشى رويدا، رويدا على ستارة الظلمة الزاحفة.

ووقفت بنا العجلة عند مدخل النزل؛ فأخذ الحوذيُّ «الشنّة» ووقف ينتظر حسابه.



## الأب العام أوغسطين

لقد كانت لي دالةٌ كبيرة، في ذلك العهد، على سيادة الأب أوغسطين البستاني رئيس الرهبنة الحلبية العام - سيادة المطران البستاني اليوم - ولقد مكَّن لشخصه الكريم في نفسي، تلك المزايا العالية والفضائل الغالية التي يتحلى بها؛ وهي إلى اليوم أخذة بالنمو ماضية في السمو، حتى بلغت الذروة العليا واستقرت، وهو فوق ذلك يجمع إلى هذه الحلى الدينية، ما لا يقل عنها جمالا في سعة الصدر، ويُعد نظراً إلى مروءة إنسانية ومهزة وطنية، وكان يومذاك في دير فيطرون<sup>(١٣)</sup>. فأول ما خطر لي، منذ فوجئت بنبأ عاليه<sup>(١٤)</sup>، أن أُلجأ إلى ذلك الدير، وأقيم في ذلك الكنف، ولهذا أسرع، عند دخولي إلى النزل، بكتابة كلمةٍ إلى سيادته أوجز له خبري، وأكشف له عن نيتي في الالتجاء إلى الدير، وقد أنبأته أنني اتخذت لي اسم «حنّا فياض» أُستتر به ما دمت هنا؛ ودفعت الرسالة إلى الحوذي فمضى بها إلى فيطرون، وهي على قيد ثلاث ساعات من ريفون تقريبا؛ وما لبث أن عاد يحمل في عربته، راهبين حملا إليّ تحية سيادته، وكتاباً منه يقول فيه ما خلاصته: «إن الدير لم يعد ملجأً أميناً، لأن الجنود اللبنانيين كثيرا ما يفاجئونه ليلاً في طلب يوسف أفندي دريان؛ وقد كان مطلوباً للتجنيد». فهو إذن لا يتحمل تبعه ما يقع لي فيه، مع شديد رغبته بقربي، ثم قال لي الراهبان باسم سيادته، إنهما سيزورانني كل يوم ويقومان بما يلزمني.

## بوليس سري

كنت أول زبائن «النزل»، لأن المصطاف لا يقصد إلى الجبال قبل أواسط حزيران. هذا إذا أبكر؛ وأنا جئتُها اليوم الأول من أيار. فمن ذا عساني أكون؟ وما هو السر في هذا التكتّم؟ ولماذا تمضي عليّ الأيام، دون أن أبرح النزل، ولو لنزهة صغيرة؟... كنت أقرأ هذه الأسئلة على شفّتي الخواجة يوسف مانوك دون أن يلفظها، وأخيرا شعرت أن الرجل يرى فيّ ضعفاً غير عادي، ولكنه على كل حال ضيف خفيف، هادئ حسن المعاملة؛ فكنت أتصور نفسي كأحد هؤلاء المجاذيب، الذين يُحجر عليهم، أو يحجرون هم على أنفسهم، لا سيما عندما كنت أبقى على ذقني أياماً دون حلاقة، رغم أنني إذا

اضطرت إلى التنكر، في زيّ قسيسٍ، كانت اللحية موجودةً جاهزةً. هذا كله زاد في هجس صاحب النزل، ومن كان يلفُّ حوله من أهل القرية؛ فما لبثت الألسن أن همست: أن في نزل مانوك بوليساً سرياً.

فإذا كان من المصائب ما يُضحك، فهذه؛ أنا أخشى أهل البلدة وأخشى على الأخص، هذه الإشاعة التي قد تنتقل بالتواتر إلى مناطق الخطر، وهناك البلية. وهم يرون في البوليس السري، وهو يومذاك شبح الرعب والهول.

#### إخلاء سبيل المعوشي

وكان قد بلغني، بعد وصولي ببضعة أيام، أن الأمير شكيب أرسلان<sup>(١٥)</sup> يومئذٍ ذو الكلمة المسموعة، قد توسّل لدى جمال باشا بإطلاق سراح سليم بك المعوشي فأفلح ولكن، أتراني كنت أجد لي شفيعاً لدى جمال، وقد سبق لي أن حملتُ في بوقي على الأمير شكيب أرسلان عفواً، نزولاً عند رغبة أحد الأدباء الدروز وهو من أصدقائي، وقد قام اليوم أحد أنسبائه يكافئني على تلك الصداقة التي كادت توردني موارد الحتف لو سقطت في يدي السفاح وكان من حق الأمير شكيب أن ينتقم مني.

ولقد سرني كثيراً إخلاء سبيل الصديق المرحوم سليم بك المعوشي لما كان له من الحب في قلبي؛ ثم لاعتقادي أن في إخلاء سبيله تمهيداً للتجاوز «عن هذه القضية» لا سيما وأن الأمير عادل كان عضواً في جمعية الأرز، إذن فقد تجمعت الأسباب لإطفائها وذلك لحسن حظي.

#### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩١، ص: ٥

\*\*\*\*\*

## عشرون يوماً في ريفون باسم حناً فياض [٣]

الخوري الياس ريشا - شنق الشيوخ الخازنين - خاتمة المشانق السياسية - ادوار  
لوار - مصطفى بك الحكيم - فراق غير أليم - مشهد للبدر عند المغيب.

الخوري الياس ريشا

الحق يقال: إن في الإكليروس الماروني رجالاً يفخر بهم العصر الذي نشأوا فيه؛ ولكن أمثال هؤلاء من الرجال، يتغذون بالحس العلوي إذا تغذى غيرهم بهرج الدنيا. ولكنهم على كل حال، أطيب من سواهم عنصراً، وأشرف غايةً كتلك البنفسجة التي تغطيها أوراقها، فتكتفي بنشر الطيب في الوسط الصغير الذي تقيم فيه. أما البنفسجة التي تنشفت عرفت على تلك الذرى، بين ريفون وفيطرون، فهو الخوري الياس ريشا - سيادة المطران ريشا اليوم - . فما كاد يعرف بخبري حتى قصد إليّ يعرض الخدمة التي أريدها؛ وإني لا أزال أذكر قوله لي: إننا رجال الإكليروس، ملزمون بأن نضحى بأنفسنا في سبيل أبنائنا وإخواننا؛ فإذا لم نفعل اليوم، والسيف على الأعناق، فمتى نفعل؟ فشكرت هذه العواطف وأكبرتها، ثم طلبت إليه أن يقابل الأستاذ الشيخ إبراهيم منذر وكان، كما سبق القول، مستنطقاً في حكومة المتن، فيعلمه بمقامي ويحمل إليّ منه ما يهمني علمه من أخبار عاليه وغيرها، مما له علاقة بموقفي. ولقد قام حضرة الأب الياس ريشا ثلاث مرات بهذه المهمة الشاقة فمحا بمروءته الكثير من سيئات غيره.

شنق الشيوخ الشقيقتين

كان الخبر شديد الوطأة على النفوس، حتى لكدت أقرأ على الجباه القليلة التي كانت تمر من تحت نافذتي أسطراً دكناً، وألمس خلل الشفاه حزناً موثقاً، ذلك ساعة قيل: إن الشيوخ فليب وفريد الخازن شُنقا.

ولبثت على أحر من الجمر أنتظر صحيفة من بيروت أقرأ فيها شيئاً عنهما، فإذا الصحيفة عندي في اليوم التالي، وإذا هي تذكر خبر الشنق مقتضبا، ولكنها أفاضت في وصف رجل ثالث شُنقَ معهما، فقالت إنه يهزأ بالموت وإنه طلب قبل أن يشنق صحن فول مدمس أكله بشهية ثم مشى إلى المشنقة لاعبا هازئاً.

ومن الطبيعي أن تزيد هواجسي تلك الليلة وتتكاثر عليّ الأحلام المزعجة، ولقد زاد فيها تلك الأخلاق السافلة التي ظهر بها بعض اللبنانيين حتى تنكر الصديق لصديقه واستراب الأخ أخاه؛ وإذا قلت لك إنني لم أجروء أن أعلم بأمرى الثلاثة الذين كانوا يحكمون قضاء كسروان وهم من أصدقائي، تبينت بعض ما خفي حتى الساعة من أثر اللبناني في اللبناني وشاية ودسا ونكاية.

لقد كان على قائممقامية كسروان الأمير أمين أبي اللمع وعلى قيادة الجند حنا بك حنا ضاهر وعلى مديرية الناحية الفونس أفندي منصور. وإنني لأذكر بملء الأسف يوماً وقعت فيه عيني من النافذة على المدير منصور، فخشيتُ أن أكلمه. وهذا يدلك على مقدار ضعف الثقة وهو أقتل ما ابتليت به بلاد.

أقول هذا ولا أريد منه أن أمسّ شخصية الذين سميتهم ولكن لأدلّ به على الحالة الروحية التي سادت لبنان مدة الحرب، وكان أبنائها بلاءً على أبنائه.

#### خاتمة المشانق

ويظهر أن شنق الأخوين الطيبين كان خاتمة أعمال الرعب في لبنان وسوريا. فلقد حل محل جمال السفاح جمال باشا الصغير «كوجك جمال»<sup>(١٦)</sup> وأذيع على أثر وصوله منشور قيل فيه إنه الآن لا يؤخذ أحد بأي جرم سابق، وإن حياة كل فرد أصبحت مصونة بقوة القانون.

فأعاد هذا المنشور وما تلقّيته من الصديق المنذر بعض الطمأنينة إلى نفسي؛ فسكّنتُ قليلاً وأصبحت أتساهل بالخروج من النزل كل يوم، فأصرف الشطر الأكبر من نهاري في دير فيطرون، أو في كرسي ريفون، وأقطع الشطر الأكبر من الليل في

مطالعة روكامبول<sup>(١٧)</sup> وغيرها من الروايات التي عَمَرَتْ بها صناديقُ النزل العتيقة، وكنتُ لا أزال حتى الساعة، أدعى الخواجه حنًا.

#### إدوار لوار

كثيرون هم الذين يذكرون إدوار لوار ذلك الشابَّ الافرنسيَّ وليدَ بيروت، فهو إذن يتكلم اللغتين، وهو إذن يضرب في الجنسيّتين، ثم هو يلعب على الحبلين. فلقد كان الفرنساويُّ الوحيد الذي خان وطنه ووضع نفسه تحت تصرف محيي الدين بك مدير البوليس في ذلك العهد، ومكَّن له الثقة لدى الأتراك أنه اكتشف لهم آلة لاسلكية في جونية، وفي عينطورة ثم جردوا منه جاسوساً يهبط المدن والقرى فيَجْرُ وراءه ذيلاً من الخوف يقصر أو يطول، بنسبة ما كان يُحاط به من الزُّلفى ويُراق في جيبه من المال.

هذا هو الشخص الذي وقفت به عربته أمام باب النزل، ثم نزل منها ودخل على الخواجا مانوك يسأله غرفة، وكنتُ لا أزال منكمشا في غرفتي، وقد شعرت بدبيب الخوف في مفاصلي، ولكنني شعرتُ فجأة بقوة اليأس على مجابهة المخاطر. وفي تلك اللحظة انكشف لي السرُّ في جراءة الذين كانوا يمشون إلى المشانق أبطالاً يتغنَّون ويتطربون، وأيُّ شيء تريد أن يخطر لي، سوى أن إدوار لوار مُرسلٌ في أثري، وأني بعد ساعاتٍ سأكون في دائرة البوليس، ومن هناك في طريق عاليه.

وسأل إدوار لوار صاحب النزل: هل عندك أحد؟

- الخواجا حنا فياض!

- إذاً فسيكون لنا شيء من السلوى.

- وحانت من الخواجا لوار لفتةٌ إلى داخل غرفتي، وكان البابُ مشقوقاً فلم ير بأساً في الدخول... «بونجور مسيو فياض». أقدم لك نفسي: إدوار لوار!

- «صار لي الشرف أهلاً وسهلاً». ثم قدمت له كرسيّاً وطلبت له القهوة، وكان المسيو لوار خفيفاً، فيه شيءٌ من الطيش؛ فشرع منذ الساعة الأولى، يُريني صورة

قرينته وطفلته ويحدثني عن علاقة محيي الدين بك بهم، وصادقته للعائلة. ثم تناول من جيبه رسالة بتوقيع قائد البوليس، يضع فيها تحت إمرته قوات البوليس و«الجندمة». فنظرت إليه شذراً وقلت له، بحزم فيه شيء من اللين: إجمع هذه الأوراق حالا؛ وأرجو أن لا تكون أطلعت عليها أحدا. فأنت هنا لتعمل واجبا، لا لتعكر راحة الناس الأمناء، واستأنفت الكلام بشيء من عدم الاكتراث: ألا قل لي، يا مسيو لوار: كيف هي الحالة اليوم بين عزمي بك<sup>(١٨)</sup> ومحيي الدين بك؟ ولا أعلم تماما ما الذي أنطقني بهذه اللهجة، ولكنني قرأت في هيئة جليسي تغييراً، مع شيء من التضاؤل أمامي، لم أستطع تفسيره إلا أنه توهمني عاملاً سرياً للحكومة يتمتع ببعض السلطة، ثم قال لي: أتأذن أن نتعشى معا هذا المساء؟ قلت: أنت وما تريد. فخرج يخاطب صاحب النزل بإعداد العشاء.

#### في أثريوسف دريان

وإني لفي هذا الموقف الدقيق، إذا برسالة تصل إلي من الأستاذ نصار تقول، إن سؤالاً ورد على القائمقامية بشأني، فأجاب القائمقام عليها، أنني توجهت إلى دمشق، والقائمقام الأمير فائز<sup>(١٩)</sup> توجه خصيصاً إلى عاليه، لمعرفة الأسباب التي طلبت من أجلها. فكان خلاصة ما تجمع لديه من ذلك، هو أن اسمي ورد في معرض التحقيق في قضية «أرز لبنان»، ثم لخبر نومي إلى الديوان العرفي، أن زورقاً أقلع إلى أرواد، من بين ركابه بشارة الخوري، ثم لأن اسمي ورد في لائحة المبعدين الأولى، وعهد إلى مغفر<sup>(٢٠)</sup> الجميزة<sup>(٢١)</sup> بطلبي، لأنني كنت مقيماً في ذلك الحي؛ فأجاب المغفر بنزوي عنه. تجمعت كل هذه الأسباب، في معرض البحث عن قضية «أرز لبنان»، فساء رضا باشا أن لا أطال في واحدة منها؛ فكانت منه تلك الكلمة العنيفة بطلبي. غير أنه، لحسن الحظ، كان المدعي العام لدى الديوان العرفي في ذلك الوقت، حضرة الصديق الكريم مصطفى بك الحكيم؛ فعمل على طمس الأوراق، وهو يطمئني بواسطة الأمير فائز، ويزيل كل خوف في نفسي.

قرأت هذه الرسالة، بينما كان إدوار لوار والخواجة مانوك، منصرفين إلى إعداد العشاء. ولا لزوم للقول، بأنني استعدت كثيراً من نشاطي، فأخذت أنفق عن سعة، حتى

أصبح السيد لوار لا يصدر إلا عن إشارتي؛ وكنت قد علمت منه أنه قدم في طلب الخواجه يوسف دريان؛ فحملتُ الخبر بنفسي إلى فيطرون، حيث أبلغته سيادة الأب العام أوغسطين.

#### فراق غير أليم

وشدَّ ما سرُرت عندما أعلمني ذات مساء، أنه عائد إلى بيروت في صباح اليوم التالي. وبالفعل فإنه ترك النزل في الصباح الباكر، وكنت قد استعدت نشاطي وحرיתי بعد كتاب الأستاذ نصار، فكشفت لصاحب النزل عن حقيقتي وأخذت أزور بعض البيوت في ريفون، حيث لقيت فيها كل عناية وإكرام.

إن ريفون، من أجمل قرى الاصطياف وأجودها هواءً، وأشرقها سماءً. وإنني ما برحت أذكر مشهداً للبدر وقد مال إلى المغيب بين الغلس وانفتاق الفجر؛ فأوحى إليّ هذه الأبيات:

يا بَدْرُ يا مُؤَنَسَ الزَّهَادِ ها أنا ذا  
منهُم وإن كان ثُوبي غيرَ ثوبِهِم  
أما تراني مدُّ عامَّين مُعتزلاً  
كراهبٍ بفناء الدير معتصم  
يَمضي النهارُ ولا أدري به فإذا  
جنَّ الدجى أيقظتني للسُّرى هَمَمي  
فألبَسُ الليلَ جواباً بساحته  
أخوضُ فيه ببحرٍ غيرٍ ملتطم  
كأنني شَبَّحُ طَوَّافٌ أنديّة  
لا تستقر على خد الثرى قَدَمي  
في السفح حيناً وأحياناً على الأكم  
في ظاهر السهل أو في باطن الأجم



وشاقني منظرُ البدرِ أرسُمُهُ  
وقد تقنَّع زاهي وجهه بِدَم

وذاك لما تهاوى نحو مغربيه  
وقبل البحر منه تغر مبتسم  
فخلته عادة حسناء خافية  
في الماء جسما علاه وجه مضطرم  
رأت على البعد - فاستحييت - خيال فتى  
يدنو مع الغلس الطافي على الظلم  
فكلما قاس باعاً في الثرى حجت  
من وجهها إصبعاً آيات مُحْتَشِم  
حتى إذا ما دنا غاصت وقد تركت  
في صفحة الماء أثارا من الضرم



وعدت عنه وطرف الفجر يرْمُقني  
لا كنت يا فجر؛ قد نُغِصت لي حُلُمي

وقد غادرت ريفون في الواحد والعشرين من أيار سنة ١٩١٦ إلى منزلي في الساحل، بعد أن خلعت عني مخاوفي وهمومي، ولكن إلى أجل، فانصرفت إلى المطالعة والنظم، أقتل بهما الوقت طيلة ثلاثة أشهر من حزيران سنة ١٩١٦ إلى آخر آب من السنة نفسها. وأذكر أن كل ما نظمته مدة الحرب، كان خلال هذه الأشهر الثلاثة، ما خلا بعض المقاطع.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩٢-٣٣٩١، ص: ٥-٦

\*\*\*\*



## بين أيلول ١٩١٦ و كانون ١٩١٧ [١]

تيار من هواجس - نعوم أفندي باخوس - ساعة يأس - سليم أفندي مقصود.

### تيار من هواجس

وكانت الضائقة قد أخذت بالخنق في ذلك العهد، فأصبحت حبة القمح كحبة التبر؛ كلاهما يصعب الحصول عليه، أو هما أصبحا في عداد المستحيلات على الضعيف العاجز والأديب الخائف. وكانت الأشهر الثلاثة: حزيران وتموز وأب، قد أكلت ما بقي معي من الدراهم القليلة، وكان عليّ أن أقوم بأود عائلة فيها بضعة أطفال ألقاهم القدر على عاتقي، وأي عاتق ضعيف هو؟ فطويت «الأغاني»<sup>(١)</sup> وكان رفيق ليلتي ونهاري؛ وانصرفت عن قلبي وطرسني، أنظر تارة إلى تحت مخدتي، فأحسب ما هناك من دراهم، وكانت لا تفي بنفقة أسبوع، وتارة أطلق العنان لمخيلتي، أستعيد أخيلة الأصدقاء القادرين، فأحدث النفس بالالتجاء إليهم، ولو في سلفة أفيها؛ ولكني كنت أهتز فجأة لما أتصور أنه عالق في نفوس هؤلاء الأصدقاء من عجزني عن الوفاء، وأن المال الذي سيرسلونه إليّ، إنما هو على سبيل الهبة أو المساعدة؛ فأقطع عن مخيلتي طريقها وأرجع إلى الحالة الراهنة التي أنا فيها.

### نعوم باخوس

واني لأصارع هذه الأفكار، فتصرعني، فأخذ القلم وأكتب هذين البيتين، وفي نيّتي أن أبعث بهما إلى أقدر وأوسع أصدقائي، وهما:

أَتَيْتُكَ وَالْـدُنْيَا ظِلَامٌ فَمُرْ بِهَا  
فَتُسْفِرَ عَنْ شَمْسِ السُّعُودِ سَمَاوُهَا  
فَلَسْتُ، وَنَبْعُ الْمَالِ جَفٌّ بِرَاحَتِي  
سَوَى سَمَكَةٍ نَهْرِيَةٍ جَفٌّ مَاوُهَا

على أني ما كدت أستعيد قراءتها، حتى أخذتُ الورقة بيدي، فدعكتها ورميت بها إلى الأرض؛ ثم نهضت لأرتمي في سريرتي، فإذا بعربة تقف أمام البيت، ترجل منها الصديق الكريم نعيم أفندي باخوس، فأسرعتُ إلى استقباله فالتقينا على وسط السلم مشوقين. ثم بادر إلى السؤال عن أحوالي؛ فحمدت الله عليها، وقلتُ له إنني في خير. فعرض عليَّ نحو ألف ليرة وألحَّ بأن أخذها منه، على أن أردّها إليه بعد الحرب، فأنكرت أني في حاجة إلى المال من غير أن أعلم سبب الحياء الذي استولى عليَّ. فنعيم باخوس من أصدق إخواني وأقربهم إليَّ، ومن أعفهم يداً وأسبقهم ندىً وأكرمهم محتداً؛ وأنا على يقينٍ أني قادرٌ على الوفاء لأنني لم أكن قد بعثُ مطبعتي بعد.

#### ساعة يأس

وشيعتُ الصديقَ نعيم أفندي باخوس، حتى إذا غاب عن بصري عدت إلى غرفتي، أتفحص ما بقي معي من الدراهم، فإذا هي قد فني أكثرها، فارتميتُ في سريرتي حائراً مُضعضاً، وقد أخذ الشَّعرُ اليأسُ يعتلج في نفسي، فإذا أنا أسودَّ الصفحة التي كانت في يدي بهذه الأبيات:

يَا لَنَفْسِي إِذَا غَدِي  
أُنْضَبَ الْمَالُ مِنْ يَدِي  
وَرَمَانِي بِفَاقَةٍ  
دُونَ وَقْعِ الْمُهَنَّدِ  
وَتَطْطَأُ نَعْتُ لَا أَرَى  
دِرْهَمًا تَحْتَ مِسْنَدِي  
وَابْإِيَّايَ رُوحُ لـ  
يَاسُ بِي نَمَّ يَغْتَدِي  
لَيْسَ يَرْضَى لِي السَّوَا  
لَ حَيَايَ وَمَحْتَدِي  
نَفْسُ حُرِّ شَعَارُهَا  
الرَّيْ خَيْرُ مَوْرِدِ

فأخي في خصاصتي  
كالجنيب المعبِّد<sup>(٢)</sup>  
ومع اليُسْر مَنْ نأى  
كأخي منذ مولدي  
هكذا منذ نشأتني  
غَيْرَ رَا لَمْ أَعْوَدِ



أخذ المال ثأره  
من جَوَادٍ مُبَدِّدٍ  
حَقُّرَ الْمَالِ كَفُّهُ  
فالثرى مثل عَسَجِدٍ  
فَنَأَى عَنْهُ حَاقِدَا  
أَيُّ مَنْ هُنْتُ يَحْقِدُ  
أَيُّهَا الْمَالُ إِنَّ تَبِينَ  
بِعَدَمَا كُنْتُ فِي يَدِي  
لَسْتُ أَتِيكَ ضَارِعَا  
جَلُّ عَنْ ذَاكَ سِوَدِي  
لِي شَفِيعٌ إِلَى الْوَدَى  
هُوَ مَنِي بِمِرْصَدٍ  
جَرَعَةٌ إِنْ كَرَعْتُهَا  
فَلَقَدْ نَلْتُ مَقْصَدِي  
سَجَّلي يَا يَرَاعَتِي  
وَمُرِّي الطَّرْسَ يَشْهَدُ

سليم مقصود

ليس سليم مقصود بالأديب الكاتب، ولا هو بالغني الطامح، ولكنه نشأ في حزن  
السياسة اللبنانية، ودرسها في بيت حبيب باشا السعد خاصة، فكنا نلتقي به هناك

عهد يوسف باشا<sup>(٣)</sup> حيث تُبسط الآراء وتُطبخ المؤامرات، فعجمنّا منه عوداً صلباً، واعتمدنا منه ذكاء فطرياً مدهشاً وعرفنا فيه إخلاصاً عجيباً يدل عليه بقاءه على ولائه لحبيب باشا أكان في السراي رئيساً أو في بيته حبيباً، وإن تعجب أن يستحق سليم مقصود هذا التنويه مني، فقد تراني مُحققاً متى علمت أنه الرجل الذي بعثته العناية إليّ في أخرج الساعات. فقد رأني وهو في طريقه إلى الجديدة فجُنّ جنونه وانبرى يستمطر الأفق سباباً، ثم انحنى عليّ بالأسئلة: أين كنت؟ وماذا تفعل؟ وكيف أنت؟ ثم استطرّد: إني سأنقل خبرك إلى نجيب بك الأصفر، وأنا واثق أنه ليسر بمساعدتك، ثم لوح بإشارة من وجهه، أراد أن يقول بها «إنهم» يحتاجون إلى شهادة مثلك فيهم، بعد أن تضع الحرب أوزارها.

وكان سليم مقصود موظفاً في شركة القمح، وكان يومذاك في دورة تفتيشية - على ما أذكر - وإذا علمت أن قنطار القمح كان يباع في الشركة بين العشرة إلى العشرين ليرة تركية، في حين أن ثمنه في السوق كان يتراوح بين المئة إلى الخمسمائة ليرة تركية، أدركت مبلغ النعمة التي كان يتقلب فيها الذين رزقوا حظوة في عيون أُولي الأمر في ذلك الزمن، ولم تعد تعجب لجامعي الثروات منهم لأنهم كانوا يبيعون ما يفضل عنهم من القمح بمبلغ كبير.

ولم تمض أيام على هذا اللقاء، حتى حمل إليّ أحدُ المُكاريين، نحو نصف قنطارٍ من القمح، مصحوباً برسالة من سليم مقصود مع بيان الثمن فأديتُهُ للرسول مغتبطاً، لأنه إذا وُجدَ القمحُ في ذلك الوقت، فقد وُجدَ كلُّ شيءٍ حتى الذهبُ نفسه.

#### مفاجأة مؤلمة

وكانَ القدر قد كَتَبَ لي أن لا أطمئن ساعةً. فلقد زارني على أثر هذا، بعض الأصدقاء أتذكر منهم الشاعر حليم دمؤس<sup>(٤)</sup> والتاجر جبرائيل غرزوري والأديب المرحوم طانيوس عبود<sup>(٥)</sup>، فكان مما بادرني به أحدهم، أنهم تحدثوا في قطار الشام أن زوراً سافر من الشاطئ اللبناني إلى أرواد، ويقال إن عليه بشارة الخوري، وإن نعيم صوايا كان من شهود هذا الحديث، ولا تسل عما تركته هذه الإشاعة في نفسي من الألم المزوج بالخوف.

#### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد : ٣٣٩٣، ص: ٥

\*\*\*\*\*

## بين أيلول ١٩١٦ و كانون ١٩١٧ [٢]

نجيب بك الأصفر - موظف ثلاثة أشهر - شتاء في بكفيا - إشاعة الصلح - بؤساء ١٩١٧.

### نجيب بك الأصفر

لقد تضاربت الأقوال في نجيب بك الأصفر، مدير شركة القمح اللبنانية<sup>(١)</sup>. ولا غرو إذا كثُرَ الناقمون؛ وهو يومذاك في معتقد القوم، أنه يستطيع وقف المجاعة، ونثر أكياس الحنطة هنا وهناك وهناك. ولكنهم جهلوا أن مدير شركة القمح، لم يكن مستقلاً، وأنه كان هناك علي منيف يوجه إليه بالوثائق لفلان وفلانة؛ ثم إنه لم يكن في وسعه أن يراقب معاونيه، وقد تفشّى في معظمهم، داء الارتكاب، واشتدّ ظمأهم إلى جمع الثروات. فهو إما أنه كان يعرف ويستحي أن يعاقب، أو أنه كان ذا ثقة بمن حوله، فيتسلح هؤلاء بهذه الثقة ويتمادون في اتباع نفوسهم. ولقد كان في وسع نجيب الأصفر أن يجمع ثروة لا تحصدها السنون، من وراء وظيفته تلك. فإذا هو يكدح بين أوروبا ومصر والعراق، في طلب مشروع يبني عليه مركزه المادي ولماً يزل.

أقول هذا، لا لِمَا سبق إلي من رعاية، لأنني ما اعتدت أن أصانع حتى في ذلك الزمن الكالح. ولكنها كلمة أملاها الوجدان، وحداها العرفان، وما شاء ربك كان.

### موظف ثلاثة أشهر

كان ذلك اليوم في أيلول أو تشرين من عام ١٩١٦، عندما أقلتني (العربية) إلى جنب الأمير المرحوم فائز شهاب، لأنني لم أكن بعد لأجسر على الذهاب وحدي إلى بعيدا. فسرنا تَوّاً إلى إدارة الشركة؛ وشدّ ما كان فرحُ الأصحاب بذلك الملتقى! وقد استقبلني نجيب بك استقبالاً حسناً مرفوقاً بكثير من العتاب، لعدم إخباره بمكاني وعرض حاجاتي عليه؛ فشكرتُ له وأثنيتُ عليه؛ ثم عرض علي وظيفة في دائرته، فأثرتُ

أن أكون بعيداً عن مركز الحكومة. وكان للإدارة مركزٌ في بكفيا، فأرسلتُ إليه بمُرْتَب ثلاثينَ رطلاً من الحنطة.

#### في بكفيا

لم أكن لأشهد الشتاء في الجبال قبل تلك السنة؛ ولقد كان أكثر ما انطبع في نفسي، تلك الملات من البرد الصغير تتساقط طياتٍ طياتٍ على الشجر والأرض؛ والحق يقال: إن تمضية أسبوع في أعالي الجبال، حول الموقد، وعلى سعةٍ من العيش، لَمِماً يُستطابُ. ولقد كان رفيقي في تلك المهمة، إلياس أفندي الحويك وسامي بك الخوري - مدير العدلية اليوم - فكنا نصرف أكثر أوقات الفراغ، بما يُنفَس الكُرب ويخفَّف وقع المصائب، إلى ما هنالك من آمال نُحيكها للمستقبل - والمستقبل عندنا نهاية الحرب - . ولقد كانت لي سَلوةٌ أخرى ببعض الرفاق الأدباء، يقصدون إليَّ من القرى المجاورة، فنتناشدُ الشعر ونتشاكى بعض ما يختلج في الصدر.

#### إشاعة الصلح

ولقد راجت إشاعةٌ بعقد الصلح في مستهل عام ١٩١٧. وكنا لا نزال في كانون الأول من عام ١٩١٦. فرحنا نرقصُ فرحاً وتبادل التهاني، ونحن لا نصدّق أننا خارجون من هذا السجن الكبير - لبنان -، أو أن نورَ العالم الواسع سينفُذ إلينا، فنُبصر حقيقة ما جرى في ساحات الحرب وغيرها، لأننا لم نكن نُعطى من الأخبار إلا ما وافق مصلحة الدولة التركية وحلفائها. ومما يستحق الذكر أن الضائقة كانت قد بلغت أشدها. حتى إن بعض الناس - على ما اتصل بنا - كانوا يُنقبون في روث الدواب عن حبوب القمح، ويحسبون الجيفة النتنة وليمةً فاخرة.

#### خيبة أمل

وَشَدَّ ما كانت الخيبة أليمةً عندما أقبل العام الجديد، دون أن تحمل الأنباء بشرى السلام. فتكاثفت الظلمة في عيوننا ونفوسنا، ورحنا نطرق وجوماً، ونتساءل همساً عما حال دون السَّلم، ونحن لا نقوى أن نطيل فيه بحثاً. ثم رحنا نتساءل: كيف يقوى هؤلاء الضعفاء على البقاء في الحياة، إذا استمرت الحرب سنةً أخرى؟

وكأن تلك المؤثرات قد أوجت إلينا الشُّعر، والشعرُ عند الشاعر كالدمع، لا يستطيع حبسه إذا هو جاش في نفسه. فتمُّ لنا في فجر تلك الليلة قصيدة بعثنا بها إلى نجيب بك الأصفر، وقد جعلنا عنوانها «بؤساء ١٩١٧» وقد أودعنا فيها من وصف الحالة، ما لو وقع عليه أولو الأمر في ذلك العهد، لكان المصيرُ وبالاً.

بؤساء ١٩١٧

إلى نجيب بك الأصفر:

أنجيبُ والدُنْيا تدورُ  
سنَّلي بها الأمورَ أمورُ  
فإذا نددتَ فكن كما  
يُملي على الشُّرف الضميرُ  
روحاً تذب مع الفقيـ  
ر فدمعةُ الله الفقيرُ  
وترقُّ للعاني الكسيد  
ر وكلَّفنا العاني الكسيرُ  
ونحنُ تحنُّن الغديـ  
ر ر يحفه نـورٌ ونورُ  
طَلَقُ المشاعر من يردُّ  
فهناك العذبُ الغزيرُ



بئساً لمولود القرون أتي  
وما عَزَفَ البَشيرُ  
لا مرحباً بالطفل أشد  
لاء الأنعام له سـرير  
كـذبت به الأمان والـ  
طفات وقد كانت تُنير



كشَفَ الضَّحَى عَنْ أَوْجِهٍ  
 خَطُّ الْحَيَاةِ بـهِنَّ زُورُ  
 عُري المَنَّاكِبِ، والرياحُ  
 أَخْفُوهُنَّ الزَّمهريرِ  
 عِبثَ النُّحُولِ بِهَا فَشَفُ  
 فَتَ عَنْ دُخَائِلِهَا الصُّدُورِ  
 حَالِ جِهَنَّمَ عِنْدَهَا  
 الْفَرْدُوسُ وَالْعَيْشُ النُّضِيرِ  
 يَشْقَى بِهَا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ  
 رُويْهِلِكَ الْوَلَدُ الصَّغِيرُ



وَأَفَى صَبَاحُ الْعِيدِ وَالِدِ  
 أَجْرَاسُ نَغْمَتِهَا زَفِيرِ  
 فَأَتُوا الْكَنِيسَةَ تَزْدَهِي  
 بِاللَّيْلِ الدَّمْعِ النَّحُورِ  
 وَجِثُوا عَلَى ذَاكَ التُّرَا  
 بِ وَإِنَّهُ الْمَلَجَا الْأَخِيرِ  
 قَالُوا، وَمَلَأْ نَفُوسَهُمْ  
 تَقْوَى، وَتَقْوَاهُمْ شُعُورِ  
 وَصَلَاتُهُمْ مَلَكَائِيَّةُ  
 وَشَذَا صَلَاتِهِمْ بِخُورِ  
 يَا رَبُّ نَحْنُ بِئُوكَ لِي  
 سَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا نَصِيرُ  
 يَا رَبُّ مَا ذَنْبُ الصَّغَا  
 رِ وَمَا دَرَتْ بِهِمُ الشُّرُورِ  
 رُحْمَاكَ فَالذَّنْبُ الْكَبِيرِ  
 رِيْزِيلُهُ الْعَفْوُ الْكَبِيرُ





قَالَ إِلَهِه وَكَفُّهُ  
لَمَلَاكِهِ الْبَاكِي تَشْيِير  
إِنِّي عَفَوْتُ لِأَجْلِهِ  
وَيُشْفَعُ الْمَلِكُ الطُّهُور  
فَبَعَثْتُ لِلنَّاسِ الشُّجَا  
بِوَفَايِهِ مَرْحَمَةً وَنُور  
عَوِذُوا بِهِ فِي الْبُزْأَانِ  
تِ إِذَا دَهَتِ، وَإِلَيْهِ سِيرُوا

هذا ولم يطل بعد ذلك بقاؤنا في بكفيا، لانتهاه مهمتنا فيها. وما هي إلا بضعة أشهر من ذلك التاريخ، حتى زالت «الشركة»، وكانت الضائقة لا تنفك أخذت بخناق الناس، حتى كثرت ضحاياها، وحتى أصبح ثمن البستان لا يشتري قنطار حنطة.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩٤، ص: ٥

\*\*\*\*

## كيف تعرفت إلى شوقي<sup>(١)</sup>

في عاليه

كان ذلك حوالي الثلث الأخير من حزيران سنة ١٩٣٠؛ لا أذكر اليوم، ولكني أذكر أنني كنتُ جالساً عصاري يومٍ إلى طاولةٍ في باحة نزل شاهين، فإذا بالصدّيق الأستاذ شكري بخاش «قيس شوقي» كما يقال «قيس ليلي» لشدة شغفه به وإكباره إياه، إذا بالبخاش يُباهني بقوله: أَلَمْ تَرَ شوقي؟ إنه هنا في النُّزل، وإنه خارجٌ بعد هنيهة. قلتُ إنني إلى الآن لا أعرف وجهه. فحملَ شكري في وجهي، حتى خفّته، ثم هدأ من حدّته وقال: مع أنك كنت بعض حديثنا في أكثر مجالسنا معه، وإذا بشوقي يخرج من النزل إلى الباحة.

يا باشا! يا باشا... هتَفَ شكري، فإذا بشوقي بك يلتفتُ مبتسماً، ثم يتابع. نقلَ خطواته إلينا، فنهضنا له، وشكري يشير إليّ هذا هو يا باشا... الخوري... الأخطل، ثم كانت جلسة قصيرة كحاشية الشفق.

في الرستوران<sup>(٢)</sup> الفرنسي

وكان اليوم العاشر من شهر تموز، من السنة نفسها موعدَ الحفلة التي أقامتها دمشق لتأبين فقيدها الكبير المرحوم فوزي الغزي<sup>(٣)</sup>؛ وكنت أتردد كل مساءً إلى الرستوران الفرنسي، فانتبذُ مكاناً مُعتزلاً، فلا يكاد يمضي بعضُ الساعة حتى يُقبلَ شوقي - طيّب الله روحه - فما هو إن يسرَّح طرفه قليلاً، في الجلوس، حتى يُقبلَ إليّ ويستلقي على كرسيه، إلى الجانب الثاني من الطاولة. وكان قد أسمعته صديقانا الأستاذ جبران التويني<sup>(٤)</sup> والأستاذ ميشال أبي شهلا<sup>(٥)</sup>، بعضَ ما علقَ في ذهنهم من قصيدتي في فوزي الغزي، وهو يومذاك من شعراء الحفلة؛ فكان يسألني من حينٍ إلى

آخر، أن أروي له بعض أبياتها مما سمع عنه من الصديقين، وكانا لم يحفظاه - وأخصه في المقابلة بين المرأة والحية -.

ولم تكن تمر الدقائق، إلا وتحمل إلينا جليساً جديداً، حتى كان يتجاوز عدد الجلوس أحياناً العشرة من الأصفياء المختارين. وكان أقل الجميع حديثاً، شوقي. فهو لم يكن ينتبه إلا لنادرة يسمعها، أو نكتة يرسلها، أو حديث شهى تستيقظ له حواسه، ثم ما هي إلا أن تحين الساعة التاسعة والنصف حتى ينهض إلى السينما، وقد كان شديد الشغف بها.

#### في دعوة الرئيس دباس

وكان لفخامة الرئيس دباس<sup>(٦)</sup> عطف كبير على شوقي بك. فأقام له ظهر يوم الثلاثاء في ٨ تموز مأدبة دعا إليها الوزراء ومجلس نقابة الصحافة؛ غير أنه لم تكن السيارة تصل بنا إلى قصر الرئاسة في عاليه؛ وندخل إلى غرفة الاستقبال، حتى فوجئنا بما هز قلوبنا هزاً عنيفاً، وشوقي يومذاك ملء قلوبنا؛ ذلك أننا رأيناه وقد أجلس على كرسي تحت يد الطبيب، يغسل خدوشه ويعصب جراحه، ثم ينزع عنه بعض ثيابه ليجلس مكان الرضوض، وهو أصفر الوجه، تضطرب السيكاكة في يده، وترتجف الابتسامة الشاحبة على شفّتيه؛ وكان فخامة الرئيس الأستاذ دباس إلى جنب الطبيب يعمل معه بيده، وجمهور الصحافيين محيطون به. فما كاد ينتهي الطبيب من عمله، ويستعيد شوقي بعض انتعاشه، حتى وقع نظره عليّ وقال مبتسماً «كان بقايا، أستاذ بشاره رَحْ تَعْمَلِ قصيدة تانيه» «يشير إلى قصيدة فيه مع قصيدة الغزي». فقلت له: سلّمك الله يا باشا. «ان شاء الله تقبّر الجميع في أيامك!» فما تمالك أن ضحك وضحكنا جميعاً، ثم قمنا وقام شوقي معنا إلى الغداء.

#### في دمشق

ثم التقينا بشوقي بك في دمشق، بعد يومين من وليمة رئيس الجمهورية. فقد جمعنا أوتيل خوّام، وكنا قد قدمنا دمشق للمشاركة في حفلة المرحوم الغزي التي لم يستطع حضورها لانحراف صحته.

ورجعنا من الحفلة بُعيدَ المغيب، وقد صحبنا إلى النزل إخوان كرام من رجال  
الوطنية والأدب، بينهم الأستاذان الخوري<sup>(٧)</sup> وجميل مردم بك<sup>(٨)</sup> والدكتور الأرمناني<sup>(٩)</sup>  
وزملاؤنا أربابُ الصحف. ثم أقبلَ علينا دولةٌ محمد علي بك العابد<sup>(١٠)</sup>، فكان اجتماعٌ  
لطيف افترشَ حديقةً «خوأم» حول موائد مُشعةٍ هانئةٍ دعونا الإخوان إليها فلبوا كراماً.

وكان شوقي بك لا يزال في غرفته، وقد تجاوزت الساعةُ التاسعةَ، فدعَوناه إلينا،  
فأقبل، وأقمنا شطراً من الوقت في أطيّب مجلس وأشهاد؛ حتى إذا انتصف الليل افترقنا.

وكان بعضُ الزملاء يزورُنَا كلُّ صباحٍ، فنُقيم في الردهة، ثم يُقبل علينا شوقي فيكون  
أولُ سؤاله عن صُحُفِ مصر. وكانت تجري لنا معه مداعباتٌ لطيفةٌ في اختلاق بعضِ  
الأخبار التي لا تُسرُّه، ثم نَعُودُ فنجلو صفحةً وجهه بكشف الحقيقة، فيعود إليه صفوه.

وكان أكثرُ غُدواته، إلى المكاتب. ونذكر أنه صرف يوماً بجملته، وهو يسأل عن  
ديوان التلعفري<sup>(١١)</sup>. وكان قبله قد اشترى ديوان أبي نواس. أما المتنبي فكان رفيقه  
الذي لا يكلُّ له صحبة.

#### العودة إلى بيروت

وعاد شوقي إلى بيروت، وعادت مجالسُنَا في الرستوران الفرنسي، كما كانت  
قبل زهابنا إلى دمشق. ثم لم يلبث أن غادرنا إلى مصر، وكانت تعلَّتْنَا كلُّ صيفٍ أن  
نراه بيننا، فتُشرق به الربوعُ وتصفو المواردُ، حتى فاجأنا نعيه بالأمس، فانصعقت له  
صدورُنَا مُكبرين به رُزءَ الأدب العربي الذي لن يُعوض. رَحِمَ الله شوقي وأنزله في جنة  
الخلد، في المقام الأسنى والمراح الأشهى.

#### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٣٥١، ص: ١

\*\*\*\*

## لماذا تسميت بالأخطل الصغير

«لماذا اتخذ «الأخطل الصغير» لقباً له، يبني عليه قصائده، على ما بين جزالة الأخطل<sup>(١)</sup>، شاعر عبد الملك بن مروان، ورقة شعر الأخطل الصغير، أو قل: على ما بين خُشونة ذلك العصر، ونُعومة هذا العصر»؟.

وجهٌ إليّ هذا السؤال لسنواتٍ خلت، حضرة الأستاذ مكرزل مُنشئ «الهدى»<sup>(٢)</sup>. فما وجدت يومذاك متسعاً للإجابة، وقد وطّنت النفس على استخلاص بقايا ما حفظت الذاكرة من حوادث الأمس وفيها الضاحكُ والباكي، والشاكر والشاكي، إلى ما هناك من نوادر الإخوان ممن امتزجوا بي وامتزجت بهم، كالعازار والريحاني وملاًط وفيّاض وتقي الدين ونصار وثابت<sup>(٣)</sup> والنجار<sup>(٤)</sup> وغيرهم، ممن هم خارج هذا القطر، كرستم<sup>(٥)</sup> والرصافي والزهاوي<sup>(٦)</sup> ممن ملأت شهرتهم العالم العربي على إطلاقه. أما وقد وطنت النفس على هذا، فأنا بادئ اليوم، بالجواب على سؤال صديقي صاحب «الهدى» عن السبب في اختياري «الأخطل الصغير» حجاباً لاسمي الحقيقي.

كانت الحرب العالمية؛ ثم كان عهد «جمال» في سوريا ولبنان، وهو عهد النفي والمشنقة، بل هو عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه. وورد اسمي في لائحة المبعدين ساعة أنا مطمئن في قهاوي بيروت، بين معشر الصحب، وفي يقيننا أن الحرب تنتهي بالمعركة الأولى. وكان نذيراً لي بذلك، الصديق فارس أفندي مشرق، فدب الخوف في المفاصل. ولم تغب علي شمس ذلك النهار، إلا وأنا خارج البلد على كثيرٍ من القلق.

وانطوت الأعوام بعد الشهور على حالاتٍ شتى من البؤس، ومفاجآتٍ مفعمة بالخوف، حتى كان تموز من عام ١٩١٦، فإذا أنا مطمئن قليلاً إلى نفسي، أنس كثيراً بكتبي بعد طويل وحشةٍ وأليم غربة؛ ولقد كنت وسائر الناس، نتنسمُ خلال ذلك، الأخبار من البادية حيناً، ومن البحر حيناً آخر، لا ندري إذا كان يُدركنا السلمُ وفينا رمق من الحياة.

وكانت الفكرة السائدة أن الحلفاء، سيبعثون الامبراطورية العربية، وعلى رأسها الحسين بن علي<sup>(٧)</sup>؛ وكانت الحاجة ماسة إلى إثارة الخواطر في البلاد، تعجيلاً ليوم الخلاص، وهو كل أمنية البلاد العربية، ذلك العهد.

ولم يكن ليَجروا واحداً، ولو في الحلم، أن يرسل كلمةً في سبيل النهضة، ولو همساً.. فكيف به إذا شاء هو أن يرسل في ذلك السبيل، قصيدة يترجع صداها.

وكان يعجبني من الأخطل خفة روحه، وإبداعه في اصطلياد المعاني، يقودها ذليلاً إلى فصيح مبانيه. وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحيّ الفذ تتفتح درته أبواب الخلائف<sup>(٨)</sup> يملأها لذة وطرباً وإدلالاً، بل يملأها ذلك الشرف الذي لا يبلى، والمجد الذي لا يفنى، كهذا الذي تقرأه له في بني مروان وعبدالمك:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا  
وأزعجتهم نوى في صرفها غَيْرُ

إلى قوله:

نفسى فداءً أمير المؤمنين إذا  
أبدى النواجذ يوماً عارمٌ ذَكَرُ  
الخائض الغمر والميمون طائرُهُ  
خليفة الله يُستسقى به المطرُ  
في نبعةٍ من قُريشٍ يعصمون بها  
ما إن يُوازى بأعلى نبتها الشجرُ  
حُشدٌ<sup>(٩)</sup> على الخير عيافو الخنا أنْفُ  
إذا ألت بهم مكروهة صَبَرُوا  
شُمسُ العداوة حتى يستقاد لهم  
وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

فرأيتُ، وأنا أدعو للدولة العربية، وموقفي منها موقفُ الأخطل من دولة بني مروان، أن أدلَّ على حقيقة الشاعر المُتَنَكَّر، فلم أرَ «الأخطل الصغير» أمضي به ما كانت تقطُرُه القريحة المتألِّمة من شعر، لم يبقَ لي منه إلا كيفية الوشم في ظاهر اليد.

وكيف يستطاع حفظ ذلك الشعر الذي لم أكن أجراً<sup>(١٠)</sup> على الاحتفاظ به بين أوراقِي، في عهدٍ كان هذا لسان حاله:

أَلْجُمُ لِسَانُكَ أَلْجُمُ  
فَالْمَوْتُ لِمُتَّكَ لَمْ  
لَا يَسْأَلُونَكَ إِنْ قُبِضَ  
تَ أَتِيتُكَ أَمْ لَمْ تَكُنْ  
فَالْحَبْلُ شَرُّ مَرْحَبٍ  
وَالْعُنُقُ خَيْرُ مُسَلِّمٍ  
وَالسُّجُنُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ  
وَالنَّفْسُ أَيْسَرُ مَغْنَمٍ

وهي قصيدة طويلة كنتُ أحتال لحفظها بإثبات قوافيها متسلسلة، ولكن لسوء الحظ، أو لحسنه جاء النسيان عليها، فطمسها من الذاكرة، إلا بيتين عزيزين مهدت لهما بتصوير الرعب وأخذه بقلوب الناس، حتى لا يأخذ العيون منهم الغمض إلا لِمَاماً:

جَرَتْ يَنْبَابُ بَيْعِ الْكَرَى  
كَتَبُوا هُمُ الْمُنْتَوَهُمُ  
فَإِذَا عَيُونُهُمْ عَلَيَّ  
هِيَ كَالطَّيُورِ الْحُومِ

وكان أول ما علَّقتُ اسم «الأخطل الصغير»، بل كان أول القصائد التي مهرتها هذا التوقيع، قصيدة نظمها يوم نقل إلينا أن قامت في الحجاز دولة عربية لها مليكها أو خليفتها، ولها وزراؤها؛ وقد ذكروا لنا منهم يومئذ السيد رشيد رضا والشيخ فؤاد الخطيب<sup>(١١)</sup> وعزيز بك المصري<sup>(١٢)</sup> واسكندر بك عمون<sup>(١٣)</sup>، ففعلت تلك البشرية بنا -

ونحن بين مخالب المكاره - فَعَلَهَا الْعَجِيبَ فَقُلْتُ فِي ذَاكَ قَصِيدَةً كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَرَأْتُهَا  
عليه، صديقي الأستاذ جبرائيل نصار، وقد كان لي خلال الحرب رَمَزَ الْوَفَاءِ ومكارِمِ  
الأخلاق، وهي طويلة لا يزال عالقا في الذهن شيء منها وهو:

ليالي البؤسِ حَسْبُكَ مَا لَقِينَا  
أَرَدْتُ فَنَاءَنَا، إِنَّا فَنِينَا  
وَلَا يَغُرُّكَ إِنَّ بَنَّا أَنْسَاءُ  
قَلَائِلَ لَمْ يَزَالُوا سَالِمِينَ  
فَمُدُّ ضَاقَتْ بِهِمْ سَبِيلُ الْمَنِيَا  
تَنَحَّوْا لِلْجِيَادِ السَّابِقِينَ  
وَلَوْ لَا أَنْ تَنَحَّوْهَا لَكَانُوا  
بِأَشْلَاءِ الْأَعْرَازِ يَغْثِرُونَا  
أَلَا قَرِّيَّ عُيُونَنَا يَا لِيَالِي  
لَقَدْ بَدْنَا أَلَا قَرِّيَّ عُيُونَنَا  
وَنَامِي مَلءَ عَيْنِكَ يَا لِيَالِي  
أَمَا وَكَلْتُ سَيْفَ «جَمَال»<sup>(١٤)</sup> فِينَا  
عُيُونِي أَيْنَ أَدْمَعِكَ الْهَوَامِي  
أَسْأَلُكَ الدَّمُوعَ وَتَبْخَلِينَا  
عَهْدُكَ مُرْضِعًا وَالْحَزْنَ طِفْلًا  
عَكَفْتَ عَلَيْهِ عُمَرُكَ تُرْضِعِينَا  
أَلَمْ يَتْرُكْ بِزَاوِيَتَيْكَ شَيْئًا  
يَسِيلُ فَشَدَّ مَا تَتَأَلَّمِينَا

وقد عطفْتُ بعد وصف مصارع الشهداء، إلى إثارة الحمية الدينية والقومية في  
النفوس، فقلتُ في جلالَةِ الْحُسَيْنِ والخلافة، الأبيات الآتية:

لَقَدْ رَجَعْتَ خَلَاْفَتُنَا إِلَيْنَا  
وَكَانَ رُجُوعُهَا نَصْرًا مُبِينًا



فلو بُعِثَ «الرسول» وقد رآها  
 تُجَرَّعُ في بني عثمان هُونًا  
 لَزَلْ بِالْحِجَازِ وما يليه  
 وصاح: بني يا خيرَ البَنِينَا  
 بني ولا أخْصُ المسلمِين  
 بل العُربُ الأماجدُ أجمعِينَا  
 أَيْغُصِبُنَا الخِلافةُ غاصبوها  
 وفي البلد الأمين بنو أبِينَا؟  
 أترْكِي، وفِينَا هاشِمِيٌّ  
 دمي دَمُهُ ويبقى الدينُ دينَا  
 حُسَيْنٌ حُسَيْنٌ أَنْتَ لَهَا فَإِنِّي  
 أَطالعُ في مُحْيَاكَ اليقينَا  
 كأنني إذْ أراك أرى حُسَيْنَا<sup>(١٥)</sup>  
 فتى فِتْيَانِنَا المُستَشْهِدينَا

إذن فقد عرفت متى تَسَمَّيتُ «بالأخطل الصغير»، ولماذا تسمَّيتُ به، وقد كان من  
 حقي أن أطرح هذا الاسم بعد الحرب العالمية، ولكنني أبتُ لي شِيمَةُ الوفاءِ إلا أن أكون  
 من الكرام الذين إذا أُسْبِلُوا<sup>(١٦)</sup> ذكروا من كان يألُفهم في المسكن الخشن. و«الأخطل  
 الصغير» قد أُلْفني أيام البؤس والخوف، فما أنا بناسيه أيام الهناء والطمأنينة.

\*\*\*\*\*

## الشهيد عمر بمناسبة ديوانه

كيف عرفت عمر حمد<sup>(١)</sup> - روحه الوطنية الشاعرة - أول وآخر مرة رأيته

لقد ضاق عُمَرُ عُمَرُ عن أن يَسَعَ ديواناً شعرياً. فهذه النُبْدَةُ التي جمَعَهَا له أَهْلُهُ في الأوراق، إنما هي شرارةٌ من روحه اللاهبة.

لقد قطع عمر حمد الحياة في وثبتين، الواحدة من التلميز إلى المعلم، والثانية من المعلم إلى المشنقة. وكان في وثبته الثانية مثلاً من أمثلة الحياة العالية، تلك الحياة التي تُعَوِّزُ الشباب في البلاد المُسْتَرْقَّة، فيثبوا بها إلى حُرِّيَّتِها بما يُحرقونه من أنفاسهم تحت دواليبها.

فنحن إذن أمام شرارةٍ من روح عمر حمد. أفما تحس أين طبعت روحك على شعره، أنك طبعتها على دمٍ فائرٍ وعصبٍ ثائرٍ؛ وإذا كان الشعر ثورةً من ثورات النفس، تهيجُها العوامل المختلفة، فديوانُ عمر حمد عنوانٌ صغير من عنوان هذه الثورة، وهي لو استكملت نموها واستلأمت وسطها، لعدَّت في البراكين.

لقد كان عمر في عداد من عرفتهم بين عامي ١٩١٢ و ١٩١٤؛ وكأني به في المرة الأولى، وقد جلس إليَّ يُسمعني إعجاب إخوانه في الكلية الإسلامية بجريدتي، واستملاهم طريقتي في الأدب.

وكأني به مرة أخرى، وقد جاء يُسمعني قصيدةً أعدّها ليلقيها في الحفلة المدرسية السنوية، فكنتُ أحسُّ بروحه تثبُّ من وراء ألفاظه؛ وكان وهو في مُسْتَهْلٍ الشباب على أدب عذب فيه الكثير من الحياة والكفاية من الرصانة.

لم يكن عمر حمد ذلك العهد، يتجاوز العشرين من سنّيه، يجنح الى الطول في قامته، على سُمرة في لونه، ورقة في بدنه؛ ولقد كنتُ أكثر ما أراه في ثوب أسود كأنما كان يحمل حداده على شبابه في جلبابه.

وكان آخر عهدي بعمر، ليلة لقيته فيها صدفةً، جالساً إلى بعض إخوانه في قهوة «كوكب الشرق»، فما هو إن رأي، حتى أقبل عليّ أخذاً بي إلى طاولةٍ خالية فقال لي: أعرفت أن الخديوي أصبح سلطاناً، وهو اليوم السلطان حسين<sup>(٢)</sup>؟

قلت: كيف أعرف، وأنا في عزلي خارج البلد، حتى إذا اشتاقتها نفسي جئتُها بين صديقي: الشيخ سليم علم الدين وجبرائيل أفندي نصار؟

قال: ويظهر أن الدول اتفقت على أن ينبسط سلطان مصر على سوريا، وذلك حيث يقول حافظ إبراهيم في تهنئته عند تنصيبه:

هــنـاءٌ أَيْـها المـلِكُ الأَجَلُ  
لَكَ الوادي الخَصيبُ وما يُطلُّ

ثم سرد لي أبياتاً من تلك القصيدة، علق بعضها في ذكراتي ثم لم يلبث أن اضمحل.

وكان ذلك إما في أواخر سنة ١٩١٤ أو في أوائل سنة ١٩١٥.

ولقيته يوماً قبل هذا التاريخ بأشهر قليلة، على ما أذكر، فقال لي: أبلغك شيء عن حزب العهد؟ إنه يضم بعض ضباط العرب للعمل على استقلال البلاد العربية. قلت: أرنيه يا عمر!

ونذكر قول الشاعر<sup>(٣)</sup>:

وصـرْتُ أَشْكُ في من أصـطـفـيـه  
لـعـلـمـي أَنـه بـعـضُ الأَنـام

فأنت ترى أن عمر حمد لم يكن يشتمل على روحٍ شاعرة فحسب بل كان يشتمل  
على روح وطنية كبرت عن أن تحتملها سنُّه فسقطت تحت ثقلها وأدمى القلوب سقوطه.

هذا ما وعته الذاكرة عن ذلك الصديق المهذب ذي الروح الحساسة الوطنية،  
والشعور الصحيح السامي، قبل أن يسار به إلى السجن - لأننا افترقنا قبل ذلك، أنا  
في رؤوس الجبال وهو في ساحات المدينة.

على أن هناك صورةً أدل من كلمتي هذه على الشهيد العربي العزيز هي هذه  
القصائد العاصفة، فيها روح الشباب والإباء؛ فإذا شئت أن تتعرف إلى تلك الروح،  
فأقرأ تلك القصائد.

### بشارة

البرق، ٢٧ شباط ١٩٢٩، العدد: ٣١٨٥، ص: ٢

\*\*\*\*

## هوامش الباب الأول

### من بقايا الذاكرة

٧ ..... كيف عرفت إمام العبد

- ١ - محمد إمام العبد (١٨٦٢-١٩١١)
  - شاعر أجاد الشعر والزجل. كابتن مصر في كرة القدم عام ١٩٠٠ .
  - عكف على الأدب والكتابة في الصحف، كان ذا روح مرحة برغم حياته البائسة.
- ٢ - ولي الدين يكن (١٨٧٣-١٩٢١)
  - شاعر مجيد، ولد بالآستانة، وعين فيها عضواً بمجلس المعارف، نفاه السلطان عبدالحميد، وعندما أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨، عاد إلى مصر، وتوفي بحلولاً ودفن في القاهرة.
  - له ديوان شعر وعدد من المؤلفات ، كان يجيد عدداً من اللغات.
- ٣ - كانت في الأصل (وانتقلا) عدلناها إلى (واستقلا) لاستقامة السياق.
- ٤ - أحمد شوقي ، أمير الشعراء ، سترد ترجمته لاحقاً.
- ٥ - حافظ إبراهيم (١٨٧١-١٩٣٢)
  - شاعر مصري القومي، ولد وتوفي فيها، اشتغل في المحاماة، وخدم في الجيش، وشارك في حملة السودان، عمل في الصحافة وعين رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية سنة ١٩١١.
  - له ديوان شعر وبعض المؤلفات.
- ٦ - خليل مطران، شاعر القطرين، سترد ترجمته لاحقاً.
- ٧ - رثاء الأخطل الصغير في «البرق»، نيسان ١٩١١، مج : ٣، عدد : ١٣٢، ص : ٢٣٧، قائلًا:  
وصارمٍ عزمي له ضجعة  
كضجعة الصارم في غمده  
يننام ملء الجفن في جفنه  
ولا يننام الموت في حده
- ٨ - أمين تقي الدين (١٨٨٤-١٩٣٧)
  - محام وأديب وشاعر لبناني.
  - ولد في لبنان وأقام في مصر، وأنشأ مجلة الزهور مع أنطون الجميل، ترجم عن الفرنسية «الأسرار الدامية» لجول دي كاستين، عاد إلى بيروت وعمل في المحاماة حتى وفاته.

- ٩ - سامي جريديني ( ١٨٨١-١٩٥٠ )  
- محام لبناني، عاش في مصر، ترجم ونشر بعض مسرحيات شكسبير، وألف «خواطر في الحقوق والأدب»، و«الرسائل الضائعة»، و«خمسة في سيارة».
- ١٠ - الياس فياض ( ١٩٣٠ - ٢٠٠٠ )  
- أديب لبناني تعلم في بيروت ثم بمدرسة الحقوق بالقاهرة، كتب في مجلتي «الضياء» و«البيان» بمصر ثم عاد إلى لبنان فكان من أعضاء مجلس النواب فوزيراً للزراعة، توفي في بيروت، له ديوان شعر، وترجم عن الفرنسية بعض القصص.
- ١١ - المؤيد، جريدة أسسها علي يوسف في القاهرة عام ١٨٨٩.
- ١٢ - وردت هذه الأبيات في مجلة «الزهور» السنة الثانية، ١٩١١، ص: ٢٠٨، ولم يرد فيها هذا البيت وبيت آخر، وأغلب الظن أن في البيت خطأ طباعياً، إذ يصح وزنه لو قلنا: (بالعزيمة) بدلاً من (العزيمة).
- ١٣ - مصطفى لطفي المنفلوطي ( ١٨٧٦ - ١٩٢٤ )  
- من مشاهير الكتاب بمصر في عصره، درس في الأزهر وتلمذ لمحمد عبده.  
- له «النظرات»، و«العبرات» و«في سبيل التاج» و«الشاعر» و«مجدولين» من بين كتبه ما هو مترجم عن الفرنسية ولم يكن يحسنها وإنما كان بعض العارفين بها يترجم القصيدة إلى العربية فيصوغها المنفلوطي بقلبه الإنشائي.
- ١٤ - أحمد محرم ( ١٨٧٧-١٩٤٥ )  
- شاعر مصري، ولد في إبياء الحمراء من قرى الدلتا، له «ديوان محرم» و«ديوان الإسلام» أو «الإلياذة الإسلامية» توفي ودفن بدمنهو.
- ١٥ - لم يذكر اسم الجريدة في الأصل.
- ١٦ - يعني به أمين تقي الدين.
- ١٧ - محمود سامي البارودي ( ١٨٣٩-١٩٠٤ )  
- أمير السيف والقلم، من رواد النهضة الشعرية العربية في العصر الحديث.  
- قائد شجاع ، ولد بالقاهرة وتوفي فيها. تقلب في المناصب حتى صار رئيساً للنظار واستقال، شارك في ثورة عرابي وحكم عليه بالإعدام ثم بدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان وبقي فيها (١٧) عاماً.  
- له ديوان شعر. أسست مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري دروتها الثالثة باسمه عام ١٩٩٢ وأصدرت عنه عدداً من المؤلفات من بينها ديوانه.
- ١٨ - يعني بالأستاذ الإمام، الشيخ محمد عبده ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ ) مفتي مصر ، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام.، أصدر «العروة الوثقى» مع جمال الدين الأفغاني، ناصر ثورة عرابي، ونفي إلى

بلاد الشام، له عدد من المؤلفات.

١٩ - انظر صورة الرسالتين ونصهما في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» الصادر عن «مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري» بمناسبة إقامة دورتها السادسة «دورة الأخطل الصغير» ١٩٩٨، بيروت، ص (٢٦١-٢٦٦).

٢٠ - الذام: العيب..

كيف عرفت الشيخ اسكندر العازار..... ١٤

١ - اسكندر العازار ( ١٨٥٥-١٩١٦)، كاتب لبناني له نظم، وجعل من أعضاء محكمة التجارة، كتب فصولاً في النقد والتعليق على الحوادث ونشرها في بعض الصحف والمجلات، كان يكتبها بأسلوب فكه، مثل جريدة «البرق» وغيرها وله قصص مسرحية وديوان وخطب ومقالات.

٢ - الطفل: الوقت قليل غروب الشمس، وهو من طفلة الشمس؛ مالت للغروب.

٣ - نجيب حبيقة ( ١٨٦٩ - ١٩٠٦)، أديب وشاعر لبناني مجيد ومن مشاهير رجال التعليم والصحافة، مارس العمل الوطني في الجمعيات الخيرية المارونية، تخرج من كلية القديس يوسف، علم البيان العربي والفرنسي في الكلية اليسوعية، ثم في مدرسة الحكمة، تولى تحرير جريدة «المصباح» وكتب في مجلة «المشرق» وجريدة «المحبة».

٤ - المصباح، جريدة أنشأها نقولا نقاش في بيروت عام ١٨٨٠.

٥ - مدرسة في بيروت، درس فيها الأخطل الصغير من سنة ١٩٠٣-١٩٠٥ بهدف إتقان اللغة الفرنسية، من أشهر أساتذتها عبدالله البستاني.

٦ - شبلي بك ملاط (١٨٧٥-١٩٦١)، شاعر لبناني ولد في بعبدا. أصدر جريدة «الوطن» في بيروت عام ١٩٠٨، لقب بشاعر الأرز، له ديوان.

٧ - معروف الرصافي، سترد ترجمته لاحقاً.

٨ - البوستة ترجمة حرفية أو تعريب لكلمة: Post التي تعني البريد.

٩ - في الأصل (والعاجر) ولعلها تصحيف.

١٠ - عيد جلوس السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨)، سلطان الدولة العثمانية من (١٨٧٦-١٩٠٩).

١١ - انظر مقال «إلى اللواء الإيطالي» في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

١٢ - إشارة إلى السلطان عبدالحميد الثاني، وأمير المؤمنين أحد ألقابه، باعتباره خليفة المسلمين.

١٣ - عناوين زوايا كان يكتبها العازار في بعض الصحف مثل صحيفة «الوطن».

١٤ - هكذا وردت. والصواب أدمن الشراب

١٥ - يتوصمه: من الوصمة، العار أو العيب.

## ٢٠ ..... كيف عرفت معروف الرصافي

١ - معروف الرصافي ( ١٨٧٧-١٩٤٥ )

- أديب وشاعر العراق الكبير في عصره. اشتغل بالتعليم وانتخب عضواً في مجلس النواب ومثل العراق في مجلس المبعوثان في الأستانة له ديوان شعر.

٢ - يقصد الدستور العثماني الذي أقره السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ بعد ضغوط كبيرة من جمعية الاتحاد والترقي، وعصيان من بعض ضباط الجيش المنتسبين للجمعية.

٣ - أسعد رستم (نحو ١٨٧٥-١٩٦٩)

- شاعر لبناني ولد في بعلبك، هاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٢ وعاد إلى وطنه ١٩٥٨.

- له ديوان رستم ١٩٠٨.

٤ - محمد رشيد رضا ( ١٨٦٥ - ١٩٣٥ )

- ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام)، نظم الشعر في صباه وكتب بالصحف، رحل إلى مصر ولازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له.

- أصدر مجلة (المنار) وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ويعتبر أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير.

٥ - الشيخ محيي الدين الخياط ( ١٨٧٥ - ١٩١٤ )

- شاعر وأديب لبناني ولد في صيدا، ونشأ وتوفي في بيروت، عارف بالتاريخ نشر أبحاثاً كثيرة في صحف بيروت. من كتبه (دروس في التاريخ الإسلامي) و(دروس في النحو والصرف) و(دروس القراءة)، و(تفسير الغريب من ديوان أبي تمام) و(تعليق على شرح نهج البلاغة للإمام محمد عبده).

٦ - الشيخ مصطفى الغلاييني ( ١٨٨٦ - ١٩٤٤ )

- شاعر من الكتاب الخطباء ولغوي من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته في بيروت، تعلم فيها وفي مصر وتلمذ للشيخ محمد عبده عمل أستاذاً للعبية وخطيباً للجيش الرابع العثماني، نصب رئيساً للمجلس الإسلامي وقاضياً شرعياً في بيروت.

- له ديوان وعدد من المؤلفات.

٧ - يعني أن صورة الشاعر منشورة برفقة المقال.

٨ - إن التاريخ الهجري الذي دُيِّلت به الرسالة يوافق العام ١٩٠٦/١٩٠٧ من التاريخ الميلادي. وقد ذكر الأخطل أن زيارة الرصافي لبيروت كانت ١٩٠٩، وأن الرسالة المنشورة أعلاه كتبت بعد مغادرة الرصافي بيروت، باتجاه الأستانة، فهل التاريخ الذي حدده الأخطل مصحّف؟.



٩ - انظر صورة الرسالة ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخت الصغير»، مرجع سابق، ص (٢٨٨-٢٨٥)،  
ورسالة أخرى ص (٢٨٣-٢٨٤).

١٠ - أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠)

- كاتب ورحالة وشاعر، بدأ ظهوره الأدبي في المهجر وكتب الشعر المنثور والشعر المرسل.  
- له عدد من المؤلفات أشهرها «ملوك العرب».

١١ - لفظ استعمل بالمدلول العامي، وقصد به غرفة واسعة للاستقبال.

١٢ - يقصد أمين الريحاني.

١٣ - نعوم اللبكي (١٨٧٥-١٩٢٤)

- صحافي وسياسي لبناني. ولد في بعبدا.  
- أنشأ مع أسعد خالد أول جريدة عربية في البرازيل وهي «الرقيب» عام ١٨٩٦ في ريو دي جانيرو، ثم  
أنشأ جريدة «المنظر» في سان باولو ١٩٠١ وتابع إصدارها في بيروت بعد ١٩٠٨.  
- رئيس مجلس النواب عام ١٩٢٣.

١٤ - وردت هكذا، وواضح أنه تصحيف، والمقصود هو «زكي مغامز بك» انظر صورة رسالته إلى الرصافي  
ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخت الصغير» مرجع سابق، ص (٢٧٩-٢٨٠).

١٥ - يعني بصاحبيه بشارة الخوري «الأخت الصغير» والياس فياض.

١٦ - يقصد بلدي «بيت شباب» و«بكفيا» وذكرهما مضافتين إلى لبنان.

١٧ - جميل صدقي الزهاوي، ستاتي ترجمته فيما بعد.

١٨ - الشيخ عبدالله البستاني (١٨٥٤-١٩٣٠)

- لغوي لبناني ولد في الدبية وتوفي في بيروت من أعضاء المجمع العلمي العربي له معجم البستان  
وأربع روايات نثرية وخمس روايات شعرية.

١٩ - كان الشعراء الذين يجلون هذا الإبداع - وما يزالون - لا يلقونه أو يستمعون إليه إلا وقوفاً، إعجاباً  
وتقديراً.

٢٠ - إشارة إلى مطلع قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

٢١ - المبعوث هو النائب في مجلس «المبعوثان» العثماني وكان مقره في الأستانة.

## ٢٨ ..... كيف عرفت الشيخ يوسف أبي صعب

- ١ - يوسف أبي صعب - ١٠٠٠ - ١٩١٥، قانوني ومتشعر وشاعر لبناني، كان حجة في الشرع الإسلامي.
- ٢ - الشعر عجز بيت قاله المهلهل، إثر رحيل أخيه كليب ناقداً الناس الذين كانوا في مجلسه لا ينبسون بكلمة واحدة تهيباً واحتشاماً. وتمام البيت:  
وتكلموا في أمر كل عزيمة  
لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا  
انظر شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام.. ج ٢/ ص ٩٢٩.
- ٣ - هو على الأرجح: زُفر بن الهذيل، بن قيس بن سلم. فقيه، مجتهد، تفقه بأبي حنيفة، وهو أكبر تلامذته توفي ١٥٨ هـ/ ٧٧٤م (سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، ج ٨/ ٣٨-٤١).
- ٤ - أبو القاسم الزمخشري، صاحب تفسير القرآن المعروف «بالكشاف» والمعجم اللغوي البلغي: «أساس البلاغة» توفي ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م.

## ٣٥ ..... كيف عرفت طانيوس عبده

- ١- طانيوس عبده (١٨٦٤ - ١٩٢٦)، شاعر لبناني، ولد في بيروت، وبها توفي ودفن، انتقل إلى الاسكندرية وأصدر جريدة «فصل الخطاب» ثم اشترك في تحرير «الأهرام» ف «البصير» وأصدر مجلة «الراوي» ثم عاد لـ «الأهرام»، اشتهر بترجمة الروايات عن الفرنسية ومن أشهرها: البؤساء، عشاق فنيسيا، الساحر العظيم، روكامبول في ١٧ جزءاً.
- ٢ - البديل العسكري: هو مبلغ نقدي يدفعه المطلوب للخدمة العسكرية الإلزامية فيعفى.
- ٣ - في الأصل: «خيالي» عدلناها ليستقيم الوزن.
- ٤ - في الصدر خلل عروضي.
- ٥ - ورهت، من الوره: الحمق، ومعنى البيت أن قصيدتك متسعة، لا حكمة فيها ولا روية.
- ٦ - البواطي، مفردتها، باطية، لفظ معرب، معناه: الإناء العظيم من الزجاج وغيره، يتخذ للشراب.
- ٧ - هكذا وردت، وصوابها: نعتب عليه.
- ٨ - زعيم لبناني سيرد تعريفه لاحقاً.

## ٤٥ ..... كيف عرفت جميل الزهاوي

- ١ - جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦)

- ٢ - شاعر عراقي من شعراء النهضة الحديثة، غلب على شعره الاتجاه الفلسفي.  
- اشتغل في التعليم وكان نائبا عن المنتفق ثم عن بغداد في مجلس النواب العثماني. له ديوان وترجم رباعيات الخيام عن الفارسية شعراً ونثراً.
- ٣ - الأثل: جنس من أشجار دقيقة الورق جيدة الخشب تسمى الطُرفاء. وهذا أسلوب الشعراء القدامى، يخاطبون الأس والأراك والأرطى والأقحوان وغيرها يبتئونها لواعجهم ومواجعهم.
- ٤ - الغلّة: شدة العطش وحرارته.
- ٥ - حكومة المشروطية، أي حكومة الدستور بعد إعلانه في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨، وهو تقريباً ما زامن وضع (المشروطية) أو (المشروطة - الدستور) في إيران المجاورة عام ١٩٠٧ إثر ثورة علمائها على الشاه في ما عرف بالثورة الدستورية.
- ٦ - «بغدا» اسم مختصر تحببي لبغداد.
- ٧ - انظر في هذا الكتاب «كيف عرفت الرصافي» وانظر أيضاً صورة رسالتي الرصافي ونصهما إلى الأخطل الصغير في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» مرجع سابق، ص(٢٨٣-٢٨٨)، وكذلك رسالة زكي مغامر إلى الأخطل الصغير في الكتاب نفسه ص(٢٧٩-٢٨٠).
- ٨ - كرمة ابن هاني اسم الدار التي كان يقطنها أحمد شوقي وما زالت معمورة بمتحف يخص الشاعر.. والمقصود هنا الإشارة إلى اهتمام صاحب البرق بشوقي على ثرائه ونعيمه وإهماله لأمر الزهاوي على ظروفه الصعبة.
- ٩ - انظر صورة رسالة الزهاوي ونصها إلى الشاعر ص (٢٨١-٢٨٢) في «رسائل الأخطل الصغير» مرجع سابق.
- ١٠ - سنأتي ترجمته لاحقاً.
- ١١ - انظر ترجمته في مقال «كيف عرفت إمام العبد»، وانظر أيضاً صورة رسالته ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص (٢٥٩-٢٦٠).
- ١٢ - الهاء في شعرائه عائدة على شعراء «الأدب الخاص».
- ١٣ - أراد كلاً من ابن الرومي، وبشار بن بُرد، وهما من كبار شعراء العصر العباسي.

#### ٥٠ ..... لصقة رماد

- ١ - المتن هو أحد أقضية جبل لبنان السنة، ويقسم إلى قسمين : المتن الشمالي ويضم معظم المدن وقرى الاصطيف المشهورة. المتن الجنوبي.
- ٢ - صدفة بمعنى المصادفة، وهذا من الأخطاء الشائعة.
- ٣ - جديدة المتن عاصمة القضاء المذكور.. وهي إحدى ضواحي بيروت الشمالية.

٤ - لمعرفة المزيد حول القصائد التي ترجمها الأخطل الصغير عن الفرنسية انظر كتاب «حياة الأخطل وشعره»، د. سهام أبو جودة، رسالة ماجستير، أصدرته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بمناسبة دورتها السادسة، ١٩٩٨، بيروت.

٥ - النقل: ما يؤكل من جوز ولوز وحلوى الأعياد المغلفة بالورق.. والجفان : القصاع.

٦ - ورد صدر هذا البيت في قصيدة محذوفة بسبب تكرار ورودها في موقع آخر هكذا: (أنا اتخذنا الثغور كأساً).

٧ - كناية عن أنجالها الأربعة.

٨ - والدهم فيليب ثابت.

#### ٥٤ ..... عشرون يوماً في ريفون باسم حنا فياض

١ - سليم المعوشي، رئيس جمعية أرز لبنان، من أركان المعارضة ضد العثمانيين في لبنان، قائم مقام جزين.

٢ - أساطير، جمع سطر. ولم يرد هذا الجمع في اللغة، فالسطر، يجمع على: أسطر وأسطار وسطور، وأساطير ولم يرد أساطر.

٣ - رضا باشا، قائد الفرقة العسكرية العثمانية في عاليه وبيروت، نائب جمال باشا السفاح.

٤ - هكذا وردت في الأصل.. ويقتضي السياق أن تكون على الشكل الآتي: فخطئه (فعل أمر).

٥ - لم ترد هذه الرسالة في ما توافر لدينا من مادة هذا الكتاب.

٦ - أحد أقضية جبل لبنان، يقع إلى الشمال من قضاء المتن.. ومركزه جونبة..

٧ - هما: الشيخ فيليب الخازن (١٨٦٥ - ١٩١٦) والشيخ فريد الخازن (١٨٦٩ - ١٩١٦) من شهداء الوطنية نفاهما جمال باشا السفاح إلى الأناضول ثم سيقا إلى الديوان العرفي وأعدما في بيروت يوم ٥ حزيران ١٩١٦.

٨ - الدورة: ناحية شمالية من بيروت.

٩ - درعون، بلدة في قضاء كسروان، تطل على جونبة، على شاطئ البحر.

١٠ - ريفون، بلدة اصطيف تقع الى الشرق من جونبة.

١١ - الورق الملون ، كناية عن الأوراق النقدية العثمانية.

١٢ - لوكندة، مصطلح عامي في لبنان وبعض الدول العربية، معناه: الفندق..

١٣ - فيطرون، بلدة اصطيف في القسم الأعلى من قضاء كسروان.

١٤ - يقصد إعدامات أحرار العرب في مدينة عاليه ١٩١٦.

١٥ - الأمير شكيب أرسلان (١٨٧١ - ١٩٤٦) أديب وسياسي لبناني. من أعلام النهضة العربية. ولد في الشويفات. له ديوان شعر وعدد من المؤلفات منها «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية». كان مديراً فقائماً في الشوف. انتخب نائباً عن حوران في مجلس «المبعوثان» العثماني.

١٦ - كوجك جمال (جمال الصغير) المعروف بالمرسيني نسبة الى بلده مرسين، خلف جمال باشا السفاح،

- خفت في عهده وطأة الإرهاب في البلاد السورية، انصرف إلى مهمة الدفاع أمام هجوم البريطانيين تاركاً إدارة شؤون الحكومات إلى الولاة وحاكم جبل لبنان كل في حدود ولايته.
- ١٧ - رواية من ١٧ جزءاً ترجمها عن الفرنسية طانيوس عبده.
- ١٨ - عزمي بك، والي بيروت العثماني، سترد ترجمته لاحقاً.
- ١٩ - الأمير فايز شهاب (القول أغاسي «رائد، ميجر») من رجال حكومة جبل لبنان (المتصرفية) كان قائمقام المتن.
- ٢٠ - المغفر، لفظ عامي لكلمة «مخفر» مركز للشرطة أو (الجندرية) أي رجال الدرك.
- ٢١ - الجميزة: ناحية في شمالي بيروت.

## ٦٨ ..... بين أيلول ١٩١٦ و كانون ١٩١٧

- ١ - كتاب أبي الفرج الأصفهاني.
- ٢ - الجنيب المَعْبَدُ: المَقُود الى الجنب من الخيل وغيرها، والمعْبُدُ: المطلي بالقطران لإصابته بالجرب، وقصد بذلك تحاشي أقرب الناس له - وهو في خصائصه أي في فقره المدقع - كما يتحاشى الناس الحصان أو البعير الجَرَب.
- ومن معاني الجنيب: الغريب، فلعله يعني أن أخاه يتحاشاه في فقره ويتجنبه ابتداءً وكان ذاك الأخ غريب أجرب. أو أنه قصد بقوله (كالجنيب المعبد) أن نفسه الحرة حتى أثناء فقره المدقع - تتأبى فيعامل في حاجته أخاه كالغريب، كما يعامل في اليسر البعيد (من نأى) كأخيه أراد بذلك نقاء جوهر نفسه وإبائها في اليسر والعسر . ويؤيد ذلك قوله: «هكذا منذ نشأتي غير ذا لم أعود». «المراجعة».
- ٣ - يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان (١٩٠٧ - ١٩١٢) وهو ابن نصري فرنكو باشا المتصرف الثاني في سلسلة متصرفي جبل لبنان الذين حكموه وفقاً لنظام الامتيازات منذ عام ١٨٦١ وحتى ١٩١٥، تميز عهده بتذمر الشعب ومطالبته بالإصلاح بسبب موجة التفاؤل التي بعثتها ثورة ١٩٠٨.
- ٤ - حليم دمؤس (١٨٨٨-١٩٥٧) أديب. شاعر، له نظم كثير، ولد في زحلة، سافر إلى البرازيل وعاد إلى بلده، فشارك في تحرير جريدة «المهذب» واستوطن دمشق بعد الحرب العالمية الأولى إلى آخر حياته، توفي في بيروت ودفن في جونية، له ديوانان وعدد من المؤلفات.
- ٥ - وردت في الأصل هكذا «طانيوس عبود» ولم نعث على أي ترجمة له، وربما يعني صديقه طانيوس عبده، الذي سبقت ترجمته.
- ٦ - شركة القمح اللبنانية، شركة تأسست في بيروت، كان مديرها نجيب بك الأصفر ولإدارتها بعض الفروع في البلدات اللبنانية لتوفير هذه المادة الضرورية أثناء الحرب العالمية الأولى ووقاية الناس من المجاعة، ولكن الفساد تفشى في معظم مسؤوليها فكان بعضهم يبيع القمح في السوق السوداء بعشرة أضعاف سعره الرسمي. واعتمدت في توفيره على الاستيراد من سوريا. ولكن هذا الاستيراد كان يسمح

به أو يمنع وفقاً لتقلبات الأحوال السياسية، وكان من أكبر المتدخلين في شؤونها والمستفيدين من البيع في السوق السوداء عزمي بك والي بيروت وعلي منيف متصرف جبل لبنان فتفككت الشركة وتلاشت في أواسط عام ١٩١٧ قبل خروج تركيا من البلاد بمدة وجيزة.

## ٧٧ ..... كيف تعرفت إلى شوقي

- ١ - أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢)  
- أمير الشعراء عام ١٩٢٧، مولده ووفاته بالقاهرة، نشأ في ظل البيت المال في مصر، وصار شاعر البلاط.  
- له الشوقيات في ٤ أجزاء، كتب عدداً من المسرحيات الشعرية مثل: مصرع كليوباترا، مجنون ليلى، قمبيز، علي بك الكبير، من أعمدة النهضة الشعرية الحديثة. نفقه السلطات البريطانية في مصر إلى إسبانيا بسبب بعض مواقفه السياسية.
- ٢ - الرستوران: المطعم، مأخوذة من لفظها الأجنبي Restaurant.
- ٣ - فوزي الغزي، أحد كبار رجال الأدب والحقوق في سوريا ولد في دمشق ١٨٩١ وشغل عدة وظائف حكومية ورأس الجمعية التأسيسية في دمشق وانصرف للمحاماة، سجن غير مرة في سبيل بلاده، وتوفي سنة ١٩٢٩ مقتولا بالسم.
- ٤ - جبران التويني، كاتب وصحافي ونائب وزير لبناني ولد ١٨٩٠ وأنشأ جريدة النهار، صار وزيراً للمعارف والفنون الجميلة ووزيراً مفوضاً في الأرجنتين وتوفي ١٩٣١.
- ٥ - ميشال أبي شهلا، كاتب صحفي شاعر، ولد في بيروت ١٨٩٨، عمل في مجلة «المعرض»، وأصدر مجلة «الجمهورية» عام ١٩٣٦، وله ديوان شعر «أنفاس العشيات»، توفي في بيروت ١٩٥٩.
- ٦ - شارل دبّاس، ولد في بيروت وشغل بعض الوظائف العالية. وحكم عليه الإتراك بالإعدام ودرس في فرنسا وتبنى سياستها، انتخب أول رئيس لجمهورية لبنان ٢٦ أيار ١٩٢٦ - أول كانون الثاني ١٩٣٤ وتوفي في باريس ١٩٣٥.
- ٧ - لعله يقصد فارس الخوري (١٨٧٧-١٩٦٢)، سياسي وأديب سوري، رئيس الحكومة السورية عدة مرات (حيث إن عدداً من شخصيات إقليم الشام تحمل هذا اللقب).
- ٨ - جميل مردم بك (١٨٩٤-١٩٦٠)  
- من رجال السياسة في سوريا كان مستشاراً خاصاً للأمير فيصل بن الحسين في دمشق ١٩١٩، حكم الفرنسيون بإعدامه فذهب إلى القاهرة وأقام بها ١٢ عاماً.  
- عاد إلى دمشق وصار وزيراً للمالية وفر للعراق هرباً من الفرنسيين، عين وزيراً للخارجية في عهد شكري القوتلي وترأس الحكومة السورية (٣) مرات، توفي بالقاهرة ودفن في دمشق.
- ٩ - نجيب الأرمنازي (١٨٩٧-١٩٦٨)

- من رجال السياسة في سوريا، محام وصحفي مولده في حماة ووفاته في دمشق.  
- أصدر جريدة الأيام في دمشق، كان وزيراً مفوضاً لسوريا في لندن وفي الهند وتركيا ثم سفيراً لها في مصر ثم لندن. له عدة مؤلفات.

١٠ - محمد علي العابد (١٨٦٧-١٩٣٩)

- أول من سمي رئيساً للجمهورية السورية. ولد في دمشق وتعلم بها وبالأستانة، درس الحقوق في باريس، عينته الحكومة العثمانية وزيراً مفوضاً في واشنطن (١٩٠٥-١٩٠٨) ثم عين وزيراً للمالية أثناء الانتداب على سوريا ثم رئيساً للجمهورية (١٩٣٢-١٩٣٦) توفي في باريس ودفن في دمشق.

١١ - هو الشاعر المملوكي محمد بن يوسف، يُنسب إلى تَلْ أعفر، بين الموصل وسنجار. عاصر عدداً من سلاطين بني أيوب ومات ٦٧٥هـ/١٢٧٧ وله ديوان شعر مطبوع.

لماذا تسميت بالأخطل الصغير..... ٨٠

١- الأخطل ، غياث بن غوث (٦٤٠-٧٠٨م)، من بني تغلب، شاعر أموي كبير ، من الثلاثة الكبار المتهاجين في عصره ، هو والفرزدق وجربير، اشتهر في عهد بني أمية بالشام ، أكثر من مدح خلفائهم، نشأ على المسيحية، كان يقيم بين دمشق والجزيرة. له ديوان شعر.

٢ - نعيم مكرزل (١٨٦٧ - ١٩٣٢)، من أعلام الصحافة العربية في المهاجر الأمريكية، مؤسس صحيفة (الهدى) في نيويورك ورئيس تحريرها، توفي في باريس ودفن في لبنان، انظر صور رسائله إلى الأخطل الصغير ونصوصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير» مرجع سابق، ص (٢٢٩ - ٢٣٢ ، ٢٣٩ - ٢٤٠)

٣- اسكندر العازار، أمين الريحاني، شبلي بك ملاط، الياس فياض، أمين تقي الدين، جبرائيل نصار، يوسف نخلة ثابت، من الشخصيات الأدبية والصحفية وأصدقاء للأخطل الصغير.

٤ - إبراهيم سليم النجار ٠٠٠٠ - ١٩٥٧، صحافي لبناني مارس الصحافة في مختلف البلاد العربية. أصدر عدداً من الجرائد في القاهرة ١٩٠٢ والأستانة ١٩١٢ والقدس ١٩٢١ وأخيراً جريدة اللواء في بيروت ١٩٣٩.

٥ - أسعد رستم سبقت ترجمته.

٦ - معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، سبقت ترجمتهما.

٧ - الحسين بن علي (١٨٥٤ - ١٩٣١)، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الأتراك وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. ولد في الأستانة عاد إلى مكة وعمره ٣ سنوات تآدب وتفقه ونظم الشعر الملحون (النبطي)، نفي إلى الأستانة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة فيها، عين أميراً لمكة ١٣٢٦ هـ، راسله السير هنري ماركهاون أثناء الحرب العالمية الأولى فأعلن الثورة على الأتراك في ١٠ حزيران ١٩١٦، صار ملكاً لكل الحجاز، اختلف مع ابن سعود فتنازل عن عرش الحجاز لابنه علي ورحل عنها إلى قبرص عام ١٩٢٥، توفي في عمان ودفن في المسجد الأقصى، صار نجله فيصل ملكاً على سوريا ثم العراق، ونجله عبدالله ملكاً على الأردن.

٨ - الخلائف: مفردھا خليفة وتجمع على خلفاء وخلائف ، (المعجم الوسيط، ص ٢٥١)

٩ - حُشِدَ، في الأصل هي «حُشِدَ» (بضم الشين)، جمع حشد، بمعنى المحتشد..

١٠ - من المستغرب أن الأخطل لم يستعمل جرأ، إلا بفتح الراء - والصواب بضمها..

١١ - الشيخ فؤاد الخطيب (١٨٧٩ - ١٩٥٧)

- ولد في قرية شحيم قرب بيروت، شاعر نقي الديباجة من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق  
استكمل دراسته في الجامعة الأمريكية.

- عمل مدرساً في الكلية الأرثوذكسية وكلية غوردن بالخرطوم. نظم القصائد تأييداً للثورة في الحجاز  
ولقب بشاعر الثورة.

- تولى تحرير جريدة القبلة في مكة، ثم وكالة الخارجية للملك حسين بن علي، ثم مستشاراً للأمرير  
عبدالله بن الحسين، واتصل بالملك عبدالعزيز آل سعود وعينه سفيراً في كابل، له ديوان شعر.

١٢ - عزيز المصري (١٨٧٩-١٩٦٥)

- ولد في القاهرة وبها تعلم ثم في المدرسة الحربية في الآستانة، دخل جمعية تركيا الفتاة قبيل  
الدستور العثماني، حارب العصابات البلغارية واليونانية والألبانية وحارب في القرم، تطوع للجهاد  
ضد الطليان في ليبيا.

- استقال من الجيش التركي بعدما تبين نوايا «تركيا الفتاة» فحكم عليه بالإعدام، أطلق سراحه وصار  
وكيلاً لحربية الشريف حسين بن علي بعد إعلانه الحرب على الأتراك ، عاد إلى مصر ونفاه الانجليز  
إلى إسبانيا ، فر إلى ألمانيا وعاد إلى مصر فآدار مدرسة البوليس ثم عين مفتشاً للجيش المصري  
(١٩٣٧) اعتقل حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، عين بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ سفيراً لمصر في  
موسكو ، توفي في القاهرة.

١٣ - اسكندر عمون بك ( ١٨٥٨ - ١٩٢٠)، شاعر ومحام لبناني، اشتغل في الأدب كان وكيل المحكمة الأهلية  
في القاهرة ثم وزير العدلية في دمشق، انظر صورة رسالته إلى الشاعر ونصها «في كتاب رسائل إلى  
الأخطل الصغير» مرجع سابق، ص (٢٧١، ٢٧٢)

١٤ - جمال باشا السفاح.

١٥ - يعني الحسين بن علي بن أبي طالب (٦٢٥-٦٨٠م)، الذي رفض خلافة يزيد بن معاوية ، فثار عليه،  
واستشهد في معركة كربلاء في العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية.

١٦ - أسبل الزرغُ : خرج سَبْلُهُ. كنى بذلك، رخاء الحياة ورغدها.

الشهيد عمر بمناسبة ديوانه..... ٨٥



١ - عمر حمد : «لبنان» (١٩١٦ - ٢٠٠٠)

- شاعر من شهداء الحركة القومية بالشام أصله من مصر ولد ونشأ في بيروت، عمل ضابطاً في الحرب العالمية الأولى بالجيش التركي، وفر بعد الحرب من بطش الأتراك، قضى بسجن عاليه أربعة أشهر بحجة إلقاءه قصائد تنفر العرب من الأتراك. ثم أعدم شنقاً في بيروت ولم يتجاوز الخامسة والعشرين.

٢ - حسين كامل (١٨٥٣-١٩١٧)

- هو ابن اسماعيل باشا «الخدوي» ابن إبراهيم، أول من ولي السلطنة بمصر بعد دولة الخديويين ولد وتعلم في القاهرة وأكمل دراسته في باريس، ولي حكم مصر بعد تنحية آخر الخديويين عباس حلمي الثاني، صار سلطاناً لمصر عام ١٩١٤.

٣ - القول لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة الحمى التي مطلعها:

مَـلُومٌ كَـمَـا يَـجُلُّ عَنِ الْمَلَامِ

وَوَقَعَ فَعَالَهُ فُوقَ الْكَلَامِ

ديوان المتنبي بشرح العكبري - ج ٤ / ص ١٤٢ و ١٤٤.

\*\*\*\*

## الباب الثاني

### مقالات سياسية

أولاً: العهد العثماني

ابيض

## هذا الشعب

قل له لِيَحْيِ الظالم! ليحيِ المستبد! وكما يجيبك الصدى من أطراف الوادي،  
يجيبك هذا الشعب: ليحيِ الظالم ، ليحيِ المستبد!

قف به إذا شئت خطيباً، وقل له: إن الحكومة الماضية كانت عادلة رؤوفة. إن  
العصر الماضي كان عصر علم ونور فَلَتَحِيَ الحكومة الماضية وَلِيَحْيِ العصر الماضي!  
وكما يترجع الصدى من أطراف الوادي، تترجع أصوات الشعب (لِتَحْيِ الحكومة  
الماضية، ليحيِ العصر الماضي).

قل له إن جمعية « تركيا الفتاة»<sup>(١)</sup> كسرت قيود الرق التي كنت مقيداً بها، أيها  
الشعب الجاهل! قل له إنها صرفت ثلاثين سنةً وهي تجاهد في سبيل الحرية  
والدستور، قل له إن عدداً من أبنائها ذهبوا ضحية مقدسة في سبيلها. فمنهم من  
قضى في جوار الطائف، ومنهم من قضى في قصر البوسفور، قل له كل ذلك، ثم قل  
لتسقط «تركيا الفتاة». وكما يردد الحاكي كلامك يردد هذا الشعب: لتسقط تركيا  
الفتاة! نستعيز بالله من هذا الكفر الذي قادنا إليه مجرد التمثيل: ألا عاشت «تركيا  
الفتاة»! فإنما عنها يشع النور وعنها تصدر الحياة.

هذا الشعب الذي رأيته مزبداً هائجاً. هذا هو التيار الذي كان يجري مندفعاً  
جارفاً. هذا هو القوة إذا اتحد، وكان له العلم رائداً. هذا هو كل شيء إذا علمتموه،  
وهذا هو العدو إذا ظل جاهلاً.

علموه وإلا كان كالحسام لا ينتفع به غير حامله، أو كالمذبح إذا استولى عليه  
العدو، أطلق علينا منه ناراً حاميه تحصدنا حصد المنجل للهشيم .

علموه ولا يغركم منه هذا الاتحاد، ولا تخدعكم منه هذه المظاهرات، فإنها سريعة العطب، سريعة الزوال. وإن كلمة واحدة، تصدر عن أحد أفرادها، ولو عن غير قصد، كافية لأن تثير فيه كوامن الحقد وتضرم جذوة الشر بين عناصره المختلفة.

يا دعاة الإصلاح! أنتم تقولون ولا تفعلون، وما أنتم عن العمل عاجزون، ولكنكم تختلفون على السيادة في أغلب الحين، يا دعاة الإصلاح !

أنتم تقولون كثيراً وتحمسون في البداية حماساً قوياً، وتنطلقون حتى إذا حان وقت العمل وزعتكم مآرب النفس، فترجعون: لا فائزين بالقصد، ولا أنتم تشكرون.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت، فعليكم بالغصون، عليكم بالناشئة الجديدة! هدموا كل الحواجز التي تفصل أبناء العثمانيين! الغوا كل القواعد التي تمنعهم من أن يكونوا إخوة متساوين، وأحلوا الجنسية الوطنية محل الجنسية الدينية، فيستتب لكم الأمر وتكونوا من الفالحين!

ومُحال أن يتسنى لكم ذلك بغير العلم، بغير المدارس الوطنية المختلطة التي ترضع الناشئة الحديثة حب الوطن، وتقلب لها صفحات تاريخية لامعة، وتعيد عليها ذكر الأبطال المجيدين الذين ضفروا للوطن أكاليل النصر، وساروا به في سبيل المجد شوطاً بعيداً.

فليكن لنا عبرة في الماضي، وليكن لنا دافع من الحاضر، ولنعلق على المستقبل أملاً كبيراً.

إن تباشير النجاح منقوشة بالنور على جبين هذا العصر، فنذرف دمعاً إثر الزمن الغابر، ولنلتفت إلى الأمان، قائلين: هيا على الفلاح.

البرق، ١٩٠٨، عدد: ٢، ص: ١

\*\*\*\*

## لبنان

ويعز عليّ أن أناديك يا خامل يا جبان ! يعز عليّ أن أنزل بشيبتك إلى الهاوية  
حيث الذل والهوان. يعز عليّ أن تكون أضحوكة الأمم والعوبة تتلهى بها يدُ الزمن،  
وملعباً تمثل عليه المضحكات المبكيات.

وكم فيك أمسى من المضحكات  
ولكنه ضحكٌ كالْبُكا<sup>(١)</sup>

يا لبنان؟ إذا كنت تفخر، فإنما تفخر بماضيك كالولد المباهي بجده وأبيه، وقد  
قلبت صفحات الماضي، فلم أجد لك فيه ما يدعو إلى الفخر، ولم أجد لك صفحةً يبسم  
لها الثغر، فما معنى هذا التباهي يا لبنان؟

تقلب الدهر عليك أطواراً. فتقلبت معه من الرق إلى الفقر، إلى انشقاق، وهي الحالة  
التي ترسو عليها الآن. ولم ترس إلا على الهاوية التي تؤدي بك إلى الدمار فالاضمحلال.  
فهلا كان في نفسك رادعٌ، وهلا كان لك من العقل نذير؟ فقد ملّت الألسنة وملّت الأقلام.  
أفما لهذا الصمم من حيلة، أو ما لهذا الداء من دواء؟ رقٌّ، ففقرٌ فشقاقٌ، فاضمحلال؛ طرق  
لم تسلكها أمةٌ ولا زلت عليها قدم شعب. فماذا تكون أنت بين الأمم، وكيف تكون أنت بين  
الشعوب؟ إنها والله، لحالة تفتقر القلب على حظك التاعس، ومصيرك الهائل، والذنب ذنبك  
في كل ذلك فإما تتهم به أحداً، تكن من المفترين.

كنت قبل النظام مستترقاً لطبقة من بنيك أتنها السيادة عن طريق الدهاء، ورافقتها  
عن طريق الإرث، غير أنها لم تلبث أن ضغطت على الطبقة الثانية، فانفجرت عليها كما  
ينفجر البارود، فمزقتها. وما كان ضغط الأولى إلا عن حمق، وما كان انفجار الثانية إلا  
عن ألم ووسوسة. وكان قد أزف الوقت الذي اشتريت فيه النظام بدمك، ولكن لا كما

اشترته الأمم الراقية؛ فإنما هو قد أتاك عن طريق تجلّك بالعار، وتصمك بوصمة الذل إلى الأبدية.

وقد دك النظام معالم الاستبداد، ورفع راية المساواة بين طبقات الشعب، وأهل كل فرد من أبناء الأمة للمركز الذي يستحقه علمه وأدبه. ولما كنت جاهلاً يا لبنان بما كنت قد فطمت قبل عهد الفطام، دست هذه النعم برجلك، لأنك تجهل أنها ثمينة، فانصوى قسم منك إلى راية من طمحووا إلى الزعامة وظل القسم الآخر مستظلاً براية رجال الإقطاع، فبرهنت في كل أدوار حياتك على أنك لا تزال قاصراً، فاتخذ كل فريق منك عليه وصياً.

كنت تقول قبل الدستور، وعلى الأخص في العهد المتأخر، إنك لا تقوى على الاجتماع. ولو مُهد لك ذلك، لكنت أثبت العجائب، وها قد تمهدت لك تلك العقدة واصبحت بفضل الدستور، قادراً على الاجتماع جهاراً والمناداة بما تضرره نفسك من نفائس الأفكار، مجاهراً بمبادئك الحرة. وإلا فدعواك بالأمس باطلة.

أجل، فقد اجتمع بالأمس منك عصابة زحفت إلى بيت الدين<sup>(٢)</sup> حيث يستوي ابن فرنكو<sup>(٣)</sup> على منصة السيادة التي منها صدرت الأوامر الظالمة بجلب الغزيين<sup>(٤)</sup> وإيداعهم ظلمة السجن، لوشاية كاذبة، والتي منها كانت تصدر الإرادة المطلقة المستبدة بإسناد الوظائف إلى غير مستحقيها من أبناء الجبل. زحفوا نواباً عن الشعب وألجأوا ابن فرنكو إلى تطهير الحكومة من جرائم الفساد، وإسقاط من فقد منهم ثقة الأمة وعيبت بحقوقها.

إنها المرة الأولى التي فاز بها الشعب على الحكومة، وخنق بها الصوت المجموع صوت الفرد، وهي خطوة كبيرة خطوتها بفضل الدستور، وصفحة جميلة كتبتها يد المجد في تاريخك.

بذلك توصل الغرب إلى الحالة التي هو فيها الآن، وبدون الأحزاب لا تستقيم مصلحة الأمة. ولكن شتان بين الأحزاب هنا، والأحزاب هناك. فهم إنما يجاهدون في سبيل النفع العام، ونحن إنما نجاهد في سبيل نفع أنفسنا، إذا صح تسمية الأنانية جهاداً. ومهما يكن من الأمر، فإن الصوت الخافت أصبح مسموعاً، وإن الحاكم الذي يمد يده إلى الرشوة لا يأمن عليها من الكسر. بقي أن ينتبه الشعب من غفلته، ويعرف أن حقوقه مقدسة مرعية لا تقوى على اغتصابها يدُ الظلم.

البرق، ١٩٠٨، عدد: ٣، ص: ١

\*\*\*\*



## هذه الفوضى

نتيجة الجهل، هذه الفوضى التي يدوي صداها من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب. والجهل إذا خيم في بلد، صير نوراً قتاماً وغشياً على أبصار أهله، فتركهم يتسكعون في مجاهل غيهم ويتسابقون إلى قتل أنفسهم بأنفسهم، ويرجعون القهقري مندفعين بعوامل المفسدات إلى حيث لا تقوم لهم قائمة، متدافعين كأنهم الذئاب، لا يجسر الواحد أن يتخلف عن الآخر لئلا يمزقه بأظافره الدامية.

نتيجة الجهل، هذه الحوادث التي تنقض على رؤوس الشعب المستكن الهادئ، فيضطرب لها فؤاده، وتطير لها نفسه؛ فلا يقوى على معاطاة العمل لأنه غير آمن، ولا الحكومة تقوى على قطع دابر المتشدد الظالم. فأمسينا والفوضى ناشرة أعلامها، والنظام مستهان به، ولا يرعى أحد له جانباً. فكأنما في رجال الدوائر وهن، وهم غير أهل للمراكز التي يملأونها؛ أو كأنما الشعب أبطرتة الحرية وهو لا يفهم حقيقتها، فتطرف حتى تهوّر. فإذا لم تتداركه الحكومة، بما عندها من الحكمة والحزم، سقط صريع الجهل في مهاوي الشقاء، واستحكم منه الداء وعز فيه الشفاء.

لا عاطفة شريفة ولا مبدأ نبيل، لا مزية حسنة ولا خلق كريم. عدم بعض الناس الشعور الإنساني؛ فهم أبداً دائبون على تعكير الصفاء وتقطيع روابط الألفة. فطر بعضهم على الشر، فهم كأنما أرسلوا إلى الأرض ليلطخوا الهيئة البشرية بما يرتكبونه من الفظائع الوحشية والأعمال الأثيمة.

ألم يأتك نبأ المتقهقرين في الآستانة؟ ألم يأتك نبأ راتب والي الحجاز؟ يريد الأولون أن يحنث السلطان بيمينه، فيسترجع الدستور، ويقف حاجزاً في وجه الحرية، يمنع نورها أن يتسرب إلى أبناء الأمة العثمانية في ذلك الصقع السحيق. ولكن العدالة أبت إلا أن تقتص من هؤلاء، فنكلت بهم تنكيلاً، وجعلتهم عبرة لكل بصير، على أن العدالة التي قبضت على خناق راتب والمتقهقرين، وقفت عاجزة عن نزوة من أبناء الشر،

يعيثون فساداً في لبنان وضواحيه. إن ما تقرأه من فظائع الشقي خطار... وما جرى بين شيبوب الشقي الآخر والجنود اللبنانية، وإن ما تقرأه عن حادثتي طرابلس والمنية<sup>(١)</sup> وبعض الحوادث الإفرادية التي تجري في مدينة بيروت، يصور لك الفوضى بأقبح صورها، وينقل لك رسماً حياً عن تقاعس حكومة لبنان، وتخاذل حكومات الإيالات<sup>(٢)</sup> الأخرى، فلا تعود تعجب من تجهم السفلة الأوغاد، وتهجمهم. فإنهم أشبه شيء بأمواج البحر المتدافعة إلى الشاطئ فإذا لطمتها الصخور سقطت متكسرة على أقدامها، وإذا لم يقم في وجهها حاجز أغرقت ما يعترض في سبيلها من كل ذي حياة.

إنها لحالة وأيم الحق يستنكفها طبع الكريم. حالة لا تسلم معها عاقبة ولا تقوم معها شوكة للحكومة إذا هي لم تضع الحزم موضعه.

فَوْضَعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى

مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى<sup>(٣)</sup>

على أننا نعجب، ويحق لنا أن نعجب، من حكومة لبنان كيف أن الأشقياء يبيحون أعراض الرعية ودماءها، وهي تتلهى هنا بالسفاسف التي لا طائل لها ولا فائدة حقيقية يرجى من ورائها.

فنحن نخشى إذا ظلت الحال على هذا المنوال، أن يتفاقم الخطب ويتسع الخرق على الراقع، والسلام.

بشارة عبدالله الخوري

البرق ، ١٩٠٨ ، عدد: ١٠ ، ص ١

\*\*\*\*

## صيحة في واد

إذا ذهبت اليوم مع الريح، فلقد تذهبُ غداً بالأوتاد<sup>(١)</sup>

هو الجهل حتى تنبت الأرض قتاداً. وتملاً فساداً. وحتى يجهل الغبيُّ مقدار نفسه؛ فيسير إلى حيث يقع على أمِّ رأسه.

وهو الظلم حتى يعم البلاء، وتغضب السماء، وحتى لا ترى أبيعاً يقف بوجه الحاكم ويقول للظالم: يا ظالم.

الجهلُ والظلم أفتا الشرق، إذا حدّق في ظلمة الأول، وإذا رسف ففي قيود الثاني. وما حال من يتخبط في دياجي الجهل؟ بل ما هي حال من يزرع تحت عبء المظالم؟

منذ أمد بعيد، وتركيا العظيمة تتقلب على فراش السقام، ومنذ أمد والخائفون من أبنائها يمتصون دماءها، ويقودونها بالناصية إلى الهاوية، حتى ذهبت مثلاً من الضعف ومسخت عبرة للأمم.

أجل أصبحت مثلاً من الضعف وعبرة للأمم، وظلت كذلك حتى مزق النور ظلمات الجهل، وحطم العدل قيود الاستعباد؛ فاندفعت الناشئة العثمانية اندفاع الأتي<sup>(٢)</sup> على خائني الأمة والبلاد، وكان يومهم متهدراً.

وإذا بتركيا قاربت الشفاء، وعاورها الأمل بالحياة، وجرى الدم، في عروقها نقياً. إذا بالظلام استحال ضياءً وبالشقاء هناءً، وإذا انقلب الوجه الأرضي حتى كدت لا ترى عليه شقياً.

نسمة من نسمة الحرية انعشت آمال الأتراك، ولعة من لمعات الدستور، كانت ضياءً للمهتدين. وفي لبنان - في هذا الجزء الصغير من تلك المملكة الضخمة - لا حرية ولا دستور؛ وهل يخطب الحرية إلا العلم، وهل يسطع الدستور، إلا في سمائه النقية؟

تلك الجبال وهذه الأودية التي خصها الله بأجمل اللآلئ الطبيعية، أهلةً بقوم، كلما  
نقل غيرهم خطوةً إلى الأمام، نقلوا عشراً إلى الوراء. وكلما اقتربت الأمم ميلاً من  
الرقى ابتعدوا عنه أميالاً.

هؤلاء الناس يتلهون بأمجاد أجدادهم، ويفاخرون بغير أعمالهم، ويحاربون  
أنفسهم بأنفسهم دفاعاً عن الباطل. فيقتلون الحياة وهم يحسبونها شيئاً زهيداً. هؤلاء  
سلالة المردة، أولئك الأبطال الذين كانوا يجعلون أجسادهم سوراً حول وطنهم،  
ودماؤهم نهراً يغرق من كان يطمع فيهم – فمن لنا بأن يروا شقاوة وطنهم وسوء مصير  
أبنائه – إن بين الأمس واليوم لعبرة زاجرة للأعصر الأوتى.

إن هذا الوطن التاعس يئن من بنيه. وينوه يئنون من أولياء الأمر فيه، من رجال  
السيادة الذين أشربوا نفوسهم ماء الذل، وختموا على قلوبهم بخاتم الجهل. يئنون كما  
يئن الغدير المتدافع في الوادي. يئنون، لأن بالأنين يعرف ألم الجرح.

كانت حملتنا شعواء في عددنا الماضي، حملة من المبدأ على المبدأ، فإذا بها حملة  
على غير ما نقصد، وإذا بنا أعداء لمن كانوا أصدقاءنا بالأمس، فكفى بهذا على حالنا  
الحاضر شهيداً.

البرق، ١٩٠٩، عدد: ٢٨، ص: ٢١٧

\*\*\*\*

## شيء عن لبنان

قليلون هم الراغبون في إصلاح هذا الجبل، قليلون هم الواقفون على أطلاله يندبون سوء مصيره. وكثيرون هم اليائسون من إصلاح الحال، لأنهم يرون المخربين يعملون على الهدم، ولا يرون يداً واحدة تبني. من المتصرف إلى أصغر متوظف، من أكبر زعيم إلى أصغر مزعوم<sup>(١)</sup> كلهم يهدمون. وإذا استمرت الحالة على هذا المنوال، فما عسى تكون النتيجة؟؟

يقولون لي: نراك دائماً تصور لبنان بشكلٍ مظلم، ودائماً تمثله بحالة مزعجة، ودائماً دائماً تقطع خيوط الأمل التي يحوكها الصحافيون على صفحات جرائدهم، فتحول ابتساماتهم دموعاً وتهاليلهم مراثي.

أجل، إن الحقيقة لا تألف دائماً هذه الصحف التي تقرأون، وإذا ابتسمت أحياناً فإنما هي تفعل كندماء السلاطين، يضحكون السلطان طمعاً برضاء السلطان، أو خوفاً من غضبه. وربما كان الرياء شنشنة<sup>(٢)</sup> البعض، فيلبسون الأبيض أسود والأسود أبيض، فيضلون بذلك من حيث يجهلون.

أما الذين يرغبون في الإصلاح، الذين يحملون في صدورهم قلباً غيوراً ونفساً وطنيةً، فإني لا أسمع لهم صوتاً، حتى كدت أشك بوجودهم، وأريد بهؤلاء أصحاب الأفكار المستقلة التي لا تربطها رابطة بأصحاب المطامع. أريد بهؤلاء أصحاب الجرائد الحرة. والجرائد الحرة هي التي تقول الحقيقة أين وجدت، ولو عاد عليها ذلك بالضرر المادي. ولما كان هؤلاء الذين أعنيهم، غير ميسور وجودهم، فإني لا أزال أقول: إن الأمل ضعيف بالإصلاح.

جعجة أحزابٍ وقرقعة جمعياتٍ، في كل قضاءٍ بل في كل قرية. وقد مضى على هذه الجمعيات وهذه الأحزاب زمنٌ طويلٌ. فماذا صنعت من خير هذا الوطن؟

أُنشأت هذه الجمعيات الخيرية الأدبية، مدرسةً صناعيةً أو ملجأً خيرياً، أو أُنشأت عملاً يذكر ولو زهيداً؟؟ وهذه الجمعيات السياسية التي تدعي أنها من أكبر أنصار الإصلاح، أي شيء غيرت في هيئة الحكومة؟ هل وقفت في وجوه رجال الزعامة. أَمَهَّدَتْ لأصحاب العقول المفكرة، سبيلاً إلى إشغال المراكز في دوائر الحكم؟ أم وضعت نصب عينيها، مشروعاً حيوياً وباشرت العمل فيه؟

أجل إن غاية ما يصنع حتى الآن، عزل أناس وتنصيب آخرين؛ وقد يكون في من ينصبون من هم دون المفصولين خبرةً وإخلاصاً. هكذا كان لبنان، أحزاباً تتطاحن وأموالاً تبذل وبيوتاً تخرب، وكذلك هو اليوم. غير أن الأحزاب اتخذت لها أسماء غير أسمائها الأولى. فبالأمس كان حزب واصل<sup>(٣)</sup>، وفرنكو<sup>(٤)</sup>، ومظفر<sup>(٥)</sup>. واليوم حزب الأحرار، والمحافظين، والمتقهرين.

لا يضيع حق وراءه مطالب. وكذلك الإصلاح؛ لا يضيع إذا كان في البلاد مُصلحون، إذا كان فيها رجالٌ مجردون وصحافيون يقولون ما يعتقدون، وما يرون وما يسمعون.

أكاد أجزم بأن ليس في لبنان من يفكر في إصلاحه؛ وإذا فكر أديب مرة، فما هو مما يقاس عليه. ومتى ثبت أن ليس من يعمل على الإصلاح، فكيف يمكن أن نرقى؟ متى ثبت أن الجهل، والانقياد، وحب الذات، ضاربو الأوتاد في لبنان من شماله إلى جنوبه، من شرقه إلى غربه، فكيف يمكن أن نعلق آملاً على المستقبل؟

نحن هنا نعتقد أن المهجر ينشئ لنا رجالاً يصلحون ما يفسده كبارنا وزعمائنا، ويعتقدون في المهجر، أن الناشئة هنا، ستقلب الهيئة الحاضرة، وتقيم على أنقاضها هيئةً تناسب العصر الذي نحن فيه. وبين اعتقادهم واعتقادنا خسارةً لا تعوز لو ننتبه وينتبهون.

ها قد تقرر أن الجوالي<sup>(٦)</sup> في المهجر، وأن الناشئة في الوطن يضللون الرأي العام، لا عن سوء قصد، فكيف ولم؟؟ جرائدنا هنا إما مشتراةٌ وإما مسالمةٌ وإما متاجرة. وهي لا تقدر أن تكون إلا كذلك. ولماذا؟ لأن اللبنانيين إما طماعون، وإما خاملون، وإما جهلاء.

«ولا أذكر هنا القسم القليل الراقي» وبحكم الاضطراب تجري الجريدة مع قرائها ونصرائها، على ما يحبون. فهي إذاً منقادة لا قائدة، بل هي كالحرباء تتظاهر بما يكون قد أثره عليها أصحابها.

وجرائدنا في المهجر هي، والحق يقال، أخلص نية وأقوم قصداً، ولكنها تبعد عن الحقيقة أحياناً، بمقدار ما هي بعيدة عن دائرة العمل؛ ولذلك أسباب كثيرة أهمها اعتقاد جرائدنا في المهجر الصدق والحرية، ببعض جرائدنا في الوطن. واستناداً على هذا الاعتقاد الذي كثيراً ما يكون في غير محله، تأخذ هذه الجرائد بتطويب فلانٍ وتقبيح فلانٍ الآخر، وترجيح رأي هذه الجمعية على رأي تلك، بحيث يختلط الحابل بالنابل، ويشتبك الرأي الصائب بالرأي الفائل<sup>(٧)</sup>.

وكل هذا لا يعد شيئاً بالنسبة الى تغيير المراسلين. فإني أعرف منهم من يتخذ جرائد المهجر واسطة لتنفيذ مآربه أو مآرب من استخدمه. وقد تكون الجريدة الناشرة لتلك الرسالة واثقة بمراسلها فتضل بها وتضل.

فكيف إذاً والحالة هذه، نعلل النفس بتحطيم القيود التي نرسف بها؟ ومن هم يا تُرى الذين يرغبون بالإصلاح مجرداً؟؟؟ إن الزمن الذي مضى على الزعماء والأحزاب والجمعيات، وكل دعاة الإصلاح كافٍ لأن يكون له بعض نتيجة. فأين هو هذا البعض؟ أفلا أقدر أن آخذ ذلك برهاناً على أن هؤلاء لم يكونوا يعملون كل هذه المدة، إلا لأنفسهم، ولو خرب الوطن؟ أفلا يمكنني أن أقول للجرائد التي كانت موالية لحزبٍ دون الآخر، أو لشخص دون سواه، إنها كانت تبائعهم على الباطل، وإنها كانت تخون الشعب الذي يغذيها؟.. أتريد هذه الجرائد أن تقول لنا إن الشعب عدو نفسه وإنه متمسك بزعمائه إلى حد أنه لا يريد أن يسمع بهم تنديداً؟ أتريد أن تقول إنها إذا انتقدت فريقاً ترجع إليها أعدادها، فلا تقدر بعد أن تعيش؟.. فلترجع إليها أعدادها، وليختنق صوتها، في سنتها الأولى، فهو خير لها من أن تعيش لتميت وطناً بأسره.

قلنا وأثبتنا أن لا أحد يعمل على الإصلاح، فهل يجب أن يسكت الأفراد الراقون وإن كانوا عدداً قليلاً؟ هل يليق بنا أن ندع وطننا فريسة بين أنياب الذئاب، وفيه لنا أمهات ووالدون، وزوجات وإخوة وبنون، بل فيه كل ما يسمو إليه الفكر من جمال، وما تطمح فيه النفس من ثروة؟؟

فهل من وسيلة لإيقاف هذا التيار، سوى تعليم الشعب ما له من حقوق، وما عليه من واجبات نحو نفسه، وقريبه، ورئيسه الديني والمدني، وبالعكس، أي ما على كل هؤلاء من الواجبات نحوه؟ هل من وسيلة لأن تفهم هذا الرجل من الشعب، أنه مساوٍ لذاك الرجل من سلالة الإقطاعيين أو المأمورين أو غيرهم؟ هل من وسيلة لأن تبين له أنه مطلق الإرادة يفعل ما يراه حسناً، لا ما يراه غيره، ويجتنب ما يراه قبيحاً؟ هل من وسيلة لأن تجعله يميز بين الحسن والقبيح، والنافع والضار، والخير والشر؟ وأخيراً، هل من وسيلة لإفهام هذه الألوفاً أنه من العار عليها أن تنقاد لرجلٍ واحدٍ يقول لها: اذهبي إلى بيت الدين، فتذهب إلى بيت الدين، وانزلي إلى بيروت، فتنزلي إلى بيروت وهي لا تعلم لماذا؟ ما هي الوسيلة أيها الإخوان المنتشرون في أقطار العالم، إلى قلب هذه الهيئة التي تشتغل لأنفسها، وإبدالها بهيئةٍ تشتغل للأمة وللوطن؟

فكرت في ذلك، وعرضت نتيجة هذا التفكير على بعض الأدباء المشهود لهم بالعلم وصدق الوطنية، فاستحسنوه، غير أن منهم من رأى الفكر كبيراً يطول على من رآه، ومنهم من أبدى عليه بعض الملاحظات فشكر عليها.

الفرد مهما كان كبيراً لا يقدر أن يأتي عملاً كبيراً، ولهذا وجدت الجمعيات، أي لتأتي أعمالاً كبيرة شأنها الآن في الغرب. ولما كان علّة شقاء الشعب اللبناني جهله واستبداد رؤسائه فيه، كان لا بد لنا من إزالة هذه العلة. وبماذا نُزيلها؟

نزيل الجهل بالعلم، ونطحن الاستبداد بالقوة. فيجب علينا إذاً، أن نُعلم الشعب، صغيراً كان أو كبيراً. فالمدرسة للصغير، والصحافة للكبير؛ وأريد بذلك أن يُبحث عن الأذكياء من أبناء الشعب الذين لا مقدرة لوالديهم على تعليمهم، وإدخالهم إلى المدرسة على نفقة الجمعية، وأن تُرسل الجريدة التي يُحرر مواضيعها الراقية نخبة من أفاضل



الكتاب، إلى مَنْ يطلبها مجاناً، من اللبنانيين، لِيَسْهُلَ لكل فردٍ الاستفادة منها. وعلى هذه الجريدة أن تكون القوة التي تحول بين الظالم وظُّلمه، والخائن وخيانتِه؛ بل عليها أن تكون المُدافعة عن حقوق كلِّ وطنيٍّ، ولو كَلَّفَها ذلك تعباً جسيماً.

هذه الجمعية القائمة الآن في مخيلتي، المؤلفة من كل عناصر اللبنانيين القائمين في لبنان، والمنتشرين على سطح الكرة الأرضية، هي الوسطة الوحيدة على ما أظن، لأن تجعل لبنان زاهراً سعيداً.

ألفا مشترك لهذه الجمعية، يدفع كل منهم ذهباً واحداً في السنة دخلاً دائماً، مع بدلات اشتراكات الجريدة وريع المطبعة، وتبرعات الوطنيين، تكفي لأن تأتي عملاً مذكوراً بل عملاً مشكوراً.

هذا هو الحلم الذي أتلذذ به الآن، ولا يبعد أن أَسْتَيْقِظ يوماً، وأرى شعاع الحقيقة يمزق أستار الوهم. فقد سئمنا الحياة مع الجهل، ومللنا التعلل بالأمانى الكواذب.

هذه هي نقطة الدائرة التي سأعود إليها، ورجائي أن أرى الأفكار تحوم على هذا الموضوع، والهمم تنهض إلى تحقيق الآمال. وإني تاركٌ إلى إخواننا - وأخص منهم المهاجرين - رأيهم في ذلك؛ فإن حالتنا أصبحت لا تُطاق.

وما عسى يُؤمِّل من شعب معظمه جاهل، وحكام كلهم مستبدون، ونواب أكثرهم خائنون؟.

البرق، ٨ أيار ١٩٠٩، مج: ١، عدد : ٣٥، ص : ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨

\*\*\*\*\*

## حول الموضوع [١]

صدى مقالاتنا الماضية - تنبيه الأفكار - استعداد بعض المشهود لهم بالصدق لمباشرة الإصلاح - بصيص أمل في المستقبل.

يسرنا وأيمُّ الحق، أن يكون لكلمتنا عن لبنان، في عددنا الماضي، هذا الوقعُ الجميل في أنفس الأفراد الراقين من أبناء جبلنا المحبوب.

ويسرنا أن تكون مكافأتنا على خلوص نيتنا، ما كتبه إلينا أصدقاؤنا في الأماكن المختلفة، من عبارات التنشيط التي أثارت بنا كوامن الغيرة، وأحيت بنا أملاً يلاشيه ما يقابلنا به أصحاب المطامع، ورجال الغايات من المعاكسة والمجافاة. فليعلم ذوو المناصب العالية، أن الشعب قد بدأ بالشعور الحقيقي، وليطمئن الشعب الهادئ الساذج؛ لأن قوةً كبيرة ابتدأت تتألف من إخوانه الحقيقيين في الوطن وفي المهجر، لتُقيم حدود المساواة والعدل والحرية. وإننا ننشر هنا مع الفخر، رسائل الوطنيين الصادقين، وفيها صورةٌ حية لأنفسهم الكريمة التي تعرف الواجب وتقدهه:

أخي بشارة:

### شيء عن لبنان

تحت هذا العنوان قرأت لك في العدد الأخير من البرق، ما لم أقرأه لك فيه من قبل؛ وكأنك أردت أن تكتب (شيئاً عن لبنان) فذكرت أشياء كثيرةً، وأنحيت باللائمة على اللبنانيين وأحزابهم وجمعياتهم، إنحاءً شديداً، واندفعت على الجرائد اندفاعاً لم أتوقع حدوثه منك، مع ما أعهدده من طول أناتك وشدة إغضائك على القذى.

لم أكن لأريد أن تكتب شيئاً اليوم يا أخي، لأنك جاهرت من عهدٍ غير بعيد بهذا المبدأ الطيب، وهذه الأفكار الراقية. فماذا كانت النتيجة؟- خسارة مادية إذا تجاهلت بها أنت، فلا أجهلها أنا، وبات كثيرون ينظرون إليك شزراً؛ أما الذين شعروا الشعور الحي، فقليل ما هم!..

أنا لا أظنك في ما تقول، إلا في وجهٍ واحد، وهو أنك عممت القول ولم تستثن أحداً؛ كأن النظرة الإجمالية التي ألقيتها على هذا الجبل التاعس، جعلت حجاباً كثيفاً على عينيك، فلم تقعا على صغار العمال المنبثين في زوايا لبنان، الذين ينتهزون الفرص للقيام بالأعمال، وإن كانت صغيرة.. يوجد يا أخي نفوس كبيرة في غير الذين تعنيهم، لا يرتزقون من الأحزاب، ولا يتاجرون بها، ولا يملقون، ولا يدلسون، ولا يكذبون، ولكنهم يتلقون (بذور الزارعين) بفرح ويتخذون من وميض (البرق) أقباساً يستنيريون بها في ظلمات المستقبل المجهول.

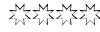
لا تلم الجرائد يا أخي على جبانيتها وانحياز كلٍّ منها إلى فريق، فإنها تتخذ بذلك طريقاً للحياة. وكلُّ جريدة لا تنتمي إلى حزب وإن كان سافلاً، لا تحيا طويلاً.

أنت تريد أن تجهر الجرائد للشعب بأن لا يتمسك بزعمائه، إلى حدٍّ أن لا يسمع بهم تنديداً.. أنت تريد أن لا تعمل الجريدة لنفسها بل للشعب الذي يُغذيها، وإلا كانت خائنة. أنت تريد أن تكون حرةً مخلصمة متفانية في خدمة الوطن اللبناني، تطعن في صدور المستبدين، وتصعق رأس الكبير قبل الصغير، ولا بأس إذا رجعت إليها أعدادها، واختنق صوتها؛ فهو خير لها من أن تعيش لُتميت وطناً بأسره!.. ذلك منتهى الشهامة يا أخي. ولكنني أرى أن الفساد الثابت في الرؤوس القديمة، لا يمكن أن يُستأصل اليوم؛ فعليك بتدبير الرأس الصغير - أفض في حثِّ جرائد المهجر والمهاجرين! فإننا نتوسم فيهم روحاً حياً أُشربوه من تلك البلاد الراقية؛ وضمَّ آراءهم إلى آراء المفكرين في لبنان؛ وحينئذ تكون الجمعية التي تدور في خلدك. ومتى كانت

الجمعية، كان ما ترجوه من رقي الأمة. وما هي إلا فترة من الزمن حتى ترى شعباً راقياً يقرأ ويفهم ويشعر ويتولى الأعمال عن عقل مفكر وعلم واسع.

هذا بعض من كثير مما أريد بسطه لك، أيها العزيز. فانظر إذا شئت إلى الإصلاح، من هذا الوجه الأخير. فهو أضْمَنُ - لا لحياة الجريدة، فإني على ثقة بأنك لا تكتب ما لا تريد - بل لحياة مَنْ لا نُريد أن يظللوا منقادين انقياداً أعمى يمضي بهم وبأولادهم إلى الهاوية.

ابراهيم منذر<sup>(٨)</sup>

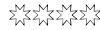


صديقي

إن حديثك عن لبنان، في العدد الأخير، هو والحق يقال، صوت لبنان الذي يتألم اليوم من جمعياته وأحزابه وزعمائه وصحافته. بل هو صوت الحقيقة التي قلماً جاهر بها إنسان وسلم من السنة مَنْ يدعون الوطنية، وينادون بالإصلاح، وهم عن الإصلاح والوطنية بعيدون. وإن لم تُسمعك أودية لبنان، ورباه، صدى صوتك اليوم، فعسى أن يُسمعك إياه، المهجر لأن البعد عن الوطن، غالباً يُقرب المرء من حب الوطن الحقيقي المجرد عن المآرب الذاتية والمطامع السياسية.

صديقك

أمين ریحاني



أخي

إن كلمتك عن لبنان، في العدد الماضي من «البرق»، صادفت استحساناً في قلب مَنْ أحب لبنان. وتأكد يا أخي أنه، وإن لم يكن الآن حظُّ تلك الكلمة، عند الزعماء، وعند

بعض اللبنانيين، فليست هذه بأول مرة رأينا الحقيقة ضائعةً عند هؤلاء القوم. وسيأتي يوم لا يذكرون لك هذه الكلمة إلا ويذكرون الضمير الحرّ والوطنية الصادقة، والعواطف الشريفة، والمخيلة الحساسة التي أملت عليك فكتبت ما كتبت.

وأنا أسألك بحق لبنان الوطن المحبوب أن تثابر على هذه الكتابة، المرة بعد الأخرى، شفقةً على بقية زملائ حية بين تلك الآكام، وذكري لقومٍ نائمين. والسلام عليك.

**من: رشيد تقي الدين**

البرق، ١٥ أيار ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٦، ص: ٢٨٧ و ٢٨٨

\*\*\*\*

## حول الموضوع [٢]

ورد علينا كثير من رسائل الفضلاء، وملؤها التنشيط على معالجة الموضوع اللبناني الذي طرّفناه في عددنا الأسبق. فاكثفينا بنشر الرسائل الآتية، شاكرين لجميعهم الغيرة المجسمة في كل كلمة من رسائلهم:

قرأت مقالتك الأخيرة عن لبنان؛ فرأيت فيها غيراً متقدّمة، ولهجةً وطنيةً حقّة. ووقفت طويلاً عند كل كلمة ندّدت بها على ما هناك من الخلل، وشعرت باندفاعك الشديد نحو الإصلاح، ورغبتك الكبيرة ببلوغ ذرى التقدم، وموت الأحزاب التي تسعى لغاياتٍ خصوصية، ولو ضحت في سبيلها أمة بأسرها.

على رسلك يا أخي. فإن الأصوات وإن خفتت، والمآرب وإن ساءت، لا بد لها من الانقلاب، عاجلاً كان أو أجلاً. سنّة الله في خلقه وليس لسنة الله تبديل.

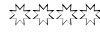
لا بد لهذه الأصوات الساكنة أن تعلو يوماً، ولهذه الأحزاب الشخصية أن تتلاشى. فالأمة متى دخلت في النور، وتمزقت عن عيونها براقع الوهم، لا تقبل بهذه الحالة التي هي عليها. وكذلك لا يجب على الشبيبة الراقية أن تستسلم لليأس والقنوط، لأن في لبنان اليوم أفراداً نسمع صوته من حين إلى آخر، فترى ثمة صوت حرية الضمير، ممزوجاً بالحب الأكيد والإخلاص التام، وعلى هؤلاء الأفراد إن في لبنان أو في المهجر تُبنى الآمال، لأن صوت الحق إذا ذهب اليوم مع الريح، فسيكون له في المستقبل، بكل صدر، دويٌّ عظيم.

وليس الذنب وحده على الأحزاب، بل الذنب على كل لبناني يشعر ويفهم ولا يسعى. يشعر أن الشعب بحاجة إلى التعلم، ويفهم جيداً أنه لا يتوصل إلى الرقي المطلوب إلا بهذه الوساطة، ولا يسعى لتعميم المدارس في بلاده، إن بالمال أو بالقول أو بالعمل. لا ذنب على الأحزاب لأنها هكذا نشأت وهكذا ترعرعت، ولم تجد قط مانعاً لها؛ بل بعكس ذلك لم تكن ترى إلا منشطين؛ فسارت لا تلوي على شيء، وتقدمت إلى غايتها

غير مهتمة بما سيكون وراء ذلك من خير أو شر. فمتى تعلّم الشعب وعرف حقوق وطنه عليه، وحقوقه على وطنه ورؤسائه، يقوم بوجه هذه الأحزاب، فيضطرها إلى التشتت، ويُنشئ له أحزاباً جديدة غايتها منفعة الوطن ونجاحه، كما نراه في جميع البلاد الراقية. فالأحزاب هي حياة البلاد؛ إنما يجب أن تكون غايتها منصرفة لا إلى فرد بل إلى مبدأ، فتعمل عند ذلك لنجاح الوطن.

فأكرم بهذه الروح التي تتجلى على صحيفتك، وتختلج في صدر القلائل من مواطنيك! ويوم تتابع الأصوات العارفة نافخة في بوق الإصلاح، مستعدة عن كل غاية سياسية أو مادية، يوم تنشر المعارف وتعم المدارس نبشّر لبنان وغيره، من البلاد العثمانية بالنهوض ونبشرك بإبراز فكرك إلى عالم الوجود إن شاء الله.

#### يوسف نخله ثابت



لم يتيسر لي أن أقرأ العدد الخامس والثلاثين من «البرق» الذي لمّح في «شيء» عن لبنان قبل العدد السادس والثلاثين المذكور؛ فقرأت اللمحة اللبنانية، وكنت أتمنى عند قراءة كل سطرٍ من سطورها أن يكون شهاباً لامعاً في كل لبنان، فيراه ويقراه كل فردٍ في لبنان، لما تضمنه من التجرد التام، والتنزه المطلق وطلب الإصلاح الصحيح.

ولا أريد أن أُلْهِيكَ ولا أُلْهِيَ قراءك الكرام؛ بإطراء ذلك المقال، لأن القول الحسن كثير والرسائل الإصلاحية عديدة من كتابنا المجيدين، وكلها يستحق المدح والثناء، ولكننا كما تقول، أفقر اليوم إلى الأعمال منا إلى الأقوال.

وكل يعلم أن الشعب اللبناني بفطرته، حَسَنُ الطوية، شريف النية، مخلص القصد، نبيله. فإذا كثر انتشار المقاصد الإصلاحية المنزهة المجردة بينه، لا يكون أسرع منه إلى الائتلاف والانضمام، ولا أقدر منه على الاندفاع إلى الأعمال المجيدة التي يرتقي بوطنه فيها إلى مراقي التمدن وذرى العمران. ولا أريد أن أُسهب في الكلام الآن عما تقدم، لئلا يمل قراءك الكرام من طول البحث في موضوع واحدٍ والسلام.

#### شاهين الخازن

مقالتك في العدد ٣٥ «شيء عن لبنان»، لم تكن أول برهانٍ على وطنيتك الحقّة وإخلاصك الأكيد، ولا الحقيقة الأولى التي أبنتها بكذا جرأة مدهشةٍ عرفتُها فيك.

إن جعجة الإصلاح التي ذكرتها، لم تكن لمجرد الإصلاح، ممن ينادون به، وهم عن الإصلاح بعيدون؛ إن هنالك أمراً آخر يا أخي، يطلبونه. ومتى وصل أحدهم إليه انتهى الإصلاح عنده، بل بالحري انتهى كل شيء.

لكن ما نحوت به، بصورة عمومية، من اللوم على جمعيات لبنان، إن لم تكن مصيباً بأجمعه، فأنت ولا شك، مصيب بأكثره. على أن وراء تلك البناية التي أنت من جملة أركانها، قلوباً كبيرة ونفوساً شريفة وأيدياً عاملة أخذت بذورها تنبت، ولا أرى زمن الحصاد ببعيدٍ. على أنني أطلب إليك يا أخي، أن تداوم على بث مثل هذه الأفكار؛ وبذلك تقوم بالواجب عليك، وتفي بالعهد الذي ارتبطت به، ولست إلا من الصادقين!

**جبرائيل نصار**

البرق، ٢٢ أيار ١٩٠٩، مج. ١، عدد: ٣٧ ص: ٢٩٤ و ٢٩٥

\*\*\*\*\*



## وطن ضائع

لبنان الذي ضرب أبنائوه في الأقطار الأربعة أضاعوه. والجبل الذي أدرّ اللبن والعسل على أبنائه رذلوه. فعمامة الثلج التي على رأس صنين<sup>(١)</sup> هي كفن للشيخ<sup>(٢)</sup>. والأنهر التي تتفجر من الصخور هي دموع الطبيعة على الميت.

كان يعلل النفس بكسر القيد. ويفتر للأمل اللامع من وراء البحر فإذا بالتعلة أصبحت علة. وإذا بالأمل أصبح مللا.

صدّرت «المنارة» سنتها التاسعة بعدد مزدوج جالت<sup>(٣)</sup> فيه أقلام الكتاب فكان للبنان نصيب من سهامه. وصدّر العدد بمقالة لفارس أفندي نجم محررها السابق وفيها شكوى من لبنان ونظامه.

الإخوان في البرازيل قرأوا على ما أظن حكاية الثعلب والطفل؟

فعلى رسلكم أيها الإخوان. إن الحكمة تقول خير الأمور الوسط فلنكن حيث تقول الحكمة.

لفارس أفندي سؤالان: الأول - لماذا لا تسمح الدولة للبنان بفتح ثغوره<sup>(٤)</sup>. والثاني - لماذا لا تضطرها الدول الحامية<sup>(٥)</sup> الى الفتح. ويفسر السؤال الأول رغبة الدولة بمحو النقطة السوداء ويفسر الثاني تقاعد اللبنانيين «في الماضي» عن المطالبة بحقوقهم ومتى عمل الثاني أبطل الأول - من أجل هذا جاهد فريق هنا في هذا السبيل ومنه «مجلس الإدارة».

إن لبنان لم يكن نعمة الحكومة الماضية. فأى لبن امتصت منه تلك الحكومة إلا إذا كان هناك شيء أضاعه جهل اللبنانيين أنفسهم.

مهما ساءت حالة اللبنانيين تظل خيرا من كل حالة سواها. أفليسوا هم الحكومة وهم الجند؟ أو ليس لبنان حكومة ضمن حكومة ترعاه الدولة ولا تأخذ منه بدلا لرعايته.

أجل إن جهل اللبنانيين للقوانين وعدم أهليتهم للامتيازات التي منحت لهم. كل هذه الأسباب تجعلهم يستهينون بأنفسهم ولا يهتمون منها للوصول الى محبة السعادة التي يسعى إليها كل نسمة في الوجود.

ليس من الدولة يطلب إقامة المعاهد والمصايف ولا منها يطلب «إنشاء المتنزهات ولتسهيل وسائل الراحة» ذلك في الولايات نفسها يطلب من المجالس البلدية ولهو كذلك في لبنان.

فعلى الشعب الذي منه تتألف المجالس البلدية أن يقوم بهذه المكملات والبلدية كالحكومة في لبنان. كلاهما من الشعب يتألفان. ومع ذلك فلم نرد العمل في إصلاحه.

يقول فارس أفندي «إن الدولة الدستورية لم تمد إلى لبنان يد الإصلاح ليدركها أهله. إن في الانضمام الى الدولة الجديدة الحياة التي لا يجدها بلد لا دولة له».

ونقول له أعطنا شعبا عارفا بحقوقه متحدا بقلوبه لنجر المتصرف<sup>(٦)</sup> عن كرسيه ونهدم مجلس الإدارة<sup>(٧)</sup> على رؤوس من فيه. ونقول للدولة العلية أعطينا أفضل من هذا متصرفا ودعينا ننتخب أفضل من هؤلاء نوابا فقد سادنا الجهل ولكن إلى حين. ومنذ ذلك نرى إذا كانت الدولة لا تسمع صوتنا وإذا كان ندائنا لا يجاب.

إذا لم تتكفل كل ولاية بإصلاح الدولة السريع وترميم ما هدمه العهد الماضي وبعد هذا فلنفترض أن لبنان من هذه الولايات التي تشتغل لنفسها.

لنشتغل إذاً لنؤلف جمعية قوية. لنبذل المال في سبيل تعزيز حقوقنا. ولكن شعبا راقيا. ما بالي لا أسمع إلا أصواتا مختلفة. أرونا عملا واحدا بدلا من مليون كلمة تقولونها.

«يجب أن يكون للبنانيين وطن»

فما هو الوطن إذاً؟

هو مقر الإنسان له فيه ما لإخوانه من حقوق وعليه ما عليهم من الواجبات.

وهل انطبق هذا التحديد على غير اللبنانيين من جميع عناصر الدولة.

إن حكومة لبنان من شعبه وهي مطلقة اليد في إنشاء المشاريع ومنح الامتيازات  
بتعدين المعادن وتوليد الكهرباء فبقي أن نكون رجالا لنصلح أنفسنا.

فبقي أن نبذل المال «لإنشاء المصانع التي تدار بقوة الكهرباء وتتولد من شلالات  
الأنهر الكثيرة».

إن تذلل اللبنانيين لقناصل الدول وتراجمتهم نتيجة الجهل. أما النظام الذي  
وضعه أقطاب السياسة الأوروبية فلا يخلق بنا أن نعده وهما.

وقد خلط «ق . م» بين الاستقلال المطلق والاستقلال الإداري. لهذا كان كلامه  
خارجا عن الدائرة اللبنانية في كل نقاطه الأولى.



أنا لا أسمى هذا العيد استقلالا إذ ليس كذلك ولا أنظر إليه معتزا لأنه جاءني عن  
طريق العار. وأنا أول لبناني يطرح<sup>(٨)</sup> الحجاب على يوم ٦ أيلول<sup>(٩)</sup> وينظر إلى حالة  
لبنان الحاضرة كنتيجة لمقدمة منسية.

البرق، ١٩٠٩ عدد: ٥٩، ص: ١

\*\*\*\*

## هذا الجبل

إذا لم ينهض اليوم فسينهض غدا. وليمزقنكم بردا وليزلزلن بكم عرش الظلم، وليدكن بكم صرح الجهل. فإذا ختم على قلبه فإنما إلى حين. وإذا أغمض الجفن فإلى أمد أقصر من قيد الرمح، فاستبدوا واطلموا فمصيركم الهاوية لو تعلمون.

كونوا أرقاء، وكونوا مأجورين، وكونوا أذلاء وكونوا كما بؤاكم سيدكم، فإن إرادة السيد يا عبيد مقدسة، واطعنوا صدر وطنكم بحراب يضعها في أيديكم وما تطعنون بها سوى أنفسكم وأنتم لصغارة في نفوسكم وعماء في قلوبكم وكلب على وظائفكم بتم لا تميزون.

ساعدوا ما شئتم على تفريق العناصر وبثوا رسلكم في شعاب لبنان ومنعطافته. وقولوا بعد ذلك إن خصومكم تعمل على تكدير الأمن ونشر الفوضى ولو كنتم عقلاء لعمدتم إلى غير هذه الوسائل التي ستجنون منها الدماء طاهرة وتذكون بها جذوة فوضى قد يطير لها صوابكم وتتقطع لها قلوبكم فيرجع كيد الكائد إلى نحره وتسقطون في حفرة نبشتموها، لقوم لا ذنب لهم سوى أنهم غضاب عليكم لأنكم خونة.

أحكومة مطلقة... نكون حزبا يناضل حزبا آخر، ورئيس حكومة مطلقة أقل صفاته الحقد وأعوان وأذيال لا يقدرسون سوى مصلحة أنفسهم يعملون على خنق الأفكار وقتل الضمائر وإحياء الضغائن ومع هذا فحكومة الاستانة تنظر ولا تمد يداً الى جسم هذه المشاكل الداخلية. كأن فتیان الترك يجهلون ان الفتنة أقرب من الأقرب بعد حوادث القتل التي تجري بين بعض جهلة الدروز والمسيحيين وكأنما الدول تنتهز هذه الفرصة حتى تمد يداً الى ثلثة في لبنان تنفتح معها مسألة لبنانية هي قادرة على سدها اليوم وقد يصعب الخرق على الراقع فيما بعد.

نحن من غير رأي الذين يقولون بالالتجاء الى غير الدولة ولكن هذا الإغضاء من دولتنا العزيزة يوقع القلوب في اليأس، وهل من فرق بين اليأس والموت والشعب يطلب نوراً ويطلب حياة.

يقول لنا الشعب اللبناني علام لا تجيبنا حكومة الأستانة إلى مطالبتنا ولا تصيخ إلى شكاويتنا ولا تحرك إصبعها لتزيل هذا الظلم عنا، أفلا تدعي أنها والدنا لنا فأين هو حنانها ونحن في حالة تتفتت لها أشد الصخور قساوة، أين هو ذلك الحنان؟

ونخشى إذا بقيت هذه الحكومة الحزينة لا تفكر سوى نصب المكاييد لخصومها السياسيين ومحاكمة الصحافيين منهم أن يزيد حبل الأمن اضطراباً، وتزيد الفوضى انتشاراً، ويقع ما نحن خائفون وقوعه فيبقى ذلك عارا مرسوما على جبين المتصرف وكل رجال سياسته الخرقاء.

إذا لم يبال هذا المتصرف بنا فقد سبق له واستخف بالحكومة نفسها ذلك يوم داس قرار محكمة التمييز بنقض الجناية إذ أعاد دعوى زوين لدائرة الاتهام بعد أن أوجب مجرد النقض إخلاء سبيل أسيره ولم يفعل.

لم يفعل لأنه يريد أن يسجن زوين بك لانتقام شخصي، ولأنه اعتمد على أصنام متحركة لا ضمير لها ولا عاطفة ولا شعور، ولأنه يريد أن يسترجع هيبة سحقته بأرجل الوفد من أهل لبنان يوم بيت الدين.

لم يفعل بأمر الصدارة لأنه على ثقة من أن محكمة المتن تصدر مثل الحكم الذي أصدرته على جرجي بك زوين وهو الذي بلغنا هذه الساعة ونحن عند هذه العبارة.

قالوا حكمت محكمة المتن على جرجي بك زوين بالسجن سنة وثلاثة أشهر وبتغريمه أربعين ليرة عثمانية رسوما ومصاريف.

لو علمت هذه المحكمة أنها سجلت بيدها وصمة عار على نفسها ولو علمت بما يقوله فيها الناس لاختارت تحت هذه الأرض نفقا وحسبها أننا نعتقد فيها بعد عملها هذا رقاً لا تنبته نفس نريدها لرجل نعرفه.

كل ما دلت عليه أقوال الشهود الذين سمعنا لا يستوجب حكم محكمة المتن، فكيف يريد هؤلاء الناس أن نقول إن حكمهم لم يُلقَّنوه تلقينا. ومن الصغار أن رجلا يدعي الشرف ونقاوة الضمير يسلم قياده لقوم لا شرف لهم ولا ضمير.

يقولون إن فارس أفندي مشرق يتجول في قرى المتن عاملا على تقوية حزب المتصرف.

وقالوا لنا إنه قصد إلى المتين لمناهضة بيت عقل شديد، وقالوا إنه خاطب بعضهم في المروج وفي غيرها بشأن إدخالهم في الماسونية كأنما هو يريد أن يجعل حزب الحكومة من جماعة البنائين، وإنه ليضحكك إذا عرفت من الذي خاطب ومن الذي ينتقي.

لا لوم على فارس أفندي لأنه افتتح بماسونيته قارة جديدة ولكنه يلام لتدخله في المسألة التي نحن بصدها كما بلغنا.

نعود إلى مخاطبة الدولة. نقول لها إن الشعب لن يصبر على إهانة هذه الحكومة الحزبية له وسجن نائبه واختلال الأمن في ربوعه وإراقة دماء ذويه فهو يلتجئ إليك رجاء أن تنقذه ويهمس في أذنك ما يردده عقلاء قومه في هذه الأيام.  
نرى خلل الرماد وميض نار  
ويوشك أن يكون له ضرام<sup>(١)</sup>

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩١٠، عدد: ١٠١، ص: ٣٩٧

\*\*\*\*\*

## دمعة على ظل

تلك ربوعهم، فقف بها وقفة امرئ القيس على الطلل البالي. وهذه أمجادهم تُداس  
لا بأخفاف المطي بل بأخفاف الليالي، وأبك العز عفت معاملة، والمجد أشجاء طاسمه.<sup>(١)</sup>  
فقد خنت الوطنية إذا لم تقف في معالم القوم، وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه.<sup>(٢)</sup>

ثم سل إذا صادفت مجيباً غير الغدير، ينن بين الصخور كالمرأة التكلي خطف  
الذئب وليدها؛ فهي وراءه تهرول أو كالسهم زل عن القوس، فهي ترن وتعوّل. وما أنين  
الغدير، على غير وطن خانه بنوه، وجنف عليه ذووه. فهو لباس للمسح، أو ينفلق فجر  
الإصلاح، وزحاف على الحضيض، أو تخفق راية الفلاح. فقد علت يده إلى عنقه وما  
اجترحت نكراً، ويبس لسانه في فمه وما نطق هجراً، ولكنه خمول القوم مجلبة هذه  
الطوارئ، وكفى بها عبرة ذكرى.

وإذا سألت عن الداء، وقد تقادم به العهد، فحول نظرك إلى هذه المعمة، وقد عقد  
عليها العثير سُرّادق مطنبة؛ ترى الأخ يحمل على أخيه، والولد يطعن في صدر أبيه،  
والنمّام ينفث سمه في الصدور، والمداهن يلين لك مجلسه، حتى إذا انقلب، كان عقرباً  
يسعى، أو هو الأفعى. فلا صلة للألسنة مع الضمائر، ولا تنم الوجوه بما انطوت عليه  
السرائر، حتى كأن السماء غضبت على الأرض، فلا تُنبِت لساناً حراً، ولا جناناً برّاً، أو  
تمطرنا غيثاً مدراراً، فيغسل هذا الدرن المتراكم؛ أو تنفحنا ريحاً إعصاراً، فيجرف هذا  
الوباء المتفاقم، فإننا ورب الوجود، قد سئمنا الوجود.

ودونك عن شعب لبنان جواباً وأنت غير سائر؛ شرائم تنقاد كما انقادت لراعيها  
السوائم بلا علم يكون حجة على القائد القوم إلى الهاوية لمطمع يبغيه، ولا نصل في  
كف أروع يشق الصدر فيستطلع خافيه، ولا جامعة توجه العقول فتحكم بالآلفة فتتشد،  
ولا رابطة بين القلوب فتقضي بالوطنية، فتعبد، ولا قدم تسعى إلى المجد فنسعى وراءها

عشراتٍ ومئین. ولكنهم يسعون إلى مصلحة أنفسهم، فيتوزعون قطعانا لا رأي لهم فيُسمع، ولا قول لهم فيُتبع، ولا هم يُرحمون.

ذلك ذنب الشعب وقد هضَّه<sup>(٣)</sup> الضيم وما نهض، وبَلَّه الذل وما انتفض، وكان أجداده بالأمس دُفَّاعي الأذى أن يُلَمَّ بجيرانهم، ومَناعي الحيف أن ينزل بإخوانهم. فهو اليوم طعمة الحاكم يطبخهم كيف يشاء، وأُكْرَة<sup>(٤)</sup> الزعيم يوجههم أين يشاء. وهم لا يبدون على هذا الجور احتجاجاً، كأن حياتهم سُخِرت لهؤلاء الزعانف. أو كأن دمهم استحال ماءً صراحاً، وكانت تغلي مراحلُه من قبل.

ويحاً له من شعبٍ فروعه نابتة على غير أصولها، يقوم فيه الهزؤون ناهجين السبيل غير قويم القصد، صائحين لغير ما مُهَّزَة<sup>(٥)</sup> في النفس. أفلم يتصل بك النبا في الأُمس: «المؤامرة وما أدراك ما المؤامرة، نارٌ من الحقد حائرة، في نفس صاغرة»، تلك هي المؤامرة؟

رجلٌ عميد في المنكر، ولوع ليس بالأسود بل بالأصفر. قالوا إنه اعترف - مجاناً - بأن عصابةً من أهل السوء معادية لحكومة لبنان، دفعت له بضع مئاتٍ من الليرات ليذهب بحياة جماعةٍ معلومة. فأحجم، وكان لا يحجم عن عشر هذا المبلغ، لو صحت الرواية، ولكن الصدق لا يصلح له كل لسانٍ. فهو نادر وجوده، والشرف لا ينبت في كل نفس، فهو قليل عديده.

وما نحن بالمهتمين للأمر، شأن الجرائد العاقلة من قبل ومن بعد؛ ولكن يؤلنا أن يصم سافلٌ جبينَ لبنان بوصمة لا يرضى بها أديبٌ لوطنه، وفيه عظام الأجداد. وبقايا الأمجاد، تحرسها أرواحهم طاهرةً ذكية.

وأيُّ الله، لو وُجِدَ في هذه البقعة الجرداء، مَنْ يجودُ بنصف هذا المبلغ، مندفعاً مع التيار أياً كان مصدره، لما بقي لبنان يتحركون دونه وهو جامد. ويرفلون في مطارف الحياة وهو مطروح على أقدام الموت، تصيح حوله الجرائد نادبات نوائح.

فانحرفاً إلى الحكمة وأنتم تفلحون. وميلاً إلى الروية في ما تقولون وفي ما تفعلون! أما وربَّ السماء، لو مطرت ناراً سنةً بلياليها، لما ظهرت جرائم الفساد،



وكرها قلوبكم، ولما أكلت هشيم الأحقاد، وتربته صدوركم. فقد حان لكم - رؤوس  
البلاد - أن تعقلوا بعد الطيش. وقد حان للشعب الذي أشقيتموه، أن يندفع عليكم  
كالنمر وقد شاهد دمه، وعرف خصمه.

فما الثورة، تترك عرش الظلم، بالتي ندعو إليها بني قومنا! فطيروا إليها زرافات  
معرضين صدوركم للقذائف تمزقهم أشلاء. ولكننا ننظر في سماء المستقبل، إلى غيمة  
نخاف أن تحمل الوبال في جوفها إلينا؛ فهي في صورة التنين، له لسان من نارٍ مندلعٍ  
وقد تدلي به هذه الجلبة إلى الجبل، فيلتهم الذخيرة الواقية ويمحو الأمل المبتسم.

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَارَهُ

تَصَيَّدَهُ الضَّرْغَامُ فِي مَا تَصِيدُ<sup>(٦)</sup>

بشارة الخوري

البرق، ٥ تشرين الثاني ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ١١٢، ص: ٦٩

\*\*\*\*

## رجال الغد

عفواً يا فتى لبنان إذا قطعت عليك حديثك فإن على اللسان كلمة إذا لم يلفظها  
أحرقته وفي خاطر حديث إذا لم أقله حسبتني النفس جانبا عليها . وما كان حديثي  
إلا ليطربك وليطرب أمثالي وأمثالك من فتیان لبنان فاسمع وع .

رأيتك تفرغ جام اللوم على الرؤوس البارزة في البلاد وسمعت صنواً لك يعول  
وينوح على لبنان كأنه ذلك النبي الشاعر يعول وينتحب على أطلال أورشليم وكلاهما لو  
عرف قدر نفسه لما أعول ولا لام .

ترى في السياسة اختلالاً فنقول للحكومة أنت سبب هذا الاختلال ونجد في البلاد  
خمولاً فنصيح في وجه البطريك أنت يا أيها الشيخ الجليل أصل هذا الخمول، وفي  
اعتقادنا أن الحكومة والبطريك قادران على إصلاح الحال، ثم نلتفت إلى كبار القبائل  
صيادي الوظائف ونصرخ في آذانهم حي على الفلاح فلبنان سائر على الطريق الذي  
تريدون! إن آبائنا والذين تقدموهم من آباء وأجداد قد علموا أن الأحوال لا تتغير بمجرد  
إرادة الحكومة ورضى البطريك ومساعي الزعماء فما بالناس نحن المتأخرين المتعلمين لا نرى  
طلوع الشمس إلا من وراء ابتسامة الكبار ولا نرى غروبها إلا من وراء عبوسهم .

ولقد علمنا نحن أننا سلع يتاجر بها ذوو النفوذ وأبواق يصيحون بها ليخيفوا الخصوم  
حتى إذا كان يوم وكان فيه اتفاق بينهم وبين من خاصموا سكثوا وأشاروا علينا بالسكوت .

ألا فليقل لي فتیان لبنان أية فائدة جنوها أو جنتها البلاد من سيرهم وراء  
الرؤوس الكبيرة وأي المبادئ الشريفة قد أيدته اجتماعاتهم العديدة بذوي الوجاهة . فهل  
نرّ قرن الإصلاح في لبنان وتحسنت حال فلاحه وأنشئت في قراه المدارس؟

لا لعمري بل وقع النفور واشتد بين فتیان البلاد ذوي القدرة على عمل شيء جيد،  
لم لم ينشقوا وينضم كل منهم إلى زعيم ليكون لديه بمثابة درجة جديدة للسلم التي أعدّ  
أو يعد للصعود إلى الوظيفة التي يريد .

ألا ويحاً لنا من شبيبة ثابتة في تربة الذل لا تجد لها لذة إلا في العبودية وتعسا  
لفتيان يركض الواحد منهم وراء الوجيه إلى أن يقيء معاه<sup>(١)</sup> ثم يجيب العاتب عليه : أنا  
«نصبة» زيد أو بكر من الزعماء.

بالأمس كان هذا الأمير أو هذا الكبير من رجال الحكومة يبيع لرئيسها هتك  
ضميره وهو ينادي تبارك الرب الذي أرسل إلينا حاكماً هذه صفاته وكان فريق كبير  
من الشبان يردد هذا النداء ويسبّح حكومة لبنان.

واليوم هوى ذلك الأمير أو الكبير عن كرسي الوظيفة فصار للحكومة عدوا يطيل عليها  
لسانه وينسب لها التقهقر والجاسوسية ويلصق بها هضم حقوق الشعب الذي هو «خادمه»  
واندفع وراءه فريق من الفتیان يقول قوله ويلعن تلك الحكومة المستبدة الجائرة.

أنا لا أعتب على الكبراء لتقلبهم فقد عودونا من قبل ذاك ولكني أخص بالشبيبة أن  
يكون شأنها شأنهم وأن تبقى كالآلة بين أيديهم يديرونها كما يريدون أو كالقوقع يقول  
عن غير علم بما يقولون.

وهلا علم شبان لبنان أنهم إذا اتحدوا قوة كبيرة تفعل في البلاد ما تقصر عن  
فعله الفرق والأحزاب؟

ألا فلتفق الشبيبة اللبنانية ولتكن القوة التي يجب أن تكون فينهض لبنان  
بنهضتها ويصير إلى ما سننتظر عبثاً صيرورته بسعي البطريق<sup>(٢)</sup> وإرادة الحكومة.

**شاب (بشارة الخوري)**

البرق، ١٠ حزيران ١٩١١، عدد: ١٤١، ص: ٣٠٥

\*\*\*\*

## فتاة الدستور

سنة ١٩١٠

في الهوى لها العلم  
والحسام والقلم  
دولة الجمال بها  
خافق لها علم  
تحت بندها ازدحمت  
أنفس وتزدحم  
تلك ربّة سجّدت  
عند مجدها الهمم  
تأججهن لآله  
بالنجوم يبتسم  
الحجى أرى كتها  
صولجانها الحكم  
والجلال بردتها  
والوقار والحلم  
والعقول وهي إذا  
روّضت لها خدم  
في ربوعها هبطت  
من سمائها الشيم

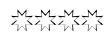


إيه فالهوى حكم  
في النفوس ترتسم

وهي فوق سـددته  
حفاً عرشها العـظم  
شمسها التي لمعت  
فـالظلام منـهـزم  
والعـيـون إن شـخـصت  
غـضّ جـفـنـها الألم



«غادة العلى» قدماً  
فـفـيك هـامـت الأـمم  
جـئـتـهم وكنـان دم  
جـئـتـنـا ولبـيس دم  
والـذي له الـقـدم  
ما سـعت بـنا قـدم  
كان شـحـمـنا ورما  
زال ذلك الـورم<sup>(١)</sup>



مرحباً ومرحمة  
شفّ جـسمـنا السـقم  
زرتـنا مـعـايـدة  
عـاش ذلك الـكرم

الشمي ثغر الشرق تحييه، وعانقيه تبعثيه حيا. وضاحكه تنعشيه، وصافحيه يعود فتيا.

ساجلي أطيّار السحر، وداعبي أوراق الشجر، وكوني ابتسامة في ثغر الزهر، وابعثي من  
نورك إلى الزنبق في الحقل، تفتّر ثناياه. واسكبي دمعة على وجنة الفل، تفوح رياه.

أنت عشيقه الحكيم. أنت قيثارة الشاعر. أنت حياة الشعوب. أية أنت كتبتّها يد  
القدرة في صدر الفلك الأعلى حتى لا ينالها الخامل ابن التراب وابن الجهل.

كانت طريقك إلينا مفروشة بالسوسن والريحان. فخفضت لنا جناحك لطفاً.  
وأُلتنا من وصلك ما لم نحلم به. فكنا كمن ورث مالا ثم أضاعه فما حزنّت عليه نفسه  
ولا بكت عليه عيناه.

جنّتنا لعام مضى وكنا لم نباشر عملاً صالحاً فقلّت إنهم أطفال في الدستور.  
وجنّتنا في هذا<sup>(٢)</sup> العام ونحن لم نباشر عملاً صالحاً فماذا عساك تقولين؟

#### أيتها الحرية

تقول تواريخ الأمم إن السنتين من حياة الأمة بعد انقلابها لا تكفيان لترميم ما تهدم  
وإصلاح ما تخرب. وأنهما لا ضير من أن تعد الأمة فيهما عدتها للسير في سبيل الرقي.

#### أيتها الحرية

العلم هو الأساس القائمة عليه هذه المدنية. ونحن في عصرنا البائد لم نتعلم سوى ما  
يعود بنا الى الوراء. ولم يكن لنا من قبل - كما هو اليوم - من يلقننا دروس الوطنية وأمثال  
الاتحاد. لم يكن لنا من ينزع من قلبنا بذور التعصب وجراثيم الفساد. بل كنا إذا فتحنا  
نافذة للنور أغلقتها اليد الحاكمة وزجت بنا في الهاوية حيث الظلام أبدي.

#### أيتها الحرية

الأمة جاهلة ألفت الخمول السنين الطوال. فهي لم تعتد الإقدام على المشاريع  
الوطنية. والحكومة ضعيفة لا تقوى على توطيد الأمن وتوطيداً مكيناً. فلأمة عذر في  
الاحتفاظ بأموالها وللحكومة عذر لرخص بنائها ولأنها محاطة بالفتن مهددة بالحروب.

ونحن أيتها الحرية نقنع بخلوص نية أولياء الأمر. ومتى خلصت النية مهدت سبيل  
المصلحة العثمانية ومتى مهدت هذه السبيل اندفعت الأمة كالسيل الجارف الى منازعة الأمم  
الأخرى بقاءها فزرعت أموالها في الأراضي المخصبة فأنبئت ذهباً وفضة ومجداً وسؤداً.

نحن نقنع بخلوص نية قادة الرأي ومتى خلصت نية هؤلاء لا يلعبون بالأمة على أهوائهم ولا يضحون بالراحة العمومية لنيل مأرب نفسي كما هو شأن هذه الجمعيات قديمها وحديثها، فقد أصبحنا ولا طاقة لنا على احتمال النوائب ومصادمة أهل الرجعى.

هذه صفحة من حياتنا الجديدة نرسل عليها الحجاب. هذه حقيقة لا ريب فيها أيتها الزائرة بعد طوال غياب. إن لك في قلوبنا لمقاما رفيعا وإن في ما نحن صانعون من ضروب الزين ومشعلون من الأنوار دليلا ساطعا على شغف النفس بك وإن كنا نجهل حقيقتك وللجاهل كل العذر.

أهلا ومرحبا أيها العيد وتحية وسلاما.

البرق، تموز ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ٩٨، ص: ٣٧٣

\*\*\*\*\*

## شـوارد

من عبد الحميد إلى عمانوئيل

أنا ناقل لكرام القراء كتابا بعث به شيخ الاتيني<sup>(١)</sup> إلى رصيفه عمانوئيل عاهل البرتغال. يظهر أنه شق عليه أن يرى العرش يسقط بعد العرش والإطلاق يستحيل إلى التقييد والأثرة تستبدل بالشورى، ساء ذلك فجاش في خاطره ما صبه في هذه الكأس الملأى بأنفاسه الطيبة. الكتاب أوردته الجالية ونصه ما أنا ناقل:

قصر الاتيني: في .....

ولدي وأخي المحبوب عمانوئيل في جبل طارق<sup>(٢)</sup>:

إذا دعوتك بولدي فجائز لي لأنك بمثابة أحد أولادي في العمر. وإذا دعوتك أخي فجائز أيضا لأنك أخي في المصائب. لقد بلغتني مصيبتك مع حشمتلها<sup>(٣)</sup> والدتك وجدتك المكرمتين. لا تغتظ أيها الحبيب مما وصلنا إليه ولا تبك على مجد زائل وعظمة فارغة. ألسنا مرتاحي البال. من كل قيل وقال. ألسنا بمعزل عن السياسة ورجالها. بعيدين عن المتطفلين عليها وجهالها.

كانت مصيبتني بهؤلاء المشايخ والأئمة الذين سيطروا على عقلي وجعلوني أعتقد فعلا أنني ظل الله على الأرض كمصيبتك بالقسوس والرهبان الذين جعلوك تعتقد أنك فوق بني الإنسان.

دعوني عبد الحميد فظننت أن لي علاقة فعلية معه جل جلاله. ودعوك عمانوئيل الذي تفسيره (الله معنا) فظننت أن سلطتك من الله وأنه أرسلك رحمة برعيتك مع أنها كانت تن من مظالمك (اسمح لي أن أخاطبك بحرية ضمير فنحن في الهوى سوا).

كانوا يكثر لي من السراري حتى عميت أبصاري ويكثر لي من الممثلات ما أخذ عقلك وجر عليك الوليات. وما كنا ندري أنهم كالطعم الذي يلقي لصيد الأسماك.



تالله لقد فات ما كان يجب استدراكه فليس الذنب على من يصنع المفاتيح الكاذبة  
ولا الذنب على من يبيع آلات القتل بل على من يقتل بها.

أواه لقد لعبوا بذقني قبل أن لعب بها الشيب ولكن لا عتب عليهم ولا تثريب. ثم  
إذا كنت قد خطأت نفسي وخطأتك معي لا غترارنا بظواهر الأمور وانغماسنا بالملذات  
فلا يجب أن نبرر غيرنا ...

صدقني يا عزيزي عمانوئيل أن كل الناس مثل بعضهم البعض والسر في الشراب  
لا في الإناء.

نعم لا أنكر أن البلاد لم تكن كما يرام خالية من تداخل الأجانب. ولكني كنت  
أعرف من أين تؤكل الكتف وأعرف كيف أوّجل المطالب وأهزأ بالمطالب.

أنا الذي كنت أهزأ بالملوك والقيصرة. أنا الذي كنت ألعب بعقول دهاقنة الساسة  
كما تلعب الأولاد بالأكبر. فيا حسرتي على نفسي لقد أخذت على حين غرة وسقت إلى  
سلانيك<sup>(٤)</sup> رغماً ووضعت في بيت سموه قصراً كانت اسطبلات خيلي أفخر منه.

فماذا أقول وإلى من أشكو؟ أشكو، إلى السلطان محمد الخامس<sup>(٥)</sup> الذي كنت  
أقيه مثل مطعوم النجاص. وأدأريه مثل العين الرمداء. وأخشى عليه من خطرات النسيم  
أن تجرح خديه، ومن لمس الحرير أن يدمي بنانه. وقد نسي فضلي عليه؟ أواه يا  
عزيزي عمانوئيل. أواه من بني البشر ما أكثر تقلبهم وما أكثر نكرانهم الجميل. لقد  
نسوا فضلي وفضلك. لقد نسوا معروفنا. نعم لقد نسوا لأنهم ليسوا أكثر من بشر.  
وعلى هذا يجب أن ننسى إساءتهم ونغفر لهم حسبما قال سيدنا عيسى في إنجيلكم.

**عزيزي عمانوئيل**

أرجو من بنوتك إذا ذهبت غداً إلى انكلترا أن تذكرني أمام جلالة الملك جورج<sup>(٦)</sup>  
البريطاني ابن أخي المرحوم إدوارد<sup>(٧)</sup> بالماسونية<sup>(٨)</sup> لعله يسعى بفكي من الأسر فقد  
أصبحت شيخاً هرمًا لا خوف مني أن أطمع بعد بملك فأقوم بدسياسة ومكيدة ضد

شقيقي السلطان محمد هنأه الله بملكه السعيد وأطال أيامه. وغاية ما أتمناه أن أزور لوندرا<sup>(٩)</sup> ثانية لأنني حافظ منها أفضل أثر جعلته دستور أعمالي مدة ٣٣ سنة ذلك هو دستور الحرية والمساواة والإخاء. ففي لوندرا رأيت عيناى النور وفي لوندرا أريد أن أرى الظلمة الأبدية... الساعة الآن الثانية عشرة. ولا يؤذن لي أن أسهر إلى ما بعد هذا الوقت من الليل. ولكني قبل أن أودعك أخبرك أنه انتهى إلي بطريقة من طريقي الكثيرة أن قد ألفت جمعية سرية ولكن مخبري زاد على ذلك أن الجواسيس كشفوا أمرها وفشوا سرها.

ألا قبّح الله الجواسيس المناحيس وقبح تلك الساعة التي استخدمتهم فيها وعلمت الناس أن يستخدموهم بعدي. فهم أشبه بغربان السوء.

فهل نظرت كيف أن طابخ السم أكله؟

#### يا عزيزي عمانوئيل

كنت أود أن أخوض أكثر في شأن مصيبتنا وأعطيك بعض الإشارات الفعالة لدسياسة هائلة إذا كانت عينك لاتزال تطمح إلى العرش (وهو ما أظنه لا بل أؤكد) فإنني لو كنت (شاباً) مثلك أو كان لي من العمر ضعف عمرك على الأكثر لكنت أعمل أعمالاً ترقص لها عجائز (...)<sup>(١٠)</sup> ولكني كالأسد المسن المقيد فلم يعد بطاقتي أن أقوم بعظائم الأمور، أما أنت فكل شيء موفور لك وإنما تنقصك الإرادة فوق قلبك وشد حيك وضع في بالك نابليون<sup>(١١)</sup> لما رجع من منفاه في [ألبا] وعاد إلى عرشه قوة واقتداراً وعليه فليس عودك إلى العرش مستحيلاً ولا تكون أول من خلع وأعيد. أمس حررت إلى إخواننا في المصائب مظفر الدين شاه العجم<sup>(١٢)</sup> وعبدالعزيز سلطان مراکش<sup>(١٣)</sup> والامبراطورة أوجيني<sup>(١٤)</sup> لتأليف جمعية بيننا لا نقبل فيها إلا الملوك الخلعاء غايتها توحيد كلمتنا ورفع شأننا كغاية أكثر الجمعيات، فعسى أن يصادف اقتراحي هذا أذاناً واعية لننهض بهمة وعزيمة تفلان الحديد.

ولو أتيت لأكتب كل ما في حافظتي من الأخبار لما كفتني الأوراق التي بين يدي  
مع ذلك فأرسل لك مع هذا صورة أحد المكاتب التي أرسلتها الى العزيزة أوجيني ومنه  
تعلم ماضي وحاضري بأجلى بيان.

فالآن اسمح لي أن أودعك من صميم الفؤاد راجياً أن تنوب عني بتقديم واجباتي  
الاحترامية لحشمتها الملكتين والدتك وجدتك المكرمتين. وإذا نظرت حبيب القلب عزت  
باشا فبلغه سلامي وقل له إنني وقعت في الشرك ولا مناص منه على ما يظهر.

سلامي له ولجميع المحبين الذين يسألونك عن أسير اللاتيني.

**عبدالحميد**

**بشارة الخوري**

البرق، ٤ شباط ١٩١١، مج: ٣، عدد: ١٢٤، ص: ١٧٦

\*\*\*\*

## يا وطناً لم يغب عن الفكر

يمينا! لم ننس واجباً للبنان وإن جنف ذروه، فإذا كدر معينه يوماً فهي الأيام لا  
تدوم على حال والليالي حبالى من الزمان يلدن العجائب!

لبنان! وهل رأيت بلداً طيب الهواء، طيب الماء، كهذا البلد المقدس التربة، الرامز  
الى جمال القدرة بما فيه من جدول صاف، وزهر بسام، وطير مغرد!

لبنان! وهل رأيت بلداً رجاله كرجالك لهم قلوب ولكن جامدات، وعقول ولكن  
مظلمات، يندفعون ولكن في غير سبيل الحق، ويتهاكون ولكن على هيكل الانتقام، فيا  
لنكبة الوطنية بمثل رجالك!

ورب الوطنية! إننا لنكبر على هذه اللحى والشوارب من المتربصين فى زوايا  
القصور والمتربعين في كراسي المناصب، أن لا يقوم فيهم عميد يدعو إلى نهضة  
إصلاحية يترامى صداها من شمال لبنان إلى جنوبه، فتهد على هذه الأرواح الرواقد  
نسمة من نسيمات الإصلاح تنتعش لها القلوب وتنتفض بها الجوانح!

سكتنا بعد أن هزنا الرجال وكشفنا عن الضمائر ثم عدنا وكانت اليك عودتنا يا  
وطناً لم يغب عن الفكر.

ما كان:

ذلك الماضي سافر النقاب، وتلك حوادثه لم تطو في حجاب، وإن نسيت لا تنس  
ضعف الحاكم يوم وقف فى وجهه مجلس الإدارة فاستعان بحكمة ذويه فكانت حادثة  
زوين وضائقة الوثيقة ومطاردة الصحف.

وإن نسيت لا تنس دعوى المير ووقوف الحاكم ورجاله خصوماً لخصومه وبين هؤلاء ثلاثة من أعضاء المجلس عاكسهم الحاكم في الانتخاب الأخير حتى إذا فازوا تهدد الأولين بإفساد الانتخاب فصالحاه ثم وقفا على منبر (لبنان الرسمية)<sup>(١)</sup> يكذبان أصحابهما غير حاسبين للانتقاد حساباً.

وإن نسيت لا تنس حملات الجرائد على ظلم استفحل أمره، وانتقام كبير على العدل احتماله فلم يسلم الحاكم وأشياعه من مطاعن الجرائد اللبنانية حاشا «لبنان» و«لبنان» - مطاعن سددها إلى صدره فهاج يحمل الحاكم لتصدر الأحكام على الجرائد تبعاً دراكاً.

ولا تنس إن تنس ما كان من أمر دعاة الحرية وخيانة بعضهم تزلفاً إلى أرباب السلطة زاحفين إليها صغاراً على التراب - وهي لعمر الحق جناية في نظر العدل تستحق قطع العنق وسل اللسان، وماذا تؤمل من ذي سيرة ملطخة بالأحوال جاء يزركشها بالسمسرة والبرطلة<sup>(٢)</sup>، على ما هنالك من جهل ذميم، هذا وبعض الأفراد من رجال الحكومة وأبناء الشعب يتزلفون إليه ظناً أن له مكانة عند المتصرف<sup>(٣)</sup> مهدها له اعتقاد الناس بأنه سمساره الخاص وباطلاً يعتقدون.

ذلك مثال مصغر لما كان فدونك بعض ما يكون:

أما والسياسة لبست غير زيها الأول، فهي اكليركية النفوذ ماسونية اللسان، ولقد شعر المتصرف بدنو يومه فعمل على مصافحة الطيلسان، ولكن فاته أن قلبه - على كبره - لا يوزع بين الزعامتين زعامة الاكليروس وزعامة الماسون، وفاته أن الاكليركية في لبنان لن تكون متفقة من وجه مع سياسة اللبنانيين الأحرار، فأين هي الحكمة اللامعة في التوفيق بين النقيضين والجمع في وقت واحد بين الماء والنار!!

أما السياسة في قبضة الحاكم يدير دفتها كيف شاء، فهو اكليركي منذ الساعة تعاهد على ما علمنا مع شيخ بكركي<sup>(٤)</sup> وهو القنوع المسالم ولسوف تكون

هذه المسألة مجحفة بحق المنتمين الى هذا الكرسي من جميع الطوائف فينفر بهم هذا الإجحاف عنه أو ينضمون إلى من يحترم حقوقهم ويصون مصالحهم وما أكثر هذه الحقوق والمصالح!

ما يكون ! ... وهو اعتقادنا قلناه في ما سبق وقد تم، ونقوله في ما يجيء وقد يتم.

تنمر المتصرف أو أستأسد من بعد أن بطش بالمجلس فبات طوع بنانه، ولسوف يعيد نائبي المتن بعد أن يأخذ عليهما عهد الأمانة حتى لا يكون داخل جدران المتصرفية من لا يسبح باسمه، وحتى لا يكون في من حوله غير الصادع بالأمر إن خطأ وإن صواباً!

وسلني أجبك عما ستؤول إليه محاكمة زوين ولا إخالك تجهل الرجل - تلك قضية أن يكون الحكم فيها أقل من سنة ليكون للمتصرف شبه حجة بكف يد النائب ومباشرة الانتخاب وقد يكذب وجدان المحكمة ظننا فلا يكون للمتصرف سبيل الى غايته، وقد تبرهن المحكمة إذا شاءت على استقلال في الرأي يجعلها أمثلة لصغار القلوب من زعانف المتزلفين.

وهناك - في قضاء الشوف مسألة هي مسألة المسائل عند إخواننا الدروز، ألا وهي دعوى المير شكيب<sup>(٥)</sup>! وأوراقها اليوم (تحت طراحة<sup>(٦)</sup> المتصرف) سياسة ودهاء ...

لقد قرر المجلس الإداري (مستنطقه ومدعيه العمومي) أن في قرارات الشهود ما يوجب وضع قائمقام الشوف تحت المحاكمة - وفي المتصرفية حزب عنيد لا يهدأ له بال بغير عزله فهو ينتظر - إلى حين - نتيجة قطع المتصرف في هذه المسألة حتى إذا لم يصدر الأمر بالعزل انقلب ذلك الحزب عليه وكان قوة تذكر في كفة الخصوم.

وإذا نظرت الى الصحافة اليوم تراها كلها في جانب الحكومة تؤيدها تصريحاً أو تلميحاً حتى إن بعضها انقلب سريعاً من العداوة الشديدة إلى الصداقة الشديدة

وسرعان ما ينقلبون !....

ما يجب أن يكون:

لا نعرف أن رجلاً فيه ذرة من العقل يقبل بالحالة وهي كما هي - فوضى في المجلس وفوضى في الأحكام وفوضى في السياسة، تيار لا يصد بغير تيار مثله من رجال الإصلاح يهيبون بمجلس الإدارة أن يكون كمجالس البشر ويقولون للمتصرف: اعتدل أو اعتزل<sup>(٧)</sup> ويطلقون ضمائر الحكام من القيود قاطعين بسيف الحق سلاسل الوسائل تضيق بها حقوق الضعفاء.

إن بارقا للأمل يلمع من سماء النهضة، ونافذاً كالقضاء يشق (مصرأً) إلى لبنان ليستلم لواء الزعامة خافقاً للظفر، ومصفقاً للفلاح.

ولقد تكون - البرق - الجريدة المعارضة أبداً - في طليعة متطوعي هذه النهضة ويومها بإذن ربك قريب.

البرق، ٢٠ أيار ١٩١١، مج: ٣، عدد ١٣٨، ص: ٢٨١ - ٢٨٢

\*\*\*\*

## للمقابلة [١]

يظنون، ونحن ننقل لهم تاريخ الثورة، وأقوال كبار الرجال، أننا نقصد التاريخ مجرداً. ولو فطنوا لعلموا أننا نريد من ذلك ما هو أسمى مما هم يظنون.

نريد أن نقف بالלבنايين على الروح التي انبعثت من قلب فرنسا، فكهرت الأمم الأخرى، أو على الشرارة التي طهرت الشعوب عن درء الخمول والانقياد.

نريد أن ننقل لكم أقولاً هي عظمة الشعب متجسمة. بل هي القنابل رمى بها الشعب المستنير عرش الاستعباد، فيدكّه من أسفه. وما لشعب - لو يعلم أهل لبنان - سوى القوة والحق متكافلين متضامين، وحيث يكون هذان فهناك كل شيء.

« اذهب وقل لمولاي: إننا قد اجتمعنا في هذا المكان بإرادة الشعب، فلا نخرج منه إلا على رؤوس الأسنة ».

كلمة وجه بها أحد النواب عهدئذٍ، إلى ملك فرنسا، وهناك السلطة المطلقة والقوة الضخمة، والعرش المنيع؛ وهناك أيضاً الشعب ومنه السلطة وفيه القوة وله العرش.

وحيث يكون الشعب فهناك الكفة الراجحة، ولا ترجح بغير الحق والقوة.

إن الشعب لواحد أين وجد وكيف سُمّي. ولكن هو الجهل يسطو عليه الدهاء.

وما الجهل إلا أليف الشعب في الشرق، فهو راسف في قيده حتى ينشق الحجاب عن عينه فيبصر النور.

ولقد قرأت رجال التاريخ، وسمعت كبار رجال الثورة يقولون « لا نخرج إلا على



رؤوس الأسنة» فأرسلت بنظرة إلى المجلس في بيت الدين، وأعدت على ذاكرتي نواب  
اللبنانيين واحداً واحداً وأنا أقول ...

وإذا لُمت هؤلاء الكرام، قالوا لك إن الشعب لا يسند نوابه، كأنهم جهلوا اندفاع  
بني لبنان، على ظمأهم، إلى رجال الإصلاح؛ أو كأنهم جهلوا أن الشعب هو الأفراد  
القلائل يضحون بنفوسهم على مذبح الوطنية. فعلام لا يكونون هؤلاء الرجال؟

### بشارة الخوري

البرق، ٩ أيار ١٩١١، مج: ٤، عدد: ٢١٥٣، ص: ٣٩٧

\*\*\*\*\*

## للمقابلة [٢]

لينزل أبناء سوريا، أو ليتنازلوا، فنقف بهم ساعةً في محكمة التاريخ، ولا نعرف  
أعدل منه حكماً وأنزه منه ضميراً.

قد أسيء إلى قومي إذا أنا جنّتهم بنتيجة صارمة، على شدة شغفهم بالإطراء؛  
وقد أوجعهم إذا قلت إنهم كالماء الراكد أسنت نفوسهم؛ فما هي تلك الضمائر النقية؟  
وما أفلحت بلادٌ رجالاً لها هؤلاء.

أصيبوا بأن ورثوا مجداً موهوماً؛ فهم أبداً يتكلمون عليه. وأصيبوا بأن ورثوا  
حكومة هي الجراد، بل أشرُّ، ولا تترك في حقولهم شيئاً أخضر، ولا في جيوبهم شيئاً  
أصفر ولا أبيض. وقد يقول القارئُ إنني قصدت حكومة عبد الحميد، فالأمر كما قال.

ورزح بنو قومي تحت أثقالهم، بل جمدوا جموداً هو الموت، بل شر من الموت على حد  
قول القائل: إنما الميت ميت الأحياء<sup>(١)</sup>. ولبثوا على جمودهم حاشا قرقة بعض جرائدهم  
وشعرائهم، لو صحَّ أن تسمى القرقة حركةً، والحركة التي على هذه الصورة، حياة.

ولقد يبلغ الهوس ببعض حملة أقلامنا، بأن يجردوا، متى استعرت نار الحرب بين  
دولتنا وأية دولةٍ، فيلقاً جراراً من القصائد ذات الأوتاد والأعاريض مؤلفة (فرقها) من  
التبجح بمجد الأجداد والقنا المتكسر، والسيوف المواضي، والرصاص المزمزم حتى إن  
الشاعر ليحسب نفسه خاض المعركة محجلاً وعاد غير محجلٍ.

قوة في اللسان نقول معها، مع شكر الله وحمده (القناعة كنز لا يفنى). كأن  
الأقوال قدمت شيئاً في مصالح الأمم من قبلنا، ولكننا نعمد في مسلكنا هذا، إلى القول  
المأثور (من فاته اللحم فليشبع من المرق).

إلى هنا وصل بنو قومي ولبثوا جامدين. هبطوا من حالق النباهة إلى حضيض  
الخمول من غير ما أسف على ما فات.

منذ شهور لو أخذت بيد السوري ووضعتة إلى جنب الصيني لأنف أن تنزله هذه  
المنزلة. بل لعدّ ذلك منك إهانة. عجباً أين ماء السماء إلى جنب واحدٍ من عبيد ابنِ  
السماء؟ وابن سوريا مهبط الوحي ومبعث الأنبياء يقاس برجلٍ ذؤابته المرسلة من رأسه  
إلى قدمه شعارُ العبودية؟.

مهلاً بني قومي! سار القوم ونحن جامدون. وتحركوا وضمائنا مبنيةً على  
السكون. فلا عجب إذا نظر إلينا ابنُ الصين اليوم، نظرنا إليه في الأمس. إن المرء ابن  
يومه. ويومه ابن جدّه؛ وجدّه هو ما قدمت يداه من صالحٍ لنفسه ولقومه.

إن الصين أصبحت جمهورية!

هنالك قادة الرأي، علموا أن القصائد والأقوال المزوّقة لا تقيم قائمة إصلاح.  
هنالك علموا أن الجهل هو العدو اللدود؛ فحاربوه بكتائب العلم. كتائبُ سلاحها الأدبي  
من مدارس أوروبا ومجتمعاتها وصحفها.

أجل. شرعنا - والحمد لله - نُرسل بالبعثات تباعاً دراكاً إلى مواطن العلم الحقيقي.  
فعسى أن يكون لنا على يد هؤلاء الإخوان أسباب حياةٍ جديدةٍ دعامتها العدل والتساهل.

للصينيين نشيد حريتهم، وفيه أمائر الروح الحية، ولنا أناشيد نظمته العبودية  
في رقابنا، وما نثرت - يوم نثرت - غير الدمع في المحاجر.

إن يوماً لا نقابل فيه قذائف العدو بقذائف الشعر، هو اليوم الذي تلده لنا ليلة  
القدر، وما أدراك ما ليلة القدر!

البرق، ٢٧ كانون الثاني ١٩١١، مج: ٤، عدد ١٧١ ص: ١٤٦

\*\*\*\*

## بشرى للبنان

لقد ظمئت نفس لبنان إلى حاكم صالح مصلح حكيم عامل عمومي حساس فظفرت في شخص ذي الدولة، أوهانس قيومجيان باشا<sup>(١)</sup>.

نهض منذ وصوله أو بعد قليلا إلى تحسين خزينة لبنان فخاطب الأستانة بلهجة العثماني المخلص من جهة أنه وكيل السلطان وناضل عن حقوق لبنان من جهة أنه حاكمه وراعيه فصرف معظم ليااليه مفكرا كاتبا حاسبا منذرا مستعظفا إلى أن فاز أمس بالأمنية ونعم الأمنية.

لقد وقفت منذ الشهور شركات الريجي والديون العمومية وقفة في وجه الحاكم العزيز لنزعه من أشداقها حقوق لبنان بعد أن استطابته سنين طوالا على عهد حكامه السابقين حتى بلغ من إدارة الديون العمومية أن أرسلت مندوبها فكسر أجران الملح على شواطئ الجبل ولكن أوهانس باشا بخته مستودعات هذه الإدارة ثار للبنان منها فشفى بذلك غلاً كمن بين الضلوع.

ولقد كان من نتائج المفاوضات بين الصدارة العظمى<sup>(٢)</sup> وحاكم لبنان من جهة وبينه وبين شركة ريجي التنباك من جهة ثانية أن وردت على دولته البرقية الآتية خلاصتها:

«نظر في مطالعاتكم السديدة بما يتعلق بمسألة التنباك وحيث كان من المسلم استثناء لبنان من أحكام الحصر «كما ذكرتم» وكان عدم توريده الى الجبل في السابق ناتجا عن عدم وجود أسكلة لبنانية ترسو فيها البواخر كما هو حاصل الآن فقد زال هذا المحذور بفتح اسكلتي جونية والنبي يونس وعليه فيستحسن أن تتفقوا مع شركة الحصر على ما يوافق مصلحة الجبل والشركة وإذا تعذر ذلك فلكم تعيين المقدار اللازم لمقطوعة لبنان وتوريده بطريق الاسكلتين المحررتين مع شدة المحافظة على منع التهريب».

ولم تصل البرقية إلى سراي بعبد<sup>(٣)</sup> حتى خفقت القلوب سرورا فنهض مجلس الإدارة وفي طليعته رئيسه المفضال<sup>(٤)</sup> ودخلوا على الحاكم ليشكروا له بلسان الشعب اللبناني تفانيه في سبيل استرداد حقوق لبنان المهضومة منذ القدم فأجابهم بكلمات خلاصتها:

«إنني أشكر لكم ما أظهرتموه لي من صدق شعائر الشعب اللبناني غير أنني أعتبر عملي هذا وسائر ما أنا مباشره من الأعمال النافعة من أوجب الواجبات فإذا حق لي أن أسرّ فبالثقة التي لي عند الحكومة الرئيسية هذه الثقة التي أشعر بمثلها في الرأي العام اللبناني فهي وحدها خير ذريعة أصل بها إلى خدمة الجبل بكل ما فيّ من الميل إليه».

هذا وما اقتصر الانتفاع بتصريح الباب العالي<sup>(٥)</sup> على التنبأ فقط بل تناول كل احتكار في السلطنة بحيث استدر دولة الحاكم لخزينة الجبل لا أقل من ٤٠ ألف ليرة سنويا. ألا فليحيَ الحاكم.

أما وقد انتهت مهمة الحاكم أو كادت مما أخذه على نفسه تجاه الآستانة فقد بقي على المجلس أن يقوم بما عليه من واجبات الوطنية. إن دولة الحاكم لا يهملها إلا أن تكون المصلحة اللبنانية فوق سواها وأن يكون له ما يريد إذا احتكوت الريجي تنباكنا ودخاننا، لما أن هذا الاحتكار يقطع أُلوف الأيدي اللبنانية العاملة في معامل لبنان فنكون بذلك قد دفعنا بهم إلى الهجرة التي إنما تعمل الحكومة ويكتب الكاتبون إيقافا لتياريها.

أما إذا كان لا بد للحكومة من الاحتكار فأمامها في الوطن ومصر<sup>(٦)</sup> كثير من ذوي الثروة فعليها أن تحثهم للعمل إذا هم لم يقدموا تخوفا فإنهم إذا تألفت الشركة منهم أشغلوا الأيدي اللبنانية فنفعوا من جهتين.

لقد أخذنا على المجلس سكوته في الماضي فعساه ينطق الآن.

البرق، ٧ شباط ١٩١٤، مج ٦، عدد ٢٦٢، ص: ٥٦٤ - ٥٦٥

\*\*\*\*\*

## السوري المحارب

لم أشاهد منذ عهد بعيد كفجر أمس فجراً،  
مرّت بي فرقة من إخواني السوريين المتجندين تحت الراية الفرنسية الشريفة.  
كان ذلك عند نهر بيروت، الحد الذي يربط الجبل بالمدينة.  
جُند سوري في أحسن زي وأحسن صحة، جاء وفي صدره عدا الحنين لبلاده  
سورة من سوراة الانتقام.  
جند سوري يمشي على تراب الوطن المقدس؛ وما الوطن سوى الأحبة الذين  
غادرهم على سطحه، يتسّم الجمال في ثغورهم وتسطع الطهارة في وجوههم، ويتمشى  
النشاط في أبدانهم.  
جند منا ولنا.  
قَطَعَ من أكباد الأمهات السوريات، ذكرت العهد وقدّست الواجب. رجعت طيور  
لبنان إلى أوكارها، والآساد عادت إلى العرين.  
إلى أين؟ إلى أين؟  
واستمروا في طريقهم لا يَلَوْنُ على شيء، ولكنّ صدى أغانيهم الوطنية كانت<sup>(١)</sup>  
تصدّع الفؤاد.  
دخلوا حدود لبنان، تسطع الحرابُّ على أكتافهم كما يسطع الدمعُ في عيونهم.  
كانوا يُنشدون. واستمرّ الجند في سيره.

وكان على جانبي الطريق بعضٌ مَنْ غَلَطَ الزمانُ بهم فأبقاهم، ولكنهم كانوا  
كأخشاب السفينة المحطمة: قطعةٌ عند كلِّ صخر.

أين العذارى يَصْفِرْنَ لهم الأكاليل؟

أين الأمهاتُ يَهْتَفْنَ لهم بالأغاني؟

أين الشيوخُ يَضُمُّونَ إلى صدورهم حُرَّاسَ البلاد؟

لا أشبال في العرين، ولا زغاليل في الأوكار، والأزهار التي غادروها رِيَانَةً  
بسامة، لفحتها السموم فذوت، ثم ضربتها الزعزع<sup>(٧)</sup> فتناثرت.



وأطلوا على قرية قريبة هي مَسْقُطُ رأس أحد الجنود. - وكان الجندي في مقتبل  
الشباب، غادر في القرية والدين وإخوةً وأقارب وأحبابا.

غادر القرية يجري فيها دم الحياة؛ النساء يَعملن في البيوت، والرجال في  
الحقول، والأولاد يملأون الفضاء صياحا.

وأحسَّ الجندي بخفقة عظيمة في قلبه.

تالله قد صدق النبأ.

خاطرٌ مرَّ كلمح البرق في رأسه، ولكنه وعى شيئاً كثيراً.

وعى الأنباء المتوالية عن المصائب التي حَلَّتْ: المجاعة وقتلاها والأوباء.

وكانما كان بين قلبه وقلوب إخوانه، أسلاك كهربائية وحدت بينهم الشعور، كما  
وحدت بينهم المصائب: فوقفوا، وعلى كل وجه، أسطر للكآبة محتها الدموع أو كادت.

وبرز الجندي الشاب عن الصف، ثم قدم الى البيت القائم على كتف الطريق، ولم يكن يحتاج إلى قرع الباب، لأن الباب نزع كمعظم أبواب القرى ونوافذها وسقوفها؛ نُزعت وبيعت لتُمسك في الناس رمق الحياة، ولكنها لم تستطع.

وأسند الجندي رأسه إلى يده، ويده على الجدار وبكى...

لقد فهم كل شيء... لا ديار<sup>(٣)</sup> في الدار...

وشعر الرفاق بالخطب الذي نزل بالرفيق، فنكسوا سلاحهم احتراماً لحزن رفيقهم؛ وبعد أن حيوا تلك القرية بل المقبرة، واصلوا المسير.

#### افتتاحية

البرق، ١٩١٥، عدد: ١٠-٤٠٣، ص: ١

\*\*\*\*



## الانتقام العادل

لم نفس، والجرح لا يزال طريا، بربرية<sup>(١)</sup> الألى فتكوا بالشعب فتكتهم الذريعة. بل كيف ننسى وعظام الضحايا البشرية ورفاتهم لا تزال متبعثرة هنا وهناك تذكرنا بالويل الذي كابدت والهول الذي تجرعت.

عشرات الألوف من بني سوريا لم يراع بهم هؤلاء البرابرة رحما ولا ميزوا مذهباً فالسلم الأشعبي<sup>(٢)</sup> والتكالب على حطام الدنيا.

لقد طفحت حقول الجرائد على اختلاف أديانهم، بمطالبة الحكومة بعقاب هؤلاء المجرمين من جمال السفاح الى أحقر رجل في هذا البلد تعمد قتل الفقير ليماً كيسه من ماله المنغمس بالدموع والدماء، تعمد قتل الفقير لسرقة دريهمات التي هي حياته وحياة بنيهِ وكم كان في هؤلاء البنين كأفراخ القطا لم ينبت عليها الريش.

قلنا وقالت معنا الجرائد بوجوب الانتقام العادل من أولئك الولاة الأتراك - إن الإنسانية لا تخلع الحداد حتى يعاقب قاتلو بنيها والتجأنا والتجأ الجميع من أرامل وأيتام وعجائز وكل ضعيف، التجأ كل هؤلاء الى رحمة الحكومة، إلى رحمة الحلفاء النبلاء الذين حاربوا ليثأروا للعدل المضاع وللضعيف الذي انتزعت روحه من صدره إشباعاً لمطامع الأسافل.

إن شعوب الأمم المتحالفة في أوروبا قررت معاقبة الجناة من الألمان والنمساويين والأتراك، قررت ذلك ونفذت أو كادت قراراتها هذه ولكننا نحن الشعب الضعيف الذي يشكو من بعض أبنائه كما يشكو من الغريب المعادي نريد أن ننتقم فلا تقوى يدنا الضعيفة على الانتقام فنلجأ إلى الحكومة التي تمثل الحلفاء النبلاء ليجعلوا لنا ما

جعلوا لأنفسهم من حقوق الانتقام من أعداء الإنسانية انتقاماً مبنياً على عدالة القانون وعدالة الوجدان.

كنا ولا نزال نعجب بصحة وجدان سعيد أفندي زين الدين مدعي عمومي الاستئناف. إنه الرجل الذي برهن في كل أدواره على الجرأة الأدبية والوجدان الحي فإننا نطلب إليه بلسان من نكب من بني قومنا، بلسان الذين تجرعوا الموت غصصاً، بلسان الذين أكلوا الجيف وأكلوا أبناءهم، نسألهم بلسان هؤلاء أن يتجرد لمعاقبة القتل ومن ساعد على القتل من غير ما مراعاة في المذاهب - داء البعض من أبناء هذه الأمة الشقية.

ليضرب المسيحي المرتكب والمسلم المرتكب بسيف القانون الذي يموت على حده نفوذ المتنفيين وعواطف المنتفعين من أية طائفة كانوا.

إن حكومة اليوم غير حكومة الأمس، هي قوية فلا تبالي في سبيل خدمة الإنسانية بعوارض الأشياء.

إن اليوم الأعظم بل الموسم الأكبر بل المهرجان الفريد هو ذلك اليوم الذي يساق به جمال وطعمة جمال، يساقون أذلاء بعصا القانون والعدل ويحاكمون ومن كان لهم يد على قتل أبناء سوريا وما ذلك اليوم على حكومة اليوم بكثير ولا موعده كما اتصل بنا ببعيد.

البرق، ١٩١٩، عدد: ٤٤-٤٣٧، ص: ١٧٤

\*\*\*\*\*

## أثر الأقدام

تبارك الله! كيف استحال القصر جنة أزهارها العيون والمباسم، وأغصانها  
القدود تتراوح بين الهوى والهواء.

هي ليلة في إحدى قصور بيروت، ليلة راقصة، وما أولع قصورنا بأمثال هذه  
الليالي - هكذا كانت على عهد الترك، وهكذا هي على عهد الفرنسيين، وهكذا ستبقى  
إلى أن يرث الأرض وارثوها.

وكانت الحفلة متنوعة بين شرب ورقص، وربّة البيت بين السيدات كالبدر بين الكواكب،  
وفي الحضور كان بعض الضباط الفرنسيين دعوا فما رأوا جميلاً أن يرفضوا.

قامت حرسها الله تدعو ضابطاً إلى الرقص وساءها أن رفض على ما هو  
مشهور من خضوع أبناء السنين لحكمهن في الجور والعدل.

- علام ترفض الرقص يا سيدي وإنما أحيينا هذه الليلة إكراماً لكم.

(وكانت عينا الضابط لا تبرحان البساط)

- عفواً يا سيدتي.

(واستمرت عيناه في البساط)

- نعم إنني كثير الخجل يا سيدتي.

- ولماذا؟

- لأنني ... لأنني ... أرى ...

- وماذا ترى؟

- انظري «وأشار إلى البساط» ألا ترين آثار أقدام جمال باشا وضباطه عليه؟

- وجاء صباح اليوم الثاني وقد نشرت البسط على ممشي ذلك القصر وسطحه.

إذا نظفوا البساط فهل نظفوا أنفسهم؟!...

**ملاحظ**

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق ، ١٩١٩ ، عدد: ٩٤-٥٠٥ ، ص: ١

\*\*\*\*

## هول الليالي الخوالي.. هل رن في أذنيك

سوف لا يذكر التاريخ صفحة أوجع للمروءة الوطنية، وأنفذ في قلب بيروت من موقف صحافتها وأغنيائها عند مجيء عزمي بك الوالي التركي الرهيب!

لم نكن لنعلم أن خطر لعزمي بك أن يزور بيروت وهي لا تزال حفلى بذكرىات المشانق سالت على حبالها أرواح إخواننا طاهرة بريئة: يقين أن في هذه النفوس بقية ذكرى لا تلبث أن يثور بركانها متى هي تمتلأت أحبابها معلقين لا لذنب إلا لأنهم كانوا في طليعة شباب الوطن إقداماً وإخلاصاً ووطنية.

ولكن عزمي بك جاء... وجاء يحمل إلينا تلك الذكرى الأليمة، فإذا بعضنا من صحافيين ومثريين يطوي تلك الذكرى ويأخذ بتعداد محاسن الرجل ويتسابق إلى الحفاوة به وهو لو نظر إلى أي بقعة في سماء بيروت، لحدجته عيون الشهداء تترقق فيها الدموع ملامةً وأسفاً.

لسنا في مقام محاكمة الرجل، أهو بريء في نفسه، أو غير بريء مما جناه الاتحاديون علينا. لكنه كرجل يجر وراءه ذبول ذلك العهد، عهد الإرهاب والإبعاد والقتل والتجويع؛ فقد كان علينا - حتى على اعتقاد براءته - أن نقف خاشعين للنكبة، موجعين للتذكار، فتصدر صحفنا أجمع على إحدى زواياها إطار أسود:

**احتراماً وإنعاشاً لعظام شهداء الأمة**

ولو فعلنا ذلك من غير أن نقول كلمة في الرجل، ومن غير أن نتجاوز عليه كضيف، كان أول من احترمنا، ولكان الافرنسيون الذين يعدون علينا أنفاسنا ليعرفوا مبلغ تربيتنا السياسية ودعوانا الوطنية، يعترفون لنا بأننا أمة لها مزية الأمم الحية التي إذا أُلئت بها ذكرى أو جرحت لها كرامة توحد شعورها إزاء الذكرى، واتحدت أيديها زيادا عن الكرامة المجروحة.

ويأبى العدل علينا، أن ننكر على مجموع الأمة، شعورها الصادق ووطنيتها  
البريئة. وما<sup>(٢)</sup> هؤلاء الذين راحوا يشربون نخب عزمي فوق عظام الراقيدين في «الرملة»  
فقدماً لم تخل منهم أمة، إلا عاراً.

وإلى الذين نسوا تلك الخطوب المدلهمة، والمجازر الخرساء، نعيد نشر بعض  
الكلمة التي افتتحنا بها «البرق» بعد انحجابه طيلة مظالم الحرب وهي هذه:

«حَنَّ الْيِرَاعُ إِلَيْكَ  
فَابْسُطْ لَهُ رَاخَتَيْكَ  
يَا بَرْقُ لَا كَانَ يَوْمُ  
أَلْقَى الْحِجَابَ عَلَيْكَ  
هَوْلُ الْإِلْيَالِي الْخَوَالِي  
قَدْ رَنَّ فِي أُذُنَيْكَ  
وَلَمْ تَنْزِلْ تَتَمَشَّى  
الْأَشْبَاحُ فِي نَاطِرِيكَ  
قَالُوا قَضَيْتَ فَسَالَتْ  
حُمُرُ الدَّمُوعِ عَلَيْكَ  
أَجَلٌ وَهَذَا رَشَاشٌ  
مِنْهُ عَلَى بُرْدِيكَ  
عُدْنَا أَنَا وَيِرَاعِي  
قُمْ وَاعْتِنِقْ أَخَوَيْكَ»

من أي ليل إلى أي ضياء، بل مع أي قفص إلى أي قضاء، خَرَجَتْ هذه النفوسُ  
بعد أن رَسَفَتْ طويلاً طويلاً في سلاسل البؤس والعناء؟

ليالي لم تَقَعْ على مثلها عيونُ البواكي، وَمَجَازِرُ لَمْ يَرَوْهُ المؤرِّخ لها مثيلاً، ومظالمُ  
تَرَكَتْ ظلمَ نيرون في جنبها قليلاً، ومَحْتٌ مساوئُ أتيلاً، وصيرتُها شيئاً جميلاً، كانوا:

لَا يَسْأَلُونَكَ إِنْ قُبِضَ  
حَتَّى أَثِمْتَ أَمْ لَمْ تَأْتُمْ

فَالْحَبْلُ شَرُّ مُرَحَّبٍ  
وَالْعُنُقُ خَيْرُ مُسَلَّمٍ  
وَالسَّجَنُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ  
وَالنَّفْسُ أَيْسَرُ مَغْنَمٍ<sup>(٣)</sup>

ونشر الإرهاب رايته، فكنت تتخيل كلُّ شبحٍ جندياً مطارداً، وكل كتابة حُكماً  
بالإعدام مُبرماً، حتى قلقت المضاجعُ بالناس فلا تتذوق عيونُها الكرى إلا غراراً، خيفة  
شرٍّ يفاجئ، أو خطبٍ مستطير.

وَجَرَتْ يَنْابِيعُ الْكَرَى  
كَتَوَهُمُ الْمَتَوَهُمُ

البرق، ١٤ آذار ١٩٢٧، عدد: ٢٧٤٩، ص: ١

\*\*\*\*

## جمعية الإنسان الوحش

(مؤتمر مؤلف من ذئب وخنزير وثعلب وكلب)

- عن برق ٣ تشرين الثاني ١٩١٨ -

لتطمئن الجثث في قبورها، ولترجع الأرواح إلى عزلتها، لأن العدل أخذ مجراه.  
عجباً للمقابر وهي مقر السكينة، أصبحت مقر الضوضاء، فمن حفيف الأرواح  
إلى قسقة العظام والأقحاف<sup>(١)</sup>.

عجباً للمقابر وهي هيكل القدس، ومقر الحق، تصبح للدنس مقاما، وللرياء جلبابا.  
من هؤلاء الأشباح الذين يقلقون هدوء ذلك الليل، ويلطخون بأنفاسهم الفاسدة،  
نسيماته النقية. وماذا تراهم يريدون من هذه المدينة الساكنة في هذا الليل الساكن؟...  
وكان في وسط المقبرة ضريح مرتفع من بلاط مصقول، وعلى ذلك البلاط رُفعت  
أربعة كراسي جلس عليها أربعة رجال.

وكان في الوسط طاولة عليها أربع جماجم مفرغة، ولكنها مترعة من الدم.

وساد فجأة سكون عميق كالسكون الذي يخيم عادة في منازل الأموات.

وكان القمر يبرز من وراء جبال لبنان، فاستضاء به المكان فكشف عن وجوه  
الرجال الأربعة: فإذا على تلك الجثث رؤوس ترتعش لها المفاصل - رؤوس حيوانات  
على هياكل بشرية.

ولم يكد يظهر القمر بتمامه من وراء الجبل، حتى تنحنح كبير المجلس، وكان بين  
كتفيه رأس ذئب، وبعد أن فتح فكيه متثابرا، أخذ الجمجمة التي أمامه بيده وقال:

«إن جمعية الإنسان الوحش» التي لي الشرف أن أترأسها، مندوبا عن جمعية  
«الاتحاد والترقي»<sup>(٢)</sup> قد أنجزت والحمد لإبليس، مهمتها تماما وكمالا».



«إننا قد أخذنا على عاتقنا تمزيق البلاد وقد نجحنا، وإهلاك العباد وقد نجحنا. وهما كما تعلمون الأسان اللذان ينبت عليهما مقاصد جمعيتنا الكريمة».

«لقد ضمتُ جمعيتُنا هذه أهم أعضاء الهيئة البشرية. وقد أخذ كل عضو منها على عاتقه، أن يَبْثُ روحَه الخبيثة في نفوس زملائه لتتعرَّزَ بهم قوة الجمعية، وتستعين بهذه القوة على إنجاز مقاصدها».

«وقد اجتمعنا بعد أن خرجنا من هذا المعترك ظافرين، ليقدم كل مندوبٍ منا بياناً وجيزاً عن أعماله».

«أما «الاتحاد والترقي» التي أتشرف بأن أكون مندوبها، فقد أنجزت مهمتها بكل نشاط فهي بملء الفخر، تصرح أنها هي التي مسحت بإصبعها عن الخارطة لون السيادة التركية».

«فلنشرب على سر الاتحاد والترقي».

ووقف [الأربعة]<sup>(٣)</sup> وشربوا نهلةً من تلك الجماجم، ثم جلسوا وهم يمسخون قطرات الدماء عن أشفارهم الغليظة.

وأخذ الثاني وهو مَنْ - يحملُ بين كتفيه رأس خنزير - الجمجمة بيده وقال:

«إنَّ ما رأيتُم وترون من أهوال المجاعة وضحايا المجاعة، يرجع به الفخر إلينا. لقد خزنَّا الحنطة وسائر أنواع الحبوب، وتركنا الناس يحلمون بالرغيف ولا يرونه. تركنا الصبية الصغار يقطعون قلوب الأمهات ببكائهم، والأمهات يقطعن قلوب الرجال. وتركنا الموت يقطع قلوب الجميع.

لقد حكمنا على الإنسان الضعيف بالموت، وأنفذنا حكمنا فيه. فكنت تراه منطرحين في الشوارع جثثاً هوامد».

«لقد نزعنا منه دريهمات ثم أراضيه، ثم أخشاب بيته، ثم ثيابه ثم روحه».

«لقد احتكرنا كل شيء، ولقد كنا نحتكر الماء والهواء لو وجدنا إليهما سبيلاً».

«أجل! لقد كان لنا من علي منيف<sup>(٤)</sup> وعزمي<sup>(٥)</sup>، عضدان قويان لتنفيذ غايتنا السافلة: ذاك باحتكاراته المتنوعة تحت الأسماء المتنوعة، وهذا بشركاته الخفية مع أهم أعضاء جمعيتنا البيروتية».

«وحسبنا فخراً أننا قتلنا لا أقل من مائة وسبعين ألف نسمة من أهل لبنان، ولا أقل من خمسين ألفاً من بيروت، قتلناهم بعد أن سلبناهم، ثم بنينا على جماجمهم قصور ثرواتنا الطائلة».

«فلنشرب على سر المحتكرين - وحالاً وقف الجميع وأخذوا نهلة من تلك الجماجم وهم يقولون: لنشرب على سر المحتكرين»!

ثم وقف من يحمل على كتفه رأس ثعلب فأخذ الجمجمة بيده وقال:

«لقد فخر كل من سيدي الذئب والخنزير، بأعمالهما الفظيعة التي ملأت الأسماع والأبصار، فخرأ بهذه الأعمال بعد أن جعلها هدفاً لسهام العدى، وعرضها بإعلانها لأسنة الملام غير أننا معاشر الثعالب جئنا من الأعمال ما هو أدهش وأفظع. فالمشائق التي نصبت، والعائلات التي أبعدت كانت نتيجة أعمالنا الخفية؛ ولا يخفى ما تهدم بذلك من البيوت وتشئت من العائلات».

«لقد فعلنا ما فعلناه مستعينين بالكتمان فدفعنا بذلك عن أشخاصنا أسنة اللوم ونجونا من العقاب إذا كان ثمت من عقاب».

«ولقد كانت وظيفتنا أيضاً، العمل على تلطيخ العفاف في العقائل والأوانس، فبذلنا في ذلك السبيل فوق ما بذله بعض المحتكرين تزلفاً إلى الحاكم ببذل ما عز من الشرف والمروءة».

«فلنشرب على سر الجاسوسية والجواسيس والقيادة والقوادين»!

ووقف الرجال الأربعة ووجلوا<sup>(٦)</sup> وغلة في الجماجم التي بأيديهم يقولون: لنشرب على سر الجاسوسية والجواسيس والقيادة والقوادين!.

وأخيرا وقف رأس الكلب بعد أن قبض على الجمجمة بكلتا يديه وقال:  
«من المعلوم أن لكل هيئةٍ رسميةٍ سجلاً تُكتب فيه أعمالها ويُخلد فيه تاريخُها. ولما  
كانت أعمالكم يا سادتي تحتاج إلى تدوين، ومبادئكم إلى تعميم وتلوين، وولائمكم إلى  
تشهير، فقد أخذت وزملائي هذه المهمة على عواتقنا، وجاهدنا فيها جهاد الأبطال فكنا  
إذا عقدت شركة احتكارية نقول:

«لقد اهتم بعض أفاضل الثغر بإنزال أسعار الحنطة رحمةً بالفقير».  
«فمن هنا يا سادتي تعلمون عظم مسؤوليتنا (وشرف) مهمتنا. ولا إخالكم إلا  
شاربين معنا على سر الألسنة المخلصة والأقلام المخلصة».  
ووقفوا جميعاً وقالوا، بعد أن أفرغوا بقية الدم من كؤوسهم: لنشرب على سر  
الألسنة المخلصة والأقلام المخلصة.

وكانت غيمة كثيفة قد حجبت وجه القمر، عندما أعلن الرئيس ختام الجلسة، فنزلوا  
عن الصريح وقد تأبط كل منهم الجمجمة بكل الكأس التي سكر بها في تلك الليلة.  
وحجبت الظلمة أشباحهم، فلم يكن يُسمع سوى قسقة العظام تحت أرجلهم -  
عظام قتلى الجوع والخيانة.

البرق، ١٦ آذار ١٩٢٧، عدد: ٢٧٥١، ص: ١

\*\*\*\*

## ثانياً: عهد الانتداب

ابيض

## لماذا نريد حكومة لا دينية

الطاغية سبب انحطاطنا - مثلاً روسيا وإسبانيا - ماذا نحاذر وماذا نريد؟

قبل أن أقول كلمة في ما أنا قائل اليوم، أرغب إلى القارئ أن يعلم علماً يقيناً أنني أحترم كل دين وليس في سوريا، والحمد لله، دين لا يأمر بطاعة الله.

أحترم الأديان، وأثق بالمتدينين فوق وثوقي بالجدّة، لأن الدين هو أساس كل فضيلة.

ولكنني ! ولكنني إذا علمت أن الدين - مع احترامي الفائق للدين - يحاول أن يندغم بالسياسة فيتألف منهما حكومة عالمية: حكومة دينية زمنية وقفتُ إذ ذاك موقف الخائف الوجع على حكومة أتصور شعبها يرجع القهقري حيناً، وتتفجر براكين تعصبه حيناً، ويكون مصيره إلى الأغلال التي لا تزال أثارها في عنقه.

أخاف ويحق لي أن أخاف، من شعبٍ رضع التعصب حتى جف ثدي التعصب، أخاف منه وعليه إذا وضعت على رأسه حكومة لا يمكن، على ما قرأت وسمعت واختبرت، إلا أن تكون دينية؛ حكومة في بلد تنوعت مذاهبه، وسجل التاريخ على أهله أسطراً لم يجف حبرها بعد.

قد يقال: لماذا يخشى هذا المتطرف مثل هذه الحكومة؟

هنالك أسباب أهمها: أنني أريد التقدم للبلاد التي أنا منها ولا يمكن التقدم إلا إذا تجرد الدين عن الحكومة، وحلّت الجنسية الوطنية محل الجنسية الدينية.

وتريدون مثلاً؟

هذه روسيا، وكان قيصرها جامعاً بين السلطتين الدينية والمدنية - أفلا تعجبون من رُقيّ روسيا؟!

وهذه إسبانيا، ولا تزال السلطة الدينية مهيمنة فيها، وكانت والتاريخ أصدق

شاهد، لا تغيب الشمس عن ممالكها في العالمين القديم والحديث، وهي اليوم لا تعد في الدول العظمى لأسباب هي التي أنا أخشاها.

تشهد صفحات هذه الجريدة على محاربتني كل ما هو طائفي في البلاد، على أمل أن أرى أبناء هذه البقعة، كأبناء البلاد الأخرى، لا ينتسبون إذا نسبوا إلا إلى وطنهم.

إن الطائفية في لبنان وسوريا، هي التي فرقت أهله أشتاتاً، وهي التي حكمت عليهم بالضعف. فمن أجل ذلك حاربناها؛ وكذلك كان شأن الفرق المذهبية الأخرى، وانقسامها بعضها على بعض، بحيث تلاشت قواها وطمع بها الطامعون.

من أجل ذلك، من أجل أن لا نعيد على مسرح الحياة تمثيل الأدوار السالفة، ومن أجل أن لا يكون للدين دخل ولا شبه دخل في الحكومة الرفيعة المستقلة التي ننشدها، نطلب أن تكون هذه الحكومة جمهورية ديمقراطية مفصولة فيها السياسة عن الدين.

قرأت في إحدى (الرصيفات) - هي في نظري أرقى الجرائد من نوعها - لكاتبٍ هو في نظري من أرقى الكتّاب في نوعه، مقالاً عربياً دينياً سياسياً، أيقنت بعده استحالة انفصال الحكومة العربية عن الدين.

لم يكن ذلك المقال يخلق في هذا الاعتقاد، ولكنه أيده وثبت دعائمه. فأنا بعد اليوم، أحاذر هذه الحكومة على شدة حبي لها، وعلى ما أحفظ لها من التذكار الجميل في نفسي ومن الاحترام الذي ما بعده احترام.

ولكنني مع ذلك، أتمنى وأطالب بحكومة وطنية لغتها العربية - بحكومة مستقلة - بضمانة ومساعدة أمة لها من شرفها وسابق مجدها ما نأمل معه إخلاصها وصدق نيّتها - وذلك إلى أن ننشأ وطنيين لا ندخل الدين في شؤوننا الزمنية والسياسية، كما هو شأننا بين الأمس واليوم.

#### افتتاحية

البرق، ١٩١٨، عدد: ٣١-٤٢٤، ص: ١

\*\*\*\*

## بين عام وعام

- العام الجديد يلون خارطة العالم - الأمل برجال المؤتمر - برهان الدول على الإخلاص  
الورقة التي سقطت أمس من شجرة الدهر، هي ورقة السنون<sup>(١)</sup> الأربع التي  
حملت مصائب العالم وويلاته.  
تاريخ حبره من الدمع والدم، وأوراقه الصدور الخافقة الضئيلة التي لم تبق منها  
العواصف سوى ما تبقى من ورقة الخريف، مادة ولا روح، ولون كلون سكان القبور،  
وخفوق كالرداء المنتشر في مهب الأرياح.  
سنون أربع هي في نظر البشر سنة واحدة،  
وحدت بين الدموع والمقل، والمخاوف والقلوب، والطوى والبطون.  
ليلة واحدة ولكنها طويلة! . طويلة حتى قيل إنها الأبدية.  
فغرت الأرض فمها وابتلعت الضعفاء في سوريا، وابتلعت حتى الأقوياء في  
غيرها - تلك كانت السنة التي فاض نفسها الأخير على عتبة الأمس.  
واليوم - مطلع عام ١٩١٩ - يحمل باليد الواحدة الكرة الأرضية، وباليد الثانية  
ريشة حقيرة الشكل، جليلة الخطر، وأمامه المحابر من كل لون.  
إنه يشرع بتخطيط خارطة العالم.  
إذا كان في الأرض أمة ضعيفة فنحن تلك الأمة. لا سيفنا قاطع ولا بارودنا حام؛  
ويا ليت ذلك كان وحده علة الضعف فينا!



فلقد أنهكت جسمنا الضئيل أمراضه. وهل كان الجهل والرقُّ والانقسام  
والتعصب، سوى أمراضٍ ضاعت بها حيلة الحكيم؟.



العام الجديد! ولا ننكر عليه يده البيضاء. إنه أقبل والأمل لامع في نظره، والحنان  
خافق في قلبه، والأمانى أمانى الشعوب الضعيفة، أمانينا نحن أبناء لبنان، وأبناء  
سوريا، سوف لا نعدم منه نصيرا.

أجل! أقبل العام الجديد فحيته الثغور الباسمة، والعيون اللامعة، وكان يُقبل فلا  
يرى سوى ما يُقذي العيون ويصدع القلوب.

إنها يد للعناية علينا، يد للحكومة الحاضرة، من كفر بها كان من الآثمين.

فيا شمس هذا العام! إذا جئت باريس حيث تُقسم الحظوظ في الناس، فخبّرهم  
أن في سوريا، بقعة جارت عليها الطبيعة، وجار عليها البشر، فلم يبق منها سوى عظام  
قتلى الجوع، وتربة كتلك العظام؛ كانت تدّر اللبن والعسل، وتُنبت سهولها السنبالَ  
كالذهب، فما زال بها الطمع السياسي والتعصب الديني، حتى اقتطع منها سهولها  
واغتصبها مرافئها؛ فهي ضحية الأتراك منذ كانوا - هي لبنان!...

يا شمس هذا العام! إذا ما جلس الرئيس ويلسن «الانسانية المجسمة» مجلس  
الحكم في مصير الشعوب، فابعثي إلى قلبه من أشعتك، رسولاً يقول له إن لبنان شهيد  
هذه الحرب من كل سوريا، له عندك شفيع مشفع، أبناؤه الألى حاربوا تحت راية أمتك  
الكريمة، أبناؤه - شيوخا وشبابا وأطفالا - الذين شملتهم عناية أميركا الحرة، فدرجوا  
على أديمها، ونشقوا هواءها، وشربوا ماءها، وأكلوا ثمارها - الألى ضم ترابها أجساد  
الكثيرين منهم، هؤلاء شفيع هذا الجبل الأجرد إليك - هذا الجبل الذي مازالت عيونه  
تبكي سهوله المغتصبة وثغوره المغتصبة.

يا شمس هذا العام! قلبي «له» و «لهم» ولكل قلب نبيل يضمه مؤتمر الصلح. إن أهل سوريا لا يعرفون وطنيَّةً، سوى الدين - نشأوا مذاهب ونحلاً - تعود قوِيَّهم أن يسود ضعيفهم، وجاهلهم أن يسود نبيهم، يريدون أن ينهضوا ولكنهم لا يقدرّون؛ ويحاولون أن يتقدموا فتجذبهم إلى الوراء سلاسل التقاليد التي ربطت حاضريهم بماضيهم ربطاً محكماً.

أذلَّهم الأتراك عصوراً، وشنعوا بهم طيلة هذه السنين الأربع، وهم يمشغون الضيم مضغاً، وإنما، إنما صبر المجموع السوري على الضيم، لأن الأتراك عرفوا كيف يصطادون هذه القلوب التي هي أشبه الأشياء بالسماك السباح في بحر التعصب؛ قلوب جميع الطوائف السورية، ما خلا الفئات المتعلمة من هذه الطوائف وما أعجز هذه الفئات!

إن الأمم التي حاربت مخلصاً، الأمم التي يمثلها لويد جورج وكليمانصو وويلسن<sup>(٢)</sup>، الأمم العظيمة التي حملت النور والسلام للعالم، سوف تجعل من شمس هذا العالم بشيراً لهذه البلاد بالحياة، وبما تشتمل عليه الحياة من العلم والتساهل والإخاء والوطنية.

إن الدول العظمى، باختيارها فرنسا الشريفة لتكون معلماً وقائداً لنا في حياتنا الاجتماعية هذه، قدمت برهاناً جديداً على أنها حاربت في سبيل سلام العالم، في سبيل العلم والرقى والمدنية.

مرحباً بالعام الجديد، ففي أشعته حرارة الأمل وإيمانه، ولا معنى للحياة بدون الأمل.

#### افتتاحية

البرق، ١٩١٩، عدد: ٣٨-٤٣١، ص: ١

\*\*\*\*

## المهاجرون والمقيمون

حسناتهم وسيئاتهم - أيهم أحق باختيار مستقبل البلاد - الوسط هناك والوسط هنا

أما وقد انفتح البحر ومشى بيننا البريد، فعلموا وعلمنا حقيقة ما فعلوا وفعلنا، وقرأوا وقرأنا حقيقة ما كتبوا وكتبنا، تحمل ذلك إلينا وإليهم صحفهم وصحفنا، رسائلهم ورسائلنا - أما وقد انكشف لنا كل ذلك، قد أصبح من السهل أن نقول كلمة في موضوع تناولته أقلام بعض أفاضلهم هناك، ألا وهو تنازع الحكم على مستقبل البلاد - بلادهم وبلادنا : سوريا ولبنان.

تنازعوا في أيٍّ من الفريقين المهاجرين أو المقيمين، له الحق أو له الأفضلية باختيار شكل الحكومة الداخلية واختيار الوصي، إذا كان لا بد من وصي.

قال بعضهم: إن المتخلفين<sup>(١)</sup> هم أحق باختيار شكل الحكومة، وتسمية الوصي، لما كابدوا في هذه الحرب من الشدائد ولما تجرعوا من الأهوال، ولما حصد منهم منجلُ الجوع، ولما أنهم أعلم بروح البلاد من إخوانهم وراء البحار.

وقال البعض الآخر: إن المهاجرين هم أحق باختيار شكل الحكومة وتسمية الوصي، لما أنهم ركبوا الأهوال في سبيل جمع المال، ليرسلوه إلى المتخلفين الذين إنما هم عيالٌ عليهم، وأن الوطن السوري واللبناني لم يزدهر بالعمران إلا بمال المهاجرين من جهة وبما نقلوه إليه من روح الديمقراطية والمعارف من جهة ثانية.

قال الفريقان ذلك، ووقفوا عند هذا الحد؛ فإذا جاز لنا أن يكون لنا رأي في الجماعة قلناه.

إن الذين ذهبوا ضحية المشانق وضحية الجوع - إن هؤلاء هم حجة على المتخلفين لا حجة لهم.

نحن نعلم أنه لو ثارت ثائرة أو بدرت بادرة من المتخلفين عند شنق القافلة الأولى<sup>(٢)</sup>، لوقف جمال عند حده، أو لشعر على الأقل مع جماعته الأتراك، بوجوب تعديل سياسة الإرهاب.

ولكن المتخلفين، وخصوصا المطالبين منهم بحق الاختيار، الواقفين على رؤوس الفرق السياسية، كانوا - ولا خجل - يصادقون، بما يُولون وبما يتظاهرون، على أعمال السفاح، وهي سيئة في كفة المتخلفين من حيث حسبو وحسب غيرهم أنها حسنة.

أما قتلى الجوع، فكلنا نعلم أن المتخلفين، وخصوصاً زعماء الفرق ودعاة الوطنية اليوم، هم الذين كانوا يداً أثيمة على قتل هذه الألوف المؤلفة من إخوانهم، بما رفعوا من أسعار واحتكروا من أقوات وأدانوا من ربا ما فوقه ربا، وهي سيئة بل جريمة في كفة المتخلفين من حيث حسبو وحسب غيرهم أنها حسنة.

لقد كان الحق بالاختيار للألى شُنقوا والألى قتلهم الجوع.. أما وقد أصبح هؤلاء في عالم العدم، وأصبح معظم الذين لا يزالون في قيد الحياة يتنعمون بما اغتصبوه منهم، فأى حق لهؤلاء إلا إذا كانوا قد أخذوا منهم قبل أن أجهزوا عليهم، وكالة شرعية باختيار مستقبل البلاد وشكل حكومة البلاد.

إن تجار المتخلفين، ما خلا العدد القليل منهم، جنّوا على البلاد بما أرهقوا أبناءها، بينما كان تجار المهاجرين يتسابقون إلى إمداد أهلهم في الوطن بالمال، على ما هنالك من الخسائر الباهظة في تبديل الورق بالذهب.

إن صحافة المتخلفين كانت بلا استثناء، تُهلل وترحب وتحبذ بقوافل المشانيق، وتنشط جماعة المحتكرين في مواقف كان يمكنها فيها السكوت، بينما كانت صحف المهاجرين، في جميع مواقعها، دموعاً وأنيباً واحتجاجاً على مصير الوطن وإرهاق أبناء الوطن.

إن شعراء وأدباء المتخلفين، ما خلا القليل القليل، كانوا يصنعون من القصة

مزمارا ينشدون عليه مدائح العتاة وينسجون من أشعارهم كفوفاً حريرية بيضاء،  
يجربون بها يدهم المنغمسة بدماء إخوانهم - بينما كان أدباء وشعراء المهاجرين،  
يصنعون من اليراع قيثاراً يوقعون عليه باكيات المراثي.

إن من المتخلفين من اتخذ الوشاية والسفالة، آلة لإبعاد إخوانه، والقضاء عليهم؛  
فضلاً عن أن البوليس الوطني، والجندرية الوطنية في سوريا ولبنان، كانا آلة للانتقام  
والإرهاب والإعدام، كما هو مأثور ومعروف، بينما كان المهاجرون يتطوعون أفواجا  
أفواجا، ويُعرضون صدورهم لحراب العدى دفاعاً عن المقيمين، وقياماً بالواجب الوطني  
الذي دنسه أكثرنا بأعماله.

أما القول بأن المتخلفين أعلم بروح البلاد من المهاجرين، فهو قول صواب، ولكن  
ما هو هذا الروح في البلاد؟

أهو الروح الذي نطالعه خلال السطور ونجسّه خلال الصدور؟

أهو هذا روح التعصب الذي أصبح المتعلم لا يستنكف في سبيله من أن يؤلّي  
عليه أو يربط نفسه برجلٍ أو بيئةٍ هي دونه بمراحل، علماً ومدنيةً ورقياً - إذا كان  
مسلماً - أو أن يقيم على رأسه راهباً قد لا يكون يُحسن القراءة - إذا كان مسيحياً؟  
أقول هذا ولا أعمم، لأنّ فينا من هناك ومن هنا، فئةٌ هي فوق كل هذه السفساف،  
ولكنها في العدد دون سائر المجموع.

هذا ذنب الوسط الذي نعيش فيه، وهو على عكس الوسط الذي يعيش فيه  
المهاجرون؛ والإنسان ابن وسطه كما يُقال.

لا جدال في أن الوسط الذي يعيش فيه إخواننا في كل المهاجر، هو أرقى من  
وسطنا - فهم بما تشربوا من رقي ذلك الوسط، أحق من المتخلفين باختيار شكل  
الحكومة. هذا إذا كان مؤتمر الصلح - إذا كان ويلسن ولويد جورج وكليمانصو -

مُثلثُ مؤتمر الصلح - يريدون أن يجعلوا الاختيار بحسب الرقي لا سواه.

إن فئة كبيرةً من كل طوائف سوريا، هي في كفة الرقيّ - في الكفة التي تقول  
بإسناد الاختيار إلى المتعلمين والمتشربين الروح الديموقراطي، لأننا نريد أن نسير  
إلى الأمام، وأن نسير على النور - وأن لا نعاكس تيار المدنية الجارف لنألا نداس  
تحت الأقدام.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩١٩، عدد: ٥٥-٤٤٨، ص: ١

\*\*\*\*\*

## القضية الوطنية

مطالب اللبنانيين، طريقة الطلب، الفوضى الحاضرة، الأخلق بنا أن نقول نريد من أن نقول لا نريد.

من يُنكر علينا - معاشر اللبنانيين - حقنا في طلب (الحياة)؟، من ينكر علينا قولنا، إن هذه الصخور التي دفعنا إليها الظلم، لا تفي بمطالب الحياة لشعب له حقه في الحياة؟ ومن هذا الذي يُنكر أن بيروت وصيدا وطرابلس والبقاع إنما هي في لبنان ومن لبنان، ولا غنى للبنان عنها؟

لم يُنكر علينا حتى الساعة، أحد هذا الحق. وكيف ينكرون إذا نحن سلكنا إليه من اللين سبيلا، واخترنا له الرقيق من الكلام، والمبين من البرهان، وجعلنا الابتسام في ثغور السطور، والإخلاص في صدورها؟.

نريد لبنان الكبير - أو لبنان الطبيعي - ومتى قلنا ذلك فكأنما نريد أهل هذه البلدان، وفيهم السريُّ والأديب والفاضل، على اختلاف الأميال<sup>(١)</sup> والمذاهب.

نريد لبنان الكبير، وقد يكون القائل من أصحاب الحرف الواطية اتخذ الصحافة مهنة - والصحافة عندنا أمُّ العجائب. فكيف نريد - وقد فهمنا معنى قولنا: نريد لبنان الكبير - أن يحني هؤلاء السراة رؤوسهم لمثل هذا القائل، ويقولون له: شأنك بنا وما تريد.

أجل، إننا لنطلب لبنان الكبير، لنطلب إلى هؤلاء الإخوان، بما لنا من حق الجوار، وحق المصلحة المشتركة، ضاربين صفحاً عن حقنا بالحياة، وحقنا الطبيعي، إننا لنطلب إليهم، أن نكون - هم ونحن - جسم هذا الوطن. أن نقول لهم: نحن لا نريد إلحاقكم بنا،

بل نريد أن لا يحول حائل بيننا؛ أن نمتزج بكم امتزاج الماء بالراح؛ أن نُوحّد مصالحنا ونوحد نظاماتنا؛ وأن يكون حق الوطني كالمنور يستوي عندهما كل حي.

إننا إذا قلنا ذلك لهم، فماذا عساهم يجيبون وفيهم من فيهم من رجال الفضل وزعماء الأدب؟

إن أقل ما يُجيبوننا به: مقابلة العاطفة بمتثلها، وهي خطوة إلى التفاهم كبيرة! وبعدهنّ... بعدنّ ندعو هؤلاء الإخوان إلى مؤتمر عام، وهم إما أن يضعوا يدهم بيدنا، وإما أن يبينوا الأسباب التي تحول دون هذا الامتزاج.

فإذا تمكن الفريق من إقناع أخيه، فهي المنى: وإن لا؛ تفارقوا أحباباً أخذاناً، وعمل كل منهم بما يوحيه إليه وجدانه؛ حتى إذا تمتّ للواحد بُغيته، لا تكون ذراعه بعيدتين عن أخيه، ليضمه إليه ويسير وإياه تحت الراية الواحدة والنظام الواحد.

لقد خفنا ويحق لنا أن نخاف، أن تتحول مسألتنا الوطنية إلى مسألة دينية، وهناك المكانة العليا التي نُمهدها لنا في صدر العالم الأوروبي الذي إنما نتزلف إليه، بما ندعيه من الرقي والمدنية – إنما نتزلف إليه بهذا، ليأذن لنا بالحكم الذاتي، ويمنحنا استقلالنا الوطني، ويكون لنا منه المساعدة الخفيفة المحدودة إذا لم يكن لنا بدٌّ منها.

كنا نود أن يقتدي دعاة السياسة بغبطة السيد الكبير بطريرك الطائفة المارونية<sup>(٢)</sup> الذي – حفظه الله – نهض لمعالجة المسألة الوطنية بالحكمة المزدان بها شخصه الكريم. فإنه على ما بلغنا، سيعمل على دعوة كبراء البلاد من رجال الدين والدنيا، من جميع الطوائف اللبنانية، لبحث معهم في مسألتنا الوطنية ويقرروا الخطة الحكيمة التي يمشون وأهل البلاد، عليها.

إن قولنا: لا نريد هذا ولا نريد ذاك، لهو قول فوق اقتدارنا ولقد كان الأخلق بنا أن نقول: نريد هذا ونريد ذاك.

إن ولسن نفسه ولويد جورج وكليمانصو، لا يتجاسر أحدهم أن يقول: لا أريد، أما إذا كان أحدنا يشعر من نفسه بقوة فوق هؤلاء، فهو أمر آخر.



نحن نريد لبنان الكبير، نريد أن نوّلف من النفوس والأراضي التي تعتبر من لبنان  
وطناً واحداً، ولا فرق بين أن نلتحق بهم أو أن يلتحقوا بنا، نريد أن نحترم رأيي إخواننا  
جميعاً، نريد حقنا في الحياة، وللمؤتمر حكمه النافذ ورأيه الموفق بإذن الله.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩١٩، عدد: ١٣٥-٦٤٥، ص: ١

\*\*\*\*

## أرميه بورقة فيرميني بحجر

.... عذيرك من خليك ....

لقد زال معظم الخلاف فعَلام نجره بقرنيه؟

وكان من نعم الله علينا، أن طوينا شقّةً واسعة إلى حُسن التفهم، فكيف نعود إلى أول الطريق؟!

لقد ذلّلنا نحن وبعض الرصفاء<sup>(١)</sup> كل عثرة! وحرقتنا أنا نيتنا بقدر الاستطاعة على هيكل المصلحة العمومية!

تلك صفحاتنا شهودٌ على أعمالنا، وتلك مناظراتنا تُؤيد ما ندعيه! لم نسلم من الخطأ أحياناً، وحسبنا أن لا ندعي العصمة.

وأعظم خطيئتنا هي التي ركبنا لها الحدة، وأعظم منها هي التي ركبنا لها التحامل. وأعظم منها هي التي ركبنا لها الحطّ من كرامة الآخرين؛ على أننا لم نرتكب كل هذا، ولكننا نعترف به لنمحوه.

والآن، وقد أزلنا من طريق التفاهم، عثراتٍ كبيرةً، والآن وقد انطوت كل قضية اختلفنا عليها – لم يبق أمامنا سوى لفظتين معناهما واحد: الوحدة والتجزئة: وحدة سوريا، واستقلال لبنان.

إن لكل من الفريقين رأياً، على الآخر احترامه! فكما نحن نحترم القائلين بالوحدة السورية، ولا نرى بدعة في طلبهم، كذلك نرجو من هؤلاء الإخوان أن يعاملونا – منّةً وكرماً – نفس المعاملة ولا نطلب مزيداً.

– ما هو المقصود بالجدل؟

– الوصول إلى الحقيقة.

الجواب صحيح. ولكن كيف نصل إلى الحقيقة، ونحن نجعل لها من مهارتنا أكفاناً؟  
لقد شاء – الميت الحي – أحد الذين يكتبون في رصيفتنا «الحقيقة»<sup>(٢)</sup> أن ينتقد  
قرار مجلس إدارة لبنان، القائل باستقلاله عن بقية القطعة السورية – وله حقه في ذلك،  
لأن الكلام مباح ولأننا نطلب لأنفسنا حياةً ديموقراطية. غير أنه أخطأ بأن ألبس نقده  
ثوباً من التحامل ليس الآن محله.

لا نكران أنه إذا حق لفردٍ أو لأفراد أن يتكلموا في مصلحة البلاد، فمجلس إدارة  
الجبل أولى بذلك الحق.

وإذا كنا نرغب إلى المنشئين والصحافيين، أن يحترموا بعضهم عندما يتناظرون  
في المسائل الوطنية، وهم يُحسبون من عائلة واحدة، فكم يجب أن نرغب اليوم، إليهم  
في احترام الآخرين، ولا سيما إذا كانوا من ممثلي جماعات الوطنيين على اختلاف  
مذاهبهم.

إن بحثنا هذا الآن، هو في نظرنا أهم وأفيد من تبين حقوق لبنان، وقد ملئت بها  
الحقول والصحف أربع سنواتٍ بأسرها – هذه الحقوق التي لا نظن الكاتب يستطيع  
إنقاصها، كما أننا لا نستطيع زيادتها مهما حاول وحاولنا أن ينقص وأن نزيد.

نحن نعلم أنه مهما بلغت مسافة الخلف بيننا، فإننا سنلتقي في نقطة واحدة. أفيجوز  
أن نلتقي – متى التقينا – وقد هشم أحدا الآخر، وملأ قلبه حقداً ووجهه عبوساً؟ أم  
الأفضل أن نلتقي – ولا بد أن نلتقي – وملء قلوبنا صفاء وملء وجوهنا ابتساماً؟.

ما هو الفرق بين قولك لمُناظرِكَ «لقد خُنتَ وطنك وسخرت ضميرك، وعبدت  
مصلحتك» وبين قولك له: «أظنك أخطأت ما تقصد من خدمة وطنك ومصلحة قومك، مع  
ما هو معروف من صدق ضميرك ونزاهة قصدك».

أظن الفرق واضحاً كالصبح لذي عينين، وأظن أنه لو سارت مناظراتنا على هذا النمط، لكننا طويلاً مسافة الخلف كلها.

أيُّ كاتبٍ لا يمكنه أن يملأ السطور سفسطةً ومغالطاتٍ؟، بل أي كاتب لا يمكنه أن يملأها ألفاظاً فارغة، على كثرة ما عندنا من المترادفات والمتقاربات؟ ولكن الكاتب هو الذي يكتب ليفيد، وهو الذي إذا سكت أحياناً فإنما هو الذي يسكت ليفيد.

أراد حضرة الكاتب في «الحقيقة»، أن يهزأ بقرار المجلس، ويأخذنا بكتفه؛ وكان في إمكاننا أن نجيبه بلهجته ولغته – حذوك النعل بالنعل – ولكننا لا نفعل لأننا اختبرنا الأمور وعرفنا أن أكبر الواجبات هو غسل القلوب وتوحيد الأميال وتمهيد السبل بين العواطف والمصالح.

قصد دمشق بضعة وعشرون نفرًا من لبنانيين وبيروتيين<sup>(٣)</sup>. قصدوها ليسلموا على الأمير<sup>(٤)</sup>، وليعلنوا في هذه المناسبة، ميلهم إلى الوحدة السورية. ولقد كنا نوثر السكوت اعتقاداً أن لكل إنسان حق الرأي وحق الاعتقاد وحق التصرف؛ واعتقاداً أن الكلام يوقظ الخلاف، وهذا يوقظ التنافر. ونحن في حال من التطور، أحوج بها إلى السكوت مع التيقظ، ومن الكلام مع العظة. ولكن الكاتب في «الحقيقة» أراد أن يقول في معرض كلامه عن الوفد:

«يعذرنا أصحاب فكرة «لبنان الكبير» لعدم تسميتنا هذا الوفد باسم «وفد لبنان الكبير» لأننا ما زلنا نجهل من قرار مجلس إدارة الجبل، الأخير، ما يجهله صاحب «البرق» وهي لسان حال لبنان الكبير، أو بعبارة أوضح: حزب لبنان الكبير».

كان على الكاتب لو تروى، أن يترك الجريدة تورده الخبر تحت أي عنوان شاءت. ولقد كان من المحتمل أن تسكت الجرائد المعارضة عنه، لا تصديقاً على زعم الجريدة، ولكن تجنباً للنفور الذي يجره الجدل؛ وعندئذٍ كان يسير الوفد يُظلمه السلام ولا تنهشه الأقلام.

لذلك قلنا: إن السكوت أحياناً هو أفيد من الكلام.

يا حضرة الأخ الأديب:

إن لبنان، سيكون كبيراً حتى ولو ظفرت أنت ببغيتك من توحيد سوريا، إن سمو الأمير فيصل، وحزب الوحدة السورية، الذي أنتم منه، وكذلك الدول العظمى، كل هؤلاء يساعدوننا على لبنان الكبير فإذا كنا نحصل على لبنان الكبير، والظفر في جانبكم، فكيف تريدون أن لا نحصل عليه والظفر في جانبنا؟

نحن نحمد الله أن أزلنا كثيراً من أسباب الخلاف، تلك الأسباب التي أشرعنا لها الأقلام شهوراً؛ نحمده لأنه لم يبق لدينا سوى هذا الخلاف البسيط - الوحدة والتجزئة - الخلاف الذي لا يتناول شره وخيره سوانا، ولا يتناول حلّه سوانا. وما ضرنا أيُّنا جذب الآخر إليه. فهو إنما يجذبه إلى صدرٍ مليٍّ إخلاصاً - كذلك يجذب الأخ أخاه.

فإذا كان بعض اللبنانيين قصد دمشق، لتحية الأمير، فقد سبق أن حييناه؛ أو لإكرامه، فقد سبق أن أكرمناه؛ إننا نحبيه ونكرمه لشخصه الكريم، من جهة، وإكراماً لإخواننا من جهة ثانية - كذلك نحن ننتظر منهم أن يُحبوا من نُحب ويُكرموا من نُكرم.

ولماذا لا تتوحد القلوب وتتفق الأميال، وهذه بعض أسبابها؟

### بشارة الخوري

البرق، ١٩١٩، عدد: ١٣٦-٦٤٦، ص: ١

\*\*\*\*\*

## العرس اللبناني

### الجنرال غورو يعلن لبنان الكبير

اليوم يضحك ثغر لبنان وترقص عرائس المروج فيه.  
اليوم يضيف للشيخ - لبنان - الذي عرك الأيام وعركته، إكليل من أرزه الأبدى.  
لا ترى فيه اليوم غير قلب خافق، ووجه طليق.  
اليوم تلبس عروس لبنان «زحلة» أبهى حللها، وتسكب على رأسها أطيب عطورها، وترسل من صفصافها على ظهرها ذوائب، وتوقع أنامل النسيم على نهرها الطروب، أبدع الأغاني.  
اليوم يقف فخامة الجنرال غورو<sup>(١)</sup> في زحلة ليعلن ضم البقاع إلى لبنان.  
إنها فاتحة النعم، وإنها أول الغيث، وإنها طليعة وعود فرنسا الصديقة للبنان.  
اليوم تأخذ «زحلة» نصيبها من الجهاد؛ تأخذ الحق الذي سلبتها إياه جائرات الليالي. وغداً يفتح لبنان ذراعيه أو يبسط النسر الأبيض جناحيه على سائر البلاد اللبنانية - عندئذ يحتفل بعرس لبنان الذهبي. ثم عند تشكيل الحكومة الوطنية، الحكومة النيابية الديمقراطية، يحتفل بعرسه الأملسي؛ وهناك يسير لبنان برعاية فرنسا الصديقة الشريفة، الصديقة منذ القدم، الأم الحنون على الشعوب الضعيفة، الثملة بالانتصار الأدبي، هناك يسير الشيخ في ثياب الشباب، وبرعاية فرنسا الصديقة الصديقة في سبيل الحياة الحرة، والحاكمة الذاتية؛ هناك يرجع الهاربون من الاستعمار التركي واستعباده، وهم يرددون آيات الامتنان للسيف المحرر: سيف فرنسا، وللقلب الحنون على الفكر البشري: قلب فرنسا.

البرق، ٣ آب ١٩٢٠، عدد: ١٠٥٨، ص: ١

\*\*\*\*\*

## لبنان الكبير

بيروت العاصمة، الاحتفال بالعيد

هي أولى الأمانى وبيت قصيدها، هي فجرها الذي لا مساء له، هي النغم الذي لا يمل، بل هي الصلاة الوطنية وما أحبها من صلاة.

لبنان الكبير!... أجل إن اللبناني الذي لم تسعه بلاد كولومبس ولم تحل دون جده مخاطر البحر، إن اللبناني الذي نبغ في مصر ونبغ في أوروبا ونبغ في أميركا لم ير في هذا الوكر (لبنان الصغير) منبسطا لجناحيه فطلب توسيعه، طلب لبنان الكبير وبنى طلبه هذا على قاعدة حق الإنسان بالحياة.

لبنان الكبير - إن اللبناني الذي أبى إباؤه عليه أن يذل للقوي الغاشم، إن اللبناني الذي أبى أن يستباح عرضه وماله وحرية، إن هذا اللبناني أخذ يرجع مصعدا في الذرى، معتصما بالشناخيب<sup>(١)</sup>، أخذ ينسحب تاركا سهولة وثغوره مرسحا للمظالم التركية - إن هذا اللبناني - وقد استطلع وجه العدل - طلب إرجاع ما اغتصب من أراضيه، طلب لبنان الكبير وبنى طلبه هذا على قاعدة إرجاع المغتصب.

لبنان الكبير - إن اللبناني الذي كتب بدمائه، بمصابئه أفجع صفحة من صفحات الحرب الكبرى، إن اللبناني الذي صاحب الفقر فخورا، ومشى إلى الموت جسورا، إن اللبناني الذي سقط قتيل الإجاعة وكان عرضة للانتقام التركي الفظيع، إن اللبناني الذي تحمل كل ذلك في سبيل فرنسا ثم في سبيل الحلفاء طلب أن يكافأ على ما قدم من التضاحي، طلب لبنان الكبير وبنى طلبه على قاعدة الغنم بالغرم.

ونظر اللبناني إلى بعيديات الأجيال فلم ير أمة حنت عليه طفلاً، وحضنته يافعاً وسندته كهلاً، لم ير أمة أخرجت للعالم المتمدن مثل ما أخرجته هي من الرجال، ولا كتبت بدم أبنائها مثل ما كتبتة هي من المبادئ، إن من بعض ما كتبتة بها (حقوق الإنسان) - لم ير اللبناني في ما رأى من الأمم أمة تعمل في سبيل هناء العالم وحرية العالم أكثر مما تعمله هي، لم ير أمة احترمت كل دين وسأوت بين كل دين كالأمة الفرنسية النبيلة فأصر على أن تكون هي الدولة المشرفة على سوريا، وحكمته أن سوريا مهد المنازع الطائفية فلا تصلح لها سوى فرنسا، لما أن غيرها<sup>(٢)</sup> من الدول متشبث بتقاليده الموروثة، تلك التقاليد في الإعلام والاصطلاحات التي قد تسيء إلى إخواننا غير النصارى الذين نريد أن نعيش معهم إخواناً في الوطن أعواناً على السراء والضراء.

إيه دولة العدل والإنسانية! لقد كدت تتخلين عن البلاد العربية بأسرها في سبيل وعد صادق وولاء مستديم.

إيه دولة العدل والإنسانية! لقد كدت تقنعين بهذه الصخور الجرداء ليعلم الملاً أنك ما نكثت عهداً ولا قعدت عن نصره ضعيف.

إيه دولة العدل والإنسانية! إنك ألقيت على العرب أجمع درساً في الوفاء عريقاً فبينما كان بعض إخواننا يشكون نكص الوعود، والهزء بالعواطف، واللعب بالمصير<sup>(٣)</sup>، كنا معاشر اللبنانيين مطمئنين إلى مكين ودك، وصادق عهدك.

إن إخواننا هؤلاء الذين شكوا نكص غيرك في الأمس يكبرونك اليوم.

إن هؤلاء الإخوان خافوا أن لا تكون فرنسا للجميع وها هم الآن وقد تبددت تلك المخاوف، ها هم الآن وقد علموا أن فرنسا للعدل وأن العدل لا لون له ولا دين.

أجل لقد وعدت بلبنان كبيراً وأنت اليوم للوعد تنجزين.

أما وقد وجد لبنان الكبير اليوم بفضل فرنسا فماذا تراه ليصنع ليكافئ فرنسا على يدها الكريمة هذه.



أن يعمر بالمهاجرين من بنيه لتعمل اليد اللبنانية في الأرض اللبنانية.  
أن ينصرف كل إلى ما طبع عليه من صناعة أو تجارة أو زراعة.  
أن تتوحد الطوائف اللبنانية في طائفة واحدة هي الطائفة الوطنية.

أن تنمو عواطف الإخاء وتبادل المنفعة بين اللبنانيين وإخوانهم السوريين  
المشمولين بالإشراف الواحد.

أن يثقوا بفرنسا في تأليف الحكومة اللبنانية على الشكل الذي يريدها اللبنانيون  
إذ ليس شكل الحكومة في نظر اللبنانيين بأقل أهمية من توسيع حدودهم.

هذا كل ما تريده فرنسا من اللبنانيين في مطلع حياتهم الجديدة، لتكون فرنسا  
واسعة الصدر، طويلة الأناة فما نحن في حياتنا الجديدة وحكومتنا الجديدة سوى  
كالطفل إذا عثر أحياناً كان له منها نعم المرشد ونعم المعين.

بورك طالع الجنرال غورو إنه كان سعيداً، ففي عهده نال لبنان أمانه، وبحسن  
سياسته وإقدامه تغلب على المصاعب والمكائد.

إن لبنان لن ينسى اسم غورو ولن ينسى أن يحفر هذا الاسم العظيم إلى جنب  
استقلال لبنان وتكبير لبنان.

إن فخامة الجنرال غورو، سيلفظ غداً<sup>(٤)</sup> كلمة خالدة على الأيام والليالي.

سيقول للبنان هذه ثمرة الوفاء فاستطبتها، لك ما طلبته من فرنسا أمك، هذه  
البقاع وبعلبك وتلك حاصبيا وراشيا، ثم هذه بيروت «درة تاج عثمان» جعلتها لؤلؤة في  
جيدك، ألا فلتحيا فرنسا وليحيا غورو ولتحيا بيروت عاصمة لبنان الكبير.

البرق، ٣١ آب ١٩٢٠، عدد: ١٠٧٠، ص: ١

\*\*\*\*

## إعلان لبنان الكبير

في ١ أيلول عام ١٩٢٠

يوم أعلن الجنرال غورو في أول أيلول من عام ١٩٢٠ استقلال لبنان بحدوده الطبيعية، يومذاك حققت فرنسا الشعار الأكبر من آماني اللبنانيين، ألا وهو تكوين القومية اللبنانية، والمحافظة عليها.

فإذا نحن شكرنا لفرنسا يدها، فلأننا بدونها لم نكن لنستطيع أن نحقق هذه الأمنية من استعادة الحدود والاحتفاظ بالقومية.

ولكن الذي لا نستطيع أن تمنحه فرنسا للبنان، هو الاستقلال السياسي لأنه لا يصلح أن يكون هبةً لاستقراره في نفس اللبنانيين، لا ينشأ إلا بهم، ولا تتم قواعده إلا بما يتم لهم من أسبابها. فهل هي متوفرة فيهم؟ إذا لم تكن متوفرة، فهل يعملون على إيجادها؟ لا نرى في لبنان سياسةً يصلح أن يُطلق عليها اسم السياسة الوطنية. بل نحن لا نرى في كل ما عرفه اللبنانيون من ضروب السياسة سوى سياستين: السياسة الطائفية والسياسة الشخصية.

وكلا هاتين السياستين، من مناقضات الاستقلال، بل هما إذا استمرتتا قتلته شيئاً فشيئاً وفي جسمنا السياسي ما مشهوده منهما.

ومن أسباب الاستقلال، الاستغناء عن الغير، ونحن، مع اعترافنا بحاجتنا في جميع أحوالنا إلى أوروبا، لم نفكر ولا خطر لنا أن نفكر بالاستغناء عنها، ولو ببعض ما نستطيع عمله عندنا؛ لا بل ببعض ما نستطيع الاستغناء عنه، من ضروب الزينة اقتصاداً بما في أيدينا، لأن الفقر لازمة الاستعداد.

فإذا كان الاستقلال هو من مرادفات الاستغناء، فكيف نستغني، ونحن لا نعمل إلا للمادة، وهي كما تعلم قيد في عنق صاحبها؟

كلنا يشكو ذلك القيد.

وهناك كثير من أسباب الاستقلال، ولكنها في نظرنا فروع لهذه، أو نتائج لها؛ كالاتحاد مثلاً. هو لا يتم ما دامت السياسة طائفية أو شخصية، والجمعيات السياسية وهي لا تتم إذا لم يكن هنالك الزعماء الذين يبذلون لها من أنفسهم ومالهم، ومن أين يوجد المال وهو يُحرق ويُبذر؟

أجل، لقد تم لنا اليوم الاستقلال الجغرافي، كدولة صغيرة لها من يحمي حدودها، ويحافظ على الأمن في داخلها. فهو والحالة هذه أساس استقلالنا الآخر. فإذا جاز أن يؤسس لنا غيرنا، فما جاز أن يقيم البناء.

فنحن إذا احتفلنا بيوم أول أيلول، كيوم أوجدته فرنسا الأخت والصديقة، فعلى رجاء أن نحتفل به كيوم له أثره اللامع.

#### افتتاحية

البرق، ١٩٢٢، عدد: ١٦٣٤، ص: ١

\*\*\*\*

## تاريخ لبنان يخص اللبنانيين جميعا

لكل لبناني نصيب من الحمد والذم - متى يسحقون رؤوس الأفاعي

هذه فجائع كموج البحر لا تني تدفع الواحدة الواحدة.

هذه صحفات سود يقرأها التاريخ على الملأ ولا يرحم سمعة ذويها.

هذا لبنان تلعب به أيدي أعدائه لتخط به من شامخ إلى سافل.

لنقول عنه إنه يدعي الكفاءة للاستقلال، وهو إذا ارتفعت عنه يد القوة تطاحن بنوه،

لا على محمدة يتلألأ لها الجبين، بل على مخزية يستمر معها غضيض الطرف حييا.

لا ويرحمك الله: فما هو بالبلد الفذ الذي يشتمل على البنين الجهلة، وما هو بالبلد

الفذ الذي يشتمل على اللاعبين بشرف البلاد من أجل بلغة، وما هو بالبلد الفذ الذي

تمثل فيه هذه المآسي.

إن للطائفية فظائعها في الغرب، إن لها فظائعها في كبرائهم يأتونها ولا يسترونها،

وحسبك بما حملت إلينا أنباء هولندا مما تشمئز له النفوس وتحمر له الوجوه.

لا وشرف لبنان أن ليس للطائفية يد في هذه المنكرات؛ فهؤلاء أدباء لبنان على

اختلاف طوائفهم ما امتزج ماء براح، وكان أصفى من امتزاجهم، ولا تبادلت الثغور

الابتسامات وكانت أنقى من ابتساماتهم؛ وكذلك قل عن هذه الطبقة الساذجة التي

أخذت من تربة لبنان جودتها، ومن هوائه نقاءها. ولكن هناك فئة صغيرة هي كالأفاعي

تنفث سمومها وتلجأ إلى أوكارها. فمن لنا بنبش هذه الأوجار وسحق هذه الرؤوس.

إننا لنربأ بلبنان أن يشتمل على غير طائفتين، لكل منهما دينها وعملها. وليس الدين الذي نعينه سوى الوطنية، ولا العمل الذي نعينه سوى الإصلاح، يقابلهما من الجهة الثانية الخيانة والإفساد.

إننا لنربأ بلبنان أن يشتمل بعد الآن، على غير طائفتين، بعد أن يكون قد لف تلك المذاهب الدينية بمنديل ووضعها باحترام في المعابد. أجل، إننا نريد أن يقوم فينا طائفتان تشتمل الواحدة على المصلحين المخلصين من جميع المذاهب، والثانية على الخونة الأشرار من جميع المذاهب، فتُصلي الأولى الثانية حرباً عواناً<sup>(١)</sup>؛ حرباً لا تنطفي نارها قبل انطفاء الروح في صدر هذه الفئة الباغية.

أجل إن من واجبنا جميعاً أن نطهر البلاد من الفساد والمفسدين. إن من واجبنا أن نفعل من أجل تاريخ لبنان، والتاريخ لنا جميعاً.

ومن أجل استقلال لبنان، وهو لنا جميعاً.

ومن أجل ازدهار لبنان وهو لنا جميعاً.

بل من أجل كل ثمرة مشتهاة، وهي للبنانيين جميعاً.

فإذا نحن عرفنا هذه الواجبات واعترفنا بها، ساعدنا رجال الأمن على مهمتهم وكانت لنا يد على البلاد كثيرة البركات.

نحن نرجح، بل نؤكد أن اليد القاتلة هي واحدة تقتل اليوم، الدرزي لتثير ثائرة المسيحي، وغداً تقتل المسيحي لتثير ثائرة الدرزي. فمن واجب الفريقين إذن سحق هذه اليد في سبيل التآخي وفي سبيل المروءة.

البرق، ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٢، عدد: ١٧٤٠، ص: ١

\*\*\*\*

## رؤوس أقلام

لو كانت لي السيطرة على مدارس لبنان، لأمرت بأبيات أمين تقي الدين<sup>(١)</sup> التي ستطالعونها، أن تكون صلاة الطلبة بكرةً وعشيّاً. لعلها تكون شفاءً لأمراض الطائفية فيه.

ولكن ماذا قلت؟ أنا الضعيف المسكين تكون لي سيطرة لا يحلم بها مدير المعارف نفسه؟... إن معظم مدارسنا جزر صغيرة في قلب البحيرة اللبنانية، وهي أمتع جانباً من الدردنيل - قبل اليوم - لما قام عليها من رشاشات الامتيازات، ولكن: مالي ولكل هذا؟ فأنا أتمنى - مازال باب التمني مفتوحاً - نعم أتمنى على جميع مدارسنا، أن توجب على الطلبة حفظ هذه الأبيات وتكرارها مراتٍ.

قال الأديب اللبناني:

يا بني لبنان! لبنان إذا  
ما تباهاً يَنا دَعَوْنَاهُ أَبَا  
نَسَبٍ شَرَفْنَا بَيْنَ الْأَلَى  
قِيلَ عَنْهُمْ يَدْعُونَ النَّسَبَا  
مَرَّ بِالدهرِ أبونا أمردا  
وتمشَّى فيه شيخاً أَشْيَبَا  
فروى التاريخُ عهداً طيباً  
وروى التاريخ عهداً طيباً  
نحنُ للشيخ، بنوه. والوفا  
أَنْ يَرى أَنَّنا بنوه، الأدبا  
إنما نحن اختلفنا بيننا  
حين يقضي الفضلُ أَنْ نَعْتَصِبا

فَذَهَبْنَا كُلٌّ أَنِ مَذْهَبًا  
وَرَكِبْنَا كُلٌّ يَوْمَ مَرْكَبًا  
لَيْسَ فِينَا رَجُلٌ الشَّعْبِ الَّذِي  
إِنْ دَعَا الْوَاجِبُ لَبَّى الطَّلِبَا  
إِنَّمَا الشَّعْبُ الَّذِي أَشْكُو لَهُ  
صُحُفَ الشَّعْبِ فَكَانَ الشُّعْبَا  
وَجَعَلْنَا الدِّينَ فِينَا فَارِقًا  
فَتَفَرَّقْنَا بِهِ أَيْدِي سَبَا  
وَيَحْ لَبَنَانِ إِذَا دَاعٍ دَعَا  
فَبَنُوهُ عَنْ بَنِيهِ غُرَبَا  
كَانَ فِي لَبَنَانِ عَهْدٌ طَيِّبٌ  
رَحِمَ اللَّهُ الزَّمَانَ الطَّيِّبَا

البرق، ٤ شباط ١٩٢٣، عدد: ١٧٥٣، ص: ١

\*\*\*\*\*

## أعيدوا إلى الأقضية محاكمها تُعيدوا إليها دماءها وحياتها

ماذ ينفع الرأسُ إذا هلك الأعضاء؟

ليس غير أعمى البصر والبصيرة، مَنْ لا يرى الأضرار البليغة التي لحقت بالأقضية اللبنانية التي حرمت محاكمها، فكانت من قبل ناميةً زاهية، فإذا هي اليوم جامدة جافة.

وليس غير هذا الأعمى، مَنْ لا يرى أن المحكمة في القضاء هي قلبه الخافق، يتوزع منه دم الحياة إلى القرى والساكن، فإذا هو عجز عن أن يُنعشه فلا أقل من أن يُمسك له بقية رمقه.

وليس غير الصلب الفؤاد، المتحجر العواطف، مَنْ لا يُشفق على ذلك العجوز المتوكئ على عصاه، القاطع الأميال البعيدة في طريقه إلى المحكمة.

بل ليس غير المتحجر العواطف، مَنْ لا يُشفق على بلادٍ بأسرها أنهكتها الحرب وأجهزت عليها الأزمة، تنتزع منها محاكمها وهي مشكى ضيمها ومرجع قضاياها؛ فتُضطر إلى تجشّم المسافات، وتكبد النفقات، وهي بحاجة إلى ساعة قصيرة تُنفقها في طلب الرزق لتستطيع الوقوف على رجليها.

لم نسمع من قبل، ولا روى لنا راوٍ، أن بشريا يبيع قلبه ليشتري به إكليلاً لرأسه.

بل إن حكومتنا تفعل ذلك... أفليست هذه الأقضية هي بمثابة القلب للبنان، ترضى عليها الحكومة بالفلس لتشتري من مجموع هذه الفلوس، درّةً للرأس الذي هو العاصمة؟

ومن أين يستمد هذا الرأسُ حياته وجماله، إذا لم يكن يستمدُّهما من القلب؟

لقد قلنا في «برق» أمس، إن نفقة دائرة واحدة تكفي لإعادة المحاكم كما كانت عليه من قبل الاحتلال.



وإعادة المحاكم إلى ما كانت عليه، معناه إعادة الدماء إلى الجسم اللبناني.

أعيدوا محكمة الكورة<sup>(١)</sup> تُنْعِشُوا جميع أهل الكورة.

وأعيدوا محكمة البترون<sup>(٢)</sup> تُنْعِشُوا جميع أهل البترون.

وأعيدوا محكمة المتن<sup>(٣)</sup> تُنْعِشُوا جميع أهل المتن.

وأقيموا لزغرتا<sup>(٤)</sup> محكمةً ولا تَنْسُوا عكار<sup>(٥)</sup> ! واذكروا المحاكم التي أُلْغِيَتْ في لبنان الجنوبي..... أعيدوا جميع تلك المحاكم إلى ما كانت عليه تُنْعِشُوا الأمة بأسرها.

ولا بأس إذا مَحَوْتُمْ من سِفْرِ هذه الدولة اللبنانية نِظَارَةً أو نظارتين<sup>(٦)</sup>. بل لا بأس إذا استغنيتم عن المجلس النيابي بأسره، وهزّزتم أكتافكم لمشروع شورى الدولة.

لقد أكثرتم وضع الألفحة على «الرأس» حتى كاد يختنق، فانزعوا عن هذا الرأس لحافاً واحداً وغطوا به بقية الجسم، فإنه عارٍ والبرد كبرد اليوم، شديد.

أما المجلس النيابي، ويا خجلتاه مما فعله في موازنة ١٩٢٤.

لقد رحم الأفراد وقتل المجموع.... بل هو وقف في وجه الحكومة، عندما قررت إلغاء بعض النظارات، وصرف بعض كبار الموظفين.

ليت شعري؛ بأيّ وجه سيقابل هؤلاء النواب مُنْتَخِبِيهم، يومَ يقولون لهم: لقد أحييتم العاصمة وقتلتموني، فاذهبوا إلى العاصمة لتنتخبكم، فشأنكم غير شأني<sup>(٧)</sup>.

إنّ النظارات التي حافظتم عليها هي للعاصمة لا لي... وكبار الموظفين الذين جاملتموهم هم للعاصمة لا لي..... والدوائر التي حافظتم عليها وأنفقتهم عليها، هي للعاصمة لا لي.

إن ما هو لي - أنا القضاء الشاسع الذي رفعكم على أكتافه إلى كراسي النيابة - إن ما هو لي، المحكمة التي لا حياة لي بدونها، المحكمة فقط فأين هي؟

إن وقت الحساب أصبح على الأبواب، وسيكون لنا - معاشر الأقضية - مواقف معكم يا نواب الأقضية.

#### افتتاحية

البرق، ١٩٢٤، عدد: ٢٠٢١، ص: ١

\*\*\*\*

## الخيال اللبناني الأسمى

ما هو؟ وأين أثره في لبنان؟ وهل يعرفه أولو الأمر منا؟  
في سبيل إنقاذ الجمهورية

ما جاهد اللبنانيون القدماء في سبيل الوطن اللبناني الكبير إلا جرياً وراء ما يسمونه الخيال الأسمى ألا وهو وطن لبناني يتسع لهؤلاء الذين حصرتهم مظالم الأجيال الغابرة بين الصخور الجافة فأقاموا فيها مؤثرين الضنك على أن تمس حرياتهم أو تنال كراماتهم حتى إذا انفتح لهم طريق البحر طاروا من وكناتهم إلى حيث اقتنصوا الثروات وحملوها إلى لبنانهم وحملوا معها ما نراه فيه اليوم من آثار العمران.

وليس ما كان يربط المهاجرين بلبنان ويؤجج في صدورهم لظى الحنين إليه ما تركوه وراءهم من زوجات وبنين، لا ليس هذا الذي كان ولا يزال يربطهم بلبنانهم لأنه ليس أسهل على المهاجر من حملهم إليه، بل الذي كان يربطهم به ويؤجج فيهم نار الحنين إليه هو نشوؤهم تحت سمائه الصافية الحرة، وتمتعهم فيه بالحكم الذاتي وعدم شعورهم بثقل الضرائب التي كانت ترزح تحت أعبائها الولايات القريبة منهم فاللبناني في بيته لا ينفق غرشاً إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى الإنفاق، وإلا إذا اقتنعت العائلة جميعها بوجوب هذا الإنفاق.

ولم يكن ذلك الحرص منهم فطرة فيهم، بل لم يكن إحدى شوائب البخل، ولكنه كان لازمة جذب جبالهم، أفلم تر كيف دفعتهم الحاجة إلى نقل التراب إليها حتى يستطيع زرعها قليلاً من الحبوب والكرمة والزيتون سداً لإرماقهم، ودفعاً للمجاعة عنهم.

على أن اللبناني لم يكن ليحتمل كل ذلك الضيق لولا تنشقحه ربح الحرية بفضل الحماية الدولية<sup>(١)</sup>، ولولا تمتعه بالحكم الذاتي أيام كانت الولايات تتحكم فيها الأتراك الحكم المطلق.

ومن هناك نشأ ما يسمونه «الخيال السامي» ألا وهو أن ينتقل لبنان بمثل حاله الأول إلى وطن أكبر يستطيع معه أن يقيم حاجزا منيعا ضد تيار المهاجرة. وعلى ذلك يجد اللبنانيون - قداماؤهم وحديثوهم - وطنا حرا رخيا خصيبا حل فيه فرنسا محل الدول السبع التي حمته من قبل.

فهل توصل أصحاب ذلك «الخيال» إلى خيالهم.

وهل أحد يجرؤ على القول إن لبنان اليوم يتمتع بمثل حاله الأول؟

وهل نقلنا إلى الأراضي التي عادت إلينا شيئا من تلك المزايا التي كانت للبنان؟

لا... إن معظم الذين يقبضون على أزمنة الأمور في لبنان الكبير يجهلون ذلك «الخيال السامي» لأنهم غرباء عنه وكيف يدافع الرجل عن شيء يجهله، عن شيء لم تحبل به شعوره.

لقد نشأ معظم هؤلاء السادة تحت حكم الولايات فهم والحالة هذه يجهلون حلاوة الحياة اللبنانية التي تقدم وصفها على ما كان يرافقها من الضنك.

ولقد نشأ هؤلاء السادة أصحاب مهن حرة لا متاجر لهم فهم إذن يجهلون مرارة الضغط التي كان يتذوقها ملاك الولاية وتاجرها بسبب الضرائب مثل جهلهم حلاوة الحياة اللبنانية من هذا القبيل، أما الملاك والتاجر في الولاية فقد كانا ينظران إلى تلك الحلاوة ويشتهيانها، وبهذا وأمثاله كان العاملون في القضية اللبنانية يحاولون إغراء هؤلاء بالانضمام إلى لبنان عن نفس راضية.

لقد انعكست الآفة تماما، فبدلاً من أن يحمل لبنان للولاية مزاياه المحببة حملت الولاية إليه مزاياها البغيضة.

فماذا حصل عن هذا؟

- وهل حصل عنه إلا ما هو واقع الآن؟ وهل هذا الواقع الآن إلا نتيجة طبيعية للحال الحاضرة.

إن اللبناني القديم كان يحلم بتوسيع لبنانه على مثل ما كان من قبل مع تحمل شيء من النفقات مقابل ما يحصل عليه من الفوائد.

واللبناني الجديد كان إذا طمع بالانضمام إلى لبنان فللتمتع ببعض ما كان يتمتع به اللبنانيون من قبل.

فما هو الحاصل الآن؟

لبنان القديم ينتحر ...

واللبنانيون الجدد نكبوا فوق ما كانت تنكبهم به الولاية.

فالفريقان غاضبان، والفريقان محقان.

قد يقولون لنا لقد طلبتم إنشاء حكومة نيابية، وهذه الدوائر من لزوم تلك الحكومة. فنقول: أجل! طلبنا حكومة نيابية نستطيع تسييرها بنصف الأموال التي تنفقونها عليها.

أجل لقد طلبنا لبنان على شكله هذا، ولكننا نريد أن يعيش، ونحن نرى أنه لا يمكن أن يعيش مع هذه الحال، فنحن بموقفنا هذا ندافع عن حياة الجمهورية اللبنانية، ندافع عن هذا الخيال السامي الذي حرقنا على هيكله شبابنا ضد الذين يجهلونه ولا يزالون يجهلونه.

البرق، ١٤ آب ١٩٢٦، عدد: ٢٦٣٦، ص: ١

\*\*\*\*

## المصلحة من أنشئ لبنان الكبير

هل توجد بلدة أو قرية أو مزرعة في جبل لبنان تقول لنا إنها استفادت من تكبير لبنان؟ ما هي فائدة اللبنانيين من تكبير لبنانهم إذا حل الأرمن محلهم؟ ما أحدثه مقالنا أمس في الأندية اللبنانية الصميمة من الأثر البليغ وما صادفه من الرضى والقبول.

الأمير فؤاد أرسلان يقول لنا إن ٤٠ ألف درزي يمضون في إعادة لبنان إلى ما كان عليه لزوم عقد مؤتمر لبناني يمثل جميع الأقضية اللبنانية وجوالي المهاجرين.

لقد آلينا أن نمضي في الزياد عن الحظيرة اللبنانية وإنقاذها حتى النهاية ونحن لا نذود عنها ولا ننقذها إلا إذا وضعنا أولياء الأمور بين أمرين لا ثالث لهما: فإما أن يعملوا على ما يوطد أقدام اللبنانيين في بلادهم وهذا لا يكون إلا بإنشاء إدارة صغيرة لتخفيف الأعباء عن المكلف اللبناني، ثم بجعل مقدرات البلاد في يد أصحابها ليعملوا على تسهيل عودة اللبنانيين إليها لتعمر البلاد بأبنائها.

ونحن ما دمنا نرى أولياء الأمور سالكين مسلكهم الحاضر الذي يقضي قضاءه المبرم على اللبنانيين في بلادهم، ونحن ما دمنا نرى البلاد اللبنانية تقفر من اللبنانيين لتمتلى بالأرمن وغيرهم من العناصر الغريبة، ونحن ما دمنا نرى ذلك فسنعمل جهدنا لإنقاذ البقية الباقية من بني قومنا ولا سبيل إلى إنقاذها إلا باستخلاص لبنان القديم من الهوس الذي أخذ به فنرجع به إلى حاله الأولى وهنائه الأول.

لقد خدمت القضية اللبنانية المصلحة الفرنسية في مطلع الاحتلال خدمات لا تقدر بثمن وخدم اللبنانيون هذه المصلحة بغيرة قد لا تجول في صدور الكثيرين من

الفرنساويين الذين عرفناهم، وحسب الذاكرة أن يرجعوا إلى عام ١٩١٩ يوم طافت اللجنة الأميركية فلسطين وسوريا ولبنان فما وجدت المصلحة الفرنسية متكاً ناعماً لها في الخلافات بينما كانت الدعاية الانكليزية والجانب الانكليزي يقضان مضاجعها في جميع البلدان السورية ومنذ ذلك الوقت تعززت فكرة لبنان الكبير في المفوضية العليا في بيروت ليكون للقضية الفرنسية مرتكز حصين في الأراضي السورية، ولم يكن تكبير لبنان من مذهب الكثيرين من كبار مفكريه لبعد نظرهم وصدق فراستهم ولكن العاطفة اللبنانية الفرنسية تغلبت على الحكمة، والثقة تغلبت على المجازفة فقاموا شعباً وصحافة - يطالبون بلبنان الكبير على نحو ما هو عليه، ولم يكونوا ليحلموا من قبل بغير ضم البقاع الغربي ومدينة بيروت إليهم.

إذن فما يقال من أن تكبير لبنان عمل لمصلحة اللبنانيين محض خطأ، وإذن فلا يمينٌ علينا احد بعد الآن بهذا التكبير وقد كان من حقنا أن نمنَّ به نحن لولا أننا نراه أبخس ما وهبناه للصداقة الفرنسية، فما وهبنا لهذه الصداقة حماية الدول العظمى ومزقنا تحت أقدامها البرتوكول<sup>(١)</sup>، وخلعنا من أعناقنا تلك الامتيازات الغالية.

ونحن غير راجعين عما قدمناه وغير جاحدين مقابل ذلك نبل الروح الفرنسية ولا سخاءه على الإنسانية ولكننا لا نطبق أن يمنعنا أحد عن المضي في ما نراه واقياً لكياننا المهدد كلبنانيين صميمين يرون بلادهم تخرج من أيديهم بسبب الفوضى الضاربة أطنابها في دوائهم الرسمية وبسبب الضرائب التي لا تتحملها طبيعة الجبال القاحلة، وبسبب الحواجز الخفية التي تقطع خط الرجعة على المهاجرين وهم المحور الذي تدور عليه آمالنا بتجديد شباب لبنان، أضف إلى ذلك جلاء المئات والألوف من اللبنانيين في كل عام.

وماذا يفيد اللبنانيين لو خفقت الراية اللبنانية على جميع الشرق العربي وأطلق على سكانه اسم لبنانيين، وهم هم لا أثر لهم في لبنان ولا مصلحة يرجونها منه، أفلا يكون الأفضل لهم ألف مرة لو حفظوا كيانهم الصغير واستمروا على تعزيزه واستقلوا بإدارة أنفسهم على نحو ما يرونه لها كما كان شأنهم في السابق.

بل ماذا يفيدهم اليوم وهم في شر حالتين: اقتصادية وسياسية أما الاقتصادية فهذه التي أجمعت الصحف على ترديدها وأجمع أولياء الأمور على (التمسيح) بها. وأما السياسية أو قل القومية فهذه التي يذوب فيها اللبنانيون في العناصر الغربية، ولو أنهم ذابوا في الوطنيين المنضمين إليهم لكانوا إخواناً ذابوا في إخوان. أما وهم يذوبون في الأرمن الذين منحوا جميع حقوق اللبنانيين دون أن يكون عليهم شيء من واجباتهم فإن ذلك الذوبان لبلىة عظمى هي عفاء العنصر اللبناني قريباً.

وبعد فهل يجسر أن يقول لنا نواب لبنان ولا سيما نواب بيروت والبقاع أنهم يمثلون العنصر الوطني أم هم يمثلون العنصر الأرمني، وليس هذا فقط بل هم اشتروا من العنصر الأرمني نيابتهم وهو منتهى الزرابة بالكرامة اللبنانية.

أجل لقد حبل صدر اللبنانيين من هذه الحال، وشرعوا يميزون بين حالهم الأول وحالهم اليوم، فإذا هم نهضوا لإنقاذ الموقف فقد نهضوا لإنقاذ كيانه المبعثر وإقالة عثرتهم السابقة، ولا نخال فرنسا وقد تمركزت في البلاد ترضن عليهم بالمساعدة الكلية للوصول إلى هدفهم، بل لا نظنها تمنع عليهم الاجتماعات التي ستشرب بروح الود لها على كل حال.

ولا ريب في أنه كيف رأى اللبنانيون أن يصرفوا وجه القضية أعادوها إلى حالها قبل عام ١٩١٤ أم إلى حال غيرها فسيكون لفرنسا موقفها الممتاز عندهم، كما أنهم يأملون منها أن تعطف على فكرتهم هذه لتستبقي لها القلوب التي رضعت حبها منذ مئات السنين.

ولا يغرن فرنسا ما يسمعه رجالها من بضعة نفر هي التي أوجدت معظمهم من العدم، وهم لم تربطهم بلبنان رابطة من قبل، لا يغرن فرنسا أن هؤلاء يعبرون عن الروح اللبناني السائد اليوم، فإن الذي يعبر عنه حقيقة التعبير إنما هو نحن بدليل ما سمعناه أمس من جميع الذين لقيناهم من الصحفيين اللبنانيين عن وقع مقالنا في نفوسهم وتأكيدهم لنا أنه الصدى الصادق للأندية اللبنانية أو بالأحرى للحقول اللبنانية، ثم

بدليل ما قاله لنا الأمير فؤاد أرسلان يوم السبت الماضي من أن ٤٠ ألف درزي في  
جبل لبنان يؤيدون فكرتنا هذه.

ولا نريد أن نستقل بتبعة هذا الأمر بل نحن نقترح أن يعقد له مؤتمر لبناني عام  
يجمع إليه العناصر اللبنانية كافة، وتمثل فيه الجوالي اللبنانية في جميع المهاجر على  
أن ندرس هذا المؤتمر في أعدادنا القريبة إن شاء الله.

البرق، ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٧ ، عدد: ٢٨٩٦، ص: ١

\*\*\*\*\*



## شقاء لبنان الصغير

### بلبنان الكبير [١]

ماذا استفاد اللبنانيون القديما من تكبير لبنان اللهم إلا خسرانهم الامتيازات وإرهاقهم بالضرائب وانتزاع المنافع منهم؟ أين عظمة سراي بعيدا وازدهار سرايات الجديدة وأميون وجزين وكيف أصبحت قبوراً بعد أن كانت قصوراً.

#### خذوا لبنانكم وردوا علي لبناني

لقد انطفأ آخر أمل للبنانيين ولا سيما اللبنانيين القديما بالإصلاح وهو عندهم تأسيس إدارة تتناسب مع اقتدارهم وعددهم، فإذا الأمر ما برح توقيعاً وإذا الوعد ما برح تعليلاً.

ولا غرو إذا استشعر أهالي جبل لبنان بالفرق العظيم بين ما كانوا عليه من هناء ورغد في حياتهم المادية ومن عزة وتمتع في حياتهم السياسية. كيف لا وقد كانوا يجهلون أسماء هذه الضرائب الجديدة التي أخذوا يرزحون تحت أعبائها، وكيف لا وقد كانوا في معقل حصين من حماية الدول العظمى لا تكاد تنزل بهم ملمة بل لا يكادون يتحسسون بضميم حتى تمخر السوابح وتتحرك الجيوش.

إذن فللبنانيين القديما عذرهم إذا استشعروا الفرق العظيم بين ماضيهم وحاضرهم، ليس من جهة المذلة التي يعانون بعد تلك العزة، وليس من أجل هذه الرسوم وقد كانوا يجهلونها، وليس من أجل خسرانهم تلك الامتيازات التي سيكون عليها بدم المهج، ليس من أجل هذا فقط بل من أجل بوار قراهم العامرة ومزارعهم الزاهرة، حتى أصبحوا ذنباً ليبيروت تستعملهم لهش الذباب عنها، وما قصدنا أهل

بيروت حتى ولا مدينة بيروت بل قصدنا هذه الدوائر القائمة فيها وهؤلاء الرجال القائمين على رؤوسها لا يتحسسون بما يتحسس به اللبناني القديم لأنهم ولدوا بين ذل الولاية وضغط الولاة ثم سکروا بما يترشفون من خمرة السلطان وما تعودوها من قبل، فتغلغل اليأس الى القلوب وكادت تدق أجراس الفوضى لولا الرهبة، مع ذلك لا يصحون من سكرتهم ولو علموا أن للموت سكرة لصحوا ولو قليلاً.

وكيف لا يكون للبنانيين القدماء عذرهم وهم إنما ارتقبوا هذا العهد ارتقاب الساري طلعة البدر، فإذا هم يعوضون من الزيادة بالنقص وكيف يملك اللبناني القديم مشاعره إذا مر في بعبداء وإذا هو دخل سرايها فهاله هذه الوحشة بعد ذلك الأنس وهذا الجمود بعد تلك الحركة، إن سراي بعبداء كانت قصراً تفتح عيناها على قرقعة سيوف الجند وصدحات الموسيقى وصرير أقلام المحاكم فإذا هي اليوم قبر له جميع نعوت القبور.

وما يقال عن سراي بعبداء يقال عن سراي الجديدة، وما يقال عن هذه يقال عن سرايات أميون وجزين والشويفات وأقضية غيرها يوم كانت تضحك في تقاسيمها الحياة، ويوم كنا معاشر أبناء لبنان القديم نأمل أن تكون أشد ازدهاراً وأروع مستقبلاً فإذا الأمر ينقلب إلى عكسه.

أما سراي بيت الدين<sup>(١)</sup> ذلك الأثر التاريخي العظيم وملتقى رجال الحكومة في صيف كل عام فقد أصبح في خبر كان.

إن الانتداب ليخطيء أعظم الخطأ إذا حسب أن لبنان هم هذا النفر الذي سوّده رغم أنوف اللبنانيين عليهم، وإن الانتداب ليقصر إذا هو لم يدخل الى مكامن الشعور في صدر الشعب اللبناني (ونريد به أبناء لبنان القديم) ليتعرف الى هذه الثورة الهائلة المشتعلة في قلبه وإلى هذا التطور الغريب الذي طرأ على نفسيته القديمة، وحسبه أن يعلم أن الشعب اللبناني الصميم أصبح لا يرى في عمل الجنرال غورو منحة هو المقصود بها<sup>(٢)</sup> لأنه أصبح يقول على ملأ من الناس «أي فائدة لي من أن يقال عني أنني صاحب هذا القصر وأنا لا أملك حتى الدخول إليه، ولا حتى الاستفادة منه اللهم إلا

أنهم يطالبونني بثمن ورواتب أسياده حتى إذا بخلت على الأرض بما يفرضونه عليّ  
أعملوا سياطهم في ظهري ولا ينفكون حتى أقطع عن أطفالي غذاءهم وأحمله إلى سادة  
القصر ممزوجاً بدمي ودمعهم».

إن شعباً هذه حقيقة حاله ما تراه يهمله من حديث الوزارات والمجالس بقيت  
الوزارة أم استقالت، أظفر الجسر<sup>(٣)</sup> بالرئاسة أم ظفر بها نمور، أتدخل أسقف في  
الانتخاب أم لم يتدخل، شعباً هذه حقيقة حاله لم يعد يطبق عليها صبراً، وهو إذا لم  
يقم على معالجته طبيب عالم حازم لم يكن الذنب ذنبه إذا استشرى الداء بل كان  
الذنب ذنب طبيبه وقد شكا له علته وأفضى إليه بجميع أعراضها.

أجل لم يعد أبناء لبنان القديم يطبقون صبراً على هذا المهازل التي تمثل وهم  
يدفعون ثمنها من أبدانهم وأرواحهم. ولقد ذكروا - مع الأكم - زمناً كانوا فيه سادة  
أنفسهم لا يشاركونهم أحد لا في سلطانهم ولا في أموالهم، ولذلك فإن فكرة قوية  
تتمخض وهي أن يجتمعوا في مؤتمر يضعون فيه مطالبهم ثم يحملون هذه المطالب إلى  
البطريك الماروني من حيث إنه تولى في بادئ الأمر تصريف القضية اللبنانية ومن  
حيث إنه مسؤول بنتائجها وهي المحنة التي يعانها اللبنانيون ولا ينكرها هو.

وغير بعيد أن يدنو اليوم الذي ينهض فيه اللبنانيون القدماء - إذا استمرت الحال  
على ما هي - ويهتفون بصوت واحد على ملأ من العالم قائلين:  
خذوا لبنانكم وردوا علي لبناني.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٢٧، عدد: ٢٨٩٥، ص: ١

\*\*\*\*\*

## شقاء لبنان الصغير

### بلبنان الكبير [٢]

نقترح على مفكري اللبنانيين القدماء تأليف وفد يطوف القرى اللبنانية ويضع لنا تقريراً ضافياً يقابل فيه بين حالات لبنان عهد البرتوكول وحالاتها بعده.

المجلس النيابي يتمخض بفكرة لبنان القديم

الأستاذ ابراهيم منذر والأستاذ دموس ورئيس حزب التضامن اللبناني يؤيدوننا في موقفنا.

النائب الدكتور تلحوق يغضب لامتصاص بيروت الملحقات، إما لبنان الكبير وإعادة جميع دوائر لبنان القديم إليه وإما لبنان الصغير كما كان قديماً. لفئة إلى فرنسا نصيرة البؤساء والمستضعفين.

لم يسعد مقال في جريدة بل لم يكن لمقال من صدى في جريدة أشد وأوقع من الصدى الكبير الذي أحدثه مقالنا حول شقاء لبنان الصغير بلبنان الكبير حتى إننا لم نكن نلتقي مفكراً ولا وجيهاً من أبناء تلك البقعة الهائنة في الأمس التاسعة اليوم إلا وحمد لنا فكرتنا أيما حمد وأطرى إقدامنا أيما إطراء وتعهد لنا بأنه سيكون بوقاً صارخاً في تلك القباب والحقول البالية في استنهاض ما بقي من الهمم لاسترجاع الحياة الى من وما بقي في الشقي (جبل لبنان) الذي جنى على نفسه بانخداعه لبوارق الآمال وكواذب الوعود، وسياسة القلب.

ولا نطلب الى مفكري اللبنانيين من صحافيينهم الى شعرائهم الى كبرائهم الحقيقيين - تمييزاً لهم عن كبراء هذه الأيام - لا نطلب إليهم إلا أن يؤلفوا وفداً يطوف البلاد اللبنانية القديمة فيضع فيها تقريراً ضافياً يقابل فيه بين جميع حالاتها عهد

البرتوكول وحالاتها بعده فيقول لنا مثلاً: كم كان عدد سكانها قبل عام ١٩١٨ وكم أصبح اليوم يهاجر منها في السنة وكم كان يعود إليها من المهاجرين.

كم كان يرسل المهاجرون من الأموال وكم يرسلون اليوم.

كم كان فيها من البنايات ويحترث من الأراضي بأموال المهاجرين وكم يبني ويحترث فيها اليوم.

حتى إذا انتهى الوفد من هذا كشف لنا أسبابها مهما كانت هذه الأسباب موجهة.

ثم ليقول لنا كم كان معدل سعر الأراضي والعقار فيها وكم أصبح اليوم ثم يستخرج لنا الفرق بين أسعار أمس وأسعار اليوم لنرى جسامه هذه الخسارة وليقل لنا عن أسبابها مهما كانت هذه الأسباب موجهة.

وليقل لنا الوفد كم كان مبلغ الضرائب والرسوم التي كان يؤديها اللبنانيون القدماء وكم أصبحت اليوم وكم هي الطرق التي كانت تشق في العام وكم هو طولها وهل كانت الضرائب تنفق كما تنفق اليوم على فخفة فارغة ودولة لو مثل الوهم لكان أقرب إلى الحقيقة منها وليحدثنا الوفد عن الخسارة الأدبية والمادية التي لحقت بالأراضي اللبنانية القديمة من جراء تنازلها عن الامتيازات وخضوعها للديون العمومية وما أصاب اللبنانيين بسبب هذا التنازل الأحق عن ثروة وامتعة لو ملكهما أصغر الشعوب لكان في خير حال.

وليحدثنا الوفد عن الجو اللبناني الحاضر والجو اللبناني السابق، ليحدثنا عن التنفس والضغط والتآلف والتفتت بل ليحدثنا عن الدستور السابق والدستور الحالي وليقل لنا أيهما كان أضمن للسيادة الشعبية، وأطبق على الأمانى اللبنانية ثم ليقول عن الإدارة السابقة وما كان فيها من ضبط ودقة وسرعة وعن الإدارة الحالية المضعضة (إدارة الأوراق والدبابيس).

ليحدث الوفد عن كل ذلك ويبين الفوارق بين كل ذلك ليرى اللبنانيون أية خسارة خسروا وأية خديعة خدعوا ثم ليقل لنا الوفد عما يصير إليه لبنان القديم واللبنانيون الصميمون إذا استمرت الحال عشر سنوات على هذا المنوال. ليقل لنا كم يبقى في لبنان من أبنائه، ومن هو الشعب الذي يرث اللبنانيين ومن يكون غداً رئيس الجمهورية ونواب المتن والبترون وكسروان أسركيس قيومجيان أم أوهانس ابلان.

ليبين الوفد للبنانيين هذه الحقائق السوداء المخيفة الساحقة القاتلة لعل بقية دم تجري في العروق ولعل بقية عقل تقيم في الدماغ، فتستدرك الخطر قبل وقوعه، وتنصب لهذه الصاعقة المنقضة القضيب اللاقف.

ولقد أدرك - والحمد لله - بعض النواب اللبنانيين خطورة الموقف فرأى الدكتور جميل تلحوق أن القرى اللبنانية أهملت وبارت فوقف صارخاً في المجلس على مسمع من مندوب المفوض السامي وأولياء الأمور « إن هذه حالة لا تطاق الى متى تمتص بيروت الملحقات أفكلما قامت مصلحة هناك هدمت وأرسلت أنقاضها إلى بيروت لتضخم بنائها».

ولقينا أمس الأستاذين دموس والمنذر فقال لنا الأول إنني أصبحت على رأيكم وسوف أصر عليه ولو رجعتم أنتم عنه ثم التفت إلى الأستاذ المنذر وسأله عما إذا كان هو أيضاً من هذا الرأي فقال بالإيجاب. ولقينا أمس رئيس حزب التضامن اللبناني فحمد لنا موقفنا وقال لنا إن حزبه سيهتم بهذا الشأن متى بدأت أعماله وليس هذا فقط فإن هناك دويّاً خفيفاً في نفس اللبنانيين أشبه بالدوي الذي يبقيه الرعد في الأذان بعد انقضائه لكنه دوي مستطيل ما زالت رعود السراي الصغير ونريد بها ضرائبها وضرباتها متوالية.

لقد قلنا مراراً إن الذين طلبوا تكبير لبنان فهم إنما طلبوه على نية أن يحملوا الى الأراضي المنضمة إليهم النعم التي كانوا يهنأون فيها فإذا الأراضي المنضمة تحمل إليهم النقم التي كانت تتشوى عليها.

لقد صبر اللبنانيون القدماء طويلاً على هذه الحال ورضوا للمتنعمين بالوظائف استمرار هذا التنعم ببقاء لبنان كبيراً على نحو ما هو الآن ولكن بشرط أن لا تستنزف هذه البهارج وتلك المرتبات دماء اللبنانيين، وبشرط أن لا يصبح لبنان القديم خراباً يباباً، وبشرط أن يعمل على استرجاع المهاجرين لتعمير القرى اللبنانية فإذا في الأذان صمم وإذا الوظائف الكبيرة تخلق محابة ومساندة وإذا الفلاح يجر السكة بكتفه بدل الحيوان، وإذا الضعفاء يأكلون الزوان بينما الموائد تقام في كل مكان من أموال هؤلاء الضعفاء أنفسهم فمن يطيق هذا إلا إذا كان حجراً أصم، أو حيواناً أعجم.

لقد قلنا لهم خفضوا ١٥ في المئة من مرتبات الوزراء والنواب والمحافظين ورؤساء الدوائر. وقلنا لهم أعطونا وزارات أربع على الأكثر.

وقلنا لهم أعطونا مجلساً مؤلفاً من ثلاثين على الأكثر.

وقلنا لهم لا تعطوا الموظف أكثر من معاش واحد.

وقلنا لهم اجعلوا المحافظين على درجة واحدة فلا يتناول أحدهم المئة ويتناول الآخر الخمسين.

وقلنا لهم عودوا بنا إلى التنظيم الإداري الصحيح الذي كان للبنان القديم فتقتصدوا بثلاث الموظفين وبثلثي الوقت وتوفروا على طلاب المصالح أموالهم وأوقاتهم.

ثم قلنا لهم إننا معاشر أبناء لبنان القديم نصر كل الإصرار على أن تعود جميع الدوائر والمحاكم التي كانت لنا قبل تكبير لبنان إلى ما كانت عليه فإنها دواء قرانا ومبعث حركتها الاقتصادية وسبب نهضة أثمان أملاكنا.

قلنا لهم كل ذلك فقالوا لنا بسكوتهم موتوا فلا رحمكم الله.

وقالوا لنا بأعمالهم نحن وإخواننا وبنو أعمامنا وكل نطفة تنتسب إلينا قهرناكم على هذا الملك نعمل فيه ما يطيب لنا فإن حركتم ساكناً قتلنا أرواحكم في صدوركم

وأقمنا في وجوهكم الزحافات تحمل النار والحديد، فأطرقنا رهبة للقوة ولفتنا وجهنا -  
نحن معاشر اللبنانيين القدماء - جهة فرنسا وقلنا لها والدموع ملء عيوننا والأحزان  
ملء قلوبنا: يا أم الحرية! ويا قوة المستضعفين ويا نجدة المقهورين على حقوقهم:  
بالوفاء الذي عرفته فينا، وبالصحايا القديمة والحديثة التي قدمها كل منا للآخر أعيدي  
علينا لبناننا الصغير وهناءنا الصغير وسيادتنا الصغيرة.

أعيديها إلينا فتبقي في هذا الشرق ذلك الخمير الذي فعل ويفعل فعله العجيب  
في نفوس أبنائه لحبك وعظمتك.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٢٧، عدد: ٢٩٠٠، ص: ١

\*\*\*\*\*



## لا تجوروا على الأطراف وتحافظوا على الرأس

لا نوجه خطابنا الى فخامة العميد فهو منشغل عن لبنان بسوريا ولا تحمل بطيختان في يد واحدة، إذن فنحن نوجه خطابنا الى الأستاذ إدة<sup>(١)</sup> الذي علق عليه لبنان آماله، وما هدأت تلك الثورة التي احتدمت على عهد الوزارة الخورية<sup>(٢)</sup> ولا سكنت الصحف بعد ذلك الصخب إلا على رجاء إنقاذ الموقف بعمل مجاني كبير تستريح إليه النفوس وتطمئن إليه الخواطر.

يجب أن يعلم الأستاذ إدة أن الأمر الوحيد الذي وطد له الثقة في نفوس اللبنانيين هو ما اعتقدوه فيه من الإقدام على جلائل الأمور، والإقدام على جلائل الأمور في عرف اللبنانيين هو محاسبة كبار رجال السراي عما يتناولون من مال الدولة غير مراعاة في ذلك مقاما، ولا عاصم منه أحداً.

ويجب أن يعلم الأستاذ إدة أن لمعانه في سقوطه وهو يقارع الرؤساء عما يغرفون للترف اليوم، وعما يكتزون للترف غداً في حين أن الشعب نسي شكل الرغيف لطول العهد به، أجل يجب أن يعلم الأستاذ إدة أن لمعانه في سقوطه وهو يقارع في سبيل اللبناني البائس لهو أبقى على الدهر من بقائه وهو يحاول جر الإصلاح بملقط صغير.

نحن لا نقول للأستاذ إدة أن قف مشاريعك في القضاء والإدارة برغم ما فيها من التضحية بكثير من البيوت، ولكننا نقول له اجعل عملك في أطراف البلاد وعملك في العاصمة على قدم المساواة فلا تسحق الضعيف الصغير لتزيد في ترف القوي الكبير، بل إذا اضطررت الى هدم الكوخ في القرية فلا يجب أن تقف عن هدم شرفة القصر في المدينة.

من المسلم به أن إغلاق المحاكم في القرى والاستغناء عن عشرات الموظفين في

الدوائر على ما فيها من تعميم الضائقة لا يأتي بمثل الفائدة المالية التي تنتج عن تعديل قانون التقاعد وإنزال مرتبات الرؤساء والوزراء شيئاً في المئة وإلغاء التعويضات جميعها، والاكتفاء من السيارات بسيارة لرئيس الجمهورية، إلى آخر ما هنالك من الزوائد التي إذا قطعت عن أصحابها يستطيعون أن يعيشوا بما يبقى لهم من الأصول إذا لم يكن (بالنظرة) التي يظهرون بها اليوم فبكثير من السعة التي لم يألّفوا خيالها قبل هذه الأيام.

لقد لمس رئيس الوزراء هذه الأيام بؤس البيوت اللبنانية ورأى بعينه دموع أرباب العيال يتلمسون الرغيف عن طريق الوظيفة فلا يجدونه، أفيجوز ضميراً أن يموت هؤلاء شقاء وجوعاً في حين أن باحة السراي تكتظ بسيارات الرؤساء والوزراء والأقوياء وهي عصير هذه القلوب المنسحقة التي مثلت هذه الأيام في حضرة الأستاذ الرئيس.

وإذا كان الشعب اللبناني شعباً أليفاً مسالماً لا يعرف أن يثور أفليس في أفرادهِ ونابغيهِ والأستاذ إداة في طليعتهم من يعرف أن يثور في سبيل العدل وفي سبيل الإنسانية.

عندما قلنا في لبنان مجاعة أنكروا علينا القول، غير أن رئيس الوزراء نفسه شهد هذه المجاعة الخرساء التي تعض العائلات المستورة من الطبقة الوسطى، تلك العائلات التي تؤثر أن تفنى عن آخرها دون أن تظهر بمظهر المحتاج، تلك العائلات التي تطوف بأبنائها على الدوائر الحكومية فتراها مقفلة وتطوف بها على البيوت التجارية فتراها مقفلة، وتطوف بها على شركات الاستثمار فتراها مقفلة، فتصور رجوع أرباب هذه العائلات الى بيوتهم مخفقين، وتصور موقفهم بين نساءهم وأطفالهم وهم في مثل هذا اليأس الخانق.

قل لي بربك ماذا ينفع هذه البيوت الجائعة أكان لها جمهورية أو لم يكن، أكان لها وزارة أو لم يكن، أكان لها مجلس نواب أم لم يكن، أفنلومها بعدما رأت من إرهاب الوضع الحاضر وجشع رجاله إذا هي لجأت الى ممثل فرنسا بإنزال الستار على هذا

المرسح الى أن تستعيد البلاد انتعاشها الاقتصادي.

ولكن البلاد انتظرت الأستاذ إدة وعلقت آمالها على الأستاذ إدة وقد رضي الأستاذ إدة أن يأخذ على عاتقه مهمة الإنقاذ فماذا تراه فاعلاً؟

إن الأستاذ إدة لا يستطيع أن يفعل شيئاً إذا لم يدعمه اثنان هما رئيس الجمهورية ومندوب المفوض السامي.

وإذا كان لا بد من ركوب الديكتاتورية الى الإنقاذ فأحبب بها مكباً.

أما أن نبقي هذا الرأس الضخم فى سراي بيروت بوزاراته الست ونوابه الأربعة والأربعين وما ينبت على جذوعهم من الطفيليات ثم نعمد إلى رجليه فننحتها حتى تصبح كالخنصر وإلى جسمه فنضغطه حتى يصبح كالرق فإننا ننتقل من قزم قبيح إلى قزم أقبح ومن عيش عسير إلى عيش أعرس.

### بشارة الخوري

البرق، ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٩، عدد: ٣٢٨٨، ص: ١

\*\*\*\*\*

## الديموقراطية وشاهدنا عليها

- الإنصاف الضائع - وعد سمو الأمير للجمعية اللبنانية في باريس - حق لبنان في تقرير مصيره.

لم نكن لنهتدي إلى العلاج الشافي؛ ضاعت الملطّفات، وهدرت المراهم، والمريض لا يزال على حاله، حتى بتنا نخاف أن يشتد به الداء ويمشي به إلى الفناء.

نحن إذا عمدنا إلى الصراحة قالوا: إنك تَجرح العواطف وتثير الكوامن، وإذا نحن عمدنا إلى التلميح قالوا إنك لا تشفي عيلاً، ولا تنفع غليلاً.

حرّنا وحرّ القارئ على السواء. كيف لا، وقارئنا اعتاد الحياة الديموقراطية والفكر الحر، ولكن الوسط الذي نحن فيه لم يعتدهما، فلُنُسَمِّرَ ولُنُسَمِّرَ القارئ في مكانه، إلى أن يعتاد الوسط تلك الحياة، وهذا الفكر، ولا بأس! لا بأس أن نخطو في سبيل الحياة خطوة واحدة في كل قرن...

نشرنا مقالةً في العمر أُفْعِمَت<sup>(١)</sup> من الفكر الحر والروح الديموقراطي؛ أُفْعِمَت مَرَّ الحقائق التي لا تُدحض؛ أُفْعِمَت منها ومن أدب الكاتب معا. وها قد مضى الشهر تلو الشهر، ولا نزال نرْمى بأننا أنغرنا<sup>(٢)</sup> الصدور ولم نقصد بها - والله شهيد - إلا خدمة الحق، وخدمة البلاد.

أجل إن المجموع الذي نحن فيه، لا يزال متأخراً عن الفئة المتعلمة، متأخراً كثيراً؛ فإِذَا اضطرت هذه الفئة أن تسائر هذا المجموع بأفكاره، أن تمشي إلى جنبه، وتُسَخَّرَ أقلامها ومعارفها لأمياله وتقاليده، فأية فائدة لتلك الأقلام وهذه المعارف؟ خَيْرُهَا أَنْ لا تكون مِنْ أَنْ تكون على حالها هذه! خير لها لو ظلت تلعب والنسيم على ضفة النهر.

أمامنا أقاويل كخيوط العنكبوت، إذا عصفت بها ريح الحقيقة عصفاً مزقتها تمزيقاً. وسكتنا تجاه هذه الأقاويل لا إقراراً ولا تصديقاً، ولكننا سكتنا حتى لا نرمى بما رُمينا به من تهمةٍ نبراً إلى الله منها.

يقولون إننا ندعو إلى الحياة الديمقراطية، والحكومة الديمقراطية.

فما هي هذه الديمقراطية إذا لم تلبس الحرية دثاراً، وتتخذ الجرأة الأدبية مناراً؟ بل ما هي هذه الديمقراطية التي ينشدونها إذا نحن لم نجسر أن نوجه إلى الكبير انتقاداً، مهما التزمنا جانب الأدب والاحترام فيه؟؟؟

يقولون: نريد أن نجاري الغرب؛ يقولون ذلك وهم يرون فتكات الأقلام في رؤساء حكوماته، وكبار زملائها؛ يرونها كيف تنتقد، وكيف تخاطب، وكيف تُكرم، وكيف تُحقر؛ ثم إذا حاول أحدها أن ينبه إلى تقصيرِ عندنا، قامت عليه القيامة، كأنه انتهك قدس الأقداس وجاس سدره المنتهى.

لا ! لقد سبق القلم إلى التشاؤم مُرغماً.

لا ! فإن الروح الديمقراطية تربع في الصدور. ومهدت العلوم العصرية في الرؤوس مقاماً للحرية.

لقد قال سمو الأمير<sup>(٣)</sup>، أعزه الله، في إحدى خطبه النفيسة:

«استقلالنا أولاً، وبعد، فالمساومة على المساعدة»

ونحن - معشر اللبنانيين - نريد أن نستسنَّ سُنَّةَ الأمير وننهج نهجه؛ نريد أن نقول على نحو ما قال: «استقلالنا أولاً وبعد، فالمداولة في الصلة».

لقد نقل إلينا بعض أعضاء الجمعية اللبنانية في باريس، قول سموه لهم، ذلك القول المملوء بالروح السامي والحرية الجميلة.

لقد قال: «اطلبوا استقلال لبنان وأنا أساعدكم عليه وعلى توسيع حدوده، وعلى كل ما يعود عليكم بالرجاء والهناء».

ولم نُكبر ما نقله إلينا إخواننا في باريس ونحن أعلم الناس، بما في صدر الأمير  
من الحب للبنان وأبناء لبنان.

وها نحن نطلب استقلال لبنان، ووعد الأمير مُنجزاً!

قالوا إن قلب سوريا يتحسس بروح الفتح، وهي إنما تمتد يدها للوحدة  
الاقتصادية، إذا مد لبنان عنقه للوحدة السياسية.

أجل، لقد قالوا ذلك. ولكن قولهم يحتاج إلى برهان!

وقالوا: ما ضرَّ سوريا وهي القائلة «إن لبنان بمنزلة العين واليد مني» لو تركت له  
استقلاله السياسي، وارتبطت به العروبة الاقتصادية؟ ما ضرها، وهو يرى سوريا أعز  
من روحه، يتوقف نموه على نموها، وازدهاره على ازدهارها؟ ما ضرها، وهو يبسط من  
موانيه أيدياً تستقبل الصادرات والواردات، إذا كانت المسألة الاقتصادية هي الأصل  
في التوحيد؟

وعندئذٍ لا تعمل سوريا على قتل لبنان إذا صدقت دعوى المحبة، ولا تُضطر أن  
نقول (وقتلوا ملكاً معي).

إن الحب الصحيح هو الحب الذي يجلُّ عن المساومة، وهذا لا يتجاوز الوحدة الاقتصادية  
بعكس الوحدة السياسية التي تشف عن روح السيادة، شف الثوب الرقيق عما تحته.

«يقولون: إن للشعوب الحق في تقرير مصيرها ومستقبلها» فإذا كان ذلك كذلك،  
فلماذا يُمنع شعب لبنان من تقرير مصيره؟».

إن لبنان كان ولا يزال، قطعةً مستقلةً له حكومته، وله ماليته، وله امتيازاته، وله  
حقوقه في سجلات حكومات العالم المتمدن. فكيف يريد إخواننا هؤلاء أن يترك لهم كل  
ذلك، ولا يمهّلونه ليرى ما سيكون من شأن حكومتهم الجديدة، وعندئذٍ لا يصعب عليه  
أن يعانق سوريا، تضمه ويضمها سياسياً، بعد أن تكون ضمتها الوحدة الاقتصادية،  
والأمور مرهونة بأوقاتها.

### افتتاحية

البرق، ١٩١٩، عدد: ١٤٠-٦٥٠، ص: ١

\*\*\*\*

## ومن لم يذد

### عن حوضه بسلاحه... يهدم<sup>(١)</sup>

سكتنا حتى أصبح السكوت عبئاً. ولو أنصفونا لقالوا: أبيُّ يأنف التسفُّل إلى الصغائر، فلا يستعد لناوأة الخصم سوى بكلمات لا تستخف ولا تنبو.

عجباً لهم! أو كلُّ الجرائد التي تُماشي الانتداب، هي مشتراة؟ حتى الغنية بمادتها والغنية بأدبها؟

ذلك ما كتب به مراسل جريدة «الاستقلال» التي أحياها جبرائيل بك تقلاً<sup>(٢)</sup> إلى جنب جريدة «الأهرام»: أجل ذلك ما قاله عن معظم الصحافة البيروتية.

وكان من قبله ضرب على هذا الوتر فريق من الجرائد الصفر، هزأنا بأقوالهم لما نعلم من سابقاتٍ لهم صرفوها بين خفض و «نصب».

ولكن هل لتقلاً بك أن يقول لنا، لماذا بعث «بالاستقلال» من قبره، وهو نفس الأهرام حرفاً وشكلاً، اللهم إلا ما خصص منه لناوأة الانتداب الفرنسي، مقابل ثمنٍ ينقده من دعاة الحجازية<sup>(٣)</sup> وهم أكثر؟

ولقد عُرف عن «الأهرام» نفسه أنه ماشى السياسة الانكليزية؛ فكانت هذه المماشة سلماً إلى الثروة التي جمعوا. لقد عرفنا ذلك، فقلنا لبنانيان لم يكن لهما وطن في ذلك العهد، فخدما نفسيهما وجعلنا لهما مخرجا.

أما ولصاحب «الاستقلال» ثروته، وله تربيته وله عرقه اللبناني، فكيف يجوز له أن يضع هذا السلاح في يد خصوم ذويه، مهما بلغ الثمن ومهما بُلغ فيه.

صدر «البرق» على أثر انجلاء الترك، ثم أقبل الفيصليون<sup>(٤)</sup>، ثم تلاهم الإنكليز، وللبرق نزعتة اللبنانية لا يرضى عنها بديلاً.

وكان «البرق» عرضة للتجارب، فبذل له عن سعة رغبة استمالته، لا سيما ولم يكن هناك غيره جريدة لبنانية لها روحها السياسي، يتألب حوله شعب بأسره، ولكن «البرق» انتصرت على التجارب إلى أن ماشت الفرنسيين.

أجل، لقد ماشت الفرنسيين بعد أن عاهدوها، وعاهدوا قومها على استقلال لبنان بحدوده الطبيعية، ثم السير به إلى الاستقلال السياسي القائم على السيادة اللبنانية، كما هو مبين في الوثيقة التي رفعها الصحافيون، إلى اللجنة الأميركية وقد أنشأها يومئذٍ صاحب «البرق» نفسه.

وكانت «للبرق» منذ ذلك اليوم، مواقفه. فكان الجريدة الوحيدة التي تقول باستقلال لبنان مع الانتداب الفرنسي، وكانت الوحيدة بين عشرات الجرائد الأخرى تتلقى وحدها السهام داميةً، وتردها إلى راشقيها بعد أن تنزع منها الحديد.

وكيف يليق بنا أن نعقّ الفرنسيين، ونحن وكل لبنان يعلم أن لبنان الكبير ما قام إلا بالمال الفرنسي، ثم بالدم الفرنسي؟

وكيف كان يمكن «البرق» أن يكون على غير ذلك، ولا تنكره جماعته ويبرأ منه إخوانه، لا سيما بعدما أثار دعاة الأمير فيصل، أو بالأحرى دعاة الإنكليز، العاطفة الدينية في قلوب العامة حتى عمت المخاوف، ثم زاد في الطين بلّة سياسة العصابات والتقتيل الذي جرى في الجنوب والشرق، مما جعل الأقليات أين كانوا يرتقبون منقذاً كائناً من كان؟

وكيف نُلام على الاعتراف بحاجتنا إلى الانتداب، وهذا الأمير فيصل في الأمس، على جليل قدره، كان من أكبر دعاة الانتداب الإنكليزي؟ فلقد روى لنا بعض الصحافيين الدمشقيين أنه عندما قدمت اللجنة الأميركية عام ١٩١٩ أقام لهم مأدبةً ونقد كل واحدٍ منهم مبلغاً من المال، محاولاً إقناعهم بأفضلية الانتداب الإنكليزي.



لقد كنا حقيقة من الذين باعوا نفوسهم، لو أننا خالفنا تقاليد الأمة التي ننتمي إليها، أو أننا ماشينا إحدى الدول التي يذكرها اللبنانيون، ولا سيما نصاراهم متى ذكروا مذبحتهم الأخيرة ومذبحتهم الأولى، أو أننا اعتنقنا في حياتنا السياسية سوى مبدأ واحد، هو تكوين قومية لبنانية، مستندين لضعفنا إلى ذراع يساعدنا عليها.

ليغضب علينا من يحلوه الغضب؛ فحسبنا رضى الأمة التي نحن منها، علينا. وهذا رضاها ظاهر بإقبالها على «البرق» حتى لنُعدُّ أكثر الجرائد انتشاراً. وما كنا لنرتكب هذه السماجة في المباهاة، لولا أننا نريد أن نُعزز البرهان بكل محسوس.

لقد سمعنا أن الأفراد يرتشون، ولكننا لم نسمع شعباً بأسره يرتشي.

فقد طلب اللبنانيون الانتداب، ورددنا نحن صدى ذلك الطلب. فإذا كان هنالك من ذنب ولا نخاله، فهو ذنب الأمة.

على أن الأمة<sup>(٥)</sup> اللبنانية، - وفيها كبار مفكرها، وكبار قادة الجماعة فيها - أدري بمصلحتها من أفرادٍ طرحتهم مطارح النوى كل مطرح، فكتبوا إما حسداً وإما جهلاً، وإما لمآرب لا تخفى على البصير.

على أننا لنربأ بمن كان لهم بقية احترام في نفوسنا، أن يجازفوا بكرامتهم، فيلقون الكلام على عواهنه.

وكيف يتهموننا وهم أولى بالتهم منا لأنهم يماشون دولةً لم تصادق بغير المال<sup>(٦)</sup>، ويقتفون مبدأ لا يتفق مع مبدأ الجماعة، فضلاً أن لهم في المساومة على الأقاليم والمبادئ شهرة تملأ الخافقين<sup>(٧)</sup>.

البرق، ١٩٢٢، عدد: ١٥٨٤، ص: ١

\*\*\*\*

## ١٤ تموز<sup>(١)</sup>

كان للإنسان حق ضائع، بل حق مغتصب، فاهتدت إليه رؤوس الأسنة وكرات المدافع.  
وكان طريقه النجيع الأحمر، نُثرت عليها الجماجم.  
كانت التيجان مستمسكةً بالرؤوس، فكفت ضربة من الشعب الفرنسي حتى تقلقلت في  
الهامات، ثم تدهورت عنها؛ وكفت ضربة حتى ساوى القانون بين الملك والرعية.  
لا ميزة إلا للعقل، ولا مكافأة إلا للعمل، ذلك هو فضل ١٤ تموز على العالم.  
فمن أجل هذا التاريخ اللامع في سماء المجد، أثر الشعب اللبناني صداقة فرنسا.  
ومن أجل أنها نثرت الحريات على العالمين: الجديد والقديم، اختارها لتغذي حريته.  
ومن أجل أياديها البيض، في الليالي السود، وثق بها عهوده.  
فإذا هو أحبها، فللحرية نفسها. وإذا هو أثرها على غيرها، فلأن أرواح أديانها<sup>(٢)</sup> لم تترك  
في قلبه فراغاً لسواهم.  
هو ذا تذكّار ١٤ تموز في لبنان، مثله حتى في فرنسا نفسها، رايات خافقة، وجوارح  
خافقة، وثغور تبتسم للأمال.  
فإذا كان لـ ١٤ تموز بركته في أميركا<sup>(٣)</sup>، وبركته في اليونان، وبركته في كل مكان تحرر  
بعد رقٍّ، فله أيضاً بركته في لبنان وما يوم أول أيلول<sup>(٤)</sup> سوى وليد ذلك اليوم.  
فباسم الشعب اللبناني نرفع للشعب الفرنسي ولحكومته المعظمة أصدق التهنئات،  
ويتلطف المندوب السامي فخامة الجنرال غورو بأن يبلغ ذلك عنا: فليحيَ ١٤ تموز  
**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٥ تموز ١٩٢٢، عدد: ١٦٠١، ص: ١

\*\*\*\*\*

## أطائفية؟

### يا للعار - ويا للخسار

دعونا أمس إلى توحيد قوى الشبيبة على اختلاف مذاهبها ونريد بالمذاهب هنا المذاهب السياسية لأننا لا نرضى أن يسجل علينا التاريخ هذه المذمة ألا وهي التفريق الطائفي في عصر انطوى على أعظم نهضة شرقية خرجت بشعب كالشعب التركي من مجاهل التقاليد البالية إلى معالم المدنية الصحيحة.

وإنه ليخلق بكل ذي مروءة وطنية أن يطوي إلى الأبد هذه الطائفية الممزقة المبددة فهي كالمعاول تعمل في أساس الألفة وتفت في ساعد القومية وتجيء على جميع المصالح العامة لا تستثني مصلحة طائفة ولا مصلحة فرد بل يسقط الجميع تحت ريحها ويؤدي الجميع ثمنها من دمهم ومالهم وكرامتهم وقد رأينا العبر في نفوسنا، ولكن من البلية أننا لم نعتبر.

لقد صفعنا المسيو دي جوفينيل<sup>(١)</sup> منذ حين صفقة توازي فناء أمة بأسرها ذلك يوم قال: إنني أحمل لكم كل الحريات ما خلا حريتين إحداهما فناء بعضكم بعضاً بحرب دينية.

فلقد وددنا والله أن تسيخ الأرض بكل من في لبنان وسوريا، من شيخها البالي إلى طفلها الرضيع ولا تعلق..... بنا هذه الوصمة التي لا تسلم معها كرامة شعب ولا يصح معها الدليل على كفاءته لما هو راغب فيه من سيادة.

ولقد كنا نؤمل أن نهض جماعات وأفراد إلى محو هذه الوصمة التي جناها علينا بعض إخواننا فإذا نحن نتوغل في حمأة الطائفية، وإذا نحن ننشر أعلامها وإذا نحن ننفع في أبواقها.

والله لو أن في أعماق هؤلاء المتوغلين الناشرين النافخين ذرة من عقيدة طائفية لقلنا إن للعقائد احترامها أما وهي رقوة المصلحة أو تعويذة الوظيفة فيا للخسار ويا للعار.

أفأمة كبيرة تجرح كرامته من أجل مصلحة زيد أو غرام عمرو، - والأمة ترضى بشيبيها وشبانها، بعقلانها ومفكرها، وبكل نابض فيها.

لقد كان يهون علينا أن تصاب جسامنا وتسلم أعراضنا وعقولنا، فما بالنا أصبحنا يهون علينا ما لم يكن يهون من قبل.

لقد أشرنا أمس إلى الخطر المداهم إلى الدستور الذي يستقل بوضعه المجلس النيابي وخشينا أن تكون الطائفية هي إحدى أسسه ثم علمنا أن خشيتنا في موضعها وأن الدستور سيكون طائفا لا للطائفية ولكن لإشباع أهواء المتاجرين بها، الخاطبين لوظائف باسمها.

مسكين هذا الشعب. غداً سيرهق<sup>(٢)</sup> فوق إرهابه بوزارات سبع. وبمجلسين ضخمين... - وسيرهق فوق ذلك بنظام طائفي سيجعله إلى الأبد عبد الشقاق والشقاء.

ومع ذلك فالشبان سكوت وهم كما قلنا أمس أساة هذه الأمة.

قرأت في صحف أمس دعوة إلى تأليف الأحزاب السياسية وقد قلنا مرارا إن الأحزاب السياسية هي التي تقتل بها الأحزاب الطائفية ولكن هذه الأحزاب لا تعيش إلا في حكومة دستورية كل الدستورية لا دستورية مرقعة كما نخشى أن تكون.

ولكن هذا لا يمنع من اجتماع المفكرين من كل الطوائف للتعاقد على إخراج دستور يليق بكرامة الأمة ويساعد على إنمائها ويؤلف بين قلوبها - ويمهد الطرق لنيل جميع الرغائب.

البرق، ١٩٢٦، عدد: ٢٥٥٤، ص: ١

\*\*\*\*

## السياسة

### لعنة الله على السياسة

لا يلعنون السياسة عبثاً، فلهم براهينهم على أنها تستحق لعناتهم.

ولكن، قبل أن تضم إليها لعنة جديدة نود أن نعرف ما هي.

إنها في الأصل، حُسن القيام على الشيء، أو قل: إنها حسن التدبير. إذن ولدت طاهرة بريئة ولكنها - ويا لسوء حظها - عندما تعرفت إلى البشر.

كأن يقال: ساس الطفل وساس البيت وساس الرعية، فيستفاد من قولهم، عناية بالطفل لينمو، وبالبيت ليعمر، وبالرعية لترقى.

هكذا كانت السياسة!

وجدت الشجرة لتقي مستظليها حرارة الشمس، ولتفرح القلوب بأزهارها، ولتشبع المعد بثمارها، ولتدفي المقرورين بحطبها.

فما ذنب هذه الشجرة إذا جعلوا منها قبضة سيف، وخشب بندقية؟!

وهكذا السياسة لا ذنب لها إذا صيرنا خيرها شراً، ونفعها ضراً.

من ذا الذي لا يستعمل السياسة بمعناها الآخر؟ وأريد بمعناها الفاسد الضار؟!

فتشت كثيراً... لعلي أهتدي إلى ذي نطقٍ كان في نجوةٍ منها فما وجدته. من ذا الذي لا يلبس الكذب ثوب الحقيقة، والجور ثوب العدل، والقسوة ثوب الليونة، والرياء ثوب السذاجة؟

استعرض طبقات الناس: من الحكام، إلى الرؤساء، إلى التجار، إلى الصحافيين، إلى المحامين، إلى الكهان، إلى إلى...

استعرض جميع الطبقات وقل لي - إذا استطعت - إن (السياسة) ومعناها جر  
الربح عن طريق الأذى، غير موجودةٍ أو غير ذات أثر.

وهذه الدواهي التي نتجرع سمومها - معاشر أهل البلاد - أليست نتيجة السياسة؟!

أفما التفريق بين قلوبنا، سياسة؟ أفما الضائقة التي نعاني، سياسة؟. أفما القتل  
الذي يقع والعمار الذي يدمر، سياسة؟ أفما إهانة الخواطر وإثارة النعرات، سياسة.

وليس للسياسة مهب واحد. فقد ينفخ ريحها من وراء البحار، ومن رجال الأموال،  
ومن سرادب المعابد، ومن مكاتب رجال الأحكام، إلى آخر ما هنالك إذا كان هنالك آخر.

وكثيراً ما تكون السياسة زجاجةً من السمِّ المُعطَّر.

وكثيراً ما تكون بغياً في ثوب عذراء.

وكثيراً ما تكون نفاقاً في سُبحة المُصلي.

وكثيراً ما تكون بسمة الخنجر المصقول.

وكثيراً ما تكون... وكثيراً ما تكون.

فلعنة الله على السياسة، وأحاذر أن أقول: على السياسيين.

البرق، ٢٨ شباط ١٩٢٦، عدد: ٢٥٤١، ص: ١

\*\*\*\*

## دستور البلاد عنوانها

بعض أعضاء المجلس يجهلون خطورة العمل الذي انتدبوا له - العالم يتطلع إلينا - لا طائفية في الدستور - فعل مصطفى كمال لا قول نابليون، الطائفية عار الأبد واستعباد الأبد.

نرى من أقدس واجباتنا أن لا نقف سكوتاً تجاه ما يسمونه القانون الأساسي الذي يستقل المجلس بوضعه، وعلى مسؤوليته؛ والذي - لسوء الحظ - يجهل بعض أعضاء المجلس، مبلغ التبعة التي وضعت في أعناقهم. فإما أن تحمل لهم بركة الأبد أو لعنة الأبد .

أجل، إن بعض أعضاء المجلس يجهلون خطورة هذا الأمر، فهم لا ينظرون إليه من حيث هو أساس حياة أمة تَوَاقَة إلى النهوض، بل ينظرون إليه كعلاج مسكّن للأهواء، كفيل بالإرضاء، جاهلين أن الدستور من الأمة كالأساس من البنين، وأن البنين لا يكون قوياً ولا يعيش طويلاً إلا إذا كان أساسه راسخاً متيناً خالياً من العيب.

إن سوريا، بل إن لبنان المهاجر، بل إن العالم الذي يهمله أمرنا يرسل إلينا نظر الناقد المترقب، وهو لا يلبث أن يلفظ حكمه لنا أو علينا، عندما يطلّع على الأساس الذي نُشيد عليه بنايتنا الوطنية. فإذا كان هذا الأساس على نحو ما يريده معظم أعضاء المجلس أن يكون، فلا كان لبنان ولا كان الدستور.

يريدون أن يقيموا أساساً طائفيّاً، وأن يشمل هذا الأساس حتى الوظائف: إدارية وقضائية؛ أي يريدون أن يرجعوا بنا إلى نظام لبنان القديم. أي يريدون أن يسمّوا البلاد بهذا الروح الخبيث فلا تُشفى منه إلى أبد الأبد.

ويقولون إن البلاد لا تزال خاضعةً لعنعات الطائفية، مأخوذةً بنفوذها، وإن الوقت لم يحن بعد لاقتلاع هذه الجرثومة... إن الوقت لم يحن بعد... فهل سُمع بأسخف من

هذا القول؟ وهل إذا كان الوقت لم يحن بعد، نقوم نحن - المنكرين الطائفية، المُقْبِحيها - فنحفر خندقاً في قلب دستورنا حتى نزيدها تمكيناً؟

سوف لا نجادل أنصار الطائفية في هذا المقال، بل نرجئ الجدل إلى ما بعده، فقد يطول بحثه. ولكننا نريد أن نعلن براءة موقف المقاطعين الذين أبوا أن يشاركوا المجلس في أمر لا يستطيعون معه أن يُعدّلوا أو يُرجّحوا مادةً أو يبطلوا حرفاً من الناموس الذي يضعه المجلس الكريم.

يقول رئيس المجلس في خطابه: إننا نريد أن نحكم الناس كما يريدون لا كما نريد نحن. وهذا القول وإن نُسب إلى نابليون، فهو مغلوط ولا سيما في الشرق الذي قال فيه فيلسوفه: «إنه لا يصلح بغير مُستبدٍ عادل»<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة الدالة على صحة هذا القول، موقف مصطفى كمال باشا<sup>(٢)</sup> مع الشعب التركي. فإنه لو شاء أن يحكمه، كما يريد الشعب، لكان اليوم كما كان من مئات السنين يرعى في مجاهل الانحطاط ويضرب في مغاور الجهل.

إن التاريخ يُنبئنا أن الأفراد هم الذين كانوا ينهضون بالأمم، لا الأمم هي التي كانت تنهض بالأفراد. فإذا كنا نريد أن نمشي العامة، فمصيرنا ولا ريب، إلى القرون المتأخرة؛ لأننا في الحالة هذه نكون نمشي إلى الوراء ونمشي بمضاء القوانين وسلطة المُنَفَّذين.

لا مشاحة في أن مجمل الشعب اللبناني هو من أرقى شعوب العالم، فلا يُعوّزه للوثوب، إلا زعماء مخلصون كل الإخلاص؛ زعماء نهضةٍ لا زعماء وظائف، وزعماء أمة لا زعماء طوائف.

إن الشعب اللبناني مُجمع على تقبيح الطائفية، إذن فهو شعب فهيم. وإذا قام مَنْ يقول بإبقائها «موقّتاً» فليعلم أن هذا «الموقّت» هو الخلود بعينه.



إن الطائفية عنصر فاسد في جسم الوطن. وطبُّ الأرواح كطبِّ الأجسام. فكما يقضي هذا ببتّر كل فاسدٍ من جسم الرجل، فقد وجب على ذاك أن يقضي على كل فاسد في جسم الوطن.

نعود فنقول: إن الشعوب يجب أن تُحكم كما يريد العصر الحالي، حتى لا يسحقنا دولابه. فلا الإسلام ولا المسيحية بدافعين عنا أذىً يلحقنا من مجرد التعصب لهما، بل بالعكس؛ فإننا بوضعنا الطائفية في صلب دستورنا، نكون قد سلّمنا العالم المتمدن صكاً رسمياً يشهد علينا بأننا لا نستحق حتى الانتداب، من الدرجة الأولى.

أجل، إننا لندفع إلى العالم المتمدن، هذا الصك وكأنا نقول لهم فيه: إننا قوم لا يأمن بعضنا البعض الآخر على مصالحه ومرافقه، حتى في منصات القضاء. ولذلك فقد جعلنا لكل طائفةٍ منا رقيباً على مصالحنا ومدافعاً عنها.

وإذا قلنا لهم ذلك فلا ننس أنهم يقولون لنا: إذا كنتم أنتم لا تأمنون جانب بعضكم، فكيف تريدون أن نأمن نحن جانبكم، على مصالح رعايانا؟ فأنتم الذين حكموا على أنفسهم وأقروا عليها، والمرء يؤخذ بإقراره.

البرق، ٢٦ آذار ١٩٢٦، عدد: ٢٥٦٠، ص: ١

\*\*\*\*\*

## الدستور قدس أقداس الأمة

إن من يفرط بحرف منه فقد طعن شرفه

إذا اعلولى صوتنا بالشكوى لهذا التبذير، وإذا اعلولى صوتنا بالإندار بسوء المصير، وإذا تمللنا من تتبع الحكومة الجديدة، سياسة الاسترضاء التي أنهكت الأمة، وقضت مضاجعها، وشردت أبناءها هرباً من ضغط الضرائب تُنفق على المظاهر والزخارف - إذا اعلولى صوتنا من جميع المهازل والفواجع، فقد يهون كل ذلك إزاء ما نخشاه من إقدام الحكومة - من إقدام أول حكومة وطنية على التفريط بالدستور.

إن كل ما تقدم يُستطاع إصلاحه بالحزم والتجرد والإخلاص؛ أما أن يُفرط بحرف من الدستور، فإنه لا يُستطاع تعويضه، وإنه لجناية على مستقبل الأمة وشرفها وخيالها الأسمى.

الدستور! وهو ناموس الأمة، يجب أن تزود عنه بأرواحها، حتى إذا تجرأ أحدٌ على مسه ولو تأويلاً، رفته برجلها فهوت به من حالقٍ إلى الحضيض.

الدستور! وهو خلاصة أمانى الأمة، بل وليد جهودها، بل رمز مجدها. فإذا ما جرؤ أحد على استخدامه لمصلحته أو تعطيله لمصلحته، فقد أعلنته البلاد خائناً، ونبذته نذلاً، ورذلته وغداً.

ونحمد الله! نعم نحمد الله! أن الرجال الذين عهد إليهم بتنفيذه - ونريد بهم حكومة اليوم - هم من خيرة الرجال لهم ماضيهم؛ وهو مما يجعلنا نطمئن إلى أن الدستور لا يفرط به مهما حاول المتنفذون، كائناً من كانوا، أن يستفيدوا من هذا التفريط. وما الدستور إلا نصُّه، وما هو إلا السيادة الداخلية المطلقة في الإدارة المالية والقضاء، ما خلا تحفظاتٍ طفيفةً يقضي بها صكُّ الانتداب للدولة المنتدبة، وقد لا تتعارض والدستور بشيء.

فإذا كان هناك تفريط، وإذا كان هناك تأويل، فإنما المسؤول به أصحابه  
المباشرون، وهم رجال الحكومة الذين عرفوا مقدار ثقتنا بهم من حيث شرف الضمير،  
ولم نقل من حيث المضاء، ولا من حيث حُسن التدبير؛ لأننا ننتظر الأعمال، ولأننا  
أصحاب رأي في شكل الإدارة، صرحنا به مرارا ورجونا من الحكومة أن تسلكه. فمتى  
سلكته أو جنحت إلى سلوكه وقفنا في صفوفها ورفعنا لها أُلوية الحمد.

كثيرا ما تأخذ الحكام نشوة الحكم، فيتذرعون بكل الوسائل لاستمرار هذه  
النشوة. وقد يُقدمون على تسخير الدستور لمآربهم، ولكن الدستور المُستمد من روحية  
الأمة، هو الذي ينتصر في آخر الأمر، والمنتصر الحقيقي هو المنتصر الأخير.

إنها لتبعة شديدة الخطورة هي هذه التي تُلقى على شرف الوزارة الجديدة. وقد  
حمدنا الله - كما قلنا - أنها مؤلفة من خيرة الرجال، أصحاب الضمائر الحية والعلم  
الصحيح. ذلك لأننا نعتبر أن أقل خرق في الدستور، أو أقل تساهل فيه، تصبح سابقةً  
للحكومات التي تلي، تجني على مقدرات الأمة، وتحطم آخر سلاح لها بما تدعيه من كفاءة.

إن أمام الحكومة تجارب كثيرة لا نبالي منها أي تجربة مهما بلغ خطرها. إذ إنه  
يُستطاع إصلاحها، اللهم إلا تجربة الأمانة على إنفاذ الدستور بحرفه مهما كلف الأمر.  
البرق، ١١ حزيران ١٩٢٦، عدد: ٢٦١٠، ص: ١

\*\*\*\*

## دستور!...

لا جدال في أن الحوادث برهنت على أننا لا نصلح لحكم أنفسنا بأنفسنا. لسمع هذا جميع من لهم آذان.

وإلا فليقولوا لنا إذا كنا لم نرجع خطوات إلى الوراء منذ عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٩ بمعنوياتنا ومادياتنا، دون أن نفكر بوقف هذه الحركة الرجعية.

وإلا فليقولوا لنا إذا كنا عرفنا قدر النعمة التي ألقاها الحظ في يدنا، ونريد بها هذه الخطوة في سبيل الحكم الوطني والسيادة القومية.

وإلا فليقولوا لنا إذا كنا منذ أيار ١٩٢٦<sup>(١)</sup> إلى ١٩٢٩ استطعنا أن نصون الدستور من الشوائب أو إذا كنا عرفنا له قيمته؛ فلم نساوم عليه حتى في أحقر المصالح الشخصية وأتفهها؟.

لا يجرؤ أحد الإنكار أن القوم في السراي الصغير، إنما استعملوا الدستور لقضاء شهواتهم، بكل ما في الكلمة من المعاني، ولقضاء مصالحهم من جميع أطرافها.

وإلا فليقولوا ماذا أثمرت المعارك الوزارية منذ بدء نشوبها؟ وبكلمة أوضح، ماذا فعلت الوزارات التي حلت محل سابقتها من خير للمصلحة العامة، وماذا اتخذت من حيلة لصون سمعتنا كشعب ذي كفاءة لحكم دستوري؟.

أجل! ماذا فعلت الوزارات المتتالية على لبنان، إلا اتباع سياسة الاسترضاء، واستثمار المصالح؟ وفي عهد أي وزارة لم يدخل أفواج جديدة من الموظفين، فوق الأفواج التي أدخلتها الوزارات السابقة؟ وفي عهد أية وزارة لم تكن خزانة الدولة كالأنثاء تقطر المال في أفواه المتزاحمين عليها؟.

لقد دخلت أفواج الموظفين باسم الطائفية، ودخلت أفواجهم باسم المصالح الانتخابية، ودخلت أفواجهم باسم الحماية الوزارية. وبعد ذلك يطلبون إلى الشعب اللبناني أن يُحب الدستور وأن يُصَلب للدستور.

إن الذي يظن أن هذا التحمس للمعارك الانتخابية ناتج عن روح دستورية، فقد أخطأ، وأن الذي يقول ذلك فقد مَوَّه.

إن الانتخابات في لبنان، يقوم بها الأفراد الذين يطمحون إلى استثمار المصالح عن طريقة النيابة - وللقاعدة شذوذها - إذن فهذا الإقبال على صناديق الانتخاب ليس مصطنعاً فحسب، بل هو مُشْرِئٌ بالمال، محمول عليه بالوعود لصغار العمال، مدفوع إليه بالنكايات والمصالح المحلية.

ولقد كان الأمر غير ذلك، لو شاء أولو الأمر أن يزينوا للبنانيين الحياة الدستورية، بالترفيه عنهم من جهة الضرائب، وبإجراء العدل على السواء بين الخصوم والأصدقاء. ولكن شيئاً من هذا لم يكن، بل هم تَمَادَوْا في إرهاب الأعناق بالضرائب، وفي قتل العدالة انتصاراً للحزبية، الأمر الذي حمل الشعب على المقابلة بين الماضي والحاضر، فكان فرقاً جسيماً، وكان خطباً أليماً.

وَأَيْنَ هي هذه الروح الدستورية في صدور اللبنانيين؟ وأَيْنَ هو هذا الإخلاص في صدور المرشحين؟ فلا الأولون طالبوا مرشحيهم بالمناهج، يتقيدون بها لمصلحتهم، ولا الآخرون تحسسوا بالروح الدستوري، فنظموا أحزابهم، ونشروا خططهم، ليقال إن هناك على الأقل شكلاً دستورياً يستحق هذا الثمن الذي هو كناية عن إرهاب أمة خائرة القوى تحت عبءٍ لا تقوم به الجبابة.

لقد أرسلنا هذه الكلمة تمهيداً لكلماتٍ على رجاء أن ينبعث في القوم روح جديد، فنقرأ للمرشحين وعودهم ونسمع للبنانيين إرادتهم - إذا كانوا حقيقةً يريدون أن يُقلدوا البلاد الدستورية، ويستمرروا على اعتناقهم الحياة النيابية.

### بشارة الخوري

البرق، ١٥ نيسان ١٩٢٩، عدد: ٣٢٠٦، ص: ١

## دستور ولكنّه دستور من عجّين

لو بعث الشهداء اليوم لشنقوا مرة ثانية - تجارة البلاد تستغيث - نأكل في  
حصيد الأتراك.

### دستور من عجّين

لا تظننا نهزل إذا قلنا لك إن الدستور اللبناني مصنوع من العجّين؛ وأنت تعلم أن  
دساتير العالم مصنوعة من جثث بنيتها ممزوجة بدمائهم. فلذلك كان الدستور اللبناني  
- العجّين - قابلاً - بحكم رخاوة مادته - لأن تقطع منه ما تشاء، وأن تُكيف منه أية  
صورة تشاء، بعكس الدستور المصنوع من جماجم الضحايا الصلبة، التي لا تموع في  
يدٍ، ولا تتفتت تحت إزميل.

والدساتير لم تكن في وقت من الأوقات منحة؛ والمنحة ترد. إذن، فبأي حق يرفع بعض  
اللبنانيين عقيرتهم على المفوض الإفرنسي، إذا هو شاء أن يقطع قطعة من تلك «العجينة  
الدستورية» التي عجنها بيده وتصدّق بها عليهم من فضله وكرمه؟ بأي حق يرفع هؤلاء  
عقيرتهم، وهم لم يُريقوا قطرة من دم، ولم يرفعوا علماً لثورة، ولم ينقلوا قدماً إلى تضحية؟.

أجل، لماذا يتبجح هؤلاء الرافعون عقيرتهم، بالاحتجاج على مس الدستور، رغم  
أنه مساس بكرامة اللبنانيين، في حين أنه لا علاقة لكرامة لبنان في الأمر، فالدستور  
اللبناني ثوب عارية نسجته يد الدولة المنتدبة، وخلعته على لبنان. فهي إذا رآته طويلاً  
قصرته، أو ثقيلاً خففته، وإذا كان الفصل حاراً رققته، وإذا كان الفصل بارداً سمّكته؛  
ولا حق ولا شبه حق لأي لبناني أن يتدخل في الأمر، وإلا فلينسج هو دستوراً لنفسه  
إذا كان في وسعه أن ينسج.

ولكن أنى للبنان أن «يعجن» دستوراً، والدستور شعلة علوية ملتهبة هي أعلى وأعلى وأعلى بكثير مما يُعَفَّرُ به «أسياد» الموقف اليوم، جباههم، من أجل منصب زائل لا يُساوي - على ضخامة اسمه - شِسْعٌ<sup>(١)</sup> نعل الدستور.

#### الحياء من الشهداء

وَدِدْنَا أن لا يكون شيء وراء الطبيعة يُدعى خلوداً، حتى لا تُطَلَّ من ورائه أرواح المستشهدين منا فترى إلى المهازل - ولا سيما مهزلة رئاسة الجمهورية - التي تُمَثِّلُ اليوم، قريباً من الساحة<sup>(٢)</sup> التي قام عليها نُصَبُهم التذكاريُّ الحزين، وحتى لا تلتقي عيونهم بعيون هؤلاء الذين اتخذوا من تلك الضحايا سُلماً رفعها لهم القدر، يصعدون بها إلى سراي عزمي<sup>(٣)</sup>، صنيعه جمال، ليواصلوا (پروغرامه)<sup>(٤)</sup> بطريقة منظمة على أصول مرعية.

لقد استفادوا في تمزيق الأمة طوائف، بل ساعدوا على هذا التمزيق، بأن مثله حتى في هذا النصب الهازل الشاحب، طائفتين مسلمةً ومسيحيةً، ثم غنوه «صليباً وهلالاً» وهم أبدأً يُمَثِّلُونَهُ على هذا الشكل في كل مظهر من مظاهرهم الرسمية وشبه الرسمية.

ولو أعطي الشهداء الأعزة نعمة البعث - لا بل شقوته - وعادوا سيرتهم الأولى من انتفاض على الظلم واحتجاج على تفريق عناصر الأمة، وثورة على جلاذيتها لَشُنُقُوا مرة ثانية، بلا رحمة وفي نفس الساحة التي أقيم فيها ذلك النصب: بقية القرون الوسطى وصباغة الفن البالي.

ولكن السادة المتنعمين بفضل تلك الأشلاء المقدسة - أدركوا ما يضمره لهم أصحابها من عتاب مُرٍّ - والأرواح لا تحقد - فآلوا أن لا يزوروا تلك الساحة يوم ذكرى إعدامهم، ذلك اليوم الذي تهبط فيه أرواحهم لمصافحة الأحرار الصادقين؛ فتحولوا إلى اليوم الثاني من أيلول ذلك اليوم المجهول منهم، فأمنوا بذلك اصطدام النظر، وما ينطوي عليه من متطايير الشرر.

#### التجارة تستغيث

تعالَت أصوات الاستغاثة من كل بلدٍ لمقام المفوض السامي<sup>(٥)</sup>، بإيقاف العمل بالقرار الأخير الذي زاد فيه الرسوم الجمركية على مواد وبضائع شتى.

ويعتبر رؤساء الغرف التجارية في جميع البلاد السورية - بالدالة طبعا - لعدم أخذ رأيهم في الأمر، قبل إصدار القرار ليُتاح لهم بسط الأضرار البليغة التي تُنذر البلاد بما هو أفظع وأفتك.

وعندنا أن فخامة المفوض السامي، هذا الرجل الحريص على سمعته وعلى مصلحة البلاد التي استؤمن عليها، سيرجع إلى القاعدة الحكيمة القائلة: «مَنْ طلب الزيادة وقع في النقصان». والزيادة الجمركية الأخيرة في أكثر بنودها، تدخل تحت حكم هذه القاعدة.

#### والشيء بالشيء يذكر

وغير خفي أن هذه الزيادة في الرسوم الجمركية، إنما أريد بها سدُّ العجز في الموازنتين (اللبنانية والمفوضية) بسبب النقص في الواردات الجمركية؛ ولم يقتصر العمل عند زيادة الرسوم هذه، بل تعداها إلى مفاوضة باريس بشأن تخفيض الأقساط السنوية المستحقة على البلاد المشمولة بالانتداب، أو إيقافها تمثلاً بالأتراك الذين لا يطالبون بالتخفيض أو التأجيل فحسب، بل إلغاء هذه الديون إلغاءً مطلقاً. ونحن على كل حال نأكل من حصيد الترك بقوة إحدى مواد الاتفاق الذي عقده حضرة أديب باشا وربط مصيرنا في هذه الديون بمصير الأتراك لا أكثر ولا أقل.

#### بشارة عبدالله الخوري

البرق ص ١ - عدد ٢٤٣٣ - سنة ١٩٣٢

\*\*\*\*



## الدستور بين الباكين عليه والمتباكين

شرعوا الآن يلغطون بالدستور وبعد أن ساد البلاد سكتة كانت نتيجة طبيعية للحدث المفاجئ بوقفه أو قل بتعليقه كما هو الأصح<sup>(١)</sup>.

ترى هناك جماعة وهناك أخرى يرفعون الصوت فيصدعون به ذلك السكون المخيم، ثم يلتفتون إلى الأمة يعاتبونها، وإلى فرنسا يطالبونها رغم أن الدستور حق من حقوقهم، فهو إذن لا يجوز انتزاعه منهم، حتى ولا وقفه، حتى ولا تعليقه.

لقد كان مقضياً على الدستور بهذا المصير، ولقد كان أكثر المشفقين اليوم على مصيره، والمطالبين ببعثه، في طليعة المشفقين على البلاد من «حماة» دستورها، وهم يرونها ويرونهم كالشاة في يد الجزار يذكر الله ويذبح وكثيرا ما كان يذبح ولا يذكر الله.

من هم الذين يطلبون الدستور؟ ولمن يطلبونه وعلى أي الأسس يطلبونه؟

لقد كان المعقول أن يكون النواب الموقوفون<sup>(٢)</sup> في طليعة من يطالبون بالدستور لأنهم أعلم الناس به وأخبرهم بمنافعه ومضاره.

أفلا ترى أن في سكوتهم عن المطالبة اعترافا صريحا إما بمضاره وأما بعدم كفاءة الأمة له؟

فإذا كان الدستور «قتيلاً» كما يقولون فإن النواب أهله فكيف يجوز أن يبكي الأصحاب عليه في حين أن أهل القتل لم تُرق لهم عليه دمة؟!

حسن! إننا نخطب الدستور هذه العروس الجميلة ولكن ما هو المهر الذي أعدناه لها؟ ما هي الجمعيات السياسية التي ألفناها؟ وما هي المناهج التي وضعناها وهل جرؤ رجل من جميع هؤلاء الدستوريين إعلان الإضراب عن دخول الانتخاب إذا عاد الدستور مشوهاً؟

فإذا لم نهى لهذا الدستور كما يهيئون له في الأمم الدستورية، فإلى أي مأدبة تدعو هذا المسكين الذي شوّهنا جماله بقبح أعمالنا وأنزلناه من عليائه إلى الدرك الأخلاقي الذي نحن فيه.

ألنجل منه آلة للحكم الإقطاعي كما كانت حاله في الأمس؟

ألنخرق شمل أهل القرى ونزرع فيهم الأضغان والتحاسد؟ أم لنعيد به تلك الفوضى في الدوائر والمجالس؟

نحن لا نفهم بالدستور سوى شيء واحد هو حكم الأمة نفسها بنفسها، وبكلمة، لا نفهم فيه سوى سيادة الأمة، فهل أمكن في الأمس أو يمكن غداً إذا عاد الدستور أن تكون السيادة للأمة فتحكم نفسها بنفسها؟

فإذا كان هذا لا يُستطاع مع الانتداب سيد البلاد الأول، فلماذا هذه المهازل التي ندفع ثمنها غالياً من مالنا وكرامتنا؟

قبل أن تطلبوا الدستور أيها السادة هيئوا له التربة التي يستطيع أن يعيش فيها وإلا استمر آلة في يد فريق صغير من الناس يسحق بها الفريق الأكبر.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٨، ص: ١

\*\*\*\*\*

## الحركة الجامدة أو إذا شئت الجمود المتحرك

ومن أنكر أن هناك حركة جامدة أو جمودا متحركا جئنا به إلى لبنان وسوريا ووضعنا يده موضع الجرح فلا يبرح إلا وقد أيقن أن هناك الحركة الجامدة التي لا ريب فيها.

وأية فكرة أشبه بالجمود أو هي الجمود نفسه إذا لم تكن هذه المشاهد التي تطلع بها الأيام على هذه البلاد، فمن حكومة تلي حكومة ومن انتخاب يلي انتخاب ومن قانون يلغى بقانون ومن وجوه تبدل بوجوه، حتى إذا انفتحت العيون على الحقائق رأتها حيث كانت تدور على نفسها دون أن تنتقل خطوة إلى الأمام.

إن الأرض نفسها في دورانها على محورها لم تكن لتفعل شيئا في حياة الحيوان والنبات فراحت تدور حول الشمس تستمد منها فصولها الأربعة فيمهد واحدها للآخر، هذا النظام الفريد في إقبال الأرض وإنضاج الثمر وحفظ الحياة.

ومع ذلك، مع معرفة القائمين بالحكم فينا هذه الحقيقة الأولية تراهم يولونها ظهورهم فهم إذا تحركوا فإنما يتحركون حول أنفسهم وليس بين هذا النوع من الحركة والجمود فرق، بل هو نوع آخر من الجمود بما يقتضيه من مشقة.

ومن استعاد الأدوار التي مثلت على مسرح سوريا منذ سنوات عشر أي منذ حاكمية حقي العظم<sup>(١)</sup> إلى حاكمية الشيخ تاج<sup>(٢)</sup> - يرى صوراً متنوعة ويسمع أصواتا متناكرة فيظن أن القافلة تسرع الخطى فما هو أن يسفر الصبح حتى ينجلي الموقف الحاضر عن نفس الموقف الغابر وفي نقطة الارتكاز الأولى فلا يسعك إلا أن تعرف بأن هناك حركة جامدة تسمع وقع خطاها ولكنك لا تراها...

وأي فرق بين سوريا سنة ١٩٢٥ وسوريا سنة ١٩٣١ وقد بدلت من ثورة السلاح ثورة نفسية هي أشد خطرا على العلاقات الافرنسية من الثورة الأولى، بل أي فرق بين حالة دمشق سنة ١٩٢٥ وحالتها سنة ١٩٣١ وهذه شوارعها ترتج تحت دواليب الدبابات والمصفحات مع العلم بأنها كانت في الماضي لكبح الثورة المسلحة وهي اليوم لكبح الثورة العزلى على وحدة الغاية من الثورتين.

فإذا سلمت معنا بهذه الحقائق، إذا سلمت بأن الموقف لا يزال حيث كان منذ خمس سنوات، وأنه كان منذ خمس سنوات مثله منذ الخمس الأولى، سلمت أيضا بأن الحركة التي تقرأها في الرسائل الرسمية وتلمسها في المكاتب الحكومية إنما هي الحركة الجامدة بعينها تسمع لها جعجة ولا ترى لها طحنا.

وليس لبنان أسعد حالا فهو قد أُلِفَ الجمود حتى نسي الحركة وتعود الموت حتى نسي الحياة، ولزم السكوت حتى نسي الكلام. وليست هذه الجمهورية الاسمية سوى كفن جميل لهذا الميت النبيل.

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام<sup>(٣)</sup>

فعسى أن يستيقظ أولو الأمر إلى حقيقة ما يحيط بهم من بأس البائسين، وصبر الكاظمين فيبدلوا من سياسة الجمود المتحرك في كلا البلدين السوري واللبناني بحركة يجني ثمارها الفريقان ويحمدها القلب واللسان.

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٢١، ص: ١

\*\*\*\*

## هل عندنا زعماء؟

### - الزعامات اللبنانية - الزعامات الحقيقية -

أضحك مع الذين يقولون بوجود الزعامة في لبنان؛ حتى إنني ضحكت من نفسي مرارا عندما كنت أعتقد، لا بوجود زعيم، بل بإمكان إيجاده.

لقد كانت تُطلق كلمة زعيم، على نفرٍ من أبناء لبنان يفتح لهم الحظ، أو تفتح لهم الوسائط على أنواعها، طريقاً إلى أحد الكراسي العالية الهزازة في إحدى دوائر الحكومة.

فالزعامة اللبنانية إذن مستمدة من سلطة الحاكم الأعلى الذي بيده الفصل والوصل؛ يُفسَّر ذلك أنه عندما كان يرضى المتصرف عن أحد بكوات لبنان أو بشواته<sup>(١)</sup>، ويُجلسه على ذلك الكرسي، كنت ترى بيته محطة لفريق كبير من الناس ينعتونه بالزعيم، أو برجل البلاد، إلى آخر ما تفيض به قرائحهم في ذلك الموقف؛ ويتوقف فيضان القريحة على أهمية الغاية التي ينويها صاحب اللسان المستفيض.

ومما يفسر أيضا أن الزعامة اللبنانية مستمدة من الحكومة، هو أن ذلك الزعيم لا يرى في بيته، وقد استقر به الكرسي، سوى طلاب الوظائف وأصحاب الدعاوى والمقاصد الأخرى التي يحسبون أن لموظفهم أو زعيمهم تأثيراً عليها. أما بقية الشعب المؤلف من العامل والتاجر والزارع، فلا ترى لهم أثراً في بيته، وربما لم تكن أحست بوظيفة سعادة الزعيم، لأنها لا تعترف بأدنى علاقة لها به. فهو إذا كان موظفا فلمصلحة نفسه وآله، وإذا كان زعيماً فعلى هؤلاء وعلى من يمت إليه بغاية مثل غايته.

ويُفسر ذلك أيضا أنه، عندما كان يغضب الحاكم على هذا وأضرابه، ينقضُّ عليه حالاً غضبُ إخوانه وأخذانه ومحسوبيه بالأمس، فتتفقر أعراسه وينزوي في بيته، وتتنزع عنه حالاً ألقاب الزعامة، وتخرسُ تلك الألسنة بغتة عن الاستفاضة في تعداد المناقب والمآثر.

أجل، لقد حاول بعضهم أن يستمد زعامته من الشعب ومن هؤلاء الرجال الذين قصدوا إلى بيت الدين، في مطلع الدستور العثماني، ليُسقطوا يوسف فرنكو<sup>(٢)</sup> ويُجبروه على أن يقسم يمين الأمانة للدستور وللاتحاديين. أجل، إن هؤلاء استطاعوا في ذلك التَّوران الدستوري، أن يرأسوا أُلُوفاً من الشعب ويذهبوا بهم لعملٍ عمومي. وما هم إن وُعدوا بالكراسي حتى صافحوا يوسف فرنكو، وانكفأوا إلى بيروت ولعظمهم وظيفة تُرضيه.

وكانت المرة الأولى والأخيرة التي خُدع فيها الشعب بكبرائه، وعرف هؤلاء الكبراء بما في نفس الشعب منهم، فرجعوا إلى الحكومة يستمدون منها زعامتهم كشأنهم السابق. هؤلاء هم زعمائنا وهذه هي زعامتهم.

لا ننكر أننا حاولنا أخيراً، أن نوجد منهم زعيماً شعبياً يعمل على تأييد المصلحة المشتركة؛ لا ننكر أننا أخذنا نمهد لهذا الزعيم السبل إلى قلب الشعب، بما كنا نكتبه على صفحات «البرق»؛ لا ننكر أننا حاولنا أن نحمل هذا الزعيم على توضيحته بشيء من آماله، فأبى بعد التردد. ولعله لم يشأ أن يخاطر بما كان ينتظره من الزعامة المستمدة من الحكومة، لأجل زعامةٍ شعبية لم تُحصَّصها التجارب.

إذن، فالزعامة التي يعرفها العالم الراقي، غير موجودة عندنا.

إن للزعامة شروطها. وفي مقدمة هذه الشروط: التوضيح. فأَيُّ دعاة الزعامة منا يستطيع أن يقول إنه ضحى شيئاً ولو من أنانيته، في سبيل المصلحة الشعبية، ولا نقول من مصلحته المادية؟

إن من شروط الزعامة، أن يكون لأحد مدَّعيها هؤلاء مآثرةً وطنيةً تُذكر. فأَيُّ دعاة الزعامة هنا، يستطيع أن يدلُّنا على إحدى تلك المآثر؟

إن من شروط الزعامة أن يكون ماضي مدَّعيها نقياً وأن يكون فيها سطر واحد في كل ذلك التاريخ يستفاد منه أن فلاناً أثر مصلحة بلاده على مصلحة نفسه.

وأخيراً فإن من شروطها ولا سيما في هذه الأيام أن يقوم طالب الزعامة في وسط الشعب ويقول هذه خطتي صريحة مسجلة وهذا مالي كله أو بعضه أبذله في سبيل تأييد تلك الخطّة، وإذا اقتضى الأمر إلى دمي فهو أهون ما يبذل في تنفيذ هذه الخطّة. لم يقف في دعاة الزعامة إلى الآن من قال أو من افكر بأن يقول هذه الكلمة، ومع ذلك فهم يقولون إن عندنا زعماء.

#### افتتاحية

البرق، ١٩٢٠، عدد: ١١٠٥، ص: ١

\*\*\*\*

## القوي معبود الضعفاء أين كانوا

حكمة جمال الدين الافغاني في أن الشرق لا يصلح إلا بالمستبد العادل.  
إغراق المعارضين في تعظيم الأستاذ إدة - مسؤولية الأستاذ على مقدار الثقة به  
مسؤولية الوزارة والمفوضية تجاه اللبنانيين

أجمعت الصحف كما أجمع النواب من قبل على الإعجاب برئيس الوزارة لموقفه الصلب وصراحته الجافة حتى إنه لم يشأ ولو مجاملا أن ينقض حرفا واحدا من هذا الذي دعاه برنامجا وهو في الحقيقة «ناموس».

ويدلك هذا على أن الشعوب بين مشارق الأرض ومغاربها تؤله القوة على أن تكون هذه القوة حكيمة عادلة، بل يدلك على أن الشعوب التي فككها فساد الأخلاق وسادتها الفوضى لا تنهض على الأغلب إلا بواسطة أفراد أفذاذ من بنيتها كما هو موسوليني<sup>(١)</sup> في إيطاليا ومصطفى كمال<sup>(٢)</sup> في تركيا وكما كان بوانكاره<sup>(٣)</sup> في فرنسا، وحسب هذا أن يجري في أرقى الأمم ليهون وقعه على عنجهية البعض منا، بل حسب هذا أن يجري في أرقى الأمم لتبرير قول جمال الدين الأفغاني من أن الشرق لا يصلح بغير مستبد عادل وهو لو عاش إلى اليوم ورأى ما نرى لربما ضم الغرب إلى الشرق أيضا.

ومن الأدلة على أن الناس تحب القوي العاقل وتحترمه هو ما سمعناه أمس في المجلس النيابي من المعارضين أنفسهم فلقد رأيناهم يجعلون لكل ملاحظة أو انتقاد على البيان الوزاري بطانة سميكة من الثناء والإعجاب حتى لقد أغدقوا على الأستاذ الرئيس وابلأ من التفريط عجبنا بعده كيف يجيزون لأنفسهم البقاء في مقاعد النيابة ما دامت لهم برئيس الحكومة هذه الثقة العمياء، بل عجبنا وخفنا في وقت واحد كيف لم يغرق الرئيس على صغر جسمه في هذا الخضم المزبد من الثناء.

وبعد فلم نتبسط في هذه المقدمة إلا لنطالب رئيس الوزارة على مقدار ما اشتمل



عليه من ثقة مطلقة وإرادة مطلقة، فهو والحالة على ما وصفنا ربان هذه السفينة والمسؤول عن إيصالها إلى الميناء الأمين بعد أن تحطمت تحت مطرقته كل إرادة، واستسلمت إليه كل قوة.

وإنه ليلزمنا أن نصارح المفوضية العليا بما لا بد منه لإنجاح الأستاذ إدة في مهمته لأن القوم في لبنان بل في كل مكان يعتقدون أن يد رئيس الوزارة في يدها لإخراج لبنان من فوضاه التي كادت تمحقه محققا عن طريق البطالة والكساد والمهاجرة، فنجاحه نجاحها وإخفاقه إخفاقها، وهي تعلم أكثر من كل أحد ما يترتب على هذا الإخفاق وذاك النجاح من النتائج التي لها ما بعدها، فماذا عليها إذن تجاه الوزارة الجديدة؟

نحن نعلم أن للمصالح الفرنسية مآربها في لبنان ونعرف للفرنساويين فضلهم وأسبقيتهم، فإذا عرفنا لهم ذلك فإنه ليحسن بهم أن يعرفوا مقدرة لبنان على الوفاء لذلك الفضل وهذه الأسبقية، ومتى عرفوا مبلغ هذه المقدرة بعد أن يستعرضوا شقاء اللبنانيين، وفراغ معظم قراهم وبطالة الباقين من أبنائهم، اتأدوا أن يرهقوه بمطامح المستثمرين من إخوانهم وضغطهم، فتبقى لنا ولهم الصداقة القائمة على دعاميتها اللتين لا بد منهما لبقائها وهما الشعور المتبادل والمصلحة المتبادلة.

وعلى هذا فهل يجوز أن نرمي بمئات من العائلات اللبنانية بين أشداق العوز وما وراءه من ضياع الفضيلة وما وراءهما من التنكر للصداقة الفرنسية لنقيم بما قطعناه عن فم هؤلاء البؤساء ومعدهم مطارا بحريا لشركة مستثمرة أقل ما يقال فيه إنه من الأعمال الكمالية وكفى.

نحن نفهم أنه لو كان هذا العمل ضروريا لسلامة فرنسا لكننا نحن الذين نقتحم المفوضية العليا بشيئنا وشبابنا متطوعين له مضحين بكل عزيز في سبيله، أما وهو عمل كمالي لفئة من المتمولة تستثمره لمصلحتها الخاصة على ضنكنا وبؤسنا فهذا ما لا نحسب الحكومة الفرنسية تجازف به، لأن المجازفة به مجازفة بعواطفنا التي لا غنى للنفوذ الفرنسي عنها في الشرق كما أنه لا غنى لنا عن عطف فرنسا علينا فيه.

ولا نقول عن المشاريع الأخرى ما نقوله عن محطة الطيران لتضارب آراء

اللبنانيين فيها ولا انتفاع الخزينة منها، وفي هذا دليل على أننا معاشر اللبنانيين لا ننكر الأمور تعنتاً ولا نسد الأبواب جفاء ولكننا جرحى وللجريح عذره في أنينه.

لقد قلنا إن فوز الأستاذ إدة وإخفاقه يعودان عليه وعلى المفوضية في وقت واحد، فمن واجبها إذن أن تمهد الطريق أمامه لاكتساب العطف العام لأنه لا يستطيع مهما كان له من المكانة وبلغ من المقدرة واستمتع من الثقة أن يفعل شيئاً يستحق الذكر إذا لم يكن مؤيداً بالرأي العام اللبناني فهو على ضعفه يوازي تأييد المفوضية العليا.

ولا تكون المفوضية العليا قد مهدت هذا السبيل لوزارة الأستاذ إدة إذا أرادت على إنفاذ مشروع محطة الطيران، والمشاريع الأخرى التي أجمع اللبنانيون على إنكارها.

ولا نزن المفوضية والحكومة تهزلان فتقولان لنا إن المشاريع ستحال إلى المجلس فننفذ منها ما أراد ونمتنع عن تنفيذ ما لا يريد، والمجلس في عرف المفوضية والحكومة لا إرادة له معهما، أفما أريد في الأمس على نحر نفسه فانتحر؟...

إن اللبنانيين بعد اليوم لا ينظرون إلى غير المفوضية العليا والحكومة اللبنانية ولا يعتبرون غيرهما مسؤولاً عنهم، وهو موقف يتنادون له في لبنان ومصر وأوروبا وأمريكا، ولقد علقوا عليه خيراً عميماً وأملاً كبيراً، فيجدر بالمفوضية والحكومة أن لا يضيعاه في سبيل شهوة المستثمرين، هذه الشهوة التي إذا أنكرها اللبنانيون اليوم فقد يقبلونها غداً عندما تصان مصالحهم وتنتعش حقولهم وأسواقهم ويجدون في بلادهم ما يكسبون به قوت عيالهم.

وإننا لنشفق أن يتناول منجل الحاصد غداً صغار الموظفين وأرباب العيال منهم دون أن يتناول الذين يتمتعون بالرواتب الضخمة والمخصصات الضخمة عن طرق القوانين التي وضعتها المصالح، ونامت عنها عين المراقب الصالح، الأمر الذي نربأ بالأستاذ إدة أن يأتيه وهو من أجمع حتى خصومه على الاعتراف له بالحزم الذي ما بعده حزم والوطنية التي لا يشوبها باطل.

### بشارة الخوري

البرق، ٢٠ كانون الأول ١٩٢٩، عدد: ٣٣١١، ص: ١

\*\*\*\*\*

## بطل لبنان يعود إلى عرينه

بين الأمس واليوم

لقد عاد يوسف بك كرم<sup>(١)</sup> البطل اللبناني الأشهر إلى عرينه، وعلى صهوة جواده، يتفقد ما تم لهذا البلد بعده، أهو خطا خطوته في سبيل الرقي والاستقلال، أم هو تأخر إلى الوراء، أم هو لا يزال جامداً مكانه، والجمود شر من التأخر؟

لقد عاد - أو نحن الذين عدنا بالروح إلى عصره - فالتقينا على مسطح واحد، فماذا رأى وماذا رأينا؟

إنه ولا شك مندهش من معالم العمران وتأنق الناس في لبنان؛ ثم هو مطمئن إلى المصير الذي انتهت البلاد إليه، وكان هو المؤسس، مأخوذاً بهذا الفضاء الرحيب تتلاعب فيه فرسان إهدن<sup>(٢)</sup> ولبنان، ويتعانق فيه القلم والسنان.

هذا ما يراه أو بعض ما يراه هو؛ أما الذي نراه نحن، فهو هذا الفرق الكبير في الأخلاق، ويتفرع عنها: الزعامة وكان يؤدي الزعيم ثمنها من ماله ودمه؛ ثم الإخلاص الذي تقتضيه مثل هذه الزعامة من المزعومين، فيفدونها مثل تفديتها إياهم؛ ويتفرع عن الأخلاق الوفاء والصدق والعمل، وغيرها من المزايا العالية التي كانت مزية اللبنانيين في الأمس. هي التي حفظت كيانهم، وهي التي أوصلت إلينا ميراثهم، فرحنا نجازف به ونغامر.

ومع هذا، فلا نكران أن «الشمال» عرف كيف يحتفظ بهذه الأمانة المقدسة، مقتفياً آثار الآباء الكرام، عاملاً على ترقية البلاد بما أنشأ فيها من المصانع، وأقام فيها من

المشاريع، راكباً لها متون البحار مستهدفاً في سبيل تحقيقها، للمخاطر في المهاجر،  
مقدماً في كل يوم برهاناً جديداً على إحياء المجد القديم، وإنماء المجد الحديث. وحسبك  
يوم ١١ أيلول من سنة ١٩٣٢<sup>(٣)</sup> دليلاً على هذه المتانة في الأخلاق، وهذه العبقرية في  
الفتح أدبا وعمراناً.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩٣٢ العدد: ٢٤٤٥، ص: ١

\*\*\*\*

## الزعيم !

هذا رجل إذا غضب غضب لغضبه مئة ألف من بني تميم، دون أن يعرفوا لماذا غضبوا. قيل هذا عن الأحنف<sup>(١)</sup> في ملاحاة له مع معاوية.

وفي الهند رجل إذا ثارت ثارت خلفه الملايين من بني قومه، لا يسألونه، لشدة إيمانهم به، لماذا ثار. وهو إن أوماً لهذه الملايين وقفوا دون أن يسألوه لماذا، وقد علمت أنه غاندي، معبود الهنود.

هذا هو الزعيم وتلك هي الزعامة.

ولكن هل انقياد الجماهير هذا الانقياد لرجل واحد، دليل على رقيها أو انحطاطها؟ وبكلمة أخرى، هل انقياد المئة ألف من بني تميم للأحنف، ثم انقياد الملايين من الهنود لغاندي، ويمكنك أن تزيد عليها انقياد ملايين المصريين لسعد<sup>(٢)</sup>، هل هذا الانقياد مما يطعن في كفاءة هؤلاء وعلمهم، أم أنه محمودة من محامدهم وأية من مفاخرهم؟

إن الجواب على هذا، يتناول بالطبع ما إذا كان هذا الانقياد انقياداً أعمى يطبخ عليه الزعيم مصالحة، بعد أن يجعلهم حطباً للموقد، أو أنه انقياد البصير بما تحلى به القائد من التضحية، في سبيل أتباعه والتهالك على مصالحهم، كأمةٍ لها حقها في الحياة، ولو انتهى به الأمر إلى التلف.

فإذا كان الأول، فهو الجهل بعينه، وأقل ما يستحقه أولئك الأتباع أن يعدوا في الحيوان، يُسخرهم ربها لمصالحه؛ حتى إذا انتهى منهم أرسل حبلهم على غاربهم.

وإذا كان الثاني، فهو الحكمة بعينها، لأن الزعيم إذا شد الجمهور أزره، علا صوته واتسع نفوذه، فغنم منهما لأمته وبلاده من الخير، غايته المستطاعة.

فرزاعمة غاندي في الهند كزعامة سعد زغلول في مصر، من الزعامات التي تُشرف الأتباع قبل أن تشرف المتبوع، لأن الأمة التي تقضي على أهواء أفرادها في سبيل مصلحة المجموع، فهي أمة رشيدة. فما قولك إذن بمن تختاره لزعامتها؟

فلقد اتصل بك ما تحمله سعد زغلول من ضروب الإرهاق في سبيل بلاده، من سجن ونفي، واعتداء؛ وفيه ثمن عادل لزعامته الأمة المصرية. وهذه أسلاك البرق تحمل إلينا اليوم عزم غاندي السجين على الإضراب عن الأكل عشرين يوماً، إذا لم يعدل الانكليز عن قرار يعتبره مُضراً بوحدة الهند، وهو إذا قال: فَعَل.

أفنظرت إلى الزعامات، كيف هي في بلاد الناس؟ فحدثني بربك عن الزعامات في لبنان، وقل لي إن استطعت، عما إذا كنت ترى فيه زعيماً، كما كانت الحال مع سعد زغلول في مصر، وكما هي مع غاندي في الهند؟

لا نكران أن الزعامات فضيلة لأنها كناية عن تضحية الأفراد في سبيل المجموع؛ فالزعيم الذي يتحمل النفي، والزعيم الذي يمتنع عن الطعام، يعطيان المثل الأعلى للتضحية. كما أن من يليهما من أفراد الأمة البارزين، يُضحون أيضاً بكبح أهوائهم، وتسخير مواهبهم للزعيم الأول وهلمَّ جراً.

ولكن لبنان مع الأسف، معدومة فيه الفضائل، فضائل التضحية في من يدعون التزعم، وهم في الحقيقة عبيد. السلطان هو الذي يمنحهم الزعامات وهو الذي يمنعها عنهم. والويل للبلاد من مثل هذه الزعامات!

### بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢، عدد: ٣٤٤٦، ص: ١

\*\*\*\*

## غاندي<sup>(١)</sup>

### سر الفداء العظيم

وبعد، فقد اعتنق غاندي صيامه لا يُثنيه عنه شيء، إلا أن يتساوى منبوذو الهند بالطبقات العليا في الحياة الاجتماعية والسياسية؛ وإلا أن يُرجع عن القرار القاضي بجعل المنبوذين طائفةً منفردة لها ممثلوها، ثم لها مكانتها الدنيا، يُحيط بها الرجس من كل جانب.

وإذا علمت أن أشد ما يقتل الهند، هذه العقائد الدينية واختلاف الطبقات الاجتماعية؛ حتى لينظرَ الهندوكي الهندي إلى المنبوذ الهندي، نظره إلى الرجس وعلمت ما تُذكيه هذه العقائد من الأحقاد، حتى لتصبح كل طائفة حرباً على الأخرى؛ إذا علمت كل هذا أو بعضه، ظهر لك جلياً أي خدمة أداها غاندي لبلاده بضم صفوفها بعد إزالة تلك العقائد البالية منها، وظهرت الهند في بوتقة واحدة. حتى إذا تألفت أجزاؤها، أصبحت قوة هائلة لا تقف في وجهها أي قوة عالمية.

وحسبك، لكي تعرف مبلغ خطورة هذا الأمر - أي انشقاق الهندو عقائد وخرافات - أن غاندي رأى حياته أقل ما يبذله ثمناً لها، فأعلن صيامه حتى الموت. وما كاد يذيع هذا النبأ الداوي، حتى اضطربت له الهند من أقصاها إلى أقصاها. كيف لا وغاندي معبود الهند على اختلاف الطوائف والطبقات.

وآخر ما جاءنا أن مندوبي المجلس التشريعي عرضوا على غاندي معاملة الطبقات المنبوذة معاملة جميع الهندوكيين؛ وقد قابله في سجن بافار السر تاج سابرو والمستر تايا كان، ثم قابله أيد كار زعيم المنبوذين والبادات ملافيا.

أما غاندي فسيبقى محافظاً على صومه حتى يتأكد من أن هذه الحلول أنفذت.

والى القارئ الآن بعض ما حملته إلينا البرقيات من العبرة، وكله جدير بالحفظ والتكريم:

«لقد شكّا غاندي من التعب عندما انصرف من لدُنّه آخر زائر. ولا يبعد أن تتدخل الحكومة لتخفيض عدد الزائرين، حرصاً على راحته؛ وقد جيء بالسيدة روجيني نايدو<sup>(٢)</sup>».

«ولحظ الذين يترددون على غاندي، الآونة الأخيرة، أن قواه الجسمية أخذت بالانحطاط؛ ويعزّون هذا إلى إجهاد قواه الجسمية في محادثة زائريه الكثيرين. ومع هذا فإن غاندي يقوم بعمله اليومي على مغزله<sup>(٣)</sup>، ويُتمم واجبات الصلاة صباحاً ومساءً، ويتجرع الماء بين فترة وأخرى؛ وهي المادة الوحيدة التي تدخل جوفه».

إن في غاندي شعلَةً من الألوهية تلمّع مرةً في كل جيل، جبين أحد أصفائها فتطلع به على الكون نبياً كريماً وقائداً حكيماً.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٢، عدد: ٣٤٤٦، ص: ١

\*\*\*\*



## النهضة التركية وتأثيرها على الشرق

القبة - السفور - الأحرف العربية واللاتينية - ترجمة القرآن

جريدة الرأي العام وقنصل تركيا

إن كلمة الأفغاني<sup>(١)</sup> في أن «الشرق لا ينهض بغير مستبد عادل» لقيت في مصطفى كمال<sup>(٢)</sup> صاحبها. فهو هو ذلك المستبد العادل، وهو هو الذي هدم تلك الهياكل البالية من التقاليد، ومزق تلك العصائب الواهية من الأوهام، وجرد الدين عن الدنيا، فرفعه عن السفاسف، ونزعه عن الصغائر، واختط للشرق سنناً<sup>(٣)</sup> واضحة سيحمده له الشرق، فهو - في هذه - كبير أنصاره، ورافع مناره.

إن من يمعن في ما صنعه مصطفى كمال للشرق عامّةً وللمسلمين خاصة، لا يتمالك عن إكبار هذه الأعمال متى فهم مكنوناتها وقطف ثمراتها. فهي وحدها الكفيلة بنهضة الشرق من عثاره، وجعل كل قطعةٍ منه قبلاً واحداً اتخذ القومية معبوده الأول، وسار سيرة الغرب في فصل الدين عن السياسة؛ فلا يعني الواحد من أمر جاره سوى أنه سوريٌّ مخلص لسوريا، أو عراقي مخلص للعراق، أو تركي مخلص لتركيا، أو لبناني مخلص للبنان، أكان هذا الجار دهرياً أو أحمدياً أو عيسوياً<sup>(٤)</sup>، لا يُغمط له حق ولا يفوته واجب.

أجل، إن نهضة الترك اليوم، لا ولن تقتصر فوائدها عليهم. فسوف نكون - مهما تعنت المتعنتون وتردد المترددون - أول من يقتفي آثارها، فنحن لا نجهل أن للترك مكانة أدبية تركتها لهم في النفوس، سيطرة القرون الطويلة، لا سيما وقد ملكوا زمام الخلافة، وكانوا قبلة الإسلام إلى عهد بعيد.

لقد قامت نهضة الترك على الإخلاص، وكل عمل يقوم على الإخلاص، فهو عمل خالد، فما عهدنا قبل مصطفى كمال وعترته<sup>(٥)</sup> من القابضين على زمام الأحكام، يتهاكون هذا التهالك على تعليم الشعب وتثقيفه، وتنويره، واضعين بين يد كل فرد من أبنائه ميراث الأمة التركية من مجد وثروة وسلطان.

لقد علم الكماليون<sup>(٦)</sup> أن ما أدخل على الدين من تقاليد - حتى أصبحت جزءاً منه - هي الحائل الوحيد دون رفع الأمة. فأمرُوا بهدمها دفعةً واحدة كالطبيب لا يرى حيلةً في نجاة مريضه إلا بجرعة قوية من الدواء، ففعل وأنقذ المريض.

فإذا كان الطربوش - هذه الكسوة المضحكة الغريبة التي لا تقي الرأس مطر الشتاء ، ولا تمنع عنه حرارة الصيف، إذا كان هذا الطربوش الذي لم يعرفه الإسلام ولا العرب إلا منذ عهد قريب، أصبح أو كاد رمزاً دينياً أو رمزاً شرقياً، وأصبح العدول عنه إلى غيره بدعة فما قولك بغيره من الفسائل التي نبتت على جذع الدين وتفتيات بظله؟؟!!

لقد أصبحت القومية هدف الأتراك الأوحِد، وخيالهم الأسمى - ولم يسد الغرب الشرقَ إلا بهذه - ولا يكون للقومية هذا المقام إلا إذا انتزع من عقلية الشعب تلك التقاليد التي أصبحت كما قلنا جزءاً من الدين. وها هي اليوم قد انتزعت بجرأة غريبة، فقطع التركي بهذا، العلاقة بكل مسلم على الأرض إلا بأخيه التركي لعلمه أن الوطن لا يقوم على سواعد الغرباء، ولا يمشي على بخار الأوهام، والأشواق، والصلوات. ويميناً لو أنه جاز للمسيحي أن يكون تركياً لكان في نظر الترك أخاهم المفدى لا يبيعونه بألوف المسلمين من غير الترك.

ونحن إذا شئنا أن يكون لنا وطن مستقل، فلن يكون لنا هذا الوطن إذا لم نحذو حذو الترك؛ فلا نبيع ابن وطننا إذا كان مسلماً بألوف النصارى الأجانب عنا؛ وإذا كان مسيحياً بألوف المسلمين الأجانب عنا.

ولا نصل إلى هذا ما لم يتوحد نظام العائلة عندنا، وما لم نقترِ بالأترك، فنعزل الدين عن السياسة، ونجرده من التقاليد البالية التي نُعيّذه ونُجلّه أن يكون منها.

وما اعتدّت النهضة التركية على جوهر الدين، إذ ما كانت الملابس والأزياء جزءاً منه، ولولا هذه الدعوة التي قام بنشرها مصطفى كمال وجماعته، بإبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية، لما كان لنا ما نأسف عليه؛ لأننا جماعة لن نرضى عن العربية والأحرف العربية بديلاً، ولأن اللغة التركية ولأصحابها، مكانتهم تحت الشمس، يُعززون بأمر فهم العربية جانب لغتنا، ويحملون أصحاب المصالح من المغاربة<sup>(٧)</sup>، على درسها، وفي هذا من تعميم الآداب العربية والشرقية، ما فيه من النفع الأدبي والمادي.

إن الإقدام على إبدال الأحرف العربية بالأحرف اللاتينية لياذ<sup>(٨)</sup> لا يخلو من صغار، وإذعان لا يخلو من احتقار، ولماذا يعترف الأتراك - وهم من أكبر الدول الشرقية - للأمم الغربية، بتقصير حروفهم عن تأدية ما يحتاجون إليه لأدابهم ومصالحهم؟ ولو كانت الأحرف أحرفهم وحدهم لما كان لنا ما نقول، ولكنها أحرف أقوام عديدة يتحفز معظمها للنهوض. فإذا ما أبقي الأتراك على أحرفهم، كانوا وهؤلاء الأقوام، خير نصير لهذه الأحرف التي رافقت القرون، وأبطال هذه القرون الذين ملأوا التاريخ أدباً وعلماً وحكمة.

أجل، لقد غلا دعاة الترك في هذه، وغلوا في ترجمة القرآن الكريم، ولو نظروا إلى الغرب وإلى الشرق أيضاً، لرأوا أن اللغات الدينية - وهي لغات ميتة - لا تزال تستعمل في المعابد؛ ومع ذلك فهي لا تزال تُعلم في الصفوف العليا، للتوسع في العلوم كاللغة اللاتينية واللغة اليونانية القديمة وغيرهما.

فإذا كانت هذه اللغات - وهي من اللغات الميتة - لا تزال تستعمل دينياً، وتُعلم توسعاً أو تفلسفاً، فأحرى بأن يبقى الأتراك على القرآن عربياً، وعلى الأحرف عربية، فلا يكونون بذلك إلا مقتدين بأوروبا نفسها، إذا أرادوا الاقتداء بها في كل شيء.

لقد كان يجوز لنا أن نعتقد بأن النهضة التركية بفرنجيتها الأحرف العربية، تحاول أن تقطع كل صلة في الماضي، ولا سيما بالإسلام، فتعتمد إلى فرنجة الكتب التي تروق لها، فتدخلها مدارسها. وهكذا على التماذي، تصبح الكتب التي لا تروق لها نسياً منسياً، فتقطع بذلك الحلقة التي تربط الحاضر بالماضي، ولكن تتريكها القرآن يفسد علينا هذا الاستنتاج أو قد يفسده.

على أن أشد ما يهمننا، من النهضة التركية الحديثة ويهم كذلك الدولة المنتدبة، هو عدول الأتراك عن سياسة التوسع - إذا استثنينا مسألة الحدود - إذ لو كان ذلك في أنفسهم وفي خططهم، لما حطموا أمضى سلاحه وهو «السياسة الدينية»، ولا يدلك على ذلك أكثر من موقف القنصل التركي، في عيد المولد النبوي في العام الماضي، وفي هذا العام.

وعلى ذكر القنصل التركي سعادة عبد الغني سني بك<sup>(٩)</sup> فلا يجوز لنا أن نمر بحملة الزميل الفاضل طه أفندي المدور<sup>(١٠)</sup>، عليه، تلك الحملة التي لم نر لها مسوغاً، لأنها تجاوزت على الحرية الشخصية، وهو من أنصارها؛ ولأن أي قنصل، ملزم بأن يتقيد بأوامر حكومته، ومقررات مجلسها. وليس من ينكر على سني بك - وقد عاش بيننا زمناً طويلاً - تلك الآداب السامية التي يتحلى بها؛ ولم تكن الآداب ليحتكرها زي من الأزياء أو عادة من العادات، بل هي مشاع بين البشر، يأخذ منها كل فرد بمقدار ما تساعد عليه تربيته البيتية والاجتماعية.

والعجيب أن يحمل الزميل الفاضل، على سني بك، لخروجه في الشوارع مع ذويه متبرنطين - سافرين - وهو يقول في نفس مقاله ما نصه بالحرف:

«نحن لسنا من أعداء القبعة ولا السفور بل ربما لبسناها بعد حين، وأسفرنا عن وجوه نسائنا.. لكننا موطدون العزم أن لا نفعل هذا، إلا يوم نعرف بأن سجايانا العلمية والمدنية اختمرت وصارت توزن بمكيال الأمم الراقية».

هذا ما قاله الزميل، وهو من أنصار التجدد كما ترى، بل هو سيلبس القبعة  
وسيعمل على السفور بعد أن ضرب لذلك موعداً هو وزن الأمة بمكيال الأمم الراقية.  
وله رأيه في وزن أمته، ولكن الأتراك - ولهم رأيهم أيضاً - لا يريدون أن يعترفوا  
لغيرهم من الأمم بأنهم أرقى من أمتهم؛ ولذلك استعجلوا هذا الموعد، فلبسوا القبعة  
وأسفروا متمثلين بقول الشاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن فيه مُقدماً

فإن فساد الرأي أن تردداً

وليس أنصار الطربوش في هذا البلد، جماعة المسلمين وحدهم ولا المترددون في  
لبس القبعة هو طه أفندي وحده، بل إن في النصاري للطربوش أنصاراً وفيهم كذلك  
المترددون كطه أفندي؛ ونحن من هؤلاء المترددين.

وخلاصة القول، فإننا شهد الله علينا - لا نتوخى من إيقاظ هذه النهضة، سوى  
تعزيز القومية وملاشاة النعرة الدينية أو الطائفية، لأن البلاد لا تنهض بغير نهضة  
الأكثرية. فهي إن سارت سرنا وإن توقفت توقفتنا.

وللمسلمين وحدهم في هذا الشرق أن يقولوا:

إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا<sup>(١١)</sup>

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٢٥، عدد: ٣٤٤٥، ص: ١

\*\*\*\*

## نهضة الهند وأثرها في الشرق الحرب العالمية كانت خير لقاح للأمم المستضعفة هل يستريح الذين على طريق الهند؟

لا غرو إذا كانت هذه الثورة السلمية الناشبة في الهند، قد أقضت مضاجع الإنكليز واستلقت الدول الاستعمارية كافة إليها .

فلقد نقلنا أمس كما ننقل اليوم، من أخبارها ما يكفي لإثارة المخاوف في صدور أولئك الذين يعملون على استثمار البشر كما تستثمر الأرض والحيوان .

وحسبك أن تعلم أن الذين تظاهروا لرئيس المؤتمر الهندي، عند وصوله إلى لاهور،<sup>(١)</sup> المدينة التي يعقد المؤتمر فيها، كانوا نحو مليوني شخص، ليتضح لك جلاله الموقف ولتتق أن الفيل الهندي الذي كظم غيظه طويلاً، انتفض اليوم تحت وخر الحراب، فراح يقحم القلعة الانكليزية لا يلوي على شيء ولا يبالي بشيء .

وأين هذه المبالاة من هذه القرارات التي عجموها في المؤتمر بمقاطعة المجالس التشريعية، والنكول عن دفع الضرائب، الى آخر هذه القنابل التي فجروها بين أرض الهند وسمائها، فراحت كالعاصفة تكتسح إرادات الملايين من الهنود لا تهمد ثوراتها ولا يهدأ دورانها قبل أن تنال الهند استقلالها ويخرج آخر إنكليزي منها مشيعاً بالكرامة .

لقد كانت الحرب العالمية لقاحاً للأمم المظلومة بتحكم الأغيار فيها . فلقد استكشف الشرق قيمة الوعود التي أمطرها ساسة الغرب عليه إبان النكبة، وتمرس الذين تجندوا من أبنائه بالعنفوان العسكري. وقد كان للهند وحدها نحو المليونين في ساحة الوغى، ناهيك عما كان لقواعد ولسن<sup>(٢)</sup> ذلك الإنساني العظيم من أثر في نفوسهم رفعها عن

مستواها القديم، وهون في سبيل تحقيقها بذل النفوس، حتى أصبح الشرقي لا يتردد عن غسل الإهانة بدم صاحبها. كل هذا تجمع حتى أصبح حساً عاماً يرمي إلى هدف عام، هو نزع سيادة الأغراب ليسودوا هم أنفسهم ويتصرفوا أحراراً بشؤونهم.

وإنه ليدهشك - على علمك بما بين الهندوس والمسلمين من البغضاء - أن يقف رئيس لجنة الاستقبال وهو مسلم، والمسلمون في الهند أقلية فيغرق إغراق الهندوس أنفسهم في محاسبة الإنكليزي على أموال الهنود والرجال الهنود بكلمات جاءت صورة فظيعة لقسوة القوي المستبد وعجرفته.

ولا يجب أن ننسى أثر الروس في هذه الحوادث، وهم لا يغمض لهم جفن ولا يطمئن لهم بال إذا لم يعكروا على الانكليز خاصة، فنحن على مثل اليقين من أن لهم يدهم في الهند، كما أن لهم يدهم في الصين، كما أن لهم يدهم في إفريقيا الانكليزية؛ فكأنما هم ألوا على أنفسهم أن يعصفوا على الراية البريطانية في جميع البلاد التي تخفق عليها بدون حق مشروع.

وإذا كانت الحركة الهندية تهم أحداً من الناس، فهي تهم على الأكثر، هذه الشعوب التي نثرها الله على طريق الهند، فكانت سبباً لبسط السيادة الانكليزية عليها. أفترى تطمع هذه الشعوب أن يقطع الهنود الطريق على الأسد البريطاني، فتسقط تلك الحجة «الواردة» وتتنفس مصر وفلسطين والعراق، وغيرها الصعداء؟ أجل إنه لحلم، ولكن قد تصح الأحلام.

### بشارة الخوري

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣١٦، ص: ١

\*\*\*\*\*

## ثالثاً: موقفه من سوريا



ابيض

## في سبيل دمشق

زار الأخطل الصغير دمشق فكتب في جريدة «سوريا الجديدة»<sup>(١)</sup> المقال البليغ الذي يلي عن دمشق:

ها أنا أستمد الوحي من سماء دمشق، من برداها، وما قام على ضفتيه من بواسق الحور، ومثمرات الجوز والرمان! ها أنا أستمد الوحي لأكتب سطرًا في سبيل دمشق.

دمشق مرضع سوريا الحنون! دمشق الجدول العذب في وسط الرمضاء! دمشق عشيقه آلهة الغابات! دمشق أجمل عرائس المروج!

قالوا إن دمشق عاقر، كأن في عيونهم عمى عن سرواتها<sup>(٢)</sup>

هي إهانة لكل دمشقي بل لكل سوري؛ بل هي كفران بواجب هذا البلد الطيب أن لا يُنبت رجلاً حقيقياً بأن يكون كرجال البلاد الأخرى، تعقد له الرئاسة مقيدةً برأي الأمة.

إذا طلبت دمشق الاستقلال، قيل لها: إن أمة تطلب ما تطلبين، لزمها أن تنبت ما تنبته البلاد المستقلة؛ فأى الرجال أنبت؟ وبأيهم وثقت؟ وعلى أيهم اتكلت؟

قيل لها، إن ذلك حق لك لا يُنازع، فقدمي الأكفاء من بنيك!

تقولين: إن سوريا للسوريين، ذلك هو القول العدل، فأشيرني إلى سوري يتطوع في حمل أثقالك، وتحقيق آمالك. إن في السويداء<sup>(٣)</sup> رجالاً فقدمي واحداً من رجالك!.

قيل لها: إننا جننا لنؤيد حق السوري لا غير. لنقدم مصلحة السوري لا غير، لنشارك السوري لا غير.

قيل لها لقد علمتنا الأيام القلائل التي صرفناها في حزن سوريا شرف  
الفطرة السورية، وطيب العنصر السوري. وإنما أفسد تلك الفطرة وذلك العنصر -  
إلى حين - اختماره بالأفكار الغريبة الفاسدة، أفكار طرداء بلادهم، أبناء الصدف  
وحملة مشاعل الأوهام.

قيل لها: إننا جننا باسطين يد الإخاء، فقابلتها بيد العداوة. باسمين عن ثغر  
السلم، فقابلته بثغر قطوب. معلنين لك وللملأ أنك أختنا الصغرى، لك منا حنان الأم  
وعطف الشقيق، فإذا أنت تعمدين إلى السيف مندفعاً بالعوامل الخبيثة وراء المضلين.  
وها إن الشفرة الحادة التي لعبت بها جرحت يدك الناعمة.

لقد أثرت غضب الوالد<sup>(٤)</sup> ولن يدوم ذلك الغاضب. هو درس كان ثمنه غالياً،  
فعسى أن يكون مفيداً.

يقولون: لا كلام للمغلوب، ولكن ذلك يكون إذا كان الغالب عدواً، ولكننا نرى  
الغالب يمسح الجراح بمنديل الرحمة، ويكفكف الدموع التي أراققتها نزعات الجهل  
بأنامل الحنان. إذن فليس هنالك من مغلوب وغالب. بل هنالك عملية كان لا بد منها  
تقليصاً لظل الفوضى وتمكيناً للأمن المضطرب، وإرجاعاً لحق السوري إليه. إن حقه  
كان ضائعاً، ومصيره كان على أسلات الألسن الطائشة ترمي في مهب الأرياح.

لقد جربت فيصل<sup>(٥)</sup> في من جربت؛ فأني حربٍ جرّها وأي ويلٍ ساقه؟

قد يكون الأمير طيب القلب، طاهر الذيل. ولكن كان ولا جدال، عاملاً لتلك  
«السلطة»<sup>(٦)</sup> مؤتمراً بأوامر أصغر رجالها؛ خاضعاً - حتى في موقف الخطر على  
سوريا - لكل إشارة تبدو من صغار عمالها غير المسؤولين.

لقد يكون من المعقول لو استند إلى مواعيد كبراء رجالها، إلى المسؤولين منهم، إلى رجال الوزارات، إلى المفوضين الرسميين؛ لأن مصير الأمة السورية، ومصالحها، ودماء أبنائها، تستحق هذا الحذر، وهذا التحفظ، وهذا الضمان. ولكنها المجازفة بكل هذه أدت إلى ما نحن فيه.

من لا يذكر يوم جاء بيكو لمقابلة الأمير، وعرض ما عرضه من الضمانات، وإلحاحه على الأمير بتوقيعه ذلك الميثاق، أنه لو أمضى يومئذٍ، لكانت الوحدة السورية، وكان الاستقلال السوري، ولانصرف جميع من في الساحل وفي الداخل إلى المطالبة بفلسطين، الجزء المتمم لسوريا. ولكن الأمير استشار، فقليل له: (لا)؛ وعلَّوه. وكان أقتل الأشياء ما به علَّوه،<sup>(٧)</sup> وكيف ينصحون يومئذٍ بالاتفاق، ولم يكن مؤتمر سان ريمو<sup>(٨)</sup> قرر ما قرر، وقسم ما قسم، وأعطى ما أعطى.

وبعد مجيء الجنرال [غورو]<sup>(٩)</sup> كم عرض على الأمير من الأمور التي ترجع لخير الأمة السورية، وتسير بها شوطاً بعيداً في سبيل الرغد والترقي، في سبيل الحكومة التي يطلبها السوريون مبنياً ومعنى!

لقد قيل لي إن أحد الأمناء سقط يومئذٍ على يد الأمير يُقبلها، ويرجوه أن يُوقع - ذلك الميثاق - لأنه نظر إلى ما وراء الوعود وعلم ما وراءها.

لا غرو أنه لو كان الأمير سورياً<sup>(١٠)</sup>، لما جازف بمجازفته تلك. إذن فلا طيبُ النجار، ولا شرف العاطفة، ولا أية المزايا الكريمة، تدفع المسؤولية الكبرى التي نرى نتائجها؛ بينما كان في الوُسع أن ننال أكثر ما نريد على أحسن ما نريد.

إن دمشق كالنهر الذي يجري فيها هادئاً ساكناً فما هو ذنب النهر إذا رماه بعض الطائشين بالحجارة فخضخض مياهه؟.

إن الدمشقيين أعشق الناس للهدوء، امتازوا بركة الخلق كامتيازهم بعذوبة النطق،  
فإذا طراً عليهم عارض خارجي، ومؤثّر خارجي، فإنما المذنب سلامة النية. خُدعوا  
فانخدعوا، وينخدع الكريم.

سيرى الجنرال غورو كيف تستقبله دمشق اليوم؛ سيرى أنها غير التي علم عنها؛  
سيرى صفاء الوجوه وصفاء الذين صوروا دمشق مُشوّهة، الذين رموا ذلك النهر  
بالحجارة فكدرّوه، ليسوا الآن فيها.

فدمشق - كما يراها الزائر العظيم - مرّضع سوريا الحنون!

دمشق الجدول العذب في وسط الرمضاء!

دمشق عشيقَة آلهة الغابات!

دمشق أجمل عرائس المروج!

البرق، آب ١٩٢٠، العدد: ١٠٦٣، ص: ١

\*\*\*\*

## لنعمل لسوريا ولبنان

### في سوريا ولبنان

لم نكن على خطأ يوم قلنا إنه يجب العمل لسوريا ولبنان في قلب سوريا ولبنان ومع الدولة المشرفة عليهما.

ولم نكن على خطأ يوم قلنا بقطع كل علاقة مع الخارج حتى لا نثير ظنون الدولة المنتدبة بنا فتطمئن إلى أننا نطلب بأنفسنا لأنفسنا لا بدافع دافع وتغريير مغرر.

ولم نكن على خطأ يوم قلنا إن فرنسا لا تطمئن - وحققها أن لا تطمئن - إلى الدعوة الشريفة<sup>(١)</sup> ما زال الشرفاء لا يستطيعون التمرد على إرادة إنجلترا وكثيراً ما تختلف مصالحها ومصالح فرنسا.

وإذا كنا منصفين فيجب أن نعذر فرنسا إذا عملت لمصلحتها إلا إذا كنا لا نعذر أنفسنا إذا عملنا لمصلحتنا.

وليس لمصلحة فرنسا وحدها يجب علينا تجنب الدعوة الشريفة بل هو لمصلحتنا أيضاً. للمصلحة التي من أجلها نهض العرب في كل مكان لمقاومة هذه الدعوة بعد أن بشروا بها.

علموا أن المسألة لا تخرج عن أحد أمرين: إما أن يتمرد الملك حسين وأنجاله على الإنجليز وإما أن يذعنوا لإرادتهم.

أما التمرد فهو مستحيل، لأن الإنجليز هم الذين رفعوهم ملوكاً ولولا الإنجليز لابتلع ابن السعود<sup>(٢)</sup> الحسين<sup>(٣)</sup> ولرفض العراقيون فيصلاً<sup>(٤)</sup> ولانتصر ابن العدوان<sup>(٥)</sup> ومن ورائه أحرار السوريين على عبدالله<sup>(٦)</sup>.

ولولا الإنجليز لما كان المال والمال لابد عنه حتى مع وجود الإنجليز بطياراتهم ودباباتهم.

إذن فلا بد من الأمر الثاني وهو الإذعان.

والإذعان لإرادة الإنجليز لا يتفق بشيء مع مصلحة الوطنيين إلا إذا كان من مصلحة الفلسطينيين والعرب عامة:

١ - الاعتراف بوعد بلفور.

٢ - إلحاق حكومة الشرق العربي بفلسطين وجعلها كفلسطين وطناً قومياً لليهود.

٣ - ضم سكة حديد الحجاز من نصيبين حتى عمان إلى سكة حديد فلسطين<sup>(٧)</sup>.

٤ - التنازل عن العقبة وتبوك للإنجليز وهي قطعة من البلاد المقدسة عند المسلمين<sup>(٨)</sup>.

٥ - تقييد العراق بالمعاهدة الإنجليزية - العراقية وهو قيد يعد الانتداب عنده استقلالاً، وحسبك أن تعلم أن إنجلترا تريد أن تُخرج العراق بهذه المعاهدة من تحت نفوذ جمعية الأمم لتكون هي وحدها مرجعه.

فإذا لم تكن هذه جميعها من مصلحة الوطنيين فلماذا لا يهدمون الجسر الذي يمشي الإنجليز عليه للحصول عليها.

وإذا كانوا لا يريدون هدمه فلماذا يعملون على شده وتمكينه.

فإذا كانت النكاية فلن نضر - لو نعقل - إلا أنفسنا، وإذا كان الخوف من العامة فللعامة دواؤها لا سيما وأن بعض المفكرين هم الذين خلقوا هذا الداء.

نحن لا نقول بالاستسلام إلى الفرنسيين بل نقول بوجوب إنصافهم إذا نحن قابلنا ظلهم الخفيف مع ظل غيرهم الثقيل، ثم وقد أنصفناهم - والإنصاف مدعاة للثقة - فيمكننا عندئذ أن نتفاهم معهم على ما يضمن المصلحة المشتركة مع المحافظة على الكرامة القومية.

إن الذي أثار الحفاظ عندنا هو ما أدخله عمال الدعوة الإنجليزية باسم الشرفاء  
من أن الفلسطينيين والعراقيين هم من كل الوجوه في حال أحسن من حالنا . غير أنه  
ما كاد ينقشع غبار المعمة حتى ظهر من تحته البلاء الذي يكابده جيراننا وإخواننا،  
أما في فلسطين والشرق العربي فأمرهما جلي واضح، وأما في العراق فهذه حادثة  
أمس التي سقط فيها القتلى من النواب دليل على مبلغ الضغط والألم المخيمين في  
عاصمة الرشيد .

فحريّ بمن يمدون بأبصارهم منا إلى خارج الحدود يستمطرون الآمال أن لا  
ينسوا حكمة القائل:

إن من تـرجـو به دفع الأذى  
عـنك يأتـيك الأذى من قـبله

البرق، ٢٦ نيسان ١٩٢٤ ، عدد: ٢٠٧٩ ص: ١

\*\*\*\*



## في الحياة الاجتماعية

ابيض

## الما بين في لبنان

إلى أين المصير والقوم سكارى بخمرة المنافع، وخمرة الوجوه، وخمرة الكروم؟ إذا بقيت الحال على هذا المنوال فالمصير إلى الانحلال

لا نعرف شعباً كالشعب اللبناني لا هدف له في هذه الحياة. فهو قانع بأن يكون في حالته المنحلة، لا تنفتح له عين على ما يجري حوله في العالم، ولا ينبض له عرق في سبيل إثبات وجوده، ولا ينطلق له لسان للتدليل على كرامته؛ بل بالعكس: فهو أخذ في الانحلال تدريجياً تحت تأثير المخدرات من النكبات المحلية في المدائن والقرى، والتكالب على المصالح والمناصب في مجلسه وسائر دوائره، إلى ما هنالك من الشهوات تراق حيث يطيب لها، حتى تحت الراية الخافقة فوق ساعة السراي، وحتى تحت قبة البرلمان. وهم مع ذلك يوجبون على الصحف أن تحترم من لا يحترم نفسه كأنهم نسوا قول الشاعر العربي الكبير من لا يكرم نفسه لا يُكرم<sup>(١)</sup>.

وبعد، فإننا لننتسأل والخوف يملك علينا المشاعر: إلى أين تصير بنا هذه الحال وأولو الأمر عندنا فريقان: الروحاني الغارق في شهواته ولذاته يسخر لها نفوذه، والمادي الغارق في منفعه يسخر لها الهوى حيناً والدهاء حيناً آخر؟ كذلك كان «الما بين» قبل انهياره تسود فيه «الوجوه» وتتحكم فيه الدسائس، لا يفرق عنه إلا أن هناك كان للخصيان فيه السيادة، أما هنا فالسيادة للفحول كل الفحول.

وإذا شئت أن تكون المهذب القلم واللسان، بل إذا شئت أن تكون الوطني الذي حرق عمره على هيكل الأوطان، بل إذا شئت أن تكون العبقري الذي كسا بأدبه الفريد هام لبنان، إذا شئت أو بالأحرى إذا قدرت أن تكون جميع هؤلاء، فليس لك، عند أولي الأمر من الإكرام، قدر قلامه، ولا أنت يُردُّ عليك السلام إلا انزعاجاً، ولا أنت تصل إلى مطلبك لديهم ولو لفَّه الحق بجناحيه، وطبعه العدل على شفتيه.

لكنك تهتز لك القلوب قبل الأجسام، ويراق على قدميك الابتسام والإكرام،  
وتخضع لك المطالب ولو كانت حراماً، وتطوف بك الأماني مُداماً، وإن شئت فندامي؛  
أجل إنك لتظفر بجميع ذلك إذا كنت وقح اليراع، لا يبالي بنشر الفضائح والمصائب  
- والأثيم جبان - فقل لي، رعاك الله، إلى أين المصير مع هذه الحال؟ وقل لي كيف لا  
يملك الخوف علينا المشاعر من سوء هذا المصير؟

هذه الزراعة فاضت روحها بين الصخور والأشواك إذ ليس لها أثمان تقي ببعض أكلافها،  
وأجهزت عليها الرسوم الجمركية التي ضربتها عليها البلاد الأجنبية. ومع هذا فأين هو أثر نواب  
البلاد والحكام في رد هذه الفاجعة التي قامت لها المآتم في القرى والمزارع؟

وهذه الصناعة تعضُّ عليها جماركنا - نعم جماركنا - بالنواجذ قتلاً لها وإحياءً  
لغيرها. نضرب لك مثلاً صناعة الجلود، وما يكابد أصحاب المدايح فيها من الضنك والقهر  
جبنَةً وذهاباً، والتماساً واسترحاماً، وهم إلى هذه الساعة ينظرون إلى البرلمان (نعم هكذا  
سمّوه) دون أن يسمعوا تحت قبته صوتاً نصيراً أو يلمحوا في «سمائه» أملاً منيراً.

أما التجارة فالعياذ بالله منها؛ فهي كالمنشار تعمل فينا صعوداً ونزولاً. إذ ندفع  
ثمن ما نحتاجه منها مرتين: مرة في يد الجمرك، ومرة في يد التاجر. وتالله لو مثل  
الصبر نفسه لما استطاع على هذا الضيم صبرا. ومع ذلك فنحن دولة عندنا برلمان،  
وعندنا حرس جمهوري، وعندنا، وعندنا، وعندنا.. «وطُنٌ شراً ولا تسأل عن الخبر»<sup>(٢)</sup>.

ويقولون لك مع هذا، إننا نعيش؛ ويدلّونك على ما يشاهدونه من البذخ الظاهر في  
مسارح البلد وملاعبها. وهم لو فطنوا لأدركوا أن الذي يضحك لا يُبالي أن يضحك  
أمام الناس، أما الذي يبكي فيلجأ إلى غرفته وإلى الليل ليبكي.

فكم هو عدد الذين يضحكون في هذه البلاد ما عدا رجال السراي وفتيانها؟ والله  
- حلقة صادق - لَنَعْرِفُ قوماً من كبار البيوت اللبنانية، بل هم في الدُّوابة العليا من  
الوجاهة والفضل، بل هم من الذين عرفتهم مناصب الحكومة كابراً عن كابرٍ، وكان

اسمهم قريناً باسم لبنان قبل أن يخلقوا للبنان أسماء جدداً، والله - حلفة صادق -  
لنعرف عدداً من هؤلاء: يشكون إلينا عجزهم حتى عن تأدية بدل الجريدة، ويلتمسون  
بانكسار أنهم في حاجة إلى الستائر يُرخونها على رؤسهم حجاً له عن العيون! والله  
إن جميع ما في لبنان من الضحك لَيَغرق في دمة واحدةٍ من هذه الدموع التي ظهرها  
الآلم والخشوع!

نقول دون خشية: إن لبنان سائر في الطريق المُعَجَّل إلى فقدان مزاياه، وإغراق  
جنسيته في جنسيات الأمم الغربية التي أدخلوها عليه. ونقول دون خشية: إنه إذا لم  
يتكاتف جميع أبناء البلاد من مسلمين ونصارى، على إقالتها من عثرتها، فهي صائرة  
إلى حتفها القريب؛ وسيكون أغنياؤها المستكلبون على حطام الدنيا عبيداً مرتين - مرة  
لأموالهم - ومرة لأسيادهم الجدد، وسوف يرون.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩٣١، عدد: ٣٣٩١، ص: ١

\*\*\*\*\*

ا ب ي ض

## الهجرة اللبنانية

- ٣٥٥ -

ابيض



## ماذا يُعْزِزُ العيد

### أين المهاجرون؟

غداً<sup>(١)</sup> يُعلنُ الجنرال غورو باسم فرنسا، تأليف «لبنان الكبير» وعاصمته بيروت؛ يعلن لبنان الكبير على ما شاءه اللبنانيون: وطناً حُرّاً مستقلاً، متكئاً على ساعد الأمة الفرنسية الكريمة.

إن فرنسا التي وعدت بتكبير لبنان، وأنجزت، وعدت أيضاً بلبنان المستقل بحكومته النيابية، وعلى رأسها إما أمير وإما رئيس، وستُنجز. إن فرنسا تعودت أن تقول وتفعل، أو أن تفعل دون أن تقول.

ولكن لفرنسا أن تسأل عن الذين طلبوا لبنان كبيراً مستقلاً، لتضع هذا الوطن في عهدهم، كما ستضعه في عهدة من انضم إليهم من أبناء البلدان الأخرى. فماذا نُجيبها؟؟؟

لا خلاف في أن الذين أوجدوا فكرة «لبنان الكبير» هم أبناء «لبنان الصغير» وفي طليعتهم المهاجرون منهم – لقد طلبوا إلى فرنسا لبنان كبيراً، فاشتريته لهم بالدم والمال، فأين هم هؤلاء الطالبون ليستلموا الوديعة؟

إن اللبنانيين المتخلفين – أي أبناء «لبنان الصغير» – ليسوا بالأكفاء لهذه المهمة كما يقول بعض الصحافيين المهاجرين.

أجل، إن المتخلفين ليعجزون عن القيام بهذا العبء دون المهاجرين؛ إذ ليس في الجبل اليوم من أبنائه سوى الفقير العاجز، أو الغني الغبي، أو الرئيس الكسول. هذا عدا عن القلة القليلة الراقية التي تضيع بين هذه الجذوع العتيقة، وكلنا نعلم أن المهاجرين هم أكثر نشاطاً، وأكثر اندفاعاً، وأكثر وسائل لجعل لبنان على ما حلمنا ولا نزال نحلم به: مملكة صغيرة مسالمة لها من شرف فرنسا وعطفها أكثر ضامن في هذا الوسط المضطرب بأمواج التعصب الطائفي، وهو سُمُّ الوطنية القتال.

قلنا إن أصحاب فكرة «لبنان الكبير» هم أبناء لبنان الصغير، وهم الذين طلبوا ضم بيروت وصيدا وحاصبيا وراشيا وبعبك وطرابلس إليهم. ولا نكران أن المتخلفين منهم هم حفنة صغيرة في هذا المجموع الساحلي الكبير. فإذا تقاعس المهاجرون، وجُلُّهم من الجبليين، عن الرجوع إلى الوطن، فتكون النتيجة من تكبير لبنان، هي إذابة البقية الباقية من أبناء الجبل في بوتقة كبيرة، لا تلبث أن تغيب فيها - وعندئذ تكون النتيجة أن لبنان انضم إلى غيره لا أن غيره انضم إليه.

إن كلمتنا هذه هي صدىً لكلام فاه به أحد المجاذيب من متوجهي بيروت في زحلة، إذ زعم أنه ورفاقه، سيسيطرون على لبنان (هذا إذا انضم لبنان إلينا)، (والضمير راجع للذات<sup>(٢)</sup> المسمى إليه) إلى آخر ما زعمه مما يريد أن يظهر به في مظهر الأمر الناهي في المسائل العمومية التي منها ضمُّ لبنان إلى بيروت.

إن أمثال هؤلاء الذين نفّروا إخواننا المسلمين عن السياسة الفرنسية في أول الانقلاب، قد يُنفرون إخواننا الجبليين (أبناء لبنان الصغير) ولا نقول عن فرنسا، لأنهم أصل في حبها، بل قد ينفرونهم عن إدارة الحكومة إذا كان لهم إصبع غليظ فيها.

أما وقد علم إخواننا المهاجرون ما علموا، فلا نظنهم يتأخرون، إذا هم شاءوا أن يحفظوا عزة هذا الجبل، عن أن يرجعوا إليه، وهناك في بيروت «عدا وجيهنا وأضرابه» وفي جبل عامل وحاصبيا وراشيا وبعبك وطرابلس، هناك في هذه الأماكن المحبوبة من لبنان، إخوان كرام وأحباب كرام يرون في إخوانهم الجبليين الوفاء المُجسَّم، والحبِّ الأكيد، والمصلحة المتبادلة.

إن عيدنا غداً مهما سيكون عليه من عظيم الأبهة، ومهما سيُقام فيه من معالم الزَّين، ومهما سستتم فيه من الأمان، إن عيدنا هذا سيُعوزه شيء هو أغلى وأحب وأفيد من كل ذلك، سيُعوزه أبناؤه المهاجرون.

البرق، ٣١ آب ١٩٢٠، عدد: ١٠٧٦، ص: ١

\*\*\*\*

## دمعة على الطلل البالي

ماذا يفيد جمال القفص إذا لم يصدح طائر فيه

بالأنين يُعرف ألم الجرح. فإذا أنت سمعتنا ننُّ، فقل إن هنالك جرحاً بليغا. وأي جرحٍ أذهب بالحياة من جرحنا، وإن شئت فقل: من جراحنا لأنها - ويا للأسف - كثيرة خطيرة؟

ما الناس على سطح هذه البقعة اللبنانية سوى دمائها. هم الذين يبعثون الحياة فيها بما يغرسون، وبما يشيّدون، بل بما يتبادلون من المصالح وبما يُنفقون. سنّة الله في العمران؛ ما قام قائمه إلا على أسس هذه الزراعة والصناعة والتجارة. ولا قائمة لهذه، إلا بالبشر يُشْمرون لها السواعد، ويرصدون لها الأوابد والشوارد؛ ثم بالإثراء مما ينتجه الكدُّ، ويحفظه الاقتصاد. فيتسع بذلك نطاقهم، ثم يستمطرون سحب الغير بما يُصدرون من فضلائهم. فإذا ما اختل ذلك في بلد - وهو مختل عندنا - فقل: على ذلك البلد السلام.

هذه صخورنا شواهد عدلٍ على نشاط اللبناني. فلقد مهدها ترابا أنبته إثراءً. ذلك يوم كان يقنع بالعباءة والعمّة البيضاء.

أما وقد دخل التفرنج أو الترفه إلينا، فاستنزف كل دمنا ولم نستنزف قطرة من دمه، فلم يعد ذلك النشاط مفيداً لا يثمر بعض حاجة اليوم، وما أدراك بحاجة اليوم.

فكيف بنا وهذه قيود الديون العمومية تُثقل أعناقنا؟ فقد ملكت علينا البحر وأعوزتنا حتى إلى الملح، ثم أعملت فأسها بكرمتنا، فلم تُبق عليها ولم تذر، واسترقت تجارة الكحول فينا في عهدٍ لا ظلّ للرقيق فيه إلا على هذا الشاطئ التاريخي.

وماذا نقول عن الريجي<sup>(١)</sup>، وقد قتلت التبغ؟ بل ماذا نقول عن الامتيازات الأجنبية وهي ذلك الصليب الأسود القائم على قبر هذه الأمة؟.

ليس العجيب أننا لا نسير إلى الحياة، بل العجيب أن يبقى فينا بقية حياة!

ومع ذلك قالوا لنا: لا تيأسوا ! فلا بُدَّ ليوم الخلاص أن يأتي، وكلُّ أتٍ قريب؟

ولكن البواخر في كل أسبوع، تنقل المئات من هذه الكُروات الحمراء من السواحد المفتولة العاملين في الأرض وفي المخازن، المنتقلين بنشاط بين المدن والدساكر<sup>(٧)</sup>، زُرَّاعاً وتُجَّاراً وصُنَّاعاً.

أو ما قرأت - في ما تقرأ - من الأخبار، أن الباخرة هذه سافرت تُقلُّ مئتين، وتلك ثلاث مئةٍ ضاق بهم الرزق - وكيف يتسع - فتركوا الدار تنعى القائمين فيها، وهاجروا تاركين فراغاً لا يُملأ بالسنين الطوال؟ بل إن ذلك الفراغ يتسع يوماً فيوماً بالأحقيهم من أبناء البلاد - الدافعي الضرائب - القائمة على أكتافهم دوائر الحكومة وملايين غروشها.

إنه لهول جسيم أن لا نُبالي بهذه الكوارث، وهي الموت يفغر فمه إذا لم نعالجه بالضربة القاضية، كان كالبحر ينشق للصخرة الهاوية، ثم يبتلعها. وكالرجم يشق جوف الليل ثم يكتنفه.

وهب نهضت الحكومة بهذا الشعب يوماً، بأن فككت عنه قيوده فألغت الامتيازات الأجنبية، وأبطلت الديون العمومية، وأنشأت شكل إدارة تقتصد به نصف نفقاتها من معاشات ولوازم، هب أنها شادت القصور تُنَاطح السحاب، ونفخت في الحقول روح الشباب، هب أنها فعلت ذلك ولم يكن في الديار ديار!!!

فماذا يُفيد جمال القفص إذا لم يصدح طائر فيه؟؟

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩٢٢، عدد: ١٦٩١، ص: ١

\*\*\*\*

## المهاجرة في البيان الوزاري

وما صباية مشتاق على أمل  
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

مغالطات الحكومة - هجرة الأمس واليوم

وخاض بعض الجرائد في موضوع المهاجرين الذين يبحرون أفواجا من السواحل اللبنانية إلى البلدان الأخرى طلبا للقوت الذي لا يجدونه في وطنهم ثم ذهبوا إلى أن السبب في هجرتهم هو ثقل الضرائب. فأقول:

لا يخفى على أحد أن عبء الضرائب في لبنان القديم كان خفيفا جدا فبأي تفسير يفسرون هجرة ٢٠٠ ألف لبناني في خلال ٣٠ سنة قبل الحرب العالمية مع وجود نظام للضرائب خفيف الظل؟ لا شك ولا ريب في أن سبب تلك الهجرة لم يكن شدة العسف والجور من حكومة الجبل، فإذا لم يكن السبب وقتئذٍ عبء الضرائب أو عسف الحكومة فما هو السبب يا ترى؟.

إن الذين يهجرون الوطن في هذه الأيام لا يقدمون على ذلك بسبب الشقاء والبؤس بل لرغبتهم في اجتناب العمل في الحقول وفي احترام حرفة تكون أقل تعباً وأكثر ربحاً من ذلك العمل.

- من البيان الوزاري -

سنتناول البيان الوزاري نقطة نقطة من سطره الأول إلى سطره الأخير ولكننا رأينا أن نخترق السطور الأولى إلى البحث في المهاجرة بسبب البيان الذي نشرناه أمس للوزير الأول<sup>(١)</sup> وقد جاء فيه أن عدد المهاجرين الذين تركوا لبنان من أول كانون الثاني ١٩٢٦ إلى ٢٢ تشرين أول من السنة نفسها بلغ عشرة آلاف، مع أن الاستفادة

من المعلومات الرسمية أن مجموع عدد الجوازات التي أعطيت للبنانيين في المدة المشار إليها بلغ ٩٨٥٠، فيكون الفرق بين الحكومة والصحف ١٥٠ فقط، هذا إذا لم يكن هناك من سافر بدون جواز، وعلى كل فقد كان الأجمل بالحكومة أن تتغاضى عن هذا التصحيح إذ ليس هناك كبير فرق في الرواية.

هذا ما حدانا إلى اقتحام البحث في الهجرة ومناقشة الحكومة في ما حسبته مبرراً .... راكمة إليه متن المغالطة.

إن مهاجرة اليوم يا حضرة الوزير الأول ليست على شيء من مهاجرة الأمس لا في روحها ولا في مغازيها، فلقد كانت مهاجرة الأمس على نية رجوع المهاجر بالثروة إلى لبنان وإلا فمن أين للبنان هذه البنايات المسقوفة بالآجر وهذا الرخاء الذي كان له يوم كانت أموال المهاجرين، والمهاجرون أنفسهم، ينصبون في ميناء بيروت حاملين الحياة والرخاء للجماد والأحياء، بل أين كانت هذه الطرق المعبدة التي امتاز بها لبنان دون سائر بلاد العالم؟ أفهو فقره؟ أم هو سفر اللبناني على نية أن لا يرجع؟

هو كما تقول يا حضرة الوزير الأول «إن عبء الضرائب كان خفيفاً في لبنان القديم ومع ذلك فقد كان تيار المهاجرة جارفاً».

لقد جئت بالحجة على نفسك من حيث أردتها حجة لك. فإذا كان اللبناني يهاجر يوم كانت الضرائب خفيفة، نقوم فنرهقه اليوم بضررائب أشد وأبهظ لنزيد في تنفيره؟ ولو أن الحكومة عملت شيئاً في سبيل إنماء الثروة المحلية لكان لها عذرها في زيادة الضرائب، أما وهي لم تعمل شيئاً فكأنها ساعدت المهاجرة على الاستفحال، ومع ذلك فهي تعنف الصحف إذا هي تخوفت هذه المغبة.

أجل «لقد كان عدد الأهلين أخذاً في الازدياد بحيث ضاق لبنان عنهم وهو مؤلف من صخور صماء وقمم جرداء» ولكن ذلك يا حضرة الوزير الأول كان قبل الحرب العالمية وأنتم لا تجهلون عدد الذين أفنتهم الحرب ولا تنسون المتني ألف الذين سلبتهم المهاجرة، فهل يجوز أن يقال اليوم إن ازدياد عدد السكان هو سبب هذه الهجرة وليس

في لبنان سوى قبضات صغيرة أخذة بالتفلت حتى ليخشى إذا استمرت الحكومة تنخدع بنظرياتها هذه أن لا تثبت هذه البقايا في بلادها.

ومن المدهش زعم البيان الوزاري أن سبب الهجرة ليس هو الشقاء والبؤس، فكأن ما أنزلته الثورة بإخواننا في الجنوب والشمال ليس شقاء وبؤسا، وكأن الأزمة الاقتصادية التي لم تمتد الحكومة يداً لتفريجها [ليست] شقاء وبؤسا، وكأن استنزاف دم اللبنانيين بالضرائب لترفيه الموظفين ليس شقاء وبؤسا؟ فإذا لم يكن كل هذا شقاء وبؤسا فبالله دلونا على الشقاء والبؤس لنتعزى قليلا عن الحالة التي نحن فيها.

يقول البيان الوزاري «إن الناس في الشرق تعودوا أن يحسبوا الحكومة مصدر كل خير وكل رخاء والحقيقة هي غير ما يظنون» ولو فكّر واضعو البيان الوزاري قليلا لرأوا ان من حق الشرقيين أن يحسبوا الحكومة لا مصدر الخير وحده بل مصدر الضير أيضا، ذلك أن الشرق تعود السيادة المطلقة فهي وحدها دون الشعب كانت تصرف مقدراته على ما يرتئيه السيد المطلق، فلا لوم إذاً على الشعب في اعتقاده وهو لم يخلع ثوبه القديم بعد، أما إذا كانت الحكومة تريد أن تقف موقف الحكومات الدستورية التي لها شعورها المشترك مع طبقات الشعب، فلماذا لا تحذو حذوها في مساعدة شعبها؟ وأقرب مثال على ذلك موقف حكومة أميركا تجاه الأزمة القطنية وإمدادها المزارعين بالمال ليقووا على الاحتفاظ بأقطانهم فلا تباع رخيصة. وما يقال عن أميركا يقال عن مصر أيضا؛ فهل برهنت الحكومة يوما على مثل هذا الشعور؟.

وهناك ما هو من الغرابة بمكان بعيد ألا وهو زعم البيان الوزاري أن عدد المهاجرين اليوم إذا قيس بعددهم قبل الحرب تراه بالنسبة أقل منه، فهل رأيت أغرب من هذا القول؟ فإذا افترضنا أن عدد اللبنانيين كان منذ ثلاثين سنة ٥٠٠ ألف نفس سافر منهم خلالها نحو ٢٠٠ ألف نفس، فماذا تكون النتيجة إذا كان الباقي في جبل لبنان ٢٥٠ ألفا وكان يهاجر منهم ٥ آلاف كل سنة؟

ثم أفلا يرى أصحاب البيان الوزاري أن ضياع الواحد من خمسة أوقع في النفس وأدعى إلى اليأس من ضياع عشرة من مئة؟.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن مهاجري اللبنانيين قبل الحرب كانوا ينتظرون يوم الخلاص من الحكم التركي ليعودوا بثرواتهم إلى لبنان حتى إذا جاء يوم الخلاص الموهوم زاد نفورهم وزادت هجرتهم.

هذا بعض ما حضرنا من تفنيد ما جاء في البيان الوزاري في موضوع المهاجرة وحسبك به الآن.

### بشارة الخوري

البرق، ٣١ تشرين الأول ١٩٢٦، عدد: ٢٦٦٥، ص: ١

\*\*\*\*



## الجنسية الضائعة

### قانون الحكومة لا يتقي نكبة لوزان

عندما تقرأ ما نحن ناقلوه عن الرصيفة الكبرى «الهدى» حول تعطيل «البرق» وزميلاتها، وعندما تلمس تلك العاطفة الكبيرة الصادرة عن ذلك الزميل الكبير<sup>(١)</sup>، وعندما ترى تلك النجدة القوية التي حملتها صحافة الإخوان المهاجرين، عندما ترى كل ذلك يبدو لك بعض السبب في اندفاعنا لمحاربة تلك المعاهدة التي تبتر منا تلك القوة، حتى إذا نزلت بنا نكبة وارتفع لها صوت أولئك الإخوان قالوا لهم: رويدكم فما أنتم من لبنان ولا للبنان كما قضت به معاهدة لوزان<sup>(٢)</sup>.

ولقد كنا نرجو أن تنهض الحكومة اللبنانية ومن ورائها البرلمان فيتبرأوا من تلك المعاهدة، إذ أي شأن لسادة «لوزان» معنا حتى يتحكموا بما هو من حقنا كأئمة الجنسية اللبنانية صباغ في يدهم لتلويننا بما يرتأون.

ولقد كان لنا بعض تعزية أو لمسنا في صدر الحكومة اللبنانية شبه عاطفة، أو سمعنا لها شبه غضبة أو أثبتنا لها شبه مأثرة، فإذا هي تعلننا بمشروع قانون وجوده وعدمه سيان، ولم يدهشنا كالأستاذ إدة حين شكر للحكومة مشروعها هذا كأنه رأى فيه شفاء الغليل، وما هو إلا تعلقة بتعليل، اللهم إلا إذا رأى الأستاذ فيه ما لم نره حتى أدى للحكومة تلك الشهادة التي توكأت عليها في بيانها وكانت تغيريرا.

لقد طالع القارئ كلمتنا أمس وطالع كذلك القانون الذي وضعتة الحكومة زاعمة أنها ضربت به معاهدة لوزان على رأسها، وخلاصته هي «إن كل لبناني مهاجر يعود إلى لبنان وتتوفر فيه بعض الشروط يستطيع استرجاع الجنسية اللبنانية».

ومعنى ذلك أن كل لبناني قبل سنة ١٩١٤ لا يعود إلى لبنان ولم يتقدم إلى القنصليات الفرنسية قبل ٣١ آب من عام ١٩٢٦ تسقط عنه الجنسية اللبنانية.

فالأستاذ المكرزل مثلاً ذاك الصحافي الذي أدى لبلاده ما أدى من الخدمات الجليلة إذا هو لم يتقدم إلى القنصلية وإذا لم يعد إلى لبنان تسقط عنه الجنسية اللبنانية وهكذا قل عن كل لبناني مهما كانت مكانته، وسمت مروءته، واثقت وطنيته.

أفإذا كان هذا ما يستفاد من قانون الحكومة وهو - كما ترى - لم يفد شيئاً، أفإذا كان هذا هو قانون الحكومة الجديدة فأية ميزة له عن قرار رقم ١٥ الذي وضعته حكومة المسيو كايلا<sup>(٢)</sup>، وقد منحت المادة الثالثة كل أجنبي حق التجنس بالجنسية اللبنانية بأخف من الشروط التي أودعتها الحكومة في قانونها.

نحن لا نقول إنه لا ينبغي للبنانيين المهاجرين أن يتقدموا من القنصليات لتثبيت جنسيتهم فإن ذلك أول الواجبات عليهم، ولكننا نعلم أن هناك كثيراً من الموانع التي تحول دونهم ودون هذه الرغبة وأهمها تغلغل معظم اللبنانيين والسوريين في أقاصي البلاد وتأثير الدعايات على البعض الآخر، وقد كان للثورة مهمازها الشديد في هذه الدعاية فلا يجوز والحالة هذه أن نقفل الباب ونحكم إقفاله.

ولم نكن لنغير هذا الأمر كبير أهمية لو كنا أي بلد آخر من الذين يشملهم حكم معاهدة لوزان، لو كنا الأتراك أو المصريين أو العراقيين لأن ليس لهؤلاء ما لنا من المهاجرين. أما والهجرة اللبنانية السورية قد طغى طوفانها، أما وقد أصبح اللبنانيون خارج لبنان أكثر من اللبنانيين في لبنان، وأغزر ثروة وأعز مكاناً، فمن الحيف بل من الغباوة التي لا غباوة بعدها أن نسكت عن هذه الجناية التي يريدون أن يجنوها علينا بحكم مستبد قاهر.

فنحن والحالة هذه نعتبر أن القانون الذي وضعته الحكومة إن هو إلا ذر الرماد في العيون، كأن هذه العيون لا يكفيها ما فيها من رماد.

### بشارة الخوري

البرق، ٧ تشرين الثاني ١٩٢٦، عدد: ٢٦٦٩، ص: ١

\*\*\*\*

## الطائفية

### من لهذه الراية

البرق يستقبل جديده

أي راية الوطن، أين أنت؟

لله أنت طريحةً كالحسام المحطّم في ساحة الوغى!

معفرة بالدم والدمع!

مُلَقاةً كورقة الريف<sup>(١)</sup> المهترئة عند الجذع النُخر!

عاريةً حتى من عواطف المشفقين.

حتى من دمعة الأفق التي على النبتة الحقيرة.

لله أنت من راية!...

أي راية الوطن أين أنت!

لا أبالي اللون الذي تلبسين.

ولا الخيط الذي منه تنسجين.

ولا المكان الذي عليه تُرفعين.

على أن لا يكون كنيساً ولا كنيسة.

على أن لا يكون مسجداً ولا مقاما.

على أن لا تكوني إلا لنا ومناً وفينا.

على أن لا تكوني إلا لنا مجتمعين متحدين متضامنين.

ولكن لله أنت! أين أنت؟

لمن هذه الرايات الخوافق.

يتلاعب بها الهواء؟

تتبسم بها الألوان؟

تسيل عليها النفوس؟

تتهدج تحتها الأصوات؟

للمسيحيين راية.

للأرثوذكس راية.

للدروز راية.

للكاثوليك راية.

للموارنة راية.

لله أبينا، لقد أزرينا على المعرض بما عرضناه. لقد حققت علينا الغرامة وحق

علينا الاحتجاج!...

وأخيرا اهتديت إليها، اهتديت إلى الراية الوطنية.

يا لها من قصبة ضعيفة، عليها خرقة بالية، مُتكنة على القصبة اتكاء اليتيم على

صدر العجوز اليابس.

عزلوها كأنها الأجرب.

تربُّوها<sup>(٢)</sup> كأنها الليل .

أنكروها كأنها العار.

إن للطوائف راياتٍ لها جنودُها.

وإن للوطن رايةً.

فمَنْ لهذه الراية...؟

### الأخطل الصغير

البرق، ١٩٢١، عدد: ١٢٦٧، ص: ١

\*\*\*\*

## لو ملكت الأمر يوماً وليلة

لقد كنتُ قبلَ اليوم أنكرُ صاحبي  
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني  
وقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ  
فمرعى لغزلانٍ وديراً لرهبانٍ  
وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ  
وألواح توراةٍ ومصحف قرآنٍ  
أدينُ بدين الحبِّ أتى توجَّهتُ  
ركائبه فالحبُّ ديني وإيماني<sup>(١)</sup>

### ابن العربي

لو ملكتُ الأمر في هذا البلد يوماً وليلة؛ لو ملكتُ أمر القدير المستبدِّ، لأحدثُ في  
الناس أمراً يبقى مضرب المثل إلى يوم القيامة.  
وبدأتُ بالمدارس، فأمرتُ ذويها بأن يجعلوا أبيات ابن العربي هذه، صلاة الطلبة  
صغاراً وكباراً.  
وأمرتُ بأن تُشرح بحيث تُصبح مع شرحها، الكتاب المقدس لهذا الوطن، لا  
يحفظون غيره ولا يدينون إلا به.  
ولأمرتُ المجلس البلدي بأن يقتطع أجمل وأشرف بقعة من الأرض فيقيم لهذا  
النبيِّ الجديد تمثالاً من أجمل التماثيل.  
ولأمرتُ الحفَّار بأن يجعل يُمنى التمثال ممدودةً، يُعلَّق فيها لوحاً هو أشبه بلوح  
الوصايا العشر، مكتوبة فيه هذه الآيات تُقرأ نهاراً، وتقرأ ليلاً بواسطة الكهرباء.

ولأمرت الناس - أبناء هذا الوطن - أن يزوروه كل عام وأن يضع كل زائرٍ منهم ما يستطيعه من المال: من الطفل الرضيع إلى الشيخ الهاوي.

ولأمرت بأن ينشأ من هذه الأموال رسالة للتبشير تكون لها المدارس والمي�ام والملاجئ.

ويكون لها يد فعالة في كل صناعة، وفي كل قوة.

ويكون لها صحافة.

ثم إذا انتشر «نور الله هذا» على هذه البلاد فعمَّ الشعب بجملته، أنشأنا حكومة.

ومتى كان لنا حكومة قلبها دير رهبان، وبيت أوثان، وألواح تورا، ومُصحف قرآن، متى كان لنا مثل هذه الحكومة على مثل هذا الشعب، كان لنا من كل دولة عاطفة وفي كل أمة ضلع، وكان لنا إصبع في كل دين على السواء.

ولأمرت بتشيد هيكل لا أسمح بأن يعلو أو يكبر عليه هيكل؛ خالٍ إلا من الجلال. واخترت أبرع الرسامين، وأمرته بوضع صورة تُمثلُ موسى والمسيح وأحمد، متفاهمين، متصافين، متلازمين. وفي زاوية من هذا الرسم صورة هارون ويطرس وعلي<sup>(٢)</sup>. وفي يد كل منهم إما كتاب، وإما ورقة يتباحثون في ما كتبوا ويتناقلون ويتوحدون.

ومتى تم بناء هذا الهيكل أطلقت عليه اسم هيكل «ابن العربي» إقراراً بفضله.

ثم أمرت الناس فدخلوا إليه أفواجاً أفواجا؛ فما هم إن رأوا ما رأوا حتى سجدوا خاشعين، وحتى تنفَّتْ ضمائرهم، فأصبحت كتلج صنين، وحتى قالوا: رب كيف ضللنا طوال السنين، فما كان لنا من هادٍ لماذا لم نعرف قبل اليوم أن رُسُلك على وفاق؟ إننا اختلفنا حاسبين أننا نرضيهم، فكنا من الخاسرين.

وكان صباح وكان مساء. فإذا بيومي سيادتي انتهيًا، ولكن بعد أن جعلتُ من هذا الوطن البالي وطنًا فتياً في بُنيته، كبيراً في فكرته.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

البرق ، ٢١ تموز ١٩٢٣ ، عدد: ١٨٨٠ ، ص: ١

\*\*\*\*

## إلى أخي في عيدہ عاطفة تتجدد

من أديب مسيحي

إلى أديب مسلم

يا له من موقف...!

العيدُ غداً عيدُ أخي. فماذا أعددت للعيد؟!

أيةً زهرةٍ جميلة!

أيةً نعمةٍ طيبة!

أيةً عاطفةٍ رقيقة!

لقد ظمئت هذه النفوس إلى الحب.

ظمئت إلى مجالس اللهو والأنس.

ظمئت إلى الكأس الصافية والنفس النقية.

الهواء والماء لي وله.

الشقاء والهناء لي وله.

والتراب الذي نستحيل إليه غداً، ستضربه العاصفة فيمتزج فيكون منه بنونا.

ماذا أعددت للعيد؟

العاطفة الكريمة في الصدر الكريم، تستطيع أن تُحوّل الشُّقاق ونأماً، والخصام

سلاماً، والبكاء ابتساماً.

ليت لي أن أصوغ الأزهار تُغوراً!



وأعكس عليها الكواكب نورا!  
وأرسم العواطف في القلوب سطورا!  
وقليلٌ عليّ ذلك في عيده.  
في عيد أخي.  
أخشع للجامع من أجله.  
لأنني رأيته خاشعاً فيه.  
وأحب كل «أحمد» من أجله، لأن أحمد اسمه.  
والبيت الذي أحبه.  
والصحن الذي أشبعه.  
والكأس الذي أنعشه.  
أحبُّ كل ذلك من أجله.  
من أجل أخي.  
كانت لنا وقفة على الرمل منذ أيام.  
قال لي والدمعة تجول في عينيه:  
هذه هي الحفرة التي تضم إخواننا ممن قتل (جمال).  
أزل هذا التراب عنهم، وانظر إلى امتزاج هذه العظام البوالي!  
وميز - إذا استطعت أن تميز - «أحمد» من «سعيد»!  
ويحنا، كيف وحدتنا المصائب ومزجتنا المنايا؟  
فعلام تُفرقنا الحياة على قصرها وغرورها؟  
وجاءني يوماً بجريدة مصرية قال لي اقرأ.  
- قلت ماذا؟.  
- المسلمون والقبط يتعانقون. وكانت الدمعة تجول في عينيه، ولكنها دمعة

السُرور كانت.

أصبح الجامع كنيسةً والكنيسة جامعاً.

تبادلت القسس<sup>(١)</sup> والأئمة، المناير.

ثم قال: ومن هم أساتذة مصر الحديثة سوى الهابطين إليهم منّا<sup>(٢)</sup>؟

أنحمل النور إلى العالم، ولا نترك قبسةً منه لنا؟

أيُّ كُرهِ كان بين المسلمين والقبط؟

لله مصر وكرام بنيها!

ليت لنا بعض تلك المحافل!

وجاءني يوماً آخر، وفي يده بعض الجرائد وكان وجهه متجهماً، وجبينه قاطباً،

وعلى شفثيه صُفرة الموت.

وطرح الجرائد أمامي مغضباً.

قلتُ: ما بالك وما هذه؟

قال هذه جرائدكم فبئست من جرائد.

قلتُ: لماذا؟

قال: زعمتم أنكم نور الأمة فكنتم ظلامها؛ وهُداها، فكنتم ضلالها؛ وهناؤها فكنتم شقاءها.

قلتُ: ولكنها السياسة، ولكنها اختلاف الأفكار.

قال: إنكم تفعلون غير ما تقولون.

رأيتم موضع الضعف في الأمة، فضربتم عليه.

أثرتم العاطفة القتالة بما أوقدتم تحتها.

كلكم يدعي الحق، وكلكم مخطئ.

لو حسنت نياتكم لحسنت أعمالكم.

النجاح لا يكون بدون تضحية. فمن هو الذين ضحى بأنانيته منكم؟  
تعلمون أن الشعب عبد عاطفته؛ فمن هو الذي راعى تلك العاطفة؟  
لو احترم كل منكم عاطفة أخيه، لما كنتم حيث أنتم.  
لا تكونوا حطبا للموقد إن كنتم تعقلون!  
وكان شعاع الحكمة يلمع في عينيه الجميلتين، وكنت لا أزال كأني منطلق في  
عالم روحي.

لا تزال ذكرى ذلك الأخ مألئة نفسي.  
لقد مضى على اجتماعنا الأخير عشرة أيام حسبتها عشرين عاما.  
وذكرتُ (الأضحى) غداً، فقلت أنظم هذه العاطفة إكراماً واحتراماً، وأنثر حكمته  
على الناس إقراراً وعرفاناً، وأدعو إلى نصحه الإخوان لعلمهم يرشدون.

العيد غداً عيد أخي، فماذا أعددت للعيد؟

أية زهرة جميلة!

أية نغمة طيبة!

أية عاطفة رقيقة!

الهواء والماء لي وله.

والهناء والشفاء لي وله.

والتراب الذي نستحيل إليه غداً، سيضربه الريح فيمتزج، فيكون منه بنونا.

أيلول ١٩١٩

بشارة الخوري

البرق، ٢٢ تموز ١٩٢٣، عدد: ١٨٨١، ص: ١

\*\*\*\*

## بناياتنا الوطنية لا تقوم على المجاملة الدينية

لم تصدر «البرق» ولا غيرها من الجرائد المسيحية مجاملة للإخوان المسلمين في عيدهم.  
أن نتبادل الشعور بين أبناء الوطن جميل. فهو طريق إلى بناء الوطنية، ولكنه لا  
يصح أن يكون أساسا لتلك البناية.

ولقد كان هذا التبادل بالشعور، وهذه المجاملة بين أبناء الوطن، أكثر فائدة وأطول  
حياةً، لو هي جاءت على غير ما تجيء به اليوم: تأخي الأديان، كأن الأديان هي الألف  
والياء من حياتنا، كل حياتنا..

إننا بمعالجتنا انقساماتنا الدينية، بالمجاملات الدينية، نكون قد (داوينا الداء  
بالتي كانت هي الداء) وما أبو نواس<sup>(١)</sup> بابن سينا<sup>(٢)</sup>، لننتبّع تعليمه.

كلنا نشكو من أن سبب خمولنا وضعفنا، هو هذه الخلافات الدينية وحملها من  
المساجد الى الساحات العمومية، والنوادي السياسية. أفلا ترى أننا، بإقامتنا مبدأ  
التفاهم والاتحاد في ما بيننا، على الأساس الذي شكّونه، يُعدُّ ضرباً من الحمق، ولا  
يتفق في شيء مع النهضة العصرية والوطنية الحديثة التي لا تعرف غير المصلحة  
المجموعة والشرف العام؟

إنّ، فمعانقة الصليب للهِلال، وقُبلة الكاهن للشيخ، وزيارة المسلمين للكنائس،  
والنصارى للجوامع، ليست سوى كتمانٍ من الرمل، إذا ضربتها الزعزع، نسفتها نسفاً.

وإذا تنكر الكاهن للشيخ، أو الشيخ للكاهن؛ أو إذا قامت دولة للصليب على دولة  
للهِلال، أفما ينبغي - وقد بنينا وطنيتنا على هذين - أن يغضب صليبيونا للصليب

وهالايونا للهلال، المتنازعين في وطن غير وطننا وفي قوم غير قومنا؟  
وما هي إلا رقة جفن حتى ينهدم ما بنيناه من بنايات الوثام وصروح الوطنية -  
هذا إذا كان أساسه المجاملة الدينية كما هو شأننا.  
بل لماذا تتحارب ملوك الإسلام ولم يجف تراب الرسول بعد؟ ثم لماذا تتحارب  
الدول المسيحية ولكلها راية للصليب رسم عليها؟؟  
إنهم جعلوا سلامة الوطن فوق الأديان، وإنهم عزلوا الأديان جانباً عن كل ما  
يتناول المصلحة الوطنية.  
بهذا اتحدوا وبهذا تعلوا وبهذا استقلوا، وما أبعدنا نحن عن كل هذا؟  
إن الدين عاطفة، والعاطفة مصدرها القلب، والقلب سريع التقلب أو قل  
سريع التأثر.  
فلا يجب أن نعلق حياة وطن بأسره على عاطفة تتخذ لكل حدث لونه.  
وسيدكر الذاكرون أننا سنبقى على حالنا من الانحطاط، ما زالت هذه حالنا. وأنه  
لن يبدل ما علينا حتى نبدل ما في أنفسنا<sup>(٣)</sup>.  
فإذا كان أبناء هذا الوطن يريدون حقيقة أن يُغيروا ما في أنفسهم، فعليهم أن  
يتجردوا من كل عاطفة دينية في المسائل الوطنية، وإذا أرادوا أن تكون بنايتهم هذه  
طويلة العمر، متينة الأساس، فليبنوها على غير معانقة الهلال للصليب، ولا مبادلة  
التزاور بين الكنائس والجوامع.  
إن للوطنية هيكلأً أسمى وأعظم من كل هيكل. إن للوطنية هيكلأً لا يعرف ديناً إلا  
إذا اعتُبرت المصلحة الوطنية والشرف القومي، ديناً يضمن تحت جناحهما كل دين.  
فنحن نُهنئ إخواننا المسلمين بعيدهم الأسنى، على رجاء أن يحتفل جميع  
الوطنيين بعيد واحد، هو عيد الوطن الجديد، الوطن الناهض؛ وعلى رجاء أن تضمحل  
المجاملات الدينية وأدواتها في آتون المصلحة القومية والناموس الوطني.

البرق، ٢٥ تموز ١٩٢٣، عدد : ١٨٨٢، ص: ١

## في سبيل الوئام من أنتم ومن نحن

من قال إن بيروت جامعة الأدب، وهو داعية الوئام تصبح جامعة للتنافر وهو داعية الانقسام<sup>(١)</sup>. من قال إن بيروت الوردية الذكية العرف ترسل اليوم إلى هنا وهناك رائحة لا تستطاب. من قال إن بيروت المثال الأعلى في النبل والمصافاة تصبح المثال الأدنى في الحب والخصام.

أي خطب جلل أصاب بيروت وأي أبناء بيروت ينجو من عار بيروت.

إذا كانت الطائفية سبباً لما نحن فيه فلا كانت هذه الطائفية.

وإذا كانت المصالح فلا كانت هذه المصالح.

إن الفقر والإلحاد مع الإخاء والمودة أشرف لنا من الغنى والتقوى مع الشتات والموجدة. إن الجحيم مع التضامن والمصافاة أبرد على قلوبنا من النعيم مع التنافر والشحناء.

أين دعاة الأخوة من أبناء بيروت؟

أين المخزومي القديم والقباني القديم وكرم القديم في (البلاغ)<sup>(٢)</sup>. و «اللسان»<sup>(٣)</sup> بل أين القوم<sup>(٤)</sup> القديم.

أي هؤلاء لم يكن شقيقاً على أخيه حبيباً... أي هؤلاء بل أي أديب في بيروت لم يكن إلى الولاء سميعاً مجيباً.... لقد كانوا - والأترك يقسمون - متحدين، فما بالهم - والفرنساويون يوحدون - منقسمين.

إذا كان يسرنا احترام شعائر الدين فقد كان الجامع لممثلي فرنسا كالكنيسة والأعياد شهود.

وإذا كان يسرنا المصلحة فقد مشوا إليها وإن يكن مشيهم بطيئاً.

وكيف يسرعون ولا يعثرون بحواجزنا الطائفية وحواجزنا السياسية وحواجزنا القومية وحواجزنا الشخصية.

أفهمه براهيننا ندلي بها شهوداً للاستقلال، بل للحكم الذاتي؟؟؟  
واخجلناه من هذه الشهود؟

هب أن هنالك إحجافاً في الوظائف وهب أن الموظفين غير أكفاء، وهب أن أمرهم في يد المنتقد الكريم فماذا كان يفعل؟

أنا سائل سيدي الباشا - وهو عليم - عما إذا لم تكن الوظائف مفتوحة لأكفائهم على مصراعيها وقد رفضوها، ذلك قبل أن تأكدوا أن فرنسا لا يمكن أن تكون لفريق دون الآخر، كما تثبتوه أخيراً.

والآن - وقد امتلأت تلك المراكز بأربابها، فماذا يرى؟

أي سادتي المنتقدين وما فيكم إلا الذاكر ما عليه للوطن من الواجبات، إذا اعتقدتم أن حقوقكم هذه مجحف بها فأين هو فضل التضحية؟

ونحن كذلك أين هي تضحيتنا إذا لم نقابل العتاب بقلب نقي وطرف حيي.

إذا طلبتم أن تكون الوظائف للكفاءة فاسألوا الحكومة أن تؤلف لجنة فاحصة يختارها فضلاء الوطنيين بمشارفة الحكومة وننزل عند حكمها.

وإذا طلبتم أن تكون طائفية - ولا نخالكم - فما هي إلا الأشهر القليلة ويأخذ ذو الحق حقه.

لا! ولا كانت الطائفية التي آلت بنا إلى هذا المصير المعيب.

نحن نعلم أن الوظيفة مصلحة شخصية لا تتجاوز جيب صاحبها ولا بيته، أما  
ونحن نعلم ذلك، أفيجوز أن نعمل منها معولاً لهدم بنائنا الوطني، وهدم ألفتنا الجميلة.  
فمن أنتم ومن نحن؟.

سلوا الفرنسيين عنا يجيبوا أننا وطنيون، وسلوا الأجانب عنا يجيبوا أننا  
لبنانيون أو سوريون، فلماذا إذا سألنا أنفسنا عن أنفسنا تكاثرت علينا الأسماء  
والنعوت.

من السباق إلى راية الوثام يحملها لنكون له جنودا.  
من الفاتح صدره وبيته ليجمع هؤلاء المتنافرين على عرض زائل.  
من الماحي هذه الوصمة عن جبين بيروت.

أين هذا الرسول الكريم!

البرق، ٩ تموز ١٩٢١، عدد: ١٣٠٧، ص: ١

\*\*\*\*



## مولد الرسول العربي الكريم رحمة للعرب وللإنسانية

### واجبات العربي وكل إنسان

أجل، يُعذر النصراني والمسلمون الذين وجدوا في ما يُسمونه الأعصر المظلمة، الأعصر التي غدتهم بكُره كل دين إلا دينهم، إذا هم نشأوا متباغضين متنافرين، ينظر أحدهم إلى الآخر نظر العدو الألد إلى العدو الألد.

ولم يكن هذا التعصب القتال مستأثراً به الشرق وحده، أو مُسلمو الشرق ونصاراه وحدهم، بل هو قد جرّ ذيله على الغرب حقبةً طويلة. فكان له بين الكاثوليك والبروتستانت، وهم أبناء دين واحد، مجازر دونها أفظع المجازر.

ولم يكن هؤلاء المسلمون والنصارى في الشرق، والكاثوليك والبروتستانت في الغرب، بتباغضهم ومجازرهم، إلا كافرين بالدين الذين يحسبون مساوئهم هذه جهاداً من أجله. كيف لا وفي تعاليم كل دين ما يحثُّ على الإخاء ويأمر بحب الناس جميعهم على السواء. أفما قال المسيح: أَحَبُّوا أعداءكم وباركوا لاعينكم؟ أو ما قال محمد: الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله؟ وكذلك، أما جاء في الكتاب الكريم: **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى** O. (١)

فإذا كانت المسيحية هي السير بموجب تعاليم المسيح، وكان الإسلام هو السير بموجب تعاليم الرسول، أفلا ينبغي أن نعدَّ كلَّ مخالفٍ لأحد هذه التعاليم، كافراً بدينه، مارقاً عن مسيحه ورسوله؟

أفما ينبغي أن تقوم فينا كتلة مستنيرة متشعبة بفضائل الديانتين، عارفةً بمزايا الرجلين الكبيرين، فتُدخل إلى قلوب النشء روحاً جديداً وفكراً جديداً؟..

فأيُّ ناشئٍ مسلم يَعلم أن المسيح ظهر في عالم أثقلته قيود المظالم وسادته الرذائل، وتآكلته الوثنية والأنانية، ثار عليها حتى زلزل أركانها ودكَّ كيانها، وختم حياته بأن قدّم نفسه قُرْباناً في سبيل دعوته؛ فكان الشهيد الأول.

وأيُّ ناشئٍ مسيحي يتمثل أمامه العرب في جاهليتهم، وهم أمة عدد الرمال عكفت على عبادة الأوثان ونشبت فيهم العداوات، فكان الرجل لا يأمن على عرضه أن يسيء.<sup>(٢)</sup> وكان وأد البنات (أي قتلهن بيد آبائهن) عادةً شائعةً بينهم، ناهيك عن القمار والسكر. فقام محمد يثور على تلك النقائص، ويدعو القوم إلى عبادة الله ويجمع من تلك القبائل قبيلةً واحدة أصبحت من بعد ذلك، أمة حملت إلى العالم مشاعل المدنية حقبة طويلة من الدهر.

أي ناشئٍ من أبناء هذه الأمة، إذا عرف كلا الرجلين وما عملاه لأجل خير العالم، أي ناشئٍ إذا سمع برجل كهذين أو دون هذين، إذا سمع برجل كهذين، كان له في التاريخ بعض ما لهما من المآثر الغرّ، أي ناشئٍ سمع بذلك، ولم تتملكه سورة الإعجاب والحب والاحترام؟

نقول - ولا نخجل - إن الكثيرين من جهلة المسلمين ينظرون إلى المسيح مثلما ينظر الكثيرون من جهلة النصارى إلى محمد. كلا الفريقين يتمثل الرجلين بأبشع الصور، يتمثلهما كعدوين أزرقين لو تقابلا يوماً لتطاعنا بالرماح.

يا ويل من لَوْن هذه الصور بأقبح الألوان! يا ويله، إنه شوّه الحقائق وجرّ البلاء إلى الأوطان.

لقد احتفلت الأمم على اختلاف أديانها بمرور مئة عام على مولد العلامة باستور<sup>(٣)</sup> مكتشف الجراثيم، ولا ننكر هذا الاحتفال على القائمين به. فهو دون ما يجب لباستور؛ ولكن لا يختلف اثنان أن الجراثيم الأدبية التي قتلها الرسول العربي الكريم تستحق إكراماً أعظم واحتفالاً أكبر.

ليس الدين وحده ولا الإنسانية وحدها، اللذان يوجبان علينا إكرام الزعيمين

الأكبرين المسيح ومحمد، بل هنالك مصالحنا الدنيا، لا تحيا، بل لا تقوم لها قائمة إذا  
لم تتوحد عواطفنا توحداً مكيناً؛ وإذا لم يعرف كل منا ويعترف بالمزايا الغرِّ والأعمال  
الخالدة والتعاليم السامية التي جاء بها رحمة للعالمين.

إن غداً تذكّار مولد الرسول،

غداً ترتجف أصنام الكعبة، فتتهوي متحطّمة على الحضيض،

غداً ترتفع ملايين العيون إلى السماء،

غداً تطمئنُّ البناتُ في حضون الأمهات، مسبّحات للرسول شاكرات.

غداً لا أزلام ولا مدام ولا قمار ولا خمار<sup>(٤)</sup>.

وهل كالقمار والخمار مهلكة للبيوت ومثّلة لفضيلة العائلة؟

غداً تذكّار نهضة العرب كامة، ونهضتها كدولة، ونهضتها كمشعلٍ للحضارة.

غداً تذكّار مولد الرجل الذي يدين له ثلاثمائة مليون، ويحترمه العالم بأسره.

«أبو عبدالله»

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٢٣، عدد: ١٩٤٣، ص: ١

\*\*\*\*\*

## المولد السعيد<sup>(١)</sup>

﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾

- قرآن كريم -

يضحك ثغر غدٍ عن تذكّار مولد الرسول العربي الكريم؛ وسيكون للعيد بهجته،  
وسيكون له جماله ورونقه.

إن للرسول - وهو في عنفوان الرسالة - من المعجزات ما يقف دونه الفكر  
صاغراً، ولكن له في حدّاته ما تصغر عنده عظمة العظيم، ويبطل عنده سحر الساحر.  
إنه وقد أخرج أمة بأسرها من ظلمات الجاهلية إلى أضواء المدنية،  
إنه وقد أبدل معائب الجاهلية بمحاسن الإسلام،  
إنه وقد أبطل وأد البنات وحرّم الزنا ونقّى القلوب من العداوات،  
إنه وقد أذلّ لسيفه كل سيف ولعرشه كل عرش،

إنه - وهو كذلك - ليس بأعظم في عيني منه، وهو الأمين الناشئ فقيراً، الدارج  
يتيماً، الحامل السعد في وجهه، والطهر في قلبه، والأمل في عينيه، والحكمة في شفتيه.  
إنه وهو حاكم قريش يوم الفتح، ليس بأعظم منه وهو حكّمها يوم (الرداء والحجر)<sup>(٢)</sup>.

المُخرج الجاهلية من الوثنية إلى عبادة الله، المخرجها من المحارم إلى المحلّلات،  
المخرجها من خشونة الجهل إلى نعومة العلم،  
هو ذاك الذي سيُحتفل بتذكّار مولده غداً.



إن للوطنية علينا واجباً مقدساً، هو أن نتحد. وأن للاتحاد سبباً هو أن نتحاب؛  
ولا نتحاب إلا إذا امتزجت عواطفنا امتزاج الماء بالراح.

سيحتفل إخواننا غداً بمولد نبيهم العظيم. فأية عاطفة بل أية زهرة نُقدم في العيد؟  
لقد نثرت الحرب ألوف الأيتام صغاراً أنقى من الفجر وأطيب من الزهر، نثرتهم  
كما ينثر الخريف الورق؛ فتساقطوا أذلاء جياً متوسلين.  
ملايين لا والدين لهم، مجردون إلا من الأطمار، عاطلون إلا من الدموع، عارون إلا  
من الفضيلة.

إن باقة دموعهم زهرها، وأنفاسهم عطرها. إن باقة صلاتهم بخورها، وعيونهم  
نورها، هي دون الوصية التي أوصى بها الرسول لملايين المسلمين حيث قال (٣) □ فأما  
اليتم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وهي دون ذلك الغدير الصافي الذي منه يرشفون  
والحصن الذي به يعتصمون.

إن الغدير ليجف، والحصن ليندك. ولكن وصية الرسول للمسلمين لا ينضب  
معينها ولا تهدم حصونها.

إن باقة الزهر هذه لمكافأة فانية إزاء الآية الرحيمة الخالدة!

عن البرق في ٢٤ ت ٢ سنة ١٩٢٠

#### الأخطل الصغير

أعاد نشرها في البرق، ١٩٢٣، عدد: ١٩٤٣، ص: ١

\*\*\*\*\*

## لماذا تكتُمون العلّة إذا أردتم الشفاء

لا تشفى صدور الأمة من أدغالها بغير البَضْع  
لا يشفى الأمة غير شبانها فهل ينهض الشبان إلى العمل ومتى؟

ولقد كنا نود لو أن الوفد - وهو ممثل لجميع الطوائف المسيحية قد ضم بين  
أفراده شخصا من المسلمين، إذاً لكانت هذه الطائفة التائقة إلى السلام والاتفاق عملت  
مع العاملين على فض المشكل الواقع ولكان أحس المسلمون وهم عدد كبير في البلاد  
أن لهم من الحقوق في هذه البلاد ما لغيرهم وعليهم من الواجبات ما على سواهم.

وليس في ذلك دعوة للطائفية فنحن أبعد الناس عنها، ولكن ما دامت الفكرة قد  
قامت على هذا الأساس فلم يكن ثم مانع من أن يشترك المسلمون في هذا العمل حتى  
لا يعتقد هؤلاء أن إخوانهم لا يقيمون لهم وزناً إلا أن يكونوا في حاجة إليهم في الأمور  
الانتخابية وما شاكلها.

العهد الجديد<sup>(١)</sup>

هو داوُنا المستحكم تلمسه رصيفتنا «العهد الجديد» وتلمسه في هيئة راقية تألفت  
وفدا يحمل السلام إلى بلد مسيحي كان على وشك أن يصطدم بالقوة فتراق الدماء.

ونحن نوّكد أنه لم يخطر على بال الوفد ونوّكد انه لم يكن ليخطر على بالنا لو كنا  
في عداد الوفد أن ندعو إليه مسلماً للاشتراك فيه، كما أننا نوّكد من الجهة الأخرى أنه  
لو حصل مثل هذا الأمر مع المسلمين أنفسهم لما كانوا فعلوا غير ذلك.

وإذا قام من يدعي عكس هذا فهو مرء ولا ريب.

إن أشد ما أضرّ بنا هو إصرارنا على كتمان الداء، داء التعصب والتحاسد الذي يأكل أكبادنا جميعاً، نعم جميعاً. وما دعاوى التساهل والتضامن سوى دعاوى كاذبة لأنها قائمة على أسس من المآرب المكتومة، فكيف اتجهت تلك المآرب أو كيف تحورت تتجه تلك الدعاوى وتتحوّل وبين ليلة وضحاها، أستغفر الله! بل بين غمضة جفن وانفتاحه يصبح التساهل ضعفاً والتضامن تسليماً.

وكيف يدعو النصارى المسلمين للاشتراك معهم في دفع جائحة عن بلدة مسيحية وفي أقصى نفوسهم أن هؤلاء لا يبالون - إذا لم نقل غير ذلك - بنكبة هذه البلدة، وإذا عكست الأمر فلا يكون عكسك مغلوفاً.

لا يجب أن يؤخذ علينا عدم استثنائنا أفراداً في جميع الطوائف لأننا لا نتكلم عن الأشخاص بل نتكلم عن نفسية الأمة والأمة بمجموعها لا بأفرادها.

إن أفضع الجرائم في نظرنا هي إخفاء دائنا هذا وما هو بالعار أن نعلنه، فلقد أصيبت به أعلى الأمم كعباً في المدنية اليوم، ولكنها شفيت منه لأنها اعترفت به فنزلت عند حكم الطبيب.

ومع ذلك فنحن نريد الوحدة ونريد الاستقلال وكيف تتم الوحدة إذا كانت كل طائفة منا وطناً قائماً في ذاته يطالب بنفسه لنفسه ويكيد للآخرين؟

وكيف يتم الاستقلال ونحن فضلاً عن هذا التمزيق بعواطفنا ومصالحنا لا نريد أن نسلك سبيله فنحاول على الأقل توحيد العاطفة في السراء والضراء ونبذر في هذه التربة نواة نحصد منها في المستقبل القريب وطناً موحداً محترماً.

هذه حقائق جارحة هي أشبه بمبضع الطبيب كتبناها إلى الجماعة المخلصة المسؤولة، لا إلى العامة التي تصفق حيث يدعو المقام إلى لطم الخدود وتضحك حيث يدعو المقام إلى ذرف الدموع.

إن بين الطوائف حُفرا وأخاديد ظهرت بأقبح صورها في الأيام الأخيرة، فإذا لم ينهض الإخوان المخلصون لطمرها فلا تستطيع الأمة أن تجتازها إلى ساحة الوطن الكبرى للعمل في سبيل الغاية الكبرى.

وهذا لا يستطيعه إلا الشبان المتعلمون الراقون إذا هم انضموا جمعية واحدة تدين بدين الحق فوق كل شيء، وبدين الوطن قبل كل شيء.

#### افتتاحية

البرق، ١٩٢٥ عدد: ٢٣٤٨، ص: ١

\*\*\*\*



## الفصل بين الحكومة والمعبد

هذا موضوع يخلق بنا تحليله. ولقد شكرنا لحضرة الصديق الفاضل الخوري أنطون عقل<sup>(١)</sup> صراحته وتساهله، ورغبته مثلنا في معالجة هذه البثور الظاهرة في جسم هذا الوطن، حتى يكون لنا منه وطن سليم نستطيع أن نسير به مرحلةً في طريق السلامة؛ وطريقها هو توحيد عواطف الأمة وغاياتها وقوانينها.

وإنما كان لنا هذا الرأي في الفصل بين الحكومة والمعبد، لاعتقادنا أن السبب الأول في شقاقنا وشقائنا، هو هذا التصادم الطائفي في مصالح الحكومة. وآخر أدلته: الموقف الأخير الذي احتكت فيه الحزابات احتكاكا أبعد ما بين القلوب مسافاتٍ سحيقة، وحفر ما بين الإخوان خنادق عميقة.

فقلنا: إذا كان الماضي أملى علينا عبره، وإذا كان الحاضر حفر في الصدور أثره، فما أحرانا بأن نتعظ وبأن نعتبر وبأن نزدجر! فقد حان لنا أن نقتنع بإخفاق السياسة الماضية، لا سيما بعد أن دفعنا ثمنها انحطاطنا هذا الانحطاط، وضعفنا هذا الضعف، وفقرنا هذا الفقر، وتشتتنا هذا التشتت.

أجل لقد بدا كل ذلك أمام عيوننا؛ فلم نجد له سبباً إلا مزجنا الدين بالدنيا وإدخالنا الطائفية في الوطنية. فلم نر والحالة هذه، إلا أن نقول بمبدأ الفصل، وإلا بقينا إلى أبد الأبيد عبيداً، وبقينا إلى أبد الأبيد كالذئاب؛ إذا لم يكن للأجنبي هيئته عندنا وحكمه فينا، فعلنا فعلها بأنفسنا.

هذا ما نُمهد به للرأي الذي قدمنا وهو رأي مفكري اللبنانيين كافة.

بقي أن نجول مع حضرة الأب الصديق في رسالته وهي تنحصر في النقاط الآتية:

**الأولى -** أن للطوائف ورؤسائها، حقوقاً منحتها إياها فرمانات<sup>(٢)</sup> السلاطين التي اعتبرتهم ممثلين رسميين لطوائفهم.

**الثانية -** أن الحكومة الإفريقية حلت محل الحكومة التركية فاحتفظت بقوانينها.

**الثالثة -** أن واجب الحكومة احترام جميع الأديان ورؤساء الأديان.

**الرابعة -** أن تحافظ الحكومة على هذه التقاليد، إلى أن تقوم قوانين أخرى وممثلون آخرون رسميون شرعيون، تجد الأمة فيهم مدافعين عن حقوقها.

**الخامسة -** ما ذكره حضرته عن المحاكم الشرعية والبلاد السورية.

هذا مجمل رأي الأب عقل أوجزناه هنا للقارئ، ومن بعد يقرأ ما نحن قائلون فيه.

لا يجد القارئ المتعمّن أن بيننا وبين حضرة الأب عقل خلافاً، حتى ولا خلافاً صغيراً يستدعي عتاباً، حتى ولا عتاباً صغيراً. فهو ونحن نعتز بوجود فرمانات السلاطين، والحقوق التي منحتها رؤساء الطوائف. ولو لم نعتز بوجودها لما طلبنا إبطالها. وهو ونحن نقول إن هذه التقاليد يجب أن تُبدّل بقوانين أخرى يضعها ممثلو البلاد الحقيقيون.

ويسرنا جداً أن يظهر حضرة الأب عقل بمظهر التساهل هذا. وليس هو وحده من أنصار هذا المبدأ، بل هناك طائفة كبيرة من الإكليروس الراقى تقول به ولكنها تمشي إليه بالتؤدة.

وما كان حضرة الأب عقل وسائر طبقته ليرضوا عن إبطال هذه التقاليد وإبدالها بقوانين شاملة عادلة، لولا أن لهم نفس اعتقادنا بضررها كل الضرر بالوحدة الوطنية.

ثم كيف نرضى ويرضون بهذه فرمانات، وهي إنما كانت منحة السيد للمسود؟ ونحن ندعي اليوم أننا نمشي في طريق السيادة، ونحاول أن لا نخضع إلا لما نسئله نحن من الشرائع التي يتساوى أمامها جميع الوطنيين وتسقط عندها جميع الميزات.

أفلا يرى حضرة الأب عقل أن هذه الفرمانات - وهي رمز عبودية الماضي - أصبحت غير لائقة بشرف الآمال التي نحلم بها، والاستقلال الذي ننشده؟

غير أن حضرة الأب لم يفهم جيداً ما قصدناه من قولنا بقطع الحكومة لكل علاقة «رسمية» بالمعابد. فأخذ علينا أننا ندعو إلى عدم احترام الأديان. ولو علم حضرة الأب أننا من دعاة الحرية الشخصية، وأن الحرية الشخصية تُوجب احترام حرية المعتقد، لأحسن فهمنا، فضلاً عن أننا استدركنا ذلك في مقالنا بقولنا «علاقة رسمية» لنُخرج الأمر عن «العلاقة الشخصية». فلقد يكون الحاكم متديناً فيحضر إلى المعبد الذي يشاء، ويصلي فيه كيف شاء، بصفته فلاناً ابن فلان، لا حاكم دولة لبنان.

وإذا كنا نقيم حرية الأفراد هذا الوزن، فقد تحتم أن نقيم لحرية الجماعات وزناً أوفر. إذن فلا مجال للريب في أننا ندعو إلى احترام كلٍّ أحدٍ رئيساً كان أو مرؤوساً مازال يحترم القانون.

بقي ما أشار إليه من جهة المحاكم الشرعية ودار الفتوى. فهذه أيضاً ستشملها القوانين التي يضعها ممثلو الأمة الحقيقيون، بما يقضي به حق الشعب على الحكومة.

أما رغبة حضرة الأب إلينا بأن نطلب فصل الحكومة عن المعبد للبلاد السورية، فلقد كنا نجيبه فيه إلى رغبته - وليس مثلنا من يردُّ مثله.

#### افتتاحية

البرق، ١٩٢٥، عدد: ٢٣٥٤، ص: ١

\*\*\*\*

## صِلْ. أَحْسِن. قُلِ الْحَقَّ

«صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ»<sup>(١)</sup>

«محمد»

إذا شئنا أن نكون أمة - بل إذا شئنا أن نحقق ذلك الحلم العظيم الذي يجول في رؤوس كبرائنا - وأريد بهم كبراء الأحلام منا - إذا شئنا، وأريد بالمشيئة هنا المشيئة الممزوجة بعصير الإرادة والشوق - إذا شئنا أن ننزع أسمالنا البالية ونخلق منا عالماً جديداً، عالماً لا يعرف إلا الإنسانية طائفةً وإلا الوطنية ديناً، وإلا العمل مبدأً، إذا شئنا أن نكون - ولا نطلب المعجزات - بشراً كسائر مَنْ نُشاهد من الأمم المستقلة، لنا رأينا في نفسنا وحرّيتنا في أرضنا - إذا شئنا ذلك، فليس علينا أن نشرب ماء البحر، ولا أن نُتقن السّحر، ولا أن نقتني الأساطيل، ولا أن نُوجد المستحيل، بل علينا أن نحفظ الوصية التي قرأت ونعمل بها:

«صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقُل الحق ولو على نفسك».

وهَبْ أنك لأمرٍ جفوتني، فتتكرت لي، فأنكرت عليّ حقّي، فأذيتني.

هَبْ أنك فعلت ذلك كله. أفما ذاكرت أنت الوصية، فتقول الحق ولو على نفسك؟ ومتى اعترفت به، عدت عن الإساءة إليّ. ومتى عدت عنها وصلتني، وعندما تصلني نتّحد، وعندما نتحد نقوى، وعندما نقوى نعرّ.

وأي شيءٍ حط بنا من حالقٍ سوى التقاطع؟ أفاً المسلمون والنصارى غير متقاطعين؟ أفاً المسلمون في ما بينهم والنصارى في ما بينهم، غير متقاطعين؟ أفاً أبناء العشيرة الواحدة والمهنة الواحدة، غير متقاطعين؟

وأي هؤلاء لا يعمل على الإساءة إلى غيره، والإساءة أنواع؟ بل أي هؤلاء إذا وضع له الحق أذعن له غير مكابر؟

رأيت أننا لا نُكلفك أمراً عظيماً، لا نكلفك أن تستهبط الوحي، ولا أن تستنزل القمر. رأيت أننا لا نكلفك شيئاً من ذلك، لنرفع بك إلى أعلى عليين هذا العالم؛ لا نكلفك سوى حفظ كلمة واحدة والعمل بها.

إن في اللبنانيين والسوريين، إن في نفوس هؤلاء، لؤلؤة ولكنها غير مصقولة؛ هي لؤلؤة مكارم الأخلاق. أما التراب بل الأقدار التي شوّهت تلك اللؤلؤة، فهي أقدار التعصب وعفونته. ثم تحجّر هذه العفونة بتكدس الأجيال عليها، حتى ضاعت اللؤلؤة وأصبح لا يرى الناظر ولا سيما الغريب المراقب سوى ذلك التعفن الكريه الظاهر.

أجل، إنه لداء ينخر في عظامنا فيوهيها. وإنه لَقُبْح يشمئز منه الناظر إلينا. ولا شفاء لذلك الداء، ولا مزيل لذلك القُبْح، سوى العمل بموجب الحديث الشريف - صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك.

البرق، ٢٨ آذار ١٩٢٦، عدد : ٢٥٦١، ص: ١

\*\*\*\*\*

## بماذا يبرر الطائفون موقفهم

إن الطائفية كناية عن ربط البلاد بقيود تمنعها من النهوض

آلينا أن نسير في محاربة الطائفية حتى النهاية؛ فإما أن ينتصر دُعاتها علينا، وإما أن نُزحزحهم عنها.

وإنما نتهاك على تقليص شبح الطائفية اليوم، لاعتقادنا أنها الفرصة السانحة، الفرصة التي ستعض البلاد يدها ندماً إذا هي لم تغتنمها لمحو هذه الوصمة القبيحة عن جبينها؛ وتقوم هذا الجدار المُعوج من بنيانها.

نكتفي اليوم بوضع الدعائم التي أقام «الطائفون» عليها مذهبهم، معلقين عليها بكلمة موجزة.

قالت لجنة الدستور:

«قد أجمع المستشارون على شجب الطائفية، وتمنى أكثرهم زوال الأسباب التي تدعو إلى التمسك بها؛ وأعلنوا خجلهم من القول بوجود اعتمادها، على أن ١٢١ منهم اختاروها أساساً للتمثيل البرلماني».

نقول: إن شجب هؤلاء للطائفية وخجلهم منها، اعتراف صريح بأنها عار. ولا نظن وظيفة أو وظيفتين أو عشرة أو عشرين، تُضحي بها الطوائف اللبنانية، توازي هذا العار الذي ستزداد وصمته توسعاً وقبحاً، عندما نُنزل الطائفية بمُطلق إرادتنا في صُلب دستورنا.

أما «الأسباب التي تدعو إلى التمسك بالطائفية» فإنها قائمة في نفوسهم. أجل إنها قائمة في نفوس القائلين بها. فما عليهم بعد أن شجبوها وخجلوا منها، إلا أن يقتلعوها

من نفوسهم؛ ونحن نكفل أنهم لا يشعرون بأقل ألمٍ. لأنها ليست قطعةً من هذه الأنفس بل هي طفيلية لا يؤدي اقتلاعها ولا يضيـم.

ويقول أنصار الطائفية:

«إن البلاد تتألف من طوائف مختلفة العقيدة والتقاليد والعادات والآراء. فعدم اعتماد الطائفية في التمثيل يزيل التوازن فترجح طائفة على أخرى وينتج التحاسد والتباغض وبالنتيجة الفتن التي تأتي بأسوأ النتائج».

فنقول: إذا صح أن هذه الاختلافات تكون أسباباً للطائفية، فسموا لنا بلاداً مؤلفة من طائفة واحدة. أما التقاليد والعادات، فمن الضلال أن يقال إنها مختلفة. وإذا صح أن تكون الآراء السياسية سبباً للطائفية، فقد لزم أن تكون جميع بلاد العالم طائفية.

أما أن التحاسد والتباغض والفتن تنبعث عن عدم التمثيل الطائفي فهو تمويه ظاهر. أجل، قد يحدث دفن الطائفية شيئاً من حرب الكلام؛ ولكن هذا لا يجب أن يثبط من عزم واضعي الدستور وحاملي تبعته، لا سيما وهم يعلمون أنهم إذا دفنوا الطائفية اليوم فقد دفنوها إلى الأبد.

ويقولون: إن التمثيل النيابي هو عبارة عن صورة مصغرة للبلاد؛ وبما أن البلاد مقسمة إلى طوائف، فقد وجب أن يكون لهذه الطوائف ممثلون، وإلا جاء التمثيل غير صحيح.

فنقول: لقد تقدم لنا الرد على هذا الادعاء، ونزيد: أننا نريد أن نجعل أهل البلاد لبنانيين متضامنين متآلفين. وهم يريدون أن يجعلوهم طوائف لا تضامن بينها ولا تألف!

ويقولون: لم تزل البلاد قائمة على أساس الطائفية، وهي غير مستعدة الآن لتضحية هذه التقاليد؛ وليس من الهين أن تنقض في يوم واحد نظاماً تمشت عليه عمراً طويلاً.

فنقول: إذا كان ليس من الهين أن تنقض البلاد في يوم واحد النظام الطائفي وقد تمشت عليه عمراً طويلاً، فكيف يكون من الهين نقضه غداً، وقد أضفنا إلى هذا العمر الطويل عمراً آخر؟

إن الشعب بأسره لا يبالي بهذه التضحية؛ بل هو لا يعرف شيئاً عنها. فالذي يبالي بها إذن، والذي هو غير مستعد لها، هم أفراد يطمعون بالوظائف ويخشون أن لا ينالوها عن غير الطريق الطائفي.

ويقولون: «إن التمثيل الطائفي يحفظ للأقليات حقوقها، فيقطع المجال على الشكوى والتذمر».

فنقول: إننا نرمي، بقتل الحزبية الطائفية، إلى إحياء الحزبية السياسية، ومتى حييت الحزبية السياسية فقد حييت معها الكفاءات.

وليكون غداً أقرب إلى قلب المسلم، المسيحي الذي يجمعه وإياه هوى واحد وهدف واحد ومصلحة واحدة. وهكذا قل عن سائر أبناء الطوائف!

عندما رأى المسيو كايلا جعل قانون الانتخابات لا طائفيّاً، قام المرشحون في كل بقعة من الأراضي اللبنانية إلى وضع اللوائح الانتخابية. فما أخطأت لائحة واحدة عدم مراعاة عدد الطوائف. حتى لو جرى الانتخاب على المبدأ اللاطائفي، لجاء النواب كما هم اليوم تماماً. يدلك ذلك على أن الروية والإنصاف مستقران في النفوس، أضف إلى ذلك أن مصلحة المرشحين أنفسهم تقضي عليهم بإدخال جميع العناصر فيها تكثريراً لأنصارهم.

فإذا سير على هذا المبدأ، فلا تلبث الروح الطائفية أن تتلاشى مع الأيام، وهذا هو الدعامة الأولى لتوحيد كلمة البلاد.

أما قولهم إن الشعب لم يتربّ بعد على اعتبار الجامعة الوطنية فوق الجامعة الطائفية، فعلى افتراض أن فيه شيئاً قليلاً من الصحة، أفيجوز أن نبقي سائرين في تربيته على الطراز القديم؟ وإذا نحن سرنا أفلا نزيده توغلاً في هذه التربية؟ وهل من مصلحة البلاد أن نزيده؟.

وأخر ما قالوه: إن الطوائف في لبنان حلّت محل الأحزاب السياسية.



فنقول: إنها لكلمة كبيرة، نتيجتها الإجهاز على استقلال البلاد، وجعلها إلى الأبد ترسّف في قيود الرجعي، تكابد مرارات الانشقاق، وتؤدي ثمنه من دمها ومالها وشرفها.

ولماذا تكون الطائفية أحزاباً سياسية، وهل هذا القول صحيح؟

أفالموارنة يتفقون في ما بينهم على ترشيح رجلٍ منهم، وكذلك هل يتفق المسلمون؟ أو الأرثوذكس؟

إن الأحزاب السياسية وحدها هي التي يخضع أعضاؤها لمقرراتها. فأأي طائفة من الطوائف اللبنانية تجسر أن تدعي ذلك؟

والأعجب من كل هذا أن في الذين يقولون بالطائفية، مَنْ يشكو من نفوذ بعض المراجع الدينية، جاهلين أن في الطائفية ما يُقوي من ذلك النفوذ.

هذا ما نقوله الآن على أن نواصل غدا.

البرق، ٣٠ آذار ١٩٢٦، عدد : ٢٥٦٢، ص١

\*\*\*\*\*

## في سبيل الوفاق

نعمل على طمر الخنادق لتستطيع المرور إلى ما تريدون

«دعا الزميل الكريم أبو عبد الله، صاحب «البرق» الأغزر في مقال لماع، إلى ضرورة تكاتف الشبيبة الإسلامية والمسيحية، على إيجاد حل لهذا النزاع الطائفي أو السياسي القائم بين الأمتين، وطلب أن يُشكل حزب سياسي يقوم على عقيدة يشترك في وضعها الشبان على اختلاف الديانات، عقيدة سياسية تكون الهدف الأسمى للشبيبة السورية اللبنانية.

لا يعلم إلا الله كم استحسننا هذه الفكرة الطيبة التي ابتدعتها مخيلة بشارة الوقادة. وإنما بقيت بعض النقاط الأساسية في اقتراح الزميل مبهمّة؛ وقد اجتهدنا أن نتفهمها من خلال الكلمات المكشوفة التي كانت توحى إلينا بفكرة بشارة بكل صراحة، فلم نستطع إلى ذلك سبيلاً.

فالنقاط التي نريد أن نفهمها هي:

١ - إن الشبيبة الإسلامية مستعدة للدخول في الحزب الذي يقترح تشكيلة بشارة أفندي، ولكن إذا دخله فريق من الشبان المسيحيين، وكانوا بعقلية غير عقلية الأولين، فهل من ضمن لنا بقاء هذا الحزب أكثر من ثلاثة أرباع الساعة؟

٢ - إذا سلمنا جدلاً بأن عقد الحزب لم ينفطر، وبقي كل فريق متمسكاً بعقيدته، فكيف يمكن ضمانة العمل والحصول على نتيجة؟

٣ - وهل في مثل هذه الحال، يتنازل إخوان العزيز بشارة عن تصلبهم في رأيهم، والجري مع إخوانهم في سبيل وطنٍ قويٍّ موحدٍّ وموطدٍ الأركان؟

هذه هي النقاط التي أردنا أن نفهمها من الزميل صاحب «البرق» الأغزر. فعساه لا يَظُنُّ علينا بالجواب، حتى نواصل معالجة هذا الموضوع واستثماره بالخير إن شاء الله.

- الرأي العام -<sup>(١)</sup>

الله يعلم مبلغ الأثر الذي تركه صديقنا طه أفندي في نفسنا بالعاطفة النبيلة التي أرسلها نقية كشمائله - إنه أثر شكر بليغ!

إن الذي أوحى إلينا الدعوة إلى لم شمل الإخوان تحت سماء بيروت الحبيبة، تذكارات ماضية لم نملك النفس أن تسيل لها حناناً وألماً؛ تلك التذكارات العذبة الطاهرة.

يوم كانت القلوب جميعها تخفق للهناء الواحد والشفاء الواحد، يوم كانت العيون - العيون جميعها - تنظر إلى الأفق الواحد، وقد كانت مثله صافية نقية. يوم كانت دموعنا تسيل على خد واحد، وأرواحنا تسيل على حبل واحد<sup>(٢)</sup>.

إن من الآلام ما هو أعذب وأهنأ من جميع الملمات. أفلم تكن ألامنا الماضية ألد وأهنأ من كل ما نتصوره؟ إنه هناء وإنه لذة، ذلك لأن قوةً هي فوق كل قوة كانت تحول مراراتنا إلى حلاوة شهية. وتلك القوة هي الحب الذي كان يشد قلوبنا ويشد خيالاتنا، ويشد ماضينا بحاضرنا، بمستقبلنا.

لقد تهدمت تلك البناية الجميلة المحبوبة، بعاصفة من عواصف الحرب الكبرى؛ فنثرت أعضاء العائلة في كل مكان؛ حتى إذا التقت بعد ركودها، كان قد دب إليها شيء من السلوان، وبدا على الوجوه بعض الألوان، وفعلت السياسة فعلتها؛ فكان الذي هو كائن، وما شاء الله كان.

ذلك هو الباعث على دعوتنا إلى لم الشمل بعد تفرقة، غير جاهلين أن هناك مصاعب كبيرة. ولكن هل يجوز أن نترك الشمل يزداد تبديلاً، والمصاعب تزداد تعقيداً، ونحن الذين نحمل من تذكارات الماضي وآمال المستقبل ما نحسبه العون الأكبر على تذليل كل صعب؟

إن أول ما يجب أن نبدأ به، هو أن نعيد الطمأنينة إلى النفوس النافرة، ونزرع فيها بذور الألفة، ونعيد إليها سابق الحب. حتى إذا تم لنا ذلك عمدنا إلى نقاط الخلاف فعالجناها على أساس متين من حسن النية.

إن البناية التي نريد تشييدها، لا تقوم إلا على سواعد الجميع، ولا تتكاتف هذه السواعد إلا إذا تألفت. وكيف تتألف إذا هي لم تجتمع؟

يقول الصديق طه: إن هناك فريقين يتصلب كلُّ بمطالبه، وهو لأجل هذا يُحتم بفشل المهمة التي ندعو إليها. فنقول إنه لو لم يكن خلاف لما كان من لزوم لهذه الدعوة.

لقد قلنا مرارا إننا لسنا من خصوم الوحدة السورية، ولا نقول ذلك وحدنا؛ بل هناك كثيرون يقولونه منا. ونحسب أن في هذا القول ما يصلح أن يكون أساسا للتفاهم.

وإذا قلنا ذلك، فلا ننكر أن هناك قوات كثيرة لا تقول بقولنا. ولا ننكر أن هناك قلوباً مسمّمة من فريقينا. فنحن نريد أن نشفي هذه القلوب. حتى إذا شفيت اطمأنت إلينا، ثم اطمأنت إلى بعضها، فهانت مهمتنا.

نحن نعتقد أن هذا لا يتم سريعاً، ولكن إذا هو لم يتم سريعاً، أفيجوز أن نهمله بتاتاً؟ أفليس من واجبنا أن نسعى إلى توقيف الداء إذا لم نستطع استئصاله؟

وبعد، فماذا يُجدي التقاطع غير إبقاء القلوب حيث هي، والمصالح حيث هي؟ أفيمنع هذا التقاطع أن يمضي الدستور في طريقه، وأن يظل الحال على هذا المنوال؟

نحن نعتقد أن في مقدور فريق من الشبان المعتدلين أن يفعلوا شيئاً، وأن يمهّدوا لهذا الشيء، إذا هم اجتمعوا على الأسس الآتية:

١ - الإنقاذ قبل كل شيء. ٢ - عدم تشبث أحد الفريقين بمبدئه. ٣ - الإخلاص المتبادل. ٤ - الرغبة الأكيدة بالوصول إلى حلٍ مستطاع.

أي إخواننا! إن أمامنا الآن شعباً مريضاً نريد نحن أن نكون طبيبه. فتعالوا نحذو الطبيب في معالجته، حتى إذا شفي، سرتم به في الطريق الذي تشاؤون.

البرق، ٣١ آذار ١٩٣٦، عدد : ٢٥٦٣، ص: ١

\*\*\*\*

## الطائفية واللاطائفية

«الرأي العام» يدعم النفوذ الاكليركي من حيث يزعم هدمه

«ومن هنا تتضح غاية الإخوان<sup>(١)</sup> في مناشداتهم اللاطائفية. نعم إنهم يناشدونها حتى تذوب الكتلة الإسلامية الكبرى ضمن هذا الترياق الجميل اللون والمر المذاق.

وإذ كانت لا تخفى علينا هذه الحقيقة، فصار من البديهي أن يعارض المسلمون في اللاطائفية خشيةً من الوقوع في أحبولة سياسية تقضي على موجوديتهم السياسية أبدياً، لا سيما وأن لدى طلاب «لبنان الكبير» والمؤيدين له، وسائط عظيمة باعتبار أن الحكومة بيدهم، لأجل إضعاف الكتلة الإسلامية الكبرى بهذا المحيط.

فتسليمنا باللاطائفية إذن هو تسليم بالرضوخ إلى السيطرة المارونية، والتنازل عن التفوق المحسوس الذي تملكه بالنفوس والنفوذ والثروة.

بعد اتضاح هذه الحقائق، يحق لنا أن نُعجب كثيراً لمحاولة بعض الرصيفات ترويح السياسة اللاطائفية التي ينطوي تحتها، كما علمنا آنفاً، غايات هي بعيدة في الحقيقة كل البعد عن المبدأ اللاطائفي (الذي نحبه، عندما يكون مبدأً لا غايةً، كل الحب)».

- الرأي العام -

نكاد لا نصدق أن زميلنا الأديب طه أفندي المدور يقف في طليعة أنصار الطائفية، ونكاد لا نصدق أنه يتهمنا في الموقف اللاطائفي الذي نقفه مستهدفين فيه لسهام الإكليركية تترامى علينا من كل جانب. ونكاد لا نصدق أنه يكتب مقتنعاً، لا سيما بعد مطالعته مقالنا الذي عنوانه: «ماذا يخشون من الطائفية».

إننا لا نطلب من الزميل كبير أمرٍ بل جُلُّ ما نطلبه أن ينشر ذاك على صحيفته ويفند بنوده بنداً بنداً، حتى إذا فعل نزل كلانا عند حكم المفكرين من قراء جريدته. فلعلهم يُنصفوننا أكثر مما أنصفنا الزميل. ولعلهم على الأقل لا يتهموننا في إخلاصنا لقضية القومية.

على أن الأمر الذي لم نهتدِ إلى حله، هو أنه كيف نكون نخدم العنصرية المارونية بمناداتنا باللائطائفية، واللائطائفية معناها تذويب العناصر الدينية في بوتقة القومية الكبرى؟.

وكيف نكون نخدم العنصرية المارونية أو المسيحية، وموقفنا مناقض كل المناقضة لموقف الإكليروس الماروني، بل الإكليروس المسيحي الذي أجمعت أجوبته إلى لجنة الدستور، على تأييد الطائفية، وعلى أنه لا يرضى عنها بديلاً؟ أفنكون إذن من مؤيدي النفوذ الماروني أو النفوذ المسيحي، وقد وقفنا في وجه زعمائهما ننقض ما بنوه وننفي ما أثبتوه؟

إن الزميل صاحب «الرأي العام» بموقفه الطائفي هذا، ليؤدي أجل خدمة للعناصر الإكليركية المسيحية، بل للقضية اللبنانية، خدمةً سينقشونها له بمداد الحمد.

أليس غريباً أن يقف الزميل طه أفندي في وسط القلانس والبرانس السوداء، فيرمي معهم عن سهم واحد، إلى هدف واحد، ثم يقول إنه يريد أن يقلص من نفوذهم ويخفض من شأنهم؟

لا يأذن الله أن نتهم الزميل طه أفندي، ولكننا لا نتردد في أن نقول له إنه يطعن القضية التي يزعم أنه يخدمها، طعنةً نجلاء، ويجعل من يراعه دعامةً للنفوذ الإكليركي من حيث لا يدري.

سترى أيها الزميل إذا - لا أذن الله، وجعلت الطائفية أساساً للوظائف - ستري بعينك سراي الحكومة أشبه بكرسي بطيركي - لكثرة من يتردد عليها من الإكليركيين وقد جاءوا يطالبون بحقوق «أبنائهم» في الوظائف التي قررها لهم الدستور وساعدت أنت على تقريرها.

ستسمع أيها الزميل غداً عصا الأسقف يقرع بلاط السراي، طالباً ما خص  
الدستور به طائفته من الوظائف، وكثير منها في يد أبناء طائفتك.

وعلى الجملة فسترى أيها الزميل أننا أخلصنا وأساءت، وأننا أصبنا وأخطأت.  
وليكن شهودنا على المستقبل، ما كتبنا وكتبت. والله خير الشاهدين.

البرق، ٧ نيسان ١٩٢٦، عدد: ٢٥٦٧، ص: ١

\*\*\*\*

## هوامش الباب الثالث

### مقالات اجتماعية

الفقر والغنى على باب الشتاء..... ٣١٧

١ - مكاتب: مراسل جريدة المقطم في بيروت، و«المقطم» واحدة من كبريات الجرائد المصرية، أنشأها يعقوب صروف. في شباط ١٨٨٩ وقد تحولت فيما بعد إلى مجلة شهرية ظلت تصدر حتى تاريخ متأخر.

خطرات أفكار بين القصور والأكواخ..... ٣١٩

- ١ - عاصمة جمهورية بولندا.
- ٢ - الشيوعيون الروس.
- ٣ - لعلها كييف عاصمة جمهورية أوكرانيا.
- ٤ - (الضهارة) ربما قصد بها الظهارة، وهي أن تجعل للثوب ظهراً أي أن الشخص المعني ثيابه مرقعة لشدة فقره.
- ٥ - السينما توغراف: آلة معدة لعرض الصور المشبحة على الشاشة البيضاء، دار تعرض فيها مشاهد سينمائية (المنجد، مصدر سابق، ص ٣٦٩).

ليس الدائنون كلهم بل الأسافل كلهم..... ٣٢١

- ١ - الأحوال، جريدة يومية بيروتية، أنشأها خليل البدوي، في أول آذار من عام ١٨٩١ وكان لهذه الجريدة حظ وافر من النجاح لدرجة أنها كانت تصدر مرتين في اليوم صباحاً ومساءً لعدة أعوام. (انظر تاريخ الصحافة العربية لـ الفيكونت فيليب دي طرازي ج ٢/ص ٦ و ٧ مع الحواشي).
- ٢ - ترددت في هذا المقال وفي مقالات أخرى عبارة «الورق التركي» أو «العملة الورقية» وهي عملة أنزلها الأتراك إلى الأسواق لأول مرة في تاريخ البلاد أثناء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦، وكانت قيمتها متدنية جداً واستغلها المرابون وتجار الحروب لإقراض المحتاجين المضطرين، على أن يستردوا بدلاً منها عملة ذهبية، واستولوا من خلالها على أراضٍ وعقارات كثيرة.

بنات لبنان في الولايات المتحدة..... ٣٢٣

- ١ - حمّانا، أحد مصايف لبنان الجميلة، في قضاء المتن من محافظة جبل لبنان.
- ٢ - المطران أنطوان عريضة (١٨٦٣ - ١٩٥٥) ولد في بشري، بطريرك الموارنة عام ١٩٣٢ .
- ٣ - بحر صاف، أحد مصايف المتن الشمالي، بمحافظة جبل لبنان.
- ٤ - جريدة الهدى، أسسها نعيم مكرزل في مدينة نيويورك، شباط ١٨٩٨، كانت شهرية في البداية، ثم تحولت إلى نصف أسبوعية، فألى جريدة يومية. وكانت في نظر الكثيرين، عروس الجرائد العربية بلا منازع. (تاريخ الصحافة العربية ج ٢/٤٠٨).
- ٥ - قصد بالأخوين، فريقيّ اليتامى المشار إليهما في السطرين السابقين.



## ٣٢٨ ..... ذكرى الفصح

- ١ - في صبيحة أيام الصوم ويكون يوم إثنين، يبكر المسيحيون إلى الكنائس، فيرسم الكاهن على جباههم صليباً، من رماد مصلّى عليه تذكيراً لهم بأنهم من التراب هم، وإليه ينتهون.
- ٢ - المفاضة والمفاضة (بالصاد والسين) قيام اثنين بكسر البيض المسلوق بينهما. وذلك من طقوس أيام الفصح لدى المسيحيين، في لبنان، ويرمز البيض هنا إلى ولادة الحياة، عبر خروج الفرخ من البيضة.
- ٣ - البيضة الماكنة، أي القوية التي لا تنكسر أثناء مفاضات البيض!

## ٣٣٠ ..... كل عام وأنتم بخير

- ١ - سوق سرسق، سوق تجاري كبير، يقع بمحاذاة ساحة البرج - أو الشهداء سابقاً.. تباع فيه معظم أنواع الملابس ولا سيما لذوي الدخل المحدود، ويُشبه أسواق الحميدية في دمشق، والموسكي في القاهرة، وقد دمرته الحرب الأخيرة في لبنان. ولم يُعد له أثر.
- ٢ - قصد بهؤلاء، أسرة العيد التي أصبحت في رأس السنة على حزن واكتئاب!!

## ٣٣٢ ..... داء السياسة لا يشفيه إلا العمل

- ١ - قصد بها معظم الأعمال التي ترتبط بالأشغال ومصلحة شؤون السيارات ولا يزال المصطلح مستعملاً لهذا الغرض، حتى اليوم.
- ٢ - نهر إبراهيم نهر لبناني ينبع من مغارة أفقا، إلى الشرق الأقصى من قضاء كسروان، بمحافظة جبل لبنان، ويصب في ساحل البحر المتوسط، في منتصف المسافة بين جبيل وجونية.

## ٣٣٥ ..... حاربوا الفقر بالاقتصاد

- ١ - البهورة، لفظة تستخدمها العامة للتدليل على مظهر كاذب في الثروة والقوة والمكانة، وأصلها من البهر: الإدهاش وما يشبهه، وقريب منه: البهرج...
- ٢ - تكرار يومي إلى مقولة جمال الدين الأفغاني.
- ٣ - عدلها المراجع إلى (النساء)، ولكنها في الأصل (للنفساء) ويرجحها ما ورد بعدها في المادة الخامسة من منع إقامة حفلات الختان.

## ٣٣٨ ..... إلى بعض الأغنياء

- ١ - لغة في قرش، وهو جزء من مئة من الدينار أو الجنيه أو الليرة.

## ٣٤٠ ..... لبنان بين مخالب الرزايا

- ١ - اسماعيل باشا صبري (١٨٥٤ - ١٩٢٣) من شعراء الطبقة الأولى في عصره. وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في مصر. ولد بالقاهرة وتوفي فيها. له ديوان مطبوع.

- ٢ - هو ليون كايلا حاكم دولة لبنان الكبير من ١٩٢٥ - ١٩٢٦ وهو آخر أربعة حكام تعاقبوا على الحكم بموجب النظام المؤقت ويتم تعيينهم من قبل المفوض السامي لسوريا ولبنان آنذاك.
- ٣ - كلمة غير واضحة في الأصل، ولعلها الحكم أو النهم أو شيء من هذا القبيل.

#### ١٩٣٠ - بين الأمس واليوم والغد ..... ٣٤٣

- ١ - التَّبَج: علوُّ وسط البحر إذا تلاقت أمواجه، والتَّبَج أيضاً: كل ما هو وسط في الرمل والظهر والصدر، والليل. والراجح أنه قصد به ههنا، الظهور السَّريع والارتفاع الآني، سرعان ما يزول ويختفي...
- ٢ - طفحى (فعلى) مؤنث طفحان، أي ممتلئ حتى الإفاضة..
- ٣ - المؤلف، أن يقال: «حفنة» تأكيداً لصغر الشأن وهزال التأثير. والحفنة والقبضة، في معنى واحد هو ما تملأ به كفك أو راحتك.
- ٤ - نسبة إلى شخصية كشكش بيه التي ابتدعها نجيب الريحاني، وعرضت في الكثير من مسرحياته. وتمثل شخصية عمدة إحدى القرى.

#### يا موت خذ ما أبقت الأيام مني ..... ٣٤٥

- ١ - فوزي اسماعيل الغزي - أحد رجالات سورية الميامين في النضال والترقي العلمي انتُخب رئيساً ثانياً للجمعية التأسيسية سنة ١٩٢٨ توفي في دمشق سنة ١٩٢٩.

#### في الحياة الاجتماعية

#### الما بين في لبنان ..... ٣٥١

- ١ - القول لزهير بن أبي سلمى، من ميمنته، التي مطلعها: «أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دَمْنَةً لَمْ تُكَلِّمْ...» وتامم البيت: وَمَنْ يَغْتَرِبَ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ  
وَمَنْ لَا يُكْرِمَ نَفْسَهُ لَا يَكْرِمَ  
(ديوان زهير، صنعة ثعلب، مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٤٤، ص ٤ و ٣٢).
- (٢) هذا القول، عجز بيت شعري قاله أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ/١١١١م، وهو خارج من خلوة روحية دامت شهرين، مجيباً عن سؤال عما تحصل له من خلوته، قائلاً:  
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكَرُهُ  
فَلِظَنْ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ  
وقد عدل فيه الأخطل، ساخرًا، مستخدماً (الشر) مكان (الخير)..

#### الهجرة اللبنانية

#### ماذا يُعَوِّزُ العيد أين المهاجرون؟ ..... ٣٥٧

- ١ - المقصود بـ «غداً» هو أول أيلول ١٩٢٠، الذي أعلن فيه لبنان الكبير.
- ٢ - الذات المقصودة، هي الوجيه البيروتي، صاحب الزعم المشار إليه.

### ٣٥٩ ..... دمعة على الطلل البالي

- ١ - الريجي: دائرة حكومية تعنى بشؤون التبغ والتنباك. وهي لا تزال تعمل حتى اليوم.
- ٢ - الدسكرة: القرية العظيمة، جمعها دساكر. (المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٨٣، مصدر سابق).

### ٣٦١ ..... المهاجرة في البيان الوزاري

- (١) يعني بالوزير الأول رئيس مجلس الوزراء، ولا يزال هذا المصطلح معمولاً به في دول عربية كالمغرب وتونس.

### ٣٦٥ ..... الجنسية الضائعة

- ١ - هو نعوم مكرزل، سبقت ترجمته.
- ٢ - هي معاهدة الصلح المعقودة بين تركيا والحلفاء عام ١٩٢٣. سميت باسم مدينة لوزان السويسرية التي عقدت فيها.
- ٣ - سبقت الإشارة إليه.

### ٣٦٧ ..... من لهذه الراية

- ١ - هكذا في الأصل ولعلها كورقة (الخریف)؟.
- ٢ - تريّيب: ارتاب..

### ٣٧٠ ..... لوملكت الأمر يوماً وليلة

- ١ - هذه الأبيات لشيخ مشايخ الطرق الصوفية وإمام الطرائق الإسلامية: محيي الدين بن العربي. الأندلسي، الحاتمي، الطائي، المولود في مرسية بالأندلس ٥٦٠ هـ/١١٦٤م والمتوفى في الشام ٦٣٨ هـ/١٢٤٠م والأبيات من قصيدة بعنوان: «تناوحت الأرواح»، قوامها ستة عشر بيتاً، لم يُذكر بينها البيت الأول من الأبيات الأربعة التي استهلّ بها الأخطل الصغير، مقالته. (انظر: «ترجمان الأشواق» لابن العربي، دار صادر - بيروت ١٩٦٦، ص ٤٠-٤٤).
- ٢ - أسماء رمز بها للديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلامية.

### ٣٧٢ ..... إلى أخي في عيده عاطفة تتجدد

- ١ - جَمْعٌ غير موجود في العربية. فالقسُّ (وهو الراهب - الكاهن) يُجمع على قساوسة وقسّيسين، وقساوسة، على غير قياس، وقُسُوس.
- ٢ - إشارة إلى المهاجرين اللبنانيين في مصر ومنهم رواد في الصحافة والأدب والفكر.

### ٣٧٦ ..... بناياتنا الوطنية لا تقوم على الجمالة الدينية

- ١ - إشارة إلى مطلع قصيدة لأبي نواس:  
دع عنك لومي فإن اللوم إغراء  
وداوني بالمتي كانت هي الداء  
(ديوان أبي نواس، شرح د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٨، ص: ٢٧).

٢ - ابن سينا: (٩٨٠ - ١٠٣٧م) عرف بالشيخ الرئيس. فيلسوف وطبيب وعالم. من مؤلفاته «القانون» في الطب و «النجاة» و «الإشارات والتنبيهات» و «الحدود» في الفلسفة والمنطق. وله قصيدة مشهورة في النفس. وكان ذا ميول صوفية عميقة.

٣ - كثيراً ما يقتبس الكاتب أجزاء من آيات قرآنية كريمة أو يشير إليها، وهنا يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. جزء من الآية (١١) سورة الرعد.

#### ٣٧٨ ..... في سبيل الوثائق من أنتم ومن نحن

١ - هكذا وردت في الأصل ولعلها مصحفة وربما تكون (الانقسام) أو (الانقسام).

٢ - البلاغ، جريدة أنشأها محمد الباقر عام ١٩١١ في بيروت.

٣ - اللسان، لعلها لسان الحال، أنشأها خليل سركيس عام ١٨٧٧ في بيروت. وبالباحث في المنجد، وجدت مجلتان تحملان اسم «لسان العرب» أنشأ الأولى نجيب وأمين الحداد عام ١٨٩٤ في الإسكندرية والأخرى أنشأها عبدالغني العريسي، وفؤاد حنتش في بيروت عام ١٩١٢.

٤ - لعلها «القوم» وصحفت، يشير الكاتب إلى أسماء صحفيين وصحف لبنانية. أما إن كانت «القوم» فلعله يعني بها جماعة الرجال، فكلمة القوم تعني الرجال دون النساء عند العرب. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ سورة الحجرات، الآية (١١).

وقال زهير بن أبي سلمى:

ومما أدري وسوف إخال أدري  
أقوم آل حصن أم نساء

#### ٣٨١ ..... مولد الرسول العربي الكريم

١ - سورة المائدة، جزء من الآية ٨٢.

١ - ربما تكون يسوء أو يساء، وحدث خطأ مطبعي.

٣ - لويس باستور (١٨٢٢ - ١٨٩٥) عالم فرنسي اشتهر بدراساته عن الجراثيم واكتشافه لقاحاً ضد الكلب.

٤ - أيضاً هنا ينظر الكاتب إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾، سورة المائدة، الآية (٩٠).

#### ٣٨٤ ..... المولد السعيد

١ - كانت هذه المقالة موضع إشادة من الأوساط الإسلامية، انظر نص رسالة عبدالباسط فتح الله وصورتها إلى الكاتب في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سابق، ص (٢٤٥ - ٢٤٨).

٢ - يوم الرداء والحجر: إشارة من الكاتب إلى ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وكان عمره (٣٥) سنة، بين قبائل قريش التي جمعت الحجارة لإعادة بناء الكعبة المشرفة، وعندما بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى، حتى بلغ الأمر بينهم الاستعداد للقتال. فاحتكموا إلى أول داخل من باب المسجد ليقضي بينهم فكان أول داخل هو الرسول الكريم، فأخبروه الخبر، فقال: هلم إلي ثوباً، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه، وكان حكمه موضع اتفاق الجميع.

(انظر: السيرة النبوية لابن هشام، دار مكتبة الهلال، المجلد الأول، ص: ١٥٨ وما بعدها).

٣ - إنها ليست وصية للرسول بل هو قرآن كريم، الآيتان ١٠٩ و ١٠٨ من سورة الضحى. وقال هنا تعود إلى الله عز وجل وربما أراد الكاتب: قول الله عز وجل على لسان الرسول ﷺ.

لماذا تكتمون العلة إذا أردتم الشفاء ..... ٣٨٦  
١ - مجلة أنشائها خير الدين الأحذب في بيروت عام ١٩٢٥.

الفصل بين الحكومة والمعبود ..... ٣٨٩

١ - كتب الخوري أنطون عقل مقالاً نشره «البرق» بتاريخ ٢٨ أيار ١٩٢٥، وجهه إلى الأخطل الصغير معاتباً إياه لقيام هذا الأخير بكتابة مقال، نشره في عدد سابق، من البرق، دعا فيه إلى الفصل بين الحكومة والمعابد ورجال الدين.. فرد عليه الأخطل بالمقال الموسوم أعلاه.

٢ - مفردها فرّمان: عهد السلطان للولاة «فارسية» المنجد، ص: ٥٨٠

صلِّ. أحسن. قل الحق ..... ٣٩٢  
١ - ليست هذه الأقوال حديثاً واحداً، بل هي أحاديث ثلاثة، وردت في مواضع مختلفة على شيء من الاختلاف في الصياغة والتركيب.

في سبيل الوفاق ..... ٣٩٨

١ - الرأي العام، جريدة لبنانية بيروتية، أنشأها طه المدور، في ٣٠ آذار ١٩١٠.

٢ - أراد حبال المشانق التي نصبت لأحرار لبنان والبلاد السورية في ساحة الشهداء في بيروت وغيرها .

الطائفة واللائق ..... ٤٠١

١ - أي الأخطل الصغير وأبناء طائفته. وقد شرح الأخطل مناسبة مقالة صاحب جريدة الرأي العام، في سياق ردّه الملحق.

\*\*\*\*

ایضاً

## الباب الرابع

### مقالات أدبية

ابيض



## على الملعب

الجبار<sup>(١)</sup> الذي كان يُعبد في تركيا، زلَّ به العرش إلى مرسحٍ في بيروت. والظل الذي كان يخيم الرعب فيه على الرؤوس، محقته شمس القوة.

عُدَّ دقيقةً إلى ما قبل الدستور، وضع أذنك على قلوب القوم، تسمع نبضاتها. ويكفي لأن تفوه باسم عبدالحميد ليُزج بك في الهاوية.

قل: وليُّ النعم بلا امتنان، ومالك رقاب العباد، وإلا فأنت هالك.

أحرقُ البخور مع الملايين على قدمي سلطانك، وإلا فأنت زنديق. وإذا لم تعمل من نفسك عبداً يُقبل رجلُ الظالم، ويُعفَّر جبينه في التراب الذي تدوسه قدماه، فأنت رجل مارق على هدم العرش وخراب الأمة.

ويلٌ لك إذا كنت لا تنتظم في هذا السلك الفريد! أمامك البحر، وأمامك السجن، وأمامك النار. فاختر لنفسك واحداً من ثلاثة، إذا أقمت في بلاد عبدالحميد سلطانها.

وكما يتلاشى الدخان المتصاعد في الفضاء، تلاشت تلك القوة. وبأسرع من رفة الجفن استحال الجبل الوعر إلى سهل خصب. وكما يمحو الولد الكتابة عن اللوح محت إسفنجة الأيام كلَّ ما كان من أمر عبدالحميد بالأمس.

وهوى العرش بالسلطان إلى أسفل، وزُحزحت رجلاه عن رأس الأمة وصدرها، فتنفَّس الصعداء كل ذي حياة في المملكة العثمانية.

ولكن أصوات المدافع بالأمس تركت في الآذان دويًا ملازمًا. والسُّورة التي ولدتها خمرة الفوز، لا تزال تلعب برؤوس العدد الأوفر. فإذا نحن لم نتفاهم فلم دويُّ المدافع، وإذا نحن سقطنا مراتٍ على الطريق، فلأننا لم نعتد خمرة الفوز من قبل.

وعاد الهدوء إلى جسم المملكة. والغراب الذي وكره في «اللاتيني»<sup>(٢)</sup> اليوم يقف في

مرسح «زهرة سوريا» أمام المئات ليقول كلماتٍ وضعها في فمه أمين الريحاني.

ورُفِع الستار ثاني مرة، فضج القوم: عبد الحميد! لم يكن بين صاحب الاسم ورجل المرسح من فرق. ومتى علمت أن الممثل كان عزيز عيد<sup>(٣)</sup> صغرت المبالغة عندك.

وكان في لهجة الشبح وحركاته جمال تولد عند ملائمة الجودة في التمثيل. فإن ليلة الأمس كانت شريفة في غايتها، جميلة بمن حضرها مفيدة بمغزاها.

الرواية فصل واحد قال فيها صاحبها، إنها وقفة على باب هذا الفن.

إن الروايات التي تُمَثَّل أخلاقنا وعاداتنا، فترينا موضع الضعف فينا فنتجنبه، لهي التي يجب أن تحتفل بها المراسح.

لا يهمننا أن نرى ملك فرنسا على مسرحنا، ولكن يهمننا أن نرى سلطاناً خلعتة الأمة كعبد الحميد، يعترف بجرائمه أمام الشعب الذي كان يقده، فيزول اعتقاد الشعب بالآلهية، بالآلهية سلطانه.

يهمننا أن يرى الشعب أن اليد التي كانت تقبلها الملايين من البشر كانت تغمس بيد<sup>(٤)</sup> إخوانه. يهمننا أن يعلم أن السلطان المخلوع كان صورة غضب الله على الأمة ونذير بلائها. فيهون عنده بعد ذلك خلع رجلٍ كان يعتقد أنه تحت الإله وفوق الإنسان.

أنكر المجرمون في سجنهم هذه المعاملة اللينة، وساءهم أن يكون المجرم الكبير يتنعم بين الجواري والخدم، ويتقلب على الحرير والأطلس، وهم هم المجرمون الصغار، يعاملون بتلك القسوة، ويزج بهم إلى قعر مهواة من اليأس مظلماً.

أنكروا ذلك وقالوا أن ليس للسلطان معدتان، ولا العدل له ميزانان. وقبحوا وجه الأمة مدانة<sup>(٥)</sup> الحكومة، وطلبوا أن يأتوهم بسلطانهم لأنه مجرم، وهم مجرمون، سفاح وهم سفاحون.

ورأى الحضور طلب السجناء عدلاً، فصفقوا له، وامتزجت روح المؤلف<sup>(٦)</sup> بروح القسم الراقي منهم، ورأى الآخر بعين الحس ما لم يكن ليصل إليه عن غير طريق المرسح، فرضخ لبراهين السجناء في السلطان، وهان عليه أن يراه سجيناً بعد أن كان يرفض أن

يراه حتى على المسرح عزيزاً.  
واعترف عبدالحميد بما اقترفه من الذنوب وأصلته الأشباح حرباً عواناً، ليلةً  
بتمامها. فكان تارةً يُحس بالموج يلطم خده، وطورا يشير إلى الأشباح التي أكسبتها  
تموجات الكهرباء جمالا.  
«أسرير في القصر أم قارب في البحر».  
قال ذلك، وقد ألقى بيديه المرتجفتين الناحلتين على سريريه، يحسبه قارباً وتمنى  
عبدالحميد الموت، وما كان الموت ليدنو من سلطانه، فبقي رهين العذاب كثير المخاوف.  
تلك هي الرواية من حيث موضوعها. إنها إحدى ليالي عبدالحميد في منفاه فهي  
إن «ليلة الاتيني» ولا بأس أن يكون ذلك اسماً لرواية الريحاني.  
وحبذا لو أضاف المؤلف إليها فصلاً آخر، يكون كالخاتمة لها، بحيث يضيف إلى  
عداد الممثلين بطلاً أو بطلين من أبطال عبدالحميد في بلدز<sup>(٧)</sup> فيعمل من هذا الفصل رواية  
تكون ذات شأن في عالم المراسح.  
إن إقبال الناس على ما يقوله الريحاني كفيل بنجاح رواياته، ومن العار أن تكون  
مراسحنا خالية من المراسح الوطنية.  
فعلى أدبائنا أن يضحوا وأن تكون التضحية عزيزة. والذي لا ينال اليوم ينال  
غداً، ومن رام أن يجني العسل لا ينجو من إبر النحل.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩٠٩، عدد: ٥٧، ص: ١

\*\*\*\*

## الصحافة والحياسة

لا أنصف إذا دعوتها رأس قلم، فهي أشبه برأس الحربة منها رأس القلم.

أريد بذلك كلمة الصفاء<sup>(١)</sup> بعنوان «الحياسة والصحافة». وأظن الكاتب غبن الحائك فيها، لأنه حتى في ذلك الزمن كان يفرق بين (المكوك) والقلم، أما بعض حملة الأقلام اليوم، فلا أبالغ إذا قلت إن معظمهم ربما كتب بالأول وحاك في الثاني.

واليك كلماتٍ من تلك الكلمة:

انقضى الزمن الذي كانت الحياسة فيه خير حرفةٍ للمتعلل - ولكن الزمن حال<sup>(٢)</sup> - فأصبح الذي لا يستطيع أن يتقلد عملاً أو يتعاطى تجارةً أو صناعة، يعتمد إلى أنبوبة من القصب فيبريها قلماً، أو يجعل نفسه صحفياً. وهكذا قامت الصحافة مقام الحياسة وناب القلم عن الوشي<sup>(٣)</sup> (المكوك) والصحيفة عن لوح المنوال<sup>(٣)</sup>، وسبحان مُغيّر الأحوال...

ونظرنا فإذا الجرائد في عدد الجراد، وإذا رجال الصحافة جيش عرمرم اختلط فيه الحابل بالنابل، وزاحمت ساقته المقدمة. وإذا في سورية ولبنان من الجرائد ما لا تجده في أوروبا وأميركة ومصر...

يتوهم بعض الناس أن كل من عرف كيف يبري القلم، أو يُعرب الجملة، أهل لأن ينشئ جريدةً أو مجلة، ويحشر نفسه في زمرة أرباب الصحافة. فهذا التوهم بعيد عن الصواب بعد القطب عن القطب، لأن الصحافة - مثل كل مهنة - لا يتقنها إلا من خُلق وفيه لها استعداد فطري، وله من سلامة الذوق وجودة الملكة، وحُسن الاختيار، ومثانة الأخلاق، وشرف الخلال، ما يجعله باحترافها، خليقاً. وهل يستطيع كل انسان أن

يكون شاعراً أو مصوراً أو موسيقياً أو مخترعاً، فيستطيع كل من عرف كيف يبري قلماً فيخط به سطرًا أن يكون صحافياً؟؟.

وأية غضاضةٍ لحقت العربية، مثل أن تقرأ المقال الضافي في بعض الجرائد، فلا تأتي عليه حتى تكاد عينك تبتدران أسىً على لغة البيان التي أنزل بها القرآن؟ حيث تجد الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً؛ والمجرور مرفوعاً والمنصوب مجروراً؛ وما حقه التقديم، مؤخراً، وما حقه التأخير، مقدماً. إلى غير ذلك من الخليط والخبط اللذين تتصونُ عنهما الصحافة الراقية. فلئن يكن بعض أصحاب الجرائد والمجلات قد عزز اللغة ورفع لها شأنًا فقد هبط بها البعض الآخر من قبس عزها وسبب لها امتهاناً.

أما إذا لم يكن في الإمكان تدارك الأمر، ولم يكن بدُّ من إقامة الصحافة، في هذا الزمن، مقام الحياكة للذين يترددون بلا عمل، فالأخلق ببلغاء المنشئين والأكفاء من رجال الصحافة أن يكسروا أقلامهم ويُمزقوا صحائفهم، ويعقدوا حفلةً يؤبنون بها هذه اللغة المزدرة قبل أن تدرج في رمسها و■ لكل أجل كتاب●<sup>(٤)</sup>.

البرق، ٤ نيسان ١٩٢٣، عدد: ١٨٠٠، ص: ١

\*\*\*\*

## السياسة في الشعر

ننقل ما لنا «وما علينا»

لَا هَمَّ لِّلْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُمْ  
يَا شَرْقُ عَبْدًا مَتَى يَا شَرْقُ تَتَّحِدُ  
لَكُمْ أَنْكُرُوا الْيَوْمَ مَا بِالْأَمْسِ قَدْ مَنَحُوا  
وَحَقَّقُوا الْيَوْمَ مَا بِالْأَمْسِ قَدْ جَحَدُوا  
كامل شعيب  
كأنا وإياهم عبيدٌ وسادة  
كأنا شياءٌ والمُسودُ ذيبٌ  
وقالوا لنا أنتم مِراضٌ وكلُّنا  
لأمراضكم لو تعلمون طبيبٌ  
فقلنا صححنا .....

نجيب خلف<sup>(١)</sup>

نحن لسنا من عشاق السياسة في الشعر لا سيما الذي هو من هذا الطراز. فإذا كان الشعر ابن الخيال، كما يقولون، وكانت النقائص التي نحاربها حقائق، كنا كمن يحارب الحقيقة بالخيال وما أفلح هؤلاء.

قد تثير إحدى حوادث السياسة أو إحدى مفاجأتها الكوامن في نفس الشاعر الفحل، فينظمها شعراً فحلاً تتغلغل دقاته في النفوس، فتفعل بها فعل الكهرباء. وكثيراً ما غيرت قصيدة وجه بلدٍ وغيرت وجهة ذويها. وهذا لا يزيد عن أن يكون بيضة الديك أو فلتة الدهر.

أما أن نردد ما رثَّ حبله أو كاد، ثم لا نملُّ هذا الترداد، فقد بطل أن يكون ذلك شعراً، أي إحساساً دقيقاً؛ لأن الشعر أشبه بالسلك غير المنظور، يحمل من النفس إلى

النفس حباً أو بغضاً، ضحكاً أم بكاءً، عقلاً أم جنوناً، إلى آخر ما تريده نفس الشاعر من نفس القارئ.

وليس هذا في شيء مما قرأناه للسيد شبيب وخلف. بل هما طرقاً موضوعاً يحتمل الأخذ والرد، لأنهما رشقا فيه عن قوسٍ واحدة لا فرق بينهما إلا أن الأول عمم، والثاني خصص؛ وكلاهما قصد كراهية الأجنبي وتبيين معاييه، مرسلين الحجاب على مصائب الأمة التي هم منها على جهلها وخمولها، على تقسيمها وتباغضها، وهما لو أنصفا لعمداً أولاً إلى شفاء الأمة من أمراضها، حتى إذا نقهت انفض من حولها الأطباء راضين أو مكرهين.

فتح الأستاذ شبيب عينه الواحدة على الغرب فرأى أنه يستعبد الشرق، وأنه يستعيد ما منح، وينكتُ بما وعد، وهو لو فتح عينه الأخرى لرأى هذا الغرب يُنشئ المدارس في الشرق ليعلم أبناءه. وهل كان العلم طريقاً إلى الاستعباد؟

ولرأه يُحدث الإنشاءات فيُقرب المواصلات ويُسهّل نقل المنتوجات إنماءً؛ وهل كان العمران سبيلاً إلى الاستعباد؟

ولرأه ينشئ المياتم والملاجئ لا يسأل عن الإحسان ثناءً، فهل يجوز أن يُتهم المحسن. ولرأه يقاسم الشرق ميراثه من علم واختراع سعيّاً وراء المغنم العامة والخاصة ويدعوه إلى مشاركته في الغنيمة بحيث ينال كلُّ على قدر ما قدم؛ فأين من هذا الأثرة والكران؟

ولو هو نظر أيضاً، بهذه العين وقارن بين البلدان التي تماشت بالتمدن الغربي، وغيرها، لظهر له فضل هذا التمدن مما يتبينه من الجون العظيم بين البلدان المتماصة به وغيرها من البلدان المعتزلة عنه.

ولو هو دقق في أمراض الشرق الكثيرة، وأفتكها داء التعصب الطائفي واضمحلال الجامعة الوطنية، لرأى أننا لا نستغني عن الغرب لنقتبس عنه درساً عالياً في إحياء الجامعة الوطنية والقضاء على التقسمات الطائفية.

نحن لا نقول للأستاذ أن ينظر بهذه العين وحدها، بل أن ينظر بعينيه الاثنين فيعمد إلى الحسنات والسيئات فينا وفي غيرنا، حتى لا نُتهم بأننا أمة معتزلة لا ترى في الغريب حسناً ولا حسنى، وهو شر معائب البشرية في هذا العصر.

وبهذا أو بشبهه نخاطب الأستاذ خلف صاحب القوائد الرنانة في القضاء<sup>(٢)</sup> الوطني. وكم كان يُحسنُ الأستاذ إلى موضوعه وإلى قرائه لو عالَج موضوعه بالكلام المنتثر، لأنه أوقع وأوسع ولأن القراء كثيراً ما تتوارى أفكار الأستاذ عنهم خلال بعض القوافي وهن غير سوافر.

ثم أفلم يكن يجدر بالأستاذ، وهو ينعى القضاء الوطني أن يوجه ولو بعتاب خفيف إلى القضاة الوطنيين - الذين لم يستطيعوا أن يطهروا قضاءهم من أدرانهم، والذين كانوا أسبق الناس إلى الاعتراف بمشروع الاندغام القضائي وهو اعتراف ضمني بالقصور.

فهو لو فعل لقلنا إنه منصف بقوله ما له وما عليه. أما وهو لم يفعل فقد نظر كزميله بالعين الواحدة إلى الجهة الواحدة.

إننا إذا شئنا أن تكون كلمتنا محترمةً، فعلينا أولاً أن نقولها بإنصاف، وأن نقولها ولو علينا، وأن نقولها ونفعل بها. يجب أن نفعل ذلك ليحترم الخصم كلامنا، إلا إذا كنا منصفين.

إن الغرب والشرق أخوان ولكليهما حسناته وسيئاته والحكيم من أحسن الاختيار.

**أبو عبدالله**

البرق، ١٩٢٤، عدد: ٢٢١٤، ص: ١

\*\*\*\*



## الأدب بعد الحرب

إلى الصديق الزهاوي

للأستاذ الزهاوي - فيلسوف العراق وشاعره - يدُّ على إنعاش الأدب بعد أن جف روضه أو كاد، بما انصرف له الناس من شأنهم الخاص، في زمن أصبح العيش فيه جهادا، فهجر الشعر أصحابه والبيان أنصاره، إلا نفراً دون القليل يتنفس به من حين إلى حين.

ولم يحتكر هذا الجفاف الأدبي لبنان وسوريا، بل تناول مصر والعراق. ولا غرو فإن نتائج الحرب شملت العالم بأسره وجعلت للوقت ثمناً على قدر غلاء المعيشة. ولما لم يكن لبضاعة الأدب من ثمن، وكان لا بد للأديب أن يعيش، ولما كان لا يكفيه اليوم ما كان يكفيه قبل الحرب، فقد صرف ما كان يهدره على الأدب من وقته في سبيلٍ أضمن لسد حاجاته.

ويظهر أنه كان للحرب ضغطها على القوى النفسية أيضاً؛ فأسرعت بالقرائح في طريق الهرم، وهو ما يفسر انحطاط ما نقرأه لكبار الشعراء اليوم عما كنا نقرأ لهم قبل الحرب. فأين كل منظوم شوقي<sup>(١)</sup> بعد الحرب، من «أندلسه الجديدة»؟ بل أين كل منظوم خليل<sup>(٢)</sup> من «فتاة الجبل الأسود»؟ وهل يوازي كلُّ ما قرأناه جديداً لحافظ<sup>(٣)</sup> شطراً من «بنات الشعر بالنفحات جودي»؟.

ولا أحسب الملائط<sup>(٤)</sup> يجرؤ على الدعوى، بأنه يستطيع اليوم أن يخلق «بين العرس والرمس»؛ ولا الياس فياض<sup>(٥)</sup> يستطيع أن ينفحنا «بنسيمه العاشق»، وطانيوس عبده<sup>(٦)</sup> يعجز اليوم عن «بنته ودواته». أما أمين تقي الدين<sup>(٧)</sup> فقد صرفته هذه الجبال عن «تلك الجبال»، وجرجي سعد<sup>(٨)</sup> هجرته «هاجر».

والرصافي على تطلعه إلى سجن بغداد بعيد عن «السجن في بغداد» ،  
واستحالت على الشيببي<sup>(٩)</sup> «قبلات الحذر».

أما الزهاوي فإن علمت أنه تجاوز عمر الشعر بمرحلة طويلة، وأنه لا يزال يهزه إلى  
الطرب القديم بقية في الراوية - وإذا علمت أنه ينظم في كل يوم وكل ساعة - إذا علمت  
ذلك، فلا تستطيع بعد هذا أن تطلب إليه أن يسمعك دائماً مثل «أبنيها وتنهدم»<sup>(١٠)</sup>.

ولا نظن واحداً من الذين سميناهم - ولم نسّم جميع المجدين من شعرائنا -  
ينكر علينا ما نزع من انحطاط القوى الأدبية عن مستواها قبل الحرب حتى في  
نفس الرجل الواحد.

فإذا كان الأدب ريحانة النفوس وكان الشعر عنوان الأدب، ثم إذا كان هذا الأدب  
ذابلاً روضه، ناضباً معينه، فإنه مدين بانتعاش روضه، وفيضان معينه للأستاذ  
الزهاوي ضيفنا الكريم.

يرجح أن تكون لبشارة الخوري لأنها افتتاحية

البرق، ١٩٢٤، عدد : ٢٠٨٠ ص: ١

\*\*\*\*

## حفلة المطران<sup>(١)</sup>

كلمة في غير محلها

وإنما دعوتها هكذا لأن خليل مطران - كبير شعراء العرب - بيت القصيد فيها،  
ولأن القوم هنا يريدون أن يسمعوه وأن يعرفوه.

المكان «وست هول» في الجامعة الأميركية.

الزمان الساعة ٨ من مساء السبت الواقع في ١٧ الجاري.

وكان الحضور عدداً قل أن ظفرت حفلة بمثله.

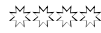
كان الأستاذ ضومط<sup>(٢)</sup> عريف هذه الحفلة. فهزل وجد؛ فكان تارة مقبولا وتاراتٍ  
ملولاً. ولو حكمني في نفسه تلك الليلة لكان في الحضار لا في السمار.



أنا أجهل كيف كان يخطب العرب أيام الجاهلية وفي صدر الإسلام فإذا لم تكن  
لهجة الأستاذ النشاشيبي<sup>(٣)</sup> لهجة عصرية متنوعة فهي إذن لهجة جاهلية.

وكان أجمل ما في خطب الجاهليين الإيجاز، أو قل (أنجى) لتلك الخطب. ولماذا؟  
لأن كلاً من الأذن والعقل والقلب يطلب التنوع، ولم تكن الخطب الجاهلية القديمة تعرف  
ذلك، فكان إيجازها يُنفذها من السأم، فضلاً عن أن في الإيجاز كلّ البلاغة.

لقد اجتمعت بالأستاذ النشاشيبي قبل خطبته فحدثني عن موضوعه؛ قلبٌ عربيٌّ  
في عقلٍ أوروبي. ويريد بذلك أن نقرن أخلاق العرب بعلوم الإفرنج؛ فأرواني حديثه، ثم  
سمعتة خطيباً يقرأ ما كتب ويتوغل في ما نقل، فكان الأول أحسن أثريه في نفسي.



وكنّت أظن الحرب الكبرى أثرت على روح الريحاني، فحملته على تبديل نظريته، تلك النظرية التي وضعها في «مدينته العظمى» من جعل الناس أشباه ملائكة يعيشون متسالمين متآخين، شعراء وأنبياء... فإذا هو لا يزال يريد أن يصنع من «الروحانية الشرقية والعقلية المادية العربية»<sup>(٤)</sup> تكويناً جديداً خاضعاً لنظام الحب وقائماً على وحي الشعر والنبوءة.

والذي نراه أن الضرر الذي ما بعده ضرر، هو استسلام شبيبتنا إلى مثل نظرية الأستاذ، بينما نحن نرى العقلية الأوروبية منصرفاً إلى تعزيز المادة، دأباً مجدةً حتى إذا بلغ كلا الفريقين شوطه كانوا أصحاب الحقيقة وكنا أصحاب الخيال، وليس يعادل خيال الدنيا مقدار ذرة مما تزنه الحقيقة.

كيف يرجو الريحاني أن ينضج الشعر والنبوءة عند الغربيين، ليكونوا الصلة الحقيقية بينهم وبين شعر ونبوءة الشرقيين. كيف يرجو الريحاني ذلك بعد كبير تمرسه بشؤون العالم وكثير تنقله بين حواضر التمدن الغربي – التمدن المبني على المادة – ومهابط الوحي الشرقي – الوحي المبني على الجمود – ثم تعرفه بما بين الفريقين من اختلاف في تفهم الحياة؟ أفليس هما على طريقين متناقضين لن يلتقيا في نقطة معينة؟

وعلى الجملة فخطبة الريحاني قطعة من الشعر (بكل المعنى) وأجمل ما فيها ختامها.



يقولون إن خليل مطران مثال الإنصاف، فهل كان في تلك الليلة كما هو؟.

لقد حامت عليه القلوب واشترأبت إليه الأعناق، وأرسلت إليه القُبل والبسمات. وهذا قليل في جنب ما يستحقه الخليل، ولكنه أنصف اللغة العربية وظلمنا، بل أنصف الشعر العربي بأن سدّ فيه ثلمةً أعجز فحول الشعر سدّها، هو أنه نظم حكاية نيرون من نحو أربعمائة بيت على رويٍّ واحد<sup>(٥)</sup>. إنها معجزة! لا سيما إذا أطلقت عليها أشعة

التفسير حتى تتفهم ما غمض من ألفاظها - وقصيدة تتألف من ٤٠٠ بيت شعر وأربعمائة قافية لا تنجو من الغريب.

غير أن الذين شكوا حظهم من خليل تلك الليلة ذكروا أنه عائد بعد خمسة وعشرين عاما وأنه أعد قصيدته لتلقى في معهد علمي فلم يكن أليق من قصيدة الأمس بذلك المعهد.

إن الرسم والموسيقى والشعر، لتعجز بالحقيقة عن أمثالها في قصيدة الخليل فهو أحذق من رسم وأطرب من غنى وأبرع من نظم.

فإذا كان قد أنصف اللغة العربية في الأمس ليظلمنا، فلماذا لا نطلبه الليلة ينصف فيها اللغة ويُنصفنا؟

«أبو عبدالله»

بشارة عبدالله الخوري

البرق، ١٩٢٤ ، عدد : ٢٠٩٥ ، ص: ١

\*\*\*\*

## الأديان الأبيض والأحمر<sup>(١)</sup>

يريدون أن نكتب لهم شيئاً في الأدب، وهم يعنون بعض المقاطع في الغزل والوصف؛ وهو ضرب من الغزل الأبيض ينبت في تربة السلم والرخاء، وينمو في ظل الحرية والإخاء؛ فلا نكاد نحاوله حتى نصطدم بقصائد حافلة من الأدب الأحمر ينظمها غاندي وأتباعه في الهند، والنحاس وإخوانه في مصر<sup>(٢)</sup> كما نظمها الفرنسيون في ثورتهم يوم علقوا قصيدة حمراء في كل شارع، وعلى كل جدار وفي رأس كل حربة. وكما نظمها العراقيون عام ١٩٢٠، وكما نظمها السوريون عام ١٩٢٥<sup>(٣)</sup> وكما ينظمها كل شعب «شاعر» يستمد دمه حبراً لكتابة القصائد الخالدة، قصائد النخوة والإخاء والحرية.

فما هي قيمة الأدب الأبيض إذن، ذلك الأدب الساكن، الهانئ يرسله العشاق أناتٍ متقطعة إثر حبيبٍ هاجر، وغزالٍ نافرٍ، إذا قيس بالأدب الأحمر يُطلقه الثائرون للعدل والحرية من صدورهم شرراً تبري المناصل وتكتسحُ المعازل؟

ما هي قيمة هذه النغمات توقّع على الأوتار بين الكأس والزهر، إذا قيس بضرابات المطارق تحطم القيود عن الأعناق، وهتاف الجماهير يدكُ حصون الظلم والاستعباد؟

لقد اكتسح الأدب الأحمر الأدب الأبيض اكتساح الحزن للفرح؛ وهو في البلاد المستعبدة أقوى جماحاً، وأبعد طماحاً، لا سيما في هذا العصر وقد نهضت الشعوب المستعبدة لتحطيم أغلالها، واسترجاع استقلالها، لا تبالي بدمها ومالها أن يُراقا على ساحة الشرف الوحيدة، الساحة التي تتهاك فيها الشعوب للشعوب نفسها، لا تلك التي تتهاك فيها الجنود لمطامع المتمولين.

إن أجمل قصيد في الأدب الأحمر، هي التي نظمها المسيح على صليبه فتغلغلت في العصور تعصف في العروش فتتهار، وبالمطامع فتستحيل إلى غبار.

وإن أجمل قصائد الأدب الأبيض هي هذه التي فاضت بها أرواح الملائكة، ملائكة  
الرحمة في شعراء الخلود:

وَلَا نَزَلْتُ عَلَيَّ وَلَا بِأَرْضِي  
سَحَائِبُ لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلَادَا<sup>(٤)</sup>

إن كلاً من الأدب الأبيض والأحمر متلازمان لا ينجو ذاك إذا لم يُمهّد له هذا، وإن  
الشعوب التي لا تُعنى بقصائدها الحُمْر لا تستحق قصائدها البيض.

**بشارة الخوري**

البرق، ٣٠ تموز ١٩٣٠، عدد: ٣٣٧٠، ص: ١

\*\*\*\*\*

## شاعر بائس

يستجدون له أكف المحسنين

صدر نداء وقعه أعظم رجال الأدب والفن والسياسة في انكلترا، لمساعدة الشاعر الانكليزي السر وليم وطسن الذي هو الآن مريض، وفي حاجة إلى المساعدة. ويثني النداء على مزاياه الأدبية العظيمة، ويقول إنه ظلّ مخلصاً للمقاصد العظمى التي وضعها نُصبَ عينيه. ولكنّ العالم كثير النسيان والإهمال لعظمائه إلى أن يضمّمهم القبر.

والآمال معقودة على أن يلقي هذا النداء صدىً عظيماً في بريطانيا والممتلكات المستقلة، وأميركا. وتُرسلُ الإعانات إلى بنك مولند. أما السر وطسن فإنه مصاب بالتهاب الغدد يقضي معظم وقته في الفراش. «روتر»<sup>(١)</sup>.

وهذا شاعر انكليزي يستمطرون الأكف إنقاذاً له من بؤسه، ولقد كنا حتى هذه الساعة نغبط أي أديب غير عربيّ حُسبان أنه يختال في بُرودٍ من العز، ويتقلب على الوثير من النعم، وتضحك له المنى عن ثغرها المعسول. فكيف به إذا كان ينظم في لغة تدور على ألسنة الملايين من الناس بين مشرق الأرض ومغربها؟

ونحن الآن بين أن نرثي لهذا القلب المنسحق في بلاد الانكليز، نعم المنسحق تحت مطرقة البؤس القاسية، وبين مخالب الاستجداء المُض. نحن الآن بين أن نرثي لذلك القلب الحساس، أو أن نتعزّى قليلاً عن الضنك الذي يحيق بشعراء العرب وأدبائهم، على تفتت قواهم وانھیار عروشهم وطغيان الأمم الغربية عليهم، واستثمارها خيراتهم واستعبادها رجالهم. وأنه لَخَطْبٌ لو نزل بأية لغة من لغات العالم، لدرس معالمها وعفى آثارها. ولكن ربك لطف بلغته، فحفظها في كتابه الأمين الذي لولاه لما نعم أديب عربي بما ينعم به من لذة النفس وسعة الجاه، على قدر ما تتسع له البلاد العربية في يومها الحاضر.



وإذا كان حفظ القرآن والعناية به واجباً دينياً على المسلمين العرب، فهو واجب أدبي بل واجبٌ سياسي على العرب غير المسلمين - لأنه جامع ألسنتهم، وأساس قوميتهم، وقبله نهضتهم، وحافضة آثارهم ومآثرهم.

فإذا عرفنا ذلك وإذا أردنا أن يعزَّ الأُدب العربي في قومه، لزمنا أن نعمل على تعميم اللغة وتفهمها، وهي لا تعمُّ ولا تُفهم إلا إذا كان هناك سلطة عربية وازعة، يلجأ إليها الناس في مصالحهم، إلى ما هنالك من معامل ومصانع ومتاجر تخضع للسلطان العربي ولغته. وهذا لا يتم إلا إذا اتحدت عناصر البلاد العربية على تعزيز هذه الفكرة؛ وإلا انتحرت انتحاراً زرياً.

وبعد، فإننا عائدون إلى هذا الزميل البائس في بلاد الانكليز، وإلى هذا النداء الذي استجدوا له به أكفَّ المحسنين؛ الأمر الذي لم نعتده عندنا، بل الأمر الذي لم نُجزه حتى عن طريق المفاوضة العلنية، مبالغاً في الحياء الشرقي. مع أن الأمر أقل خطورة مما تتقيد به تقاليدنا. أفليس الشاعر من أعظم المحسنين إلى الإنسانية، يسكب دموعه الطاهرة على جراحها، ويدخل نور الله إلى قلوبها، ويسكب نغمات الملائكة في أذانها؟

وإذا كان الروضُ على ما فيه من الجداول وما فيه من الأزهار، لا معنى له ولا حياة فيه إذا لم تُغرد الطيور على أنغامه، وتنفض ريشها على ضفافه، فما بالك بالإنسانية على عبوس وجهها، وانسحاق قلبها، إذا هي لم تستشف هذه البروق المنسكبة من فم شعرائها، وهذه الأرواح العطرة تنتشر على هياكلها القدسية؟

ثم، فهل تكون البقاع من سهلٍ وجبل، أكثر شعوراً نحو (شعرائها) فتقدم لها الثمر والماء لغذائها، وتغمرها بالأزهار اعترافاً لها بالجميل، وتجعل لها من الأغصان أسرةً ومنابر، ونحن، نحن الذين نزع أننا فوق الجميع، عزَّ بالشاعر؛ بهذا الطائر الوديع المغرد يُرسل ألحانه أناتٍ ودموعه جمراتٍ، حتى إذا ضربَ منقاره على أكفهم، فكأنما يضربها على جذع جفت عروقه وتنت ربحه.

وبعد، فلا تعجب أن يُنبت هذا العالم العربي شاعراً على جفاف تربته، وكثرة  
صخوره! أما رأيت في الجبال الناتئة أزهاراً على غاية من الجمال، تتمنى أجمل  
متاحف الزهر لو حوتها أنيئتها؟ هكذا ينبت الشاعرُ العربي عندما ينعم الدهر على  
العرب بشاعر.

**بشارة عبدالله الخوري**

البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٣٨٢، ص: ١

\*\*\*\*

## الأدب العبد

استغلال المادة للأدب، جناية السياسة عليه

الأدب في الحكومات المطلقة والنيابية

إذا كانت المادة أو إذا كان الذهب المسيطر الأول على الإنسان، وهو المسيطر على الأرض بما فيها من حيوان وجماد، كان الذهب سيد الكون بلا منازع.

ولا نحسب الناس بتنازعهم البقاء في جميع مذاهب الحياة، من زراعة وتجارة وصناعة وسياسة، بأمر هذا «السلطان الأعظم» يسجد له الملك في عرشه، والفقير في نعشه، كان ذلك منذ أن عرف الذهب وسيقى إلى أن تسود المساواة المطلقة بين الناس.

أفبعد هذا ترى أن يكون للأدب، وهو روح، كل حظه أنه ينعش النفس ويصقل الحس، أفبعد هذا ترى للأدب أن يزاحم المادة أو أن يكون له حظ معها، وهي قد ضربت بكل ما هو روحي حتى بالأديان نفسها إلى الحضيض، لا ينفعها عندها أنها كانت أساس هذا النظام الفريد، وأنها كانت الوازع الوحيد بين الناس قبل أن يأخذوا قسطهم من العلم وقبل أن تسودهم القواعد الأدبية المعروفة.

وقد كان للأدب عهد ازدهر فيه؛ ذلك يوم استعملته المادة لخدمتها، تجعل منه أناً ريحانة تستطيب شمها، وأونةً بوقاً يملأ بالصلاة والسلام عليها، وأحياناً تزج به في المعارك تثير به العصبية وتحمس به الجند، إذن فلم يكن الأدب يوماً حراً ولا سيداً حتى يكونها اليوم وهو في أضنك أيامه أو آخر أيامه.

وإن الأديب نفسه في سالف الزمن وحاضره، كان يوقن أن الأدب وسيلة للحصول على الذهب؛ فهو إن أنشأ كتاباً أو نظم قصيدة، تطلع قبل كل شيء إلى ما سوف يدره عليه كتابه أو قصيدته. ولا يلام في ذلك إذا كان لابد من العيش في تنفس ولو قليلاً.

وبعد، فلا تدهش إذا رأيت الأدب في الحكومات المطلقة، منذ بدء التاريخ إلى اليوم مزدهراً لأن الأديب لم يكن يطمح إلى ما وراء أدبه من مناصب ومراتب، وهي كانت قسمة فئة من الناس ليس الأدباء منها، بعكس الأمر في الحكومات النيابية التي أصبح كل من جرّ القلم على الورق، يطمح إلى أعلى مراكز الدولة، فتضعف غريزة الأدب فيه تحت تأثير السياسة وطموحها.

وإذا كانت الحكومات النيابية قد وسعت الأقاليم السياسية، بأن جعلتهم يطمحون إلى المناصب والرواتب، كما هو مشاهد الآن، فهي قد ضيقت على أصحاب الأقاليم الأدبية لعدم حاجة السياسة إليهم، حتى ليكاد الأديب الناضج أن يصبح غريباً في بلده بين شعبه وحكومته، في حين ترى الكاتب السياسي على قلة بضاعته وضعف براعته، يشار إليه بالبنان ويخطب ودّه كل مترّبع في دسّت أو كل طامح إلى دسّت<sup>(١)</sup>.

ولكن هل من الحكمة أن يُقضى على الأدب، وهل من مصلحة السياسة نفسها أن تقتل غريزة الأدب [في]<sup>(٢)</sup> الناشئة ليغامروا في السياسة وهي العراك المستديم بين فريقين أو أكثر من أبناء البلاد لاستثمار أبناء البلاد، فإذا كان ليس من الحكمة قتل الأدب أو تحويل الأدباء إلى سياسيين، فلماذا لا تأخذ الحكومات والحكومة اللبنانية خاصة بيد الصحف الأدبية، إذا لم يكن لإنعاش الأدب نفسه، فعلى الأقل لتحويل هذا الطوفان من النشء الجديد على<sup>(٣)</sup> الاشتغال بالسياسة وهي ليست بلاء الأدب وحده بل بلاء البلاد أجمع.

### بشارة الخوري

البرق، ٤ آب ١٩٣١، عدد : ٣٤٠٥ ، ص: ١

\*\*\*\*\*

## الأدب بين عهدين بين الحكم المطلق والحكم الوطني

قلنا لك في الأمس إن الأدب لا يفلح في الحكومات النيابية، ولا ينبه له ذكر مع السياسة، ولا يرتفع صوته مع الصخب الحزبي؛ ورجعنا بك إلى صدر التاريخ نقلب ما شئت من صفحاته، فترى أن الأدب لم يزدهر في الشرق والغرب إلا تحت رعاية مسيطر عظيم جعل من الأدب حليةً للملكه وفاكهةً لمائدته، وأنغاماً لمجالس أنسه، على عكس الحكومات التي تسيطر عليها الأمة بواسطة مجالسها المنتخبة، فإنها تنتزع من حقول الأدب أنضر أغراسه لتجعلها وقوداً للسياسة. ولا نبعد بك إلى عهد الملوك العظام في الغرب والشرق، وما نبغ في عهدهم، وتحت رعايتهم من كبار أهل الأدب، بل نقف وقفة قصيرة عند مصر، وسوريا قبل الحرب الكبرى وبعدها.

أفليس أن النهضة الأدبية في مصر بلغت أوجها في عهد الخديوي عباس حلمي<sup>(١)</sup> حتى كان لها في كل شهر على التقريب، موسم أدبي نستمتع فيه لعشرات الشعراء والكتاب أروع ما فاضت به القرائح، فيتصل صدًى ذلك بلبنان وسوريا، وهي تحت الحكم المطلق؟ ثم تتكون مثل تلك النهضة في بيروت والشام فيترجع صداها في سائر الشرق العربي؟

ثم أليس بوسعك أن تسمي الأدباء الذين استلبتهم السياسة من الأدب، إن في مصر أو في لبنان وسوريا؟ وحسبك بما آمن إليه العقاد<sup>(٢)</sup> والمازني<sup>(٣)</sup> وهما من أشهر أدباء مصر. ثم أليس بوسعك أن تدل على أضرابهما في لبنان خاصة، فترى أن السياسة شغلت نمور والهازن والتويني ودموس وفياض<sup>(٤)</sup> وغيرهم من جماعة الموظفين، عن الأدب كما شغلت معظم أصحاب الصحف عنه وقد خلقوا له وعرفوا به.

وهل كان يطمع هؤلاء في الحكومة المطلقة، إلى مثل المناصب التي يشغلونها؟ وهل هذا الانقلاب سوى ضرب من الأحلام الأدبية لم يجن على المنتوجات [الأدبية]<sup>(٥)</sup>

فحسب، بل جنى على المنتوجات الاقتصادية بدليل أن كل من انفرجت عنه أمه ينظر إلى ركوب رئاسة الجمهورية مثلاً كما ينظر الطفل إلى ركوب أحد الأحصنة الخشبية الصغيرة.

وعلى ظهر هذا الطموح إلى المناصب الحكومية، من جهة وإلى استنزاف الأموال السياسية من جهة ثانية، بارت حقول الاقتصاد والأدب معاً. وكانت هناك جناية أكبر هي التباغض بين إخوان الأدب لسبب التزاحم على المنصب الواحد، أو الانتماء إلى حزبين سياسيين يتقاتلان على استثمار الخزينة وإرهاق المكلف بما ينفقون عن إسراف.

فأنت ترى أننا نتفائل بفوز الأدب على السياسة؛ فهو نظير فوز الروح على المادة ولم يخلق الإنسان لكل هذا.

البرق. ١٢ آب ١٩٣١، عدد: ٣٤٠٦، ص: ١

\*\*\*\*

## تولستوي<sup>(١)</sup>

١٨٢٨ - ١٩١٠

جلالٌ، وشعره الأبيض يوحيه، وذكاء وطرفه المتوقد يذكيه، هو الفيلسوف تجنوله خاشعاً في لحده وتبارك يمين المبدع فيه.

ودولة لها في كل دولة عرش، مستوية عليه الحكمة، يتوجها الإلهام، ويعصمها الوحي، فهي دولة الفلسفة ذات العلم الرفيع، ينضوي إليه قادة الرأي ودعاة الإنسانية يضربون في لبسه الديجور، بحسامٍ من نور حتى ينفلق فجر الهدى للعالمين.

ثم ما لهذا العلم المرتفع في الأمس، ملتوية عنقه، وعلام يرف على هذا الرمس، رطيباً ترابه، كالطائر رماه الصائد فشوى جناحيه، فمسكه غصن عن أن يقع، فتدلى ورأسه إلى الأرض كأن له فيها جوهراً ثميناً، أو حبيباً دفيناً. وحسب العلم شرف الانخفاض على ضريح الحكمة، وحسب الضريح شرف الارتفاع برب الحكمة، إن في القبر لتولستوي!

تلك نبأة أنت لها سلوك البرق، واضطربت لها محافل العلم. فما الرأس المتوج بالذهب «إذا حمل في نعشه» بأفعل في النفس من الرأس المتوج بالأدب «إذا هوى من عرشه»، وقد لا يوجع سقوط الأول سوى فريقٍ هو الدولة التي هو رأسها، بعكس الثاني إذا سقط فإنه ينقف على كل وتر في كل قلبٍ في كل دولة. تشهد لك أقوال الصحف في هذه الفاجعة على اختلافها، لغة وجنساً ومذهباً وسياسة. وهو دليل يؤيد قول القائل: إن العلم وطنه العالم، وحبذا عرش له في كل مملكة جندٌ، عرش كان صولجانه حتى الأمس في قبضة الفيلسوف الراقد!

وخليق بنا، ونحن إلى المجلة أقرب من الجريدة الإخبارية، أن نلم بشيء من ترجمة تولستوي، نشفعها بكلمة عن فلسفته، فكلمة ثانية عن أطواره، ثم ننتخب شيئاً من مآثوره على الترتيب الآتي:

#### ترجمته

في «بازانيا بوليانا» من ولاية «طولا» في الروسية انفتح للنور عيناان جميلتان هما عينا الكونت لاون<sup>(٢)</sup> نيكولا فيتش تولستوي، والعام يومئذ ١٨٢٨.

وفي «استابوفو» إحدى مدن الروسية، انطفأ ذلك النور في عيني الفيلسوف والعام ١٩١٠.

وكانت نفس الطفل في قفصها الصغير تشعر بضغط المادة، فكنت تراه كمن يحاول الانفلات من قيود كبله بها الوهم. وكانت مربيته إذا ركضت على صراخه، تراه كمن يعمل على فك يديه ولا رباط بهما.

وماتت والدته تولستوي وهو في الثانية من سنيّه، ومات أبوه وهو في العاشرة منها. ثم أخذ يدرس اللغة الفرنسية على أحد أبنائها، إلى أن بلغ الخامسة عشرة من عمره. ومذ ذاك راح يطالع كبار الأدمغة من مفكري الفرنسيين كفلتر<sup>(٣)</sup> وروسو<sup>(٤)</sup>. ثم وقد بلغ التاسعة عشرة، بدأ يجتهد في المسائل الدينية بحرية تحامتها علماء الروس من قبل.

ورجع تولستوي إلى مسقط رأسه، وكان قد فارقه لينهي دروسه في جامعة قازان ومكتب حقوق بترسبرج؛ فظهر منه عهدئذ ميل إلى المعيشة الساذجة الطبيعية، ولكنه لم يثبت عليه.

وقد سافر إلى بلاد القوقاز سنة ١٨٥١ وساح في سويسرا وفرنسا وألمانيا سنة ١٨٥٨ وتزوج سنة ١٨٦٣ وكان أفضل تأليفه ما كتبه في أوائل زواجه.

ولع نجم تولستوي في عالم الأدب؛ وكان من أقطاب الفلسفة الاجتماعية لهذا العصر. وقد وضع كثيراً من الكتب أشهرها «حبه كريتين»<sup>(٥)</sup> و«الاعتراف» و«البعث» و«ما هو الدين».



## فلسفته

تولستوي هو أول من فكَّ القيود التي تربط الدين بالسياسة في روسيا. وأول من عمل على تفهيم الدين كما أريد به في الأصل. وأول من فسّر معاني الإنجيل بحرية جلبت عليه حُرم الكنيسة الأرثوذكسية.

وهو يعتقد بسمو الروح وتأثير الذكاء، ويفضّل عيشة القرى على عيشة المدن، لما أن المدنية الحديثة تحوّل بين المرء والسعادة، ولما أن الإنسان لا يشعر بالسعادة إلا متى تمكّن من مناجاة الطبيعة، وهو ما لا يتأتى له ضمن أسوار المدينة.

وفي مذهب تولستوي أن الحياة والوجود كناية عن «العشق»، ويريد به القوة التي تدير هذا الكون، وتُحسن نظامه، وتبلغ به من الكمال غايته القصوى.

وعنده أن هذه القوة هي منبع العواطف الإنسانية. فهو يقول إن الذي يمزج أجزاء العناصر ويوحدها هو الرابطة والعلاقة. إذًا، فناموس الجاذبية الذي يهب الكائنات هذه الحركة المنتظمة، هو أثرٌ عن تلك العلاقة. كما أن العشق هو الذي يربط أبناء البشر ببعضهم<sup>(١)</sup>، ويغسل قلوبهم من البغض، ويوحى إليهم أنهم نشأة من نبتة واحدة وأصل واحد.

ورأى تولستوي في الهيئة الاجتماعية الحاضرة أنها فاسدة؛ يبني ذلك على انحصارهم الأغنياء وأصحاب النفوذ بملاذئهم من غير ما نظر إلى سواها. وهو يعتقد في أن الغنى لا يُنال بالجد والعناء، بل بالغش والخديعة.

وله رأي متوغل في الاشتراكية وهو: أن الأرض لا ينبغي أن يملكها أحدٌ لأنها لله. وأن على أصحاب الأملاك أن يتركوها مطلقة سائبة، أو أن يُوزعوها على ذوي الحاجة يستغلونها.

وهو غير راضٍ عن المحاكم القضائية لما أنها تُعاقب بالسجن، وهو عنده بؤرة الفساد ومستقرُّ الشر. وكان يريد أن يقابل المجرمون بالعفو رجوعاً إلى مذهبه في عدم مقاومة الشر بالشر.

وقد يَغْتَرُّ من يطالع لأوَّل وهلة كتب تولستوي بمسيحيته، لكثرة ما يستشهده من آيات الإنجيل. وهو في الحقيقة لا يعتقد بألوهية المسيح، بل ينظر إليه كإنسان له مذهبٌ هو خير المذاهب لخير الجنس البشري، بل هو يعتبر تعليمه كوشي منزل واجب العمل به.

وعنده، وهو في ما يتعلق بآرائه السياسية، أن أفضل الثورات هي التي يتفق فيها الأهلون على رفض الانتظام في السلك العسكري، وعلى عدم دفع الضرائب للإنفاق على الجيش، وهو كفيل بتقويض دعائم الحكومة على شكلها الحاضر.

وكان تولستوي يعمل جهده على تطبيق أعماله على أقواله؛ ففرق قسماً من أمواله على خِدْمَتِه، عملاً بالقاعدة التي سنّها، من وجوب توزيع أملاك الأغنياء على ذوي الحاجة؛ وخصَّص القسم الباقي لزوجته وأولاده، خشيةً من نشوب الشقاق في بيته، أو بالأحرى مراعاةً لهما، كما أشار إليه في أحد أقواله وهذا شيء منه:

«قالوا لي إنك واعظ الناس بما لا تفعل وقد أصابوا. وكان عليّ أن أعظ بما أنا عامل لا بما أنا قائل».

«ويحاً لي، فإني مخطئ وإني أهلك لأن ألام ولأن أُحَقَّر. فإذا أنا كشفت عن الحقيقة فليس لكي أبرئ نفسي. ولكن لو قابلتُم بين يومي وأمسي، لما رأيتموني جامداً في الطريق الذي خطَّطت. وإن كنتُ لم أتمم جزءاً من ثمانين ألف جزءٍ مما فُرض عليّ إتمامه».

«إذا لُتم فلوموني دون آرائي، لأنني إذا كنت أعرف طريق بيتي وأسير فيه ثَمَلاً مترنحاً، فلا يكون هذا دليلاً على أن الطريق لا يُوصل إلى البيت أو أنني لا أعرفه. وإذا كان هذا ليس بطريق بيتي، فتعالوا ساعدوني لكي لا أضلّ. ولا تعملوا على أن تزيدوا ضلالي بنداكنم وتلويمكم».

#### أطواره

كان تولستوي يفتخر بتعداد هفواته في شبابه، فلم يكن ينسى واحدة منها.

وكان يميل إلى الموسيقى حتى إنَّ بعض التواقيع اضطرَّته مرة لترك غرفته والوقوف أمام الغرفة التي يصدر عنها الصوت.

وكان ذا ولعٍ خاص بالأشغال اليدوية، حتى إنه كان يفلح الأرض ويحصد الغلال ويربي الماشية ويصنع الأحذية ويُعلِّم الأولاد.

#### مأثوراته

ومن مأثوراته القاعدة التي تتمشى عليها فلسفته وهي «لا تقابل الشر بالشر» وها نحن نذكر بعض كلماته، وهي مما عثرنا عليه في مطالعاتنا عنه؛ يقول:

أعتقدُ بالله اعتقاداً أعمى.<sup>(٧)</sup> الله جمالٌ وحقٌّ ومحبةٌ وخير. الزواج غير قابل الانفكاك. أحتملُ الحدة من أينما جاءت. حب الطبيعة والرياضة الجسدية.

الحياة الدنيا هجعة والموت هو اليقظة<sup>(٨)</sup>. غير أن زمن الهجعة متفاوت بتفاوت البشر. فمن الناس من يقضي ليل الحياة هاجعاً ومنهم من يوقظ قسراً بنازلة تننابه. ومنهم من هو حساس لا تُمكنه دقة شعوره من قضاء ليل الحياة على فراش الونية فتطير نفسه إلى عالم اليقظة لا تلوي على شيء.

البرق، ٣ كانون الأول ١٩١٠، عدد: ١١٦، ص: ١٠١ - ١٠٢

\*\*\*\*

## إلى اللواء الإيطالي (الإيطالي)

ما أنت - لواء روما - باللواء طُرِّزْتُ  
بالشرف حواشيه، وكُتِبَت للمعالي آيةٌ فيه  
حَيْفٌ على تاجك يَضِلُّ سبيلَ السُّودد، لا!  
إنه لم يَر له في تاريخه أثراً يقتفيه،  
أن تَخْفُقَ فما خَفَقَتْ على غير الجثث بريئة،  
هذه شظايا تُطِيرُها القنابلُ نَذراً بمبلغ المدنية  
التي تدعي.  
ويحَ العذارى، وقد دمدمتِ المدافعُ،  
ما انفتحت عيونهنَّ لمغازلةِ الفجر، بل لغزل  
المدامع يتناثرنَ لؤلؤاً على النحور،  
ويحَ الأطفال، وقد انفجرتِ القنابلُ،  
يَفْرَعْنَ إلى صدور الأمهات، فيستندن من الدماء  
على مثلِ الشَّقِيقِ<sup>(١)</sup>،  
أطفال ما سمعت سوى صوت القبل في  
الثغور، وما نظرت سوى الابتسامات تلمع في  
الشفاه، تسمع، ولكن دويَّ المدافع، وترى، ولكن  
أشلاء الرجال على أكفِّ الرجال،  
ويحَ الإنسانية منك - لواء عمانوئيل!<sup>(٢)</sup>  
الخرقة البالية تضمد الجروح، لأشرف من  
النسيج الملون يَخْفُقُ على رؤوس فاتحيها.

الخرقة البالية تلتقط الدموع، لأطهر من  
النسيج الملون يعلو رؤوس سافحيها،  
كأنك في وسط السارية - وقد أحاط بك الدخان  
الأسود المنبعث من فوهة المدخنة - لسان أفعوان  
تخضب بالدم ونفت سمومه على البشرية،  
ويح البشرية منك - لواء عمانوئيل!...  
غبن على لواء فرنسا العظيمة أن تكون له شبيهاً.  
ذاك لواء زرقته السماء.  
ذاك لواء بياضه الفجر..  
ذاك لواء حمرة الشفق..  
سمو السماء، وطهارة الفجر، وجمال الشفق  
هي راية الجمهورية،  
ماذا فيك - لواء عمانوئيل - من السمو،  
وقد روعت مدينة أمنة؟<sup>(٣)</sup>  
ماذا فيك من الطهارة، وقد سفكت دماء بريئة؟  
ماذا فيك من الجمال وقد شوّهت بالفظائع محاسن  
السماء والأرض وما بينهما؟  
إذا حجبت غيمة وجه الهلال ضربتها زرع  
من الريح فمزقتها  
إذا غضبت الطبيعة الجامدة للإنسانية، فكيف  
بالأمم ذات الشعور؟...

البرق، ٢٤ شباط ١٩١٢، مج ٤، عدد: ١٧٤، ص: ١٧١

\*\*\*\*□

## كيبانج<sup>(١)</sup> يحيي بوانكاره<sup>(٢)</sup>

يوم زار لندن عام ١٩١٣

فرنسا

أنتِ التي عرفت كلَّ شقاءٍ معروفٍ فذلَّلتِهِ.  
لأنك كنتِ تُحمِّلين البشرَ درعَ الغولو<sup>(٣)</sup> الأبدِي.  
لا تمسكين عن البهجة ولا تَضعفين في الرُّوع<sup>(٤)</sup>.  
أنتِ هائلةٌ بقوةٍ تستخرجينها من أرضك التي لا تنفد.  
أنتِ الحكم الصارم على نفس قوتك أيتها الأمة الحنون على الفكر البشري.  
أنتِ أولُ مَنْ اتبع الحقيقة الجديدة وآخر مَنْ ترك الحقائق الهرمة.  
يا فرنسا الحبيبة إلى كل نفس حساسة بالإخاء الإنساني.  
مِنْ قبل أن نولد - لو تذكرين - كنا نتدافع جنباً إلى جنب.  
نتدافع معاً في أحشاء رومة تحفُّوا إلى معركة نصطليها.  
كان الناس لا يفرقون بعد بين لغاتنا. ومع ذلك فإنَّ مستقبلنا كان قد كُتب.  
كلُّ من الشعبين وهو يَشيد مُستقبله كان يُمهد مستقبل الشعب الآخر.  
لذلك نحن الاثنين، اقتحمنا البشرية حتى صارت كلُّ الأرض ملكنا.  
كم حرَّكَ غضبنا من الممالك وأسس من العروش!  
عروشٍ لم تُوجد إلا لتكون سداً في طريق أحداً إلى الآخر.

تلك شعوبٌ جعلنا طلائعنا منها، ومنها جعلنا جنود غضبنا .  
لقد ملأنا البحرَ عواصفَ، واجتزنا ظافرين، أبواب عوالم جديدةٍ دون أن نعرف  
مَنْ من الاثنين كان السَّابِق؟  
هل تذكرين - ويدُّنا على قبضة حسامنا نهمُّ بالضرب، ونحن على ثقة أنَّه كيف  
التقينا انتهينا في القتال؟  
نتحفر ونقف معاً عند كل خطوة تدفع كلاً منا قوةً الآخر.  
لقد قطعنا مجاري الأعمار وعُروض البحار.  
أين تقهقرتُم أماننا؟ أين تقهقرنا أمامكم؟  
هاتوا موجةً لم تعرف حرباً بيننا .  
شغلتنا بعض الشعوب حيناً فلم نُبال .  
تركناهم ليهجم أحداً على خصمه .  
لأننا كنا نشعر بلذة حرب الكفو للكفو .  
كلُّ واحدٍ منا كان للآخر سرّاً وهولاً لا هوىً وحبّاً .  
كنا نخفُّ الواحد إلى الآخر، مدججين بالسلاح .  
أية حرب أتاح لنا شرفاً أكبر وخصماً أشد .  
كان أحداً ينزع من حلق الآخر صوت إعجاب يبدر بين الضرية واتقائها: تلك  
كانت منه جائزة الشجاعة السامية .  
كلنا صبَّ في كأس الآخر دمه ودمه .  
والقوى الهمجية والآمال اللامتناهية والقصاص التي لا تطاق .  
وكلُّ ما دنس الحياة، وكلُّ ما رفعها منذ ألوف السنين .

والحن التي لا تُحتمل، والحروب التي شهدناها تحت كل سماء.  
يا فرنسا الصديقة إنَّ ذلك كان منذ القدم نصيبنا المجيد.  
كلانا، وقد أثقلنا نير التذكّار والتبكيّ، نتوق إلى الراحة.  
إننا ونحن نضحك من الخدعات القديمة التي هي أشبه بالمزاحات، نتسامح ذنوبنا  
الماضية، حاشا واحداً لا يستطيع الغفرانُ مَحْوَه.  
تلك هي الغلطة الحية أبداً التي أخذ كلانا قسطه منها في ساحة روان<sup>(٥)</sup>.  
نحن الآن ننظر إلى السنين الجديدة الطالعة فنتساءل - إذا كانت حبلَى بأشدَّ من  
تلك العواصف التي كنا نقتحمها من قبل.  
نحن الآن نسمع أصواتاً جديدة تتعالى وتتساءل، ونفخر ونصرخ.  
كذلك كنا نصرخ حنقاً - لو تذكّرين - يوم كانت شعوبنا تحتدم بالغضب.  
نحن اليوم نُعدُّ الأساطيل الجديدة على الماء، ونُهيئُ الجنود تحت السلاح.  
كذلك كانت جنودنا من قبل محشودة للقتال لو تذكّرين!!!  
في سبيل حب الحياة لزم كلانا أن يتفحص حسام الآخر.  
أيُّ دم وأي حديدٍ يقدر أن يأتي بأكثر مما أتاه دمنا وحديدنا؟  
صارمة كانت المدرسة التي تعلمنا أن نتعارف فيها.  
أيُّ دم وأي حديد! استطاع أن يفصل ما جمعناه؟  
نحن الألى غزا كلُّ منا شواطئ جاره ووضع موطنه بين السيف والنار.  
ذلك منذ رنَّ سيفُ بريدوس ساقطاً في ميزان رومة.  
ولأن نحن نأخذ بأجسام بعضنا ولكن... للعناق.



ها إنَّ عداوتنا المنهوكَة، تتساعد من الآن على وضع السلام في الأرض.

أنتِ التي عرفت كلَّ شقاء معروف فذلَّلتِهِ.

لأنك كنت تُحملين البشر درع الغولو الأبدي.

لا تمسكين عن البهجة ولا تضعفين في الروع.

أنت هائلة بقوة تستخرجينها من أرضك التي لا تنفد.

أنت الحكم الصارم على نفس قوتك أيتها الأمة الحنون على الفكر البشري.

أنت أول من اتبع الحقيقة الجديدة وآخر من ترك الحقائق الهرمة.

يا فرنسا الحبيبة إلى كل نفس حساسة بالإخاء الإنساني.

### بشارة الخوري

البرق، ١٢ تموز ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢٣٤، ص: ٢٣٢

\*\*\*\*\*

## الرديلة المعبودة

أُسْكِبِي لَنَا الْخَمْرَ مِنْ ثَغْرِكَ اللَّذِيزِ .  
بَلِ اسْكِبِيهَا مِنْ عَيْنِكَ السَّاحِرَةِ .  
وَاجْعَلِي نُقْلَنَا مِمَّا أَنْبَتَ الْحُسْنُ فِي الْوَجْنَتَيْنِ .  
إِذَا سَكَرْتُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يَسْكُرْ وَأَنْتِ خَمْرُتُ؟  
وَإِذَا طَرَبْتُ، فَمَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يَطْرَبْ وَمَنْكَ نَشْوَتُهُ؟  
هَذِهِ نَفْسِي سَاجِدَةٌ فِي هَيْكَلِكَ .  
وَهَذِهِ شَفَتِي تَتَلَوُّ لَكَ التَّسَابِيحَ .  
مِنْذَ مَطْلَعِ كُلِّ شَمْسٍ حَتَّى مَغِيبِهَا .  
وَمِنْذَ مَغِيبِ كُلِّ شَمْسٍ حَتَّى مَطْلَعِهَا .

لَا يَقْوَى اللَّيْلُ وَلَا سُلْطَانُهُ، وَلَا الْكُرَى وَلَا سُلْطَانُهُ، أَنْ يُزِيلَ خِيَالَكَ مِنَ النَّفْسِ، وَلَا  
أَثَرَكَ مِنَ الذَّاكِرَةِ. وَمَا الْأَحْلَامُ – وَرَدِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ ذَهَبِيَّةٌ – إِلَّا مِنْكَ، وَلَكَ، وَفِيكَ أَيْتُهَا  
الرَّذِيلَةُ الْمَعْبُودَةُ!!

لَسْتُ بِالْوَحِيدِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِكَ، وَبِإِنْضَوِي تَحْتَ لَوَائِكَ؛ وَلَا بِالْوَحِيدِ الَّذِي يَكْرُزُ<sup>(١)</sup>  
بِإِنْجِيلِكَ وَيُعِدُّ مِنْ أَبْنَائِكَ، وَلَكِنِّي الْوَحِيدُ الَّذِي يُجَاهِرُ بِلَا حَيَاءٍ أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِكَ .  
لَقَدْ عَبْدَكَ النَّاسُ ضِعْفَيْنِ عِبَادَتِي إِيَّاكَ، وَجَاهَدُوا ضِعْفَيْنِ جِهَادِي فِي هَوَاكَ؛ وَلَقَدْ  
تَصَرَّفُوا بِكَ تَصَرُّفَ الْمَصُورِ بِالرَّسْمِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ .  
لَقَدْ نَزَعُوا عَنْكَ اسْمَكَ وَسَمَّوكَ بِالْأَسْمِ الَّذِي يُلَائِمُ مَصْلَحَتَهُمْ. فَلَكَ فِي كُلِّ

يوم اسم جديد.

إذا سَمَّوكِ «تدينا» فقد أضمرُوا «التعصب».  
وإذا سَمَّوكِ «اقتصادا» فقد أضمرُوا «البخل».  
وإذا سَمَّوكِ «مُلاطفةً» فقد أضمرُوا «التمليق».  
وإذا سَمَّوكِ «شجاعة» فقد أضمرُوا «الشَّراسة».  
وإذا سَمَّوكِ «ثباتا» فقد أضمرُوا «الذلَّ».  
وإذا سَمَّوكِ «سياسةً» فقد أضمرُوا «الخداع».  
وإذا سَمَّوكِ «وداعة» فقد أضمرُوا «الرياء».

لقد طرحوا ثوب الفضيلة عليك، كما تُطرح الشبكةُ للأسماك، واغتصبوا لك اسمها اغتصاباً. فلهذا أنت ما أكثر أسماءك وأكثر أشياعك<sup>(٢)</sup>.

لك في كل عصر أنصار وأعوان.  
ولك في كل مكان عباد وكُهَّان.

منذ عهد المرأة الأولى، حتى عهد المرأة الأخيرة.

وأنتِ أنتِ لا تزالين مَلاك النفوس ودَفَّة سفينة الأهواء.

أنتِ لك السَّحر أيتها الرذيلة؟ وكيف لك تلك المقدرة على حفظ أبنائك، فهم أبدا يَسحبون ذَيْلَ العلاء.

في الأمس قتلوا الناس احتكاراً في بيروت، ولثموا جِزْمةَ جمال<sup>(٣)</sup> في الشام، وساعدوا على طعن أبناء الوطن بالحرا ب مسمومة مسنونة.

واليوم، يأتون على الرمح الأخير من هذه الأمة البائسة، ليقرعوا الكؤوس حول جثمانها الهامد غداً.

لك في كل يوم ثوبٌ قشيب.

لقد أبدع عشاقك في تصويرك.  
سكبوا السُّحْر في عينك.  
والخَمَرُ في مِيسَمِك.  
صنعوا من جَسَدك الشَّهِي تَمَثَالاً للجمال.  
هم يعبدونك تحت كل اسم.

وينشدونك تحت كل كوكب؛ ولكنهم يَخجلون جُبْنًا وكَذِبًا أن يصرحوا بأنك أنت  
الضميرُ الذي يُضمرون والإله الذي يعبدون.

لقد نزعوا عن الفضائل أسماءها وسمَّوْا بها الرذائل.

هكذا تتغلغل الأفاعي تحت الورد والياسمين.

### بشارة الخوري

البرق، ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٨، عدد: ١٩ - ٤١٢، ص: ١

\*\*\*\*

## هوامش الباب الرابع

### مقتالات أدبية

#### ٤١٣.....على الملعب

- ١ - يعني السلطان عبدالحميد الثاني.
- ٢ - منفى السلطان عبدالحميد بعد خلع، سبقت الإشارة إليه.
- ٣ - عزيز عيد (١٨٨٣-١٩٤٢) ولد في لبنان وهاجر إلى مصر ، تعرف إلى نجيب الريحاني في القاهرة فعمل في التمثيل وانضم إلى فرقة اسكندر فرح، ثم أسس وتنقل بين عدة فرق مسرحية وكان علامة بارزة في تاريخ المسرح المصري.
- ٤ - هكذا في الأصل، ويبدو أنها خطأ طباعي، والقول إنها: كانت تغمس (بدم) إخوانه، بدلاً من (بيد) هي الأقرب للسياق الصحيح.
- ٥ - هكذا في الأصل الذي بين أيدينا ولعلها مدهنة الحكومة.
- ٦ - أمين الريحاني.
- ٧ - قصر يلدن هو قصر الحكم في الأستانة الذي كان يقيم فيه السلطان عبدالحميد الثاني.

#### ٤١٦.....الصحافة والحياسة

- ١ - لعلها جريدة «الصفاء» التي أسسها الأمير علي آل ناصر الدين في بيروت عام ١٨٨٦
- ٢ - أي تحول وتغير..
- ٣ - المنوال: نول الحياكة.
- ٤ - كثيراً ما يأتي ضمن مقالات الكاتب عبارات مثل هذه، وهي جزء من الآية ٣٨ من سورة الرعد، وتنتمى الآية □ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتاب□.

#### ٤١٨.....السياسة في الشعر

- ١ - نجيب خلف من أدباء لبنان ولغوييه وحقوقيه. ولد في بسكنتا - مسقط رأس ميخائيل نعيمة، في قضاء المتن الأعلى، ١٨٨٢، عمل في الصحافة والمحاماة وله عدد من الآثار اللغوية، توفي ١٩٤٤.
- ١ - إشارة إلى نظم نجيب خلف شعراً في القضاء مثل أرجوزته في «قانون الجزاء» وغيرها.

#### ٤٢١.....الأدب بعد الحرب

- ١ و ٣ : قصد بالشعراء الثلاثة كلاً من أحمد شوقي و خليل مطران وحافظ ابراهيم وهم أعلام الشعر في عصرنا الحديث. وأما «أندلسه الجديدة» فعنى بها الأخطل قصيدة شوقي الميمية ذات المائة والخمسة أبيات، نظمها في سقوط مدينة أدرنة التركية أمام جيش البلغار ١٩١٢. وأما «فتاة الجبل الأسود» فهي قصيدة مطران خليل مطران التي وصف فيها امرأة بزي مقاتل ضد الجيش التركي وأما قصيدة حافظ ابراهيم «بنات الشعر بالنفحات جودي» فهي التي نظمها في مقدم السير غورست عميداً لانكلترا في مصر سنة ١٩٠٧.

٤، ٥، ٦، ٧ - سبق التعريف بهم.

٨ - جرجي سعد كاتب وأديب لبناني من أصدقاء الأخطل الصغير.

٩ - محمد رضا الشبيبي. ولد في النجف ١٨٨٩ وتوفي ببغداد ١٩٦٥، وقد شغل مناصب حكومية عالية وشغل رئاسة المجمع العلمي العراقي منذ ١٩٥٨ حتى وفاته.

١٠ - «أبنيها وتنهد» قصيدة الزهاوي التي أرسلها للكاتب هدية لنشرها في البرق، انظر صورة رسالته ونصها في كتاب «رسائل إلى الأخطل الصغير»، مرجع سباق، ص (٢٨١، ٢٨٢).

#### ٤٢٣.....حفلة المطران

١ - مطران خليل مطران . (١٨٧١-١٩٤٩) شاعر وأديب لبناني ولد في بعلبك وهاجر إلى مصر، لقب بشاعر القطرين، له ديوان الخليل ، من أشهر قصائد «النيرونية» و«الأسد الباكي» و«أثار بعلبك» انظر رسالته إلى الأخطل الصغير ، في هذا الكتاب في مقالة (كيف عرفت طانيوس عبده).

٢ - جبر ضومط (١٨٥٩ - ١٩٣٠) أستاذ الأدب العربي بالجامعة الأمريكية وصاحب الآثار اللغوية المتنوعة، (انظر تفصيلاً لسيرته الحياتية والعلمية. مصادر الدراسة الأدبية، ليوسف أسعد داغر: الراحلون، الجزء الثاني، ص ٥٥٣ - ٥٥٥).

٣ - هو محمد إسعاف النشاشيبي، أديب وباحث فلسطيني، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد وعاش في القدس، تميز بأسلوبه البياني الرفيع. ترك عدداً لا بأس به من الآثار الأدبية والتراثية، توفي في القاهرة، وعاش ما بين ١٨٨٥ و ١٩٤٨ (الأعلام للزركلي، ج ٦/ ٣٠ - ٣١).

٤ - لعلها مصحفة، فالعقلية المادية (الغربية) أنسب للسياق.

٥ - عنى بذلك، مطولته التي نظمها خصيصاً للقاء تكريمي أقامته له جمعية تنشيط اللغة العربية بالجامعة الأميركية صيف ١٩٢٤. وقد اختار الشاعر هذه القصيدة لتكون أكبر أثر شعري يُكتب في الشرق العربي: من موضوع واحد وروي واحد. ومطلع القصيدة:

ذلك الشعبُ الذي آتاهُ نصراً

هو بالسُّبَّة من «نُيرون» أخرى

(ديوان الخليل ج ٣ / ٥٠ - ٧٣). وللتوضيح فإن هناك مطولات شعرية تفوق بتعدادها، مطولة خليل مطران، منها همزية البوصيري ٤٥٧ بيتاً، وتائية ابن الفارض الكبرى (٧٦١ بيتاً) وغيرها الكثير من المطولات التي نظمت في موضوع وعلى وزن شعري واحد وروي واحد.

#### ٤٢٦.....الأديان الأبيض والأحمر

١ - قصد بالأدب الأحمر أو القصائد الحمراء، تلك الثورات التحريرية الكبرى التي تكون دماء الأحرار لها

- مداداً وحروفاً، أما الأدب الأبيض فهو أدب السلم والرومانسية وما شابه ذلك.
- ٢ - مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد المصري ورئيس وزراء مصر لعدة مرات (١٨٧٦ - ١٩٦٥).
- ٣ - يقصد ثورة العراقيين ضد الاحتلال البريطاني لبلادهم وثورة السوريين في دمشق وجبل الدروز وغيرها من مناطق سوريا ضد الفرنسيين.
- ٤ - البيت لأبي العلاء المعري. من ديوانه: «سقط الزند» شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠. وهو من قصيدة مطلعها:
- أرى العنقاء تكبر أن تُصاد  
فَعَانِدُ مَنْ تُطَيِّقُ لَهُ عِنَاداً

#### ٤٢٨ ..... شاعر بائس

- ١ - روتر يعني بها وكالة الأنباء الشهيرة (رويتز) والتي عدل مسماها حالياً إلى (رويتزر)، أسسها جول رويتز (١٨١٦-١٨٩٩) صحافي إنجليزي ألماني الأصل.

#### ٤٣١ ..... الأدب العبد

- ١ - الدست: صدر المجلس، والمنصب. المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص: ٢٨٢.
- ٢ - أضفناها ليستقيم المعنى.
- ٣ - الأصوب (عن) ولعلها مصحفة.

#### ٤٣٣ ..... الأدب بين عهدين - بين الحكم المطلق والحكم الوطني

- ١ - الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٧٤-١٩٤٤) خديوي مصر (١٨٩٢-١٩١٤) ابن إسماعيل، دشن سد أسوان، رد السودان لمصر، عزله الإنجليز وتوفي في جنيف، خلفه السلطان حسين كامل.
- ٢ - عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤)، أديب وشاعر مصري ولد في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية وشغف بالمطالعة عمل موظفاً ثم معلماً في بعض المدارس الأهلية وانقطع للكتابة والتأليف في كل أنواع الأدب الرفيع ظل اسمه لامعاً مدة نصف قرن ألف خلالها ٨٣ كتاباً، كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد.
- ٣ - إبراهيم المازني (١٨٨٩ - ١٩٤٩)، أديب مصري مجدد ولد في القاهرة وامتاز بأسلوب حلو الديباجة تخرج بمدرسة المعلمين وعمل بالتدريس ثم الصحافة وكان بارعاً في الترجمة ونظم الشعر أصدر مجلة «الأسبوع» مدة قصيرة، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، له ديوان شعر وقصص وكتب في النقد.
- ٤ - الأعلام المذكورون هم على التوالي: فيليب قعدان الخازن (١٨٦٥ - ١٩١٦) من عرمون بكسروان، صحافي، وكاتب أعدم شنقاً في بيروت. وجبران اندراوس التويني (١٨٩٠ - ١٩٤٧) كاتب وصحافي، ولد في بيروت وشغل عدة مناصب رسمية وأنشأ جريدة «النهار».. وحليم دمؤس المولود في زحلة ١٨٨٨، كاتب ناظم، اشتغل بالصحافة وترك آثاراً شعرية ونثرية شتى وتوفي مريضاً في الجامعة الأميركية ١٩٥٧. وأما فياض، فهو الياس فياض المعروف به في حاشية سابقة.

٥ - أضفناها لاستقامة المعنى.

## ٤٣٥ ..... تولستوي

١ - ليون تولستوي: ١٨٢٨ - ١٩١٠، أديب وفيلسوف روسي بارز. أشهر رواياته «الحرب والسلام» و «أنه كارنيينا» حاول إصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبة.

٢ - هكذا في الأصل.

٣ - فرانسوا فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) ولد في باريس، مؤلف فرنسي من نوابع زمانه، تزعم حركة الفلسفة المادية وقاوم رجال السلطة الدينية والمدنية، أشهر مؤلفاته «كنديد»، و«زئير»، و«محمد»، و«شارل الثاني عشر».

٤ - جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) كاتب فرنسي وفيلسوف اجتماعي ولد في جنيف، نادى بالعودة إلى الطبيعة، من أشهر مؤلفاته «العقد الاجتماعي»، و«إميل»، و«اعترافات»، تأثرت بمبادئه الثورة الفرنسية والأدب الرومنطقي..

٥ - صدرت مترجمة إلى العربية باسم «أنا كارينين»، ترجمة صيَّاح الجهميم - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٤.

٦ - العرب تقول: (بعضهم البعض) ونادراً ما تقيّد الأخطل بأصالة هذا الاستعمال ويقولون أيضاً (بعضهم بعضاً).

٧ - يمكن قراءة هذه الجمل، بصيغة الأمر على أنها وصايا..

٨ - هناك قول عربي مأثور يرجح أن يكون صاحبه الإمام علي بن طالب، يكاد يكون هو نفسه قول تولستوي، وهو «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

## ٤٤٠ ..... إلى اللواء الإيطالي (الإيطالي)

١ - الشقيق، ورد مخففاً. ولا ندري ما إذا عني به الأخطل، الزهر البري المعروف بشقائق النعمان النُّور الأحمر، أم الشقيق، الأخ.. ونميل إلى المعنى الأول..

٢ - لواء عمانوئيل، لواء في الجيش الإيطالي، سمي باسم فكتور عمانوئيل الثالث (١٨٦٩-١٩٤٧)، ملك إيطاليا عام ١٩٠٠، وأميراطور الحبشة عام ١٩٣٦، تنازل عن العرش ١٩٤٦، وتوفي بمصر .

٣ - يشير الكاتب إلى قيام إحدى البوارج الحربية الإيطالية بقصف مدينة بيروت ومينائها حيث أوقعت أضراراً في بناء المصرف العثماني. انظر كتاب «بيروت ولبنان في عهد آل عثمان» يوسف الحكيم ، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠، ص ٣٩، وانظرا أيضاً: مقالة الأخطل الصغير «كيف عرفت الشيخ اسكندر العازار» في الفصل الأول من هذا الكتاب. كما يتزامن هذا مع الحرب التركية الإيطالية في ليبيا والتنكيل بشعبها ومدنها وقراها.

## ٤٤٢ ..... كيبلنج يحيي بوانكاريه يوم زار لندن عام ١٩١٣

١ - روديارد كبلنج - Rudyard Kipling ، كاتب إنكليزي وشاعر، ترك عدداً من الآثار الشعرية والروائية وحاز على جائزة نوبل للأدب سنة ١٩٠٧ عاش ما بين ١٨٦٥ و ١٩٣٦.

٢ - ريموند بوانكاريه - Poincare - من كبار محامي فرنسا ورجالها السياسيين. شغل مناصب



حكومية عالية، كوزير للخارجية ورئيس جمهورية ما بين ١٩١٣ و ١٩٢٠، وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية وعاش ما بين ١٨٦٠ و ١٩٣٤.

٣ - ربما يكون اسم الدرع مستنبطاً من بلاد (الغال) وهو الاسم التاريخي القديم لفرنسا.

٤ - الرُّوع (بالفتح) الحرب، والرُّوع (بالضم) القلب والنفس والعقل.

٥ - ساحة روان حيث أُعدمت جان دارك، البطلة الفرنسية الشابة التي أضحت فيما بعد أسطورة البطولة الفرنسية (١٤١٢ - ١٤٣١) ومدينة روان عاصمة مقاطعة النورماندي، تبعد مسافة ١٢٣ كلم إلى الشمال الغربي من باريس.

#### الرديلة المعبودة..... ٤٤٦

- ١ - يكرز: يعظ وينادي ببشارة الإنجيل (سريانية) (المنجد ص ٦٨٠).
- ٢ - الأشياع، الأنصار والأتباع. مفردا شبيعة، وتجمع أيضاً على شيع..
- ٣ - إشارة إلى جمال باشا السفاح قائد الجيش العثماني الرابع في سوريا.

\*\*\*\*

ابيض

## الباب الخامس

---

---

ابيض

## مدخل...

جمع الأخطل الصغير النثر إلى جانب الشعر، وذلك من خلال عمله كصحفي وتأسيسه «البرق» الذي بقي وامضاً منذ ١٩٠٨ وحتى عام ١٩٣٢ باستثناء فترة توقف خلال الحرب العالمية الأولى. فكانت افتتاحياته في «البرق» أشبه ما تكون بالشعر المنثور، عالج فيها شؤون وطنه الصغير لبنان، ووطنه العربي الكبير وقضايا أُمته. ولما كان الشعر في حياة الأخطل الصغير هو الأساس برغم أنه صنو لعمله الصحفي، فإنك ترى الشعر والنثر مقترنين بشكل يكاد يكون دائماً في مقالاته.

وهذا الفصل مستل من مجموعة أشعاره التي جمعتها الدكتورة سهام أبوجودة لتكون ملحقة برسالتها الجامعية عن الأخطل الصغير، ومادته عبارة عن شعر ونثر في الإخوانيات والمناسبات كالتهاني والمراثي وما شابه ذلك، رأينا أن تكون ملحقة بأعماله النثرية حتى يخلص ديوانه الشعري من المقدمات النثرية الشارحة، سواء أكانت تلك المقدمات قبل الشعر أم بعده، أم كان الشعر في بدايتها أو وسطها أو نهايتها، فهي تبقى على أية حال شعراً ونثراً متداخلين ومتلازمين.

\*\*\*\*

ابيض

## سرکيس والنحلة

قالها في مدح سليم سرکيس<sup>(١)</sup>:

الجنّاحان عندما حملها  
حملها ومبسم الفجر يلمع  
نحلة قلت إن تأملت فيها  
جلّ من صورّ الجمال فأبدع  
ذات جدّ والمال بالجدّ فانظر  
ثوبها كيف بالنضار ترصّع  
بكرت مستخفة بالكسالى  
تقصّد الروض وابن آدم يهجع  
دخلته تقول قد أذن الفج  
ر فهبّت أزهاره تتطلع  
ثم أصغت يشوقها هزج النح  
لة لا ينتهي ولا يتقطع  
واشتهى ثغرهن لو تطبع النح  
لة فيه ما الثغر في الثغر يطبع  
فكأن الذي اشتهاين اشتتهته  
ولها غير مطمع الزهر مطمع

---

١ - سليم سرکيس (١٨٦٧ - ١٩٢٦) صحفي وشاعر أصدر مجلة «سرکيس» في مصر كما أنشأ في مصر صحيفة «المشير» ومجلة «مرآة الحسناء» وأصدر في أمريكا «البستان» ثم «الراوي». أنظر صورة رسالته

حَوِّمَتْ فَوْقَهُنَّ ثُمَّ أَسْفَلَتْ  
تَرْشَفُ الزَّهْرُ - هَكَذَا الطِّفْلُ يَرْضَعُ  
فَهِيَ إِذَا ارْتَوَتْ تَعْدُ لَخَالِيَا  
شَيْدَتَهَا مِنْ قَبْلِ الشَّهْدِ مَصْنَعُ  
فَإِذَا الصَّيْفُ جَاءَ جَاءَتْ بِشَّهْدِ  
ذَاقَهُ فَاسْتَلْزَمَهُ النَّاسُ أَجْمَعُ



هَكَذَا أَنْتَ يَا بَنَ سَرْكَيْسَ لَا يَسُدُّ  
طَعْمَ فَجَرٍ إِلَّا وَفَجَرَكَ أَسْطَعُ  
تَبْكُرُ الرُّوْضَ يَنْبُتُ الْأَدَبُ الْغَضُّ  
ضَرِّ فَتَجْنِي مِثْلَ الرِّحِيْقِ الْمَشْعَشَعِ  
وَعَلَى جَانِبَيْكَ كَيْفَ تَوَجَّهْ  
تَطْنِينَ يَغْشَى الْأَصَمَّ فَيَسْمَعُ  
أَنْتَ إِذَا ارْتَوَيْتَ تَرْجِعْ إِلَى الْمَصْدِ  
نَعْمَ تَمْلِي عَلَى الطَّرُوسِ وَتَطْبَعُ  
فَإِذَا مَوْعِدُ الْمَجْلَلَةِ وَافَى  
أَتَحَفَّتُنَا بِالشَّهْدِ أَشْهَى وَأَنْفَعُ



هَكَذَا أَنْتَ يَا سَلِيمَ وَلَا فَرِّقْ  
قَدْ نَشِيطُ تَجْنِي وَغَيْرَكَ يَشْبَعُ  
قَدْ تَهَزَّ الْغَنَى حِينَئِذٍ فَيُعْطَى  
وَتَهَزَّ الْأَدِيبُ حِينَئِذٍ فَيَسْجَعُ



شعراء الزمان زهر إذا لم  
يتحرك فقلماً يتضوع



لا تعجل.. نسيت شيئاً سواً  
أنت فيه ونحلة الروض - فاسمع  
فهي إن يعتد الغبيُّ عليها  
لذعته - كذا يَراعُك يُلذع

\*\*\*\*

## في بئر حسن

أقيمت حفلة على شرف حاكم جبل لبنان أو هانس قيومجيان باشا في منزل أحد الوجوه بمنطقة بئر حسن وفي ختامها لم ير صاحب البرق جميلاً أن لا يقول شيئاً من الشعر فقال:

هذه الجنة التي وعد الله  
قديمًا معاشر الأصفياء  
مسرح للجمال حيناً وحيناً  
مسرح للفخار والعلياء  
نفحتها روح السليم فجاءت  
آية من آياته الغراء  
مشهد للبهاء صوره الله  
مثالاً لحسنه الوضاء  
هكذا في الجمال لبنان لكن  
شوهدت حسنه يد الجهلاء  
عصبة من رجال يوسف<sup>(١)</sup> أغرار  
تداعى بهم رفيع البناء  
فتداركته لنا بحبيب<sup>(٢)</sup>  
رجل الشعب حجة الفضلاء



أمل للبلاد فيك إذا ما  
نولته كانت من السعداء

\*\*\*\*

---

١ - هو يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان (الحاكم) من (١٩٠٧ - ١٩١٢) .  
٢ - السياق يشير إلى أنه يقصد حبيب باشا السعد، رئيس مجلس الإدارة بين عامي ١٩١٣ و ١٩٢٠، كما أن تاريخ القصيدة يصادف بدايات تولي أو هانس باشا المتصرفية، حيث كلف السعد بتولي رئاسة مجلس الإدارة.

- البرق، ١ شباط ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢١١، ص: ١٥٠ .

## مفكرات شاعر

### شوارد

كتب الشاعر هذه الأبيات على طاولة وهو في انتظار بعض أصدقائه فنقلها  
الشيخ شاهين الخازن:

النفوس يـرهقها  
في نهارها المـلـل  
والقـلوب وهي لـظى  
في الظلام تشـتـل  
كلما انتهـى شغل  
جدّ عنـدنا شغل  
والخطوب أيـسرهما  
أنـنا لـها أكل  
ضاقت الصدور بـها  
حين ضاقت الحـيـل  
عـلـة نـدافـعها  
لو تدافع العـلـل  
كلنا القـتـيل بـها  
ذاك حـادث جـلـل

\*\*\*\*

---

- البرق، ١٤ أيلول ١٩١٢، مج: ٥ ، عدد: ١٩٣ ، ص: ١٣ .

## مفكرات شاعر

### أين الكرام

وكتب هذه القصيدة في ١٤ كانون الثاني وأرسلها إلى صديقه الشيخ اسكندر العازار وقد أثر عليه جمود بعض الأغنياء لدى مشاهد البؤس الأليمة في ذلك الشتاء<sup>(١)</sup> الهائل:

أين الكرام الألى كانوا إذا سُئلوا  
تهللوا ثم أعطوا فوق ما سُئلوا  
ومن إذا أنشِدوا شعراً حسبتهم  
وقد ترنحت الأعطاف قد ثملوا  
فخراً بما خلد الشعر البليغ لهم  
من المروءات والفضل الذي فعلوا  
ماتوا وعاشوا لئام الناس بعدهم  
من كل من مات بأساً غره الأمل  
إن أنشِدوا الشعر قالوا ما يقول لنا  
وإن تملَّص فلس منهم شكّلوا  
هم أغنياء بلادهم لا حياة لها  
إلا إذا انقروضوا منها أو ارتحلوا

١٤ كانون الثاني ١٩١٨

---

١ - هكذا وردت في الأصل، والأقرب للسياق أنها «الشتاء» حيث إن تاريخ الرسالة يصادف كانون الثاني (يناير).

## مفكرات شاعر

### لهف نفسي

عرف الشاعر رجلا لبنانياً أصيب ببنيه الخمسة في خلال شهر واحد .

كان يرى الجوع يفتك بهم ولا قبل له بصدده عنهم ويраهم تتراوح بهم أرجلهم  
الهائلة تحمل وجوههم الشاحبة يخرجون نهاراً في التماس كسرة الخبز ويرجعون  
مساءً والسعيد منهم الذي يحمل ما بين يديه شيئاً من ورق الفجل وقشر الليمون  
فبكاهم بقوله:

لهف نفسي عليهم كيف يقوون

ن على الغمض والبطون خوالٍ

ينقضي اليوم والسعيد الذي فا

زَ بقرشٍ من بعد ألف سؤال

وهب القرش كان عشرين قرشاً

لا «ريالاً» قد مرَّ عهد الريال

أتسد العشرون زاوية في

بطن طفل من أنحف الأطفال

ويح رب العيال كيف يراهم

يتفانون - ويح رب العيال

من يراهم يرى المنايا بشكل

تطبع الهول في قلوب الرجال

ما رأينا أباً كمثل أبيهم  
كل يوم لديه يوم نوال  
يطعم الموت كل يوم وليداً  
فيغذي الأجال بالأجال

كانون الثاني ١٩١٨

\*\*\*\*\*

## مفكرات شاعر

### أتسألوني شعراً

اقترح خلال الحرب بعض أصدقاء «الأخطل الصغير» عليه نظم قصيدة تتلى في إحدى الحفلات الأدبية فرد طلبهم بالأبيات التالية:

أتسألوني شعراً بعدما ذبلتُ  
صبابتي وتلاشت غرّ آمالي  
وبعدما جفّ عودي والتوى زمني  
وبدلّ الدهر أسحاري بأصالي  
وبعدما مال نجم المال عن فلكي  
وكان قسمة اخواني وسوالي  
وبعدما انكسرت كأسِي على شفتي  
لهجرها - ويحها لمِ أملاّتها لي  
أنعلّتها كبدي يوم النوى فأنا  
أخشى على رجلها من نعلها البالي

\*\*\*\*

---

- البرق، أيلول ١٩٢٠، عدد: ١٠٨٨ ، ص: ٢ .

## فاحتكرت المروءة

قال الشاعر: كان فقيد الأدب والشباب طانيوس عبود<sup>(١)</sup> من أكمل الناس مروءة وأصدقهم وكان لي صديقاً وفيًا حميمًا، حتى إذا اشتعلت الحرب واضطرت إلى الانزواء كان يتولى أكثر شؤونني بعطف دونه عطف الأخ الصدوق. فكتبت إليه يومذاك بالأبيات الآتية:

قد عهدناك ملء صدرك حباً  
ووفاء ونخوة وفؤاداً  
دق إحساسك اللطيف فالبس  
تَجميل المعروف ثوب الأخوة  
أرأيت الجميل مفرسه حل  
ووثماره كذلك حلوه  
أم رأيت التجار تحتكر القو  
تَفاعدوك، فاحتكرت المروءة

٢٢ آب ١٩١٦

\*\*\*\*

---

١ - هكذا في الأصل، ولعله طانيوس عبده، الوارد ذكره في الفصل الأول من هذا الكتاب.

- البرق، كانون الثاني ١٩٢٦، عدد: ٢٦٧٣، ص: ١ .



## فوزي بريدي

أقسمت بالليل إذ قبّلت غرّته  
وإذ ضفّرت على رأسي ذؤابته  
أقسمت بالليل والوادي يفيض هوىً  
ويسكب النهر في أذني شكايته  
أن الفؤاد الذي قد مات أكثره  
ما زال يروي الوفا عنه روايته



أقسمت لو أن لي قلباً يثور به  
دم الشباب ويسقيه بشاشته  
لرحت ألهب فيه كل جارحة  
وأستردّ من الماضي غوايته  
وهشّ لي الشعر لما أن هشتت له  
وراح يطرح في حضني ربابته



يا شعر هذا فتى الوادي فغنّ به  
ما شئتَ ترجع إلى الوادي نضارته  
وغنّ بالأدب العالي فإن عجزتُ  
يراعتي فاستعِرْ منه يراعته  
وقل له، قل لفوزي إذ تعانقه  
أنا الرسول الذي أدى رسالته

تموز ١٩٤٦

\*\*\*\*

— من أوراق الشاعر .

## يـداك أـم يـدا مـلك

يـداك أـم يـدا مـلك  
حـيـرتَ مـن تـأمـلك  
يـا مـخـرج الـروح مـن  
الـروح ولـولاك هـلك  
كأنـما الـله إلـى النـاس  
مـسـيحاً أرسـلك  
يـا عـجـباً مـن سـاحـر  
فـجـر نـوراً مـن حـلك  
أنـامـلي العـشر وإن  
قـلـت تـفـدّي أنـمـلك  
يـا وـاحـد الـتـولـيد مـا  
خـاب جـنـين أـمـلك  
إن نـقـتـسمـه بـيـنـنا  
فـالجـسم لـي والـروح لك

\*\*\*\*

---

- نظمها للدكتور يوسف الفخالي شاكرًا له عنايته بتوليد أحد أبناء الشاعر سنة ١٩٣٥ .  
- من أوراق الشاعر.

## الأخطل الصغير والأستاذ عبد الوهاب

بلبلان غريدان وأميران ساحران، ذلك في دولة الشعر والعاطفة وهذا في دولة  
الموسيقى والفن، سحر الأول بصوت الثاني، فثار الشعر في نفسه، توحيه نغمات  
عبد الوهاب الجارحة، وعذوبة صوته الرخيم، ومعان عميقة القرار تجول في عينين غمرهما  
السحر الحلال ، فأرسل الأخطل الصغير الأنة البليغة التي يتردد صداها في هذه الأبيات:

أيها المرسل الأغاريد في الليد  
لِ رويداً أطلت سهد الدراري  
وتركت النهار كالعاشق المف  
تتون يصغي إليك خلف ستار  
أو كعذراء بُشّرت بعريس  
عبقري الشباب جم النضار  
نقبت دونه السجوف وألقت  
فوقه أعيننا من الأنوار  
رحم الله ذلك الوتر المسد  
كين هونته على السُّمّار  
يرتمي تحت ريشة من ذنابي الطُ  
طَّير في كف أطرب الأطيّار  
قد سلبت الرياض سلسالها العذ  
ب ورياً نسيمها المعطار  
فارحم الطير يا «محمد» واترك  
بعض هذا الحنين للأوكار

\*\*\*\*

- البرق، آب ١٩٣٠، عدد : ٣٣٧١، ص: ١ .

## المهاجرون يكرمون الأمير خالد شهاب

أما محيوك محفوظ وإخوتهم  
بنو فطيط فقل في الروض والسحر  
النور والعطر رقرقان في أفق  
من المباسم أو أفق من الحور  
تجاذبك هوى بوركت من فلك  
مقسم الوجه بين الشمس والقمر  
أهدوا إليك شعاعاً من محبتهم  
كالخمر للروح أو كالنور للنظر  
تحية من وراء البحر عاطرة  
لآل محفوظ فيها أطيب الأثر  
ما صورك لتخليد ولا زعموا  
وأنت كالدهر ملء السمع والبصر  
لكن قلوباً ومآقٍ ملهفة  
إلى محياك نالت غاية الوطر  
تناقلت ألسن الأيام ما نفحت  
بك المنابر من زهر ومن ثمر  
وكم نثرت بها دمعاً على وطن  
معلق الجفن بين الهم والسهل

---

- ألقى الشاعر هذه القصيدة في قصر الأمراء الشهابيين، وذلك في ١٧ تموز ١٩٣٢ .

أصابه يومه الماضي بعزته  
فبات من يومه الآتي على حذر



فتى النياحة قل للمستميت بها  
هات الدليل على دعواك أو فذر  
إن الدساتير لا تعطي أعنتها  
إلا الأعاصير من جنّ ومن بشر (\*)  
من هابط كقضاء الله مكتسح  
أو صاعد كفم البركان منفجر (\*)  
تبغي السيادة لم تبذل لها ثمناً  
إلا التمسك بالبالى من الهذر  
تبغي السيادة لم تبذل لها ثمناً  
إلا التمسح بالصلبان والسُّور  
إذا تلمّستّها من كف مقتدر  
أبشر فقد نلت منه هزء محتقر  
دع الدساتير لا يعلق هواك بها  
وسلّم الأمر للنسيان والقدّر  
حمّلت نفسك عبئاً كاد يقتلها  
هلا استرحت رعاك الله من حجر



عفواً فما هي إلا فكرة سنحت  
وأهناً الناس من يحيا بلا فكر  
أدر كؤوسك ، أدركني بواحدة  
تختال في الأبيض الزاهي من الأزّر

---

(\*) شعر الأخطل الصغير، «الدستور» ٢٢، ص: ٢١١ .

من كرم مرّج عيونٍ أو شقيقتها<sup>(١)</sup>  
وهل يطيب بكأس غيرها سَكْري  
فدى التي عصرتها كل عاصرة  
حاشا الأعاريب من بدو ومن حضر  
تسقيك سكرًا وزجرًا من لواظها  
سكر الجمال وزجر الطاهر الخفر  
كأنما حاصبياً من جانّرها  
بيت من الشعر في قيثاره النهر  
سل الكنائس فجر العيد هل طلعت  
إلا على صُورٍ صُلّين للصُور  
أم القشاعم للأفلاك ما نسلت  
من كل من طار مكساباً ولم تَطِر  
كأنهم وعيون الدهر تشزّهم  
إغفاءة عذبة في مقلّة الخطر  
في كل طارئة منهم وجالية  
بيت من المجد في أفق من الظفر  
رأوا الأمير ربيعاً في مناقبه  
حالي الأصائل والأسحار والبُكر  
فاستمتعوا فيه تغريداً ورفرفة  
أما رأيت ولوع الطير بالشجر

\*\*\*\*

---

١ - حاصبياً.

- البرق، تموز ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٩، ص: ١

## الدكتور ربيع الدستور بين الأخطل الصغير ودموس

ألم داء بالشاعر بشارة الخوري فدخل مستشفى الدكتور نقولا ربيع.  
فنام في السرير نفسه الذي لازمه الأستاذ النائب دموس منذ عامين، فجال  
الشعر في خاطره ونظم هذه القصيدة معاتباً بها الأستاذ دموس ويذكره شؤوناً كثيرة  
وشجوناً أكثر.

يا شـبـل طـوـيت شـبـلا  
وطـبـت بـعـضـاً وكـلا  
يا أضعف الناس قلباً  
وأقدر الناس عقلاً  
ويا خطيباً لـديـه  
فـيـلـكـس أصـبـح طـفـلاً<sup>(١)</sup>  
بـرـاعـة لا تـدـانـي  
مـهـمـا خـطـيب تـعـلا  
قـد تـرفـع السـهـل حـزناً  
وتـخـفـض الحـزـن سـهـلاً  
وتـسـكـب الخـلّ خـمـراً  
وتـسـكـب الخـمـر خـلاً

---

(١) فليكس فارس.

وأنت أكرم من أن  
يُنْزالَ خُصْمُ وأَعلى



يا شبل أين وفاء  
عهده فـيـك قـبـلا  
أَيُّفُتِكَ الداء فـيـنـا  
ولا نـرى لك ظـلا  
وكنـت لا تـتـوانى  
وكنـت لا تـتـخلى  
غامت علينا السـويداء  
فـصُبَّ الـهم وبـلا  
فنـحن لا نـتـهـنا  
ونـحن لا نـتـسـلى  
وكيف يسـالو سـايب  
أو كيف يـنـقع غـلا  
إن لم يـكن عـنـك يُروى الـ  
حـديث أو مـنـك يُتـلى  
نـوادير مـثـل نـسـج الـ  
رـيـاض زهـراً وطـلا  
ومـحـكمات قـوافٍ  
كالحـبل حـبـكاً وجـدلاً  
ومـدهـشات نـكات  
شـبل بـهـن اسـتـقـلا  
أخاك يا شـبل! فـانـظر  
إلى بـهـن لا عـلا

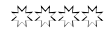


معذب ليس يسـالو  
لكنه سوف يسـلى  
عند «الحكيم» الذي لم  
نـر له قط مـثـلا  
ذاك الذي قـالت فيه  
وكان قـولك فـصـلا  
إن الطـبيب نـقـولا  
قد صيّر الصـعب سهـلا  
بل أرجع المـيت حـيـاً  
من بعد ما كاد يـبـلى  
لله يـومك مـنـه  
هـلا تـذكـرت هـلا  
غـداة سـلّ الحـصى من  
كـلاك صـغـرى وجـلـى  
فـكـلّ عـزـيل لـكن  
جـرّاحـنا لم يـكـل  
يا بـالـع الصـخـر! هـلا  
فـكـرت في الـهـضم قـبـلا  
قـد يُشـرب المـوت شـرـبـاً  
ويـؤكـل المـوت أـكـلا



لله درّ نـقـولا  
نـصـلاً تـقـالـد نـصـلاً  
يـديـره بـيـديـه  
في الجـسم فـصـلاً ووصـلاً

كأن في الرأس منه  
عيّناً أبت أن تضل  
يكن للداء حتى  
تفنى بقاياها قتلا  
كأنما الداء خصم  
له ففأدرك تـبـلا<sup>(١)</sup>  
رأيت كل رشـيق  
لدى ذقـولا أشلا  
فهو المرجى إذا استنـ  
صـر الحديد وصلا<sup>(٢)</sup>



يا شبل بالله حدث  
عمّا بنا قد حل  
دستورنا هل تراه  
يموت في المهـد طفلا  
وشعبنا هل تراه  
يطيق هذا الحملا  
قد باع فوقاً وتحتاً  
وذاق يـتمـاً وثـكـلا  
وودع الـبيت والأهـل  
لـ والـهوى والحقـلا  
إلى أمـركـا مجـداً  
به الـبـواخـر تـمـلا

(١) الثأر.

(٢) من العليل .

إذا الـدعائم ولت  
يا شـبـل فـالـمـلـك ولـى



الله ! رفقا بشعب  
مصنوه حتى اضمحلا  
فصار يركب «أوتو»  
من كان يركب نعل  
وصار فينا عزيزاً  
من كان يعصر ذلاً  
وصار فينا رئيساً  
من كان يعدم شغلاً  
وصار لبنان أنثى  
من بعد ما كان فحلاً  
أوطانكم!! فاستفيقوا  
إن الليالي حبلـى

\*\*\*\*

---

- المعرض، ١٩٢٦، عدد: ٥١٥، ص: ٣ .  
- البرق، أيلول ١٩٢٦، عدد: ٢٦٣٥، ص: ١ .

## «البرق» والريحاني<sup>(١)</sup>

كاللؤلؤة في النحر، والابتسامة في الثغر، كانت ليلتنا في الأمس ونعم الليلة.  
فما خطر على قلب بشر هذا الإقبال الذي صادفنا، ولا وقع بصر على مثل النخبة  
الراقية من كرام وكرائم في حفلة أدبية كالتى أقمناها.  
قلب بيروت، دم مهجتها، هيكل مستقبلها، هم كل الذين كانوا مساء الخميس في  
«زهرة سورية» لتنشيط أول جريدة أقدمت على تكريم الأدب في صورة الريحاني.  
تلك الليلة ما بعدها دليل على حقيقة حب الإخوان لجريدتهم، وما بعدها دليل  
على سمو الشعور في هذا البلد العزيز فما هي سوى تاريخ لأجمل فوز جنينا لذته  
ورشفنا صهباءه.  
كانت الساعة قبل التاسعة «الأمم المضروب» فدخلنا وإذا بالمسرح لا ترى فيه  
مكانا فارغا.  
سيدات وسادة جاؤوا ليسمعوا خطبا لا يقاطعها نغمة وتر ولا مشهد سينما  
غراف، ولا فصل هزلي، فقل ما شئت في أدبهم المحض وعقلهم الراجح.  
وهنا وقف صاحب البرق فافتتح الحفلة بالكلمة التالية:  
بالذي في البدور من لمعانٍ  
والذي في الغصون من ميلانٍ  
بالطيور التي على قبعات الـ  
غيد تشدو لكن بغير لسان

---

١ - أمين الريحاني، سبقت ترجمته.

بالعيون التي يذوب بها السح  
رُ بما في القلوب من خفقان  
بليالي الشعور تشرق فيها  
كل شمس من مطلع العرفان  
بالنسيم الذي إذا عطف الغص  
نُ أصاب الأوراق بالرجفان  
بالأديبات بل بكل أديب  
طيب النفس صادق الوجدان  
ما ظفرنا بمثل ليلتنا الف  
ضل فيها والحسن معتنقان  
كل فرد منكم خطيب بليغ  
قام منه في وجهه شاهدان  
وكلام العيون أفعل في النف  
س من اللفظ ليس فيه معاني



هذه الليلة التي جمعتنا  
زهرة علّقت بصدر الزمان  
فَلَكُ أَنْتُمْ كواكب الزه  
رُ وأنتم فيه شعاع البيان  
يستمد العازار منكم وحيًا  
عنده ضاع وحي بنت الحان  
ذلك الوحي سوف ينثر منه  
زهرة فوق مفرق الريحاني



يا سادة:

هذه الليلة أنتم أقمارها، وهذه الروضة أنتم أزهارها، فيا أقمار الفضل ويا أزهار الأدب سلام ومرحبا .

إما بعامل الحب وإما بعامل الفائدة أنتم هنا يا سادة ومن أجل تلك الرغبة أنتم تشكرون.

يقولون إن ميل الناس إلى تلك الحفلة يكاد لا يوجد. ويقولون إن الآداب غير رائجة السوق في سوريا، ويقولون إن الأديب لا يكافأ في الشرق. أجيلوا نظركم في هذا المحضر الكريم تروهم لا يصدقون.

أعطونا أديبا ناضجا وخذوا حفلة ناضجة. الذي ينقل آداب الشرق للغرب والذي يعرف الانكليز بأبي العلاء وصاحب كتاب «خالد» ورواية الإمام علي بن أبي طالب لا تكبر عليه هذه الحفلة.

أنتم تحبون الريحاني، تحبون روحه. تحبون أدبه ، تحبون أن تسمعوا منه آخر خطاب يقوله قبل سفره، ومن أولى من جريدة «البرق» التي جعلها ميدانا لقلمه ومستودعا لبذوره بتحقيق هذه الأمنية.

تكريم الأدباء يا سادتي أكبر منشط لهم، كافئوا أديبا على كتاب ألفه اليوم يؤلف أفضل منه غداً. وفي كتب الأدباء أفضل غذاء للعقول ونور للأفكار . في كتب الأدباء أساس الرقي وعنوان التقدم فعززوا الكتب تعززوا الأدباء وإذا شئتم تعزيز أمة فعززوا أدباءها.

باسم هذا المبدأ أحييت جريدة «البرق» هذه الليلة وباسم جريدة «البرق» أرحب بكم وأشكر الغيرة التي أظهرتم تاركا لكبير الأدباء شيخنا العازار أن ينثر الزهرة التي أعدها لصديقه وليس بين نبرات العازار ونغمات القيثار من فرق لذوي الأبصار.

\*\*\*\*

---

- البرق، أيار ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٨٨، ص: ٢٨٨.

## صلح وبستاني<sup>(١)</sup>

### مبعوثان

١٣٢٦

كتب الحق لنا النصر المبينا  
فرجعنا بالأمانى ظافرينا  
ظفر العلم وكانت نهضة  
ركنها خير الرجال المسلمينا  
هدموا بالسمر من أقلامهم  
معقل الجهل وقد كان حصينا  
أرؤس تحوي علوم الغابرينا  
ونفوس للعلی تبدي الحنيننا  
وقلوب ملؤها الحب الذي  
يقتفي فيه البنون الوالديننا  
همم تحكي شبا الهندي إذ  
اطلعت من دجن الشك اليقيننا  
فهو كالراية يمشي تحتها  
كل يتخذ التأليف ديننا

إلى مدينة بيروت الى مدينة العلم ولؤلؤة التاج مالت أبصار الأمة بأسرها وعلى  
هذه المدينة كانت تحوم الآمال ومنها كان يُرجى تحقيقها. في بيروت خمسة وثلاثون  
صوتا والبستاني الذي رشحته الطبقة المتنورة من الشعب لم يكن له سوى خمسة  
أصوات فإذا هو لم يتفرد بأصوات المدينة كان الفشل محتوما.

---

١ - رضا صلح وسليمان البستاني انتخبا ليمثلا ولاية بيروت في مجلس «المبعوثان» العثماني بالأسنانة.

هنا اقتتل العواطف.. هنا ضحيت المصالح.. هنا برهنت بيروت على علم صحيح  
وفضل راجح. هنا انتصر الحق على الباطل وكان للسادة المسلمين في ذلك يد لا تكفر.  
فسلام على النفوس الكبيرة الكامنة في صدورهم، سلام على الشرف الجاري مع الدم  
في عروقهم، بل سلام على بيروت التي أرتنا في هذه الحرب الأدبية رجالا يتفانون في  
سبيل الوطن ولا ييخلون عليه بالنفائس.

كان البستاني يقرأ مكنونات الصدور. كان يقف على دقائق الأمور. كان يرى  
القلوب الكبيرة تلجم مطامعها الكبيرة تضحية لمنفعة النفس وإيثاراً لمصلحة العموم على  
مصلحة الفرد.

المدينة بأسرها على اختلاف أديانها وطبقاتها على اختلاف نياتها ومآربها جعلته  
موضع ثقته وسلمت إليه زمامها وفوضت إليه شؤونها فهل يكون عند الأمة به  
ويملاً الكرسي المعد له في المجلس الكبير؟

إن البستاني الرجل النابغة يناجي بلا ريب ضميره في هذه الساعة، إنه ينظر  
بعينه النافذة الى أحشاء المستقبل ويرى ما أعده له الغد من المصاعب التي سوف  
تجشمه السهر الطويل والمتاعب الجلى.

إن البستاني «مندوب مدينة بيروت» رأى في بداية الانتخاب تأثير الجهل على  
القسم الأكبر من الشعب وهل يحارب الجهل بسوى التعليم الإلزامي في مدارس وطنية  
تؤلف بين قلوب أبناء الأمة العثمانية؟

إن العلم كالروح ينتعش به قلب الأمة ولكنه متى أصبح لزاما تنتعش به أطرافها  
وهي القوى العاملة فيها بل هي كناية عن الطبقة الجاهلة التي لو صرفت قواها الى  
عمل مفيد لعاد على الوطن منه نفع شامل وخير عميم.



غير أن هذا ليس بالمسألة الوحيدة التي يجب أن تشغل رأس المبعوث بل هناك مسائل كثيرة لا تفوت مبعوثينا، هناك تأليف اللجان الوطنية والشركات الوطنية التي تشتغل في الوطن وللوطن. هناك استثمار الأراضي الغنية بتربتها ومعادنها، هناك كف غيث الرتب والأوسمة عن أن ينهمر على قوم لا يعرفون للفضل مصدرا ولا للعلم مقاما. هناك ضرب المكوس الباهظة على واردات البلاد الأجنبية إذا كان لدينا منها ترويج لما هو عندنا بل هناك محاسبة البلديات والحثم عليها بنشر أعمالها وميزانياتها في كل سنة الى آخر ما لا يطوله علمنا القاصر مما لا يفوت مندوبينا الكريمين.

فإلى الصلح والبستاني نوجه هذه الجملة وعلى عاتقهما نلقي تبعة ما انتدبا اليه فإن لنا من علمهما كفيلا بتحقيق الأمل ومن خلالهما دليلا على خلوص النية.

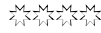
فنحن نرفع لهما تهنئة الأمة عاطرة ونسأل الله أن ينفعنا بهما فهو على كل شيء قدير.

\*\*\*\*

## بنديكتس الحادي عشر

إلى بعض الاكليروس

قرأت من بنديكتس الحادي عشر  
نادرة كالعقد في جيد السير  
وهما أنا لقارئ أرويهما  
ولي - ولا أنكر - مغزى فيها  
وكننت قبلاً أكره المغازي  
لما بها من بارد الألفاظ  
لكنما والحر يشوي شيئاً  
يستملح البارد لكن شيئاً



كان بنديكتس من أنجال  
فتى مزارع قليل المال  
فصعدت أخلاقه به إلى  
أعلى ذرى إلى أعلى العلى  
وفتحت لربها الأبوابا  
قداسة النفس تسيم بابا  
وشاع في روما أن أمه  
عازمة في الغد أن تؤمه

---

- بنديكتس الحادي عشر هو بابا روما بين عامي (١٣٠٣ - ١٣٠٤م).

فزينوا والسهم إثر السهم  
ليكرموا الابن بشخص الأم  
وخرج البابا مع الأقوام  
يستقبل الزائر بالإكرام  
لكنه لما رآها أجفلا  
وأنكرت عيناه تلك الحلا  
فقال لا أعرف ذي الأميره  
لأن أمي امرأة فقيره  
فشدها من قوله تأثرت  
ونثرت من دمعها ما نثرت  
وانصرفت<sup>(١)</sup> ولبثت في خلوه  
ولبست عتيق تلك الكسوه  
ورجعت إليه فارتمى على  
عنقها وضمها وقبلاً  
وقال والعين مسرورة تهمني  
عرفتك الآن فأنت أمي



عد بي إلى الشرق ولا تبئتس  
وانظر إلى أقارب الاكليروس  
تراهم من بعد ذاك الفقر  
أمسوا وهم دون الوري يُسر  
وبعد لبس « الجبة » المرقوعه  
أمسوا ذوي الكلمة المسموعه

---

١ - في الأصل الذي لدينا (انحرفت).

وبعد أن كانوا ذُنُبا في الناسِ  
تحولوا فأصبحوا بالراسِ  
كأنما الوقف عليهم وقفٌ  
وما يدب فيه أو يرفُ  
ومن غدا نسيبه مطرانا  
فقد سما حتى علا كيوانا  
يرفل في الدمقس والحريـر  
وربما كان من النـذور  
وينثر المال بلا حساب  
على الغواني<sup>(٢)</sup> وعلى الشراب  
يهنا وتشقى دونه الرعيه  
وهي بما ينفقه الحريه  
أليست الأوقاف من آبائها  
إلى بنيتها وبني أبنائها  
كانت لصنع الخير بين الناس  
من غير تمييز ولا قياس  
هذا ولا أعـمم الكلاما  
لأن في ساداتنا كراما  
قد علموا بواجب الأباء  
فعاملوا الأبناء بالسواء  
وعززوا وشيـدوا الأوقافا  
وأرشدوا ودبروا الخرافا

---

٢ - في الأصل المتوافر لدينا (الغوافي).

وإن في ذويهم شيبانا  
بزوا بأفعالهم الأقرانا  
وقد ركبوا الجد إلى نيل العلى  
ونال كل منهم ما أملا  
لكنما الواحد في المليون  
يكاد لا يظهر للعيون  
فشكت الناس وشكت فيهم  
وفي ذويهم وذوي ذويهم  
وبات كل منهم يقول  
وقلبه من الأسى متبول  
لو اشبهت (أباؤنا) بنديكتسا  
لعبدت أبناؤنا الاكليروسا  
الأخطل الصغير

\*\*\*\*

## قال في بطرس أفندي داغر:

كنت كالوردة في الكُمّ فلا  
حسنها يبدو ولا نشر يفوح  
عجب الحاسد لما جرحته  
كيف فاح العطر من تلك الجروح

\*\*\*\*

---

- قال هذين البيتين في صديقه بطرس داغر يوم اتهموه بمخالفة الأوامر التركية.  
- البرق، ١١ حزيران ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ٩٢، ص: ٣٢١.

## عن المدارس

إن المدارس كالرياض  
تنوعت فيها الأزهار  
هـذا يـرووق وذاك لا  
والفرق مثل الصبح ظاهراً  
(بشارة)

\*\*\*\*

---

- البرق، آب ١٩١٠، مج: ٢، عدد: ١٠٠، ص: ٣٩٣.

## بطروا للغنى

- من أوراق الحرب -

قد نكينا فما لنا أصحابُ  
سنّة الدهر ليس فيها عتابُ  
صادقونا فكان ذلك ذنباً  
ما عليهم إذا هم اليوم تابوا  
بطروا للغنى كأننا جهلناه  
ولكن ضللت بنا الآداب  
أمس كنا وما عليهم حجاب  
وهم اليوم دونهم حجاب  
الأخطل الصغير

\*\*\*\*\*

---

- البرق، ١٩٢٨، عدد: ٣٠١٢، ص: ١.



## في الحمى سنة ١٩٠٥

أرسلها لصديقه عادل أرسلان

هو الغزال الذي تعني وذاك هو الرُ  
رامي الذي لم تطش قطعاً مراميه  
رمى فؤادي فأصماه وخلفني  
كما تراني كسير القلب داميه  
فرحت أقصد بيتي لا أفيق ولا  
أعي ولا أرعوي عن عظم حُبِّيه  
حتى إذا ما دخلت البيت صحت بهم  
إليّ - ما بك - دور ذا نلافيه  
وأقبلت عجلاً أُمي «تدسدسني»  
فقلت يا أم قلبي لا (تدسيه)  
وبت أصرخ من تحت اللحاف من الـ  
جمر الذي هو في الأحشاء صاليه  
حتى تحيّر في دائي الطبيب ولا  
بدعُ ودونك ما قد قاله فيه



لداء هذا الفتى داء يعزّ على  
من كان مثلي شفاه وهو خافيه

وإن يكن من دواء فليصف له  
نقيع زهرِ نَمافي خد مضنيه  
وليُسقَ منه متى هاج الدوار به  
بكأس وجنته (جرعه) فتشفيه

\*\*\*

---

- البرق، كانون الثاني ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٢٠، ص: ١٥٧-١٥٨

## الرثاء

ابيض

## رثاء الأمير محمد أرسلان

عربيُّ هذا الشهيد عَـلَتْ  
نفسه صهوة العلى فكَبَتْ  
وعلى صدره شهادته  
برؤوس الحراب قد كتبت

على باب مجلس الأمة سقط الأمير محمد أرسلان شهيد الواجب . وبسيف  
الجهل قُطع غصن حياته اليانع. وبينما هو يستقبل فجر الأمانى حجبته ظلمة الأبدية.  
كان يحمل في صدره آمالاً أكبر من صدره ويمزق بعين الفكر الحجاب الذي يفصل  
مستقبل الدولة عن حاضرها وما هي إلا ثورة ليلة حتى رأيت صدر نائب اللادقية  
ممزقاً وآماله الجميلة متناثرة كالهباء.

كان الأمير محمد أرسلان في طليعة نواب العرب جرأة واقتداراً. وقد طالما رددت  
جدران مجلس الأمة صدى صوته، وما صوته غير صدى الوطنية المتأججة في صدره، ذاك  
الصدر الذي مزقته رؤوس الحراب ورصاص البنادق. سقط الأمير صريعاً على باب  
مجلس الأمة التي انتدبته لخدمتها، وها هو الآن بين يديها مطعون بخناجر الأثمة، سقط  
كما يسقط المجاهد في حومة الجهاد، سقط وهو يردد هذه الأبيات.

### للأمة وللوطن

فالأمة والوطن أيها الراحل الكريم سيحفظان لك ذكراً خالداً تردده الأجيال الآتية  
وسيكون استشهادك درساً يعلم الناس حقيقة الوطنية.

فارقد قي ضريحك هادئاً فإن العصافير المغردة بين أوراق السرو التي تظلك،  
ستحمل إليك في كل صباح تحية الأمة التي مت في سبيلها.

\*\*\*\*

- البرق، ٢٧ نيسان ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٣٤، ص: ٢٦٨ -

## وردة على غصن

لم يبق في مقلتي دموعُ  
يا غصن حتى أبلاًكُ  
يا بدر إن تهجر الربوع  
فأدمعي أنجم الفلك  
في المهد يا غصن أنت نائم  
ولا حراك ولا نفسُ  
وقلبنا كالفراش حائم  
بجانبيه على قبس  
يحرقه وجده الملازم  
على البناء الذي اندرس  
داهمك الموت في الربيع  
بلافح منه أذبلك  
فبت فوق الثرى صريع  
وعندك النور كالحلك  
❖❖❖❖❖❖  
يا زهرة في فم الحبيب  
جارت عليها يد القدر

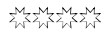
---

- رثاء فؤاد كنعان الضاهر، صديق الشاعر.

ففارقت غصنها الرطيب  
يلعب مع نسمة السحر  
كلاهما ساكت مريب  
يستوكف الدمع كالطر  
فأنت كالطفلة الرضيع  
وأنت في المهد كالمالك  
يا زهرتي روضة البديع  
وزهرتي روضة الفلك



يا موحشاً هذه المعاهد  
ومؤنساً ظلمة الضريح  
كم من حبيب وكم معاهد  
يبكي بجفن له قريح  
أملت النفس ما تكابد  
فرحت للقبر تستريح  
وكان مثواك في الضلوع  
وكان عرش الجمال لك  
فؤاد! لو أن لي شفيع  
إلى الردى كان أمهلك



هناك حيث السكون شامل  
في ليلة بدرها اكتمل  
وقفت والأدمع السسائل  
تجري ولكن على مهل  
والبدر في سيره يسائل  
عن كوكب في الثرى أفل

فقلت ما أنت تستطيع  
يا بدر إرجاع من هلك  
فالنجم في مشيه الظالم  
من قبل أن غاب علك



ورفرف القلب وهو دام  
على ضريح به فؤاد  
يودع في ذمة الظلام  
ما فيه من صادق الوداد  
وقبل القبر باحترام  
كأنه معبد مشاد  
وقل القبر في خشوع  
فؤاد يا قبر جمك  
من أجله جادت الدموع  
ثراك والزهر كلك  
بشارة





## رثاء نجيب حبيقة

بعد طول الغياب جئت أنادي  
صاحباً ما سمعت منه جواباً  
غير أن الروح التي تحرس القبر  
أجابت صار النجيب تراباً

يا تراباً كان حياة . ويا حياة كانت رجلاً، ويا رجلاً كان صديقاً وأخاً، سلام مني عليك.

حفنة التراب التي في زاوية القبر. والعظمت النخرة المتبعثرة في أرضه هي كل  
الرجل الذي أحببناه. وما تلك الحركة الدائمة، ما ذاك الأدب المحض، ما نجيب حبيقة  
إلا ما ترون يا إخواني.

يا تراب نجيب

ماذا يسرك تذكري وماذا يسيئك سلّوي - سواء عندك أين وجدت. في القبر أو في  
القصر أو على السابلة أو بين الزهر أو تحت الشوك، تراب أنت وإلى التراب تعود.

يا تراب نجيب

نحن إخوانك أبناء التراب ذكرناك فزرنناك وإلى مدفنك الجديد حملناك فارقده هنا  
مستريحاً. نحن نحفظ عهدك ونحترم همودك ونبارك روحك الساهرة على قبرك، إنها  
كانت روحاً شريفة طيبة.

وأنت يا روحه التي أحببتها دعيني أخطب طير السروة الذي تساجلين وأخطبه  
باللغة التي تعشقين. فتسمعين ما لا تجهلين:

ويا أيها الطير المغرّد في الضحى  
على غصنِ لَدنِ القوَامِ رطيبِ

أَتَنْدُبُ إِفْهًا فَرَّقَ الدَّهْرَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَكَ أَمْ تَبْكِي لِفَقْدِ نَسِيبِ  
تَفْتِشُ عَنْهُ فِي الرِّيَاضِ وَتَنْثَنِي  
بِلَوْعَةِ مَلْذُوعِ الْفَوَّادِ كُنْئِيبِ  
فَلَا أَنْتَ تَلْقَاهُ فَتَنْقَعُ غَلَّةَ  
وَلَا وَهُوَ إِنْ نَادَيْتَهُ بِمَجْئِبِ  
فَتَمْسِي غَرِيبًا فِي الْفَلَاةِ مَشْرَدًا  
وَنَارِ الْأَسَى فِي الْقَلْبِ ذَاتَ لَهْيِيبِ  
تَحَاوَلُ أَنْ تَلْقَى مَبِيتًا بِذَا الْحَمَى  
وَقَدْ أَذْنَتُ شَمْسَ الضَّحَى بِمَغْئِيبِ  
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ وَكَرًّا يَقِيكَ مِنَ الْأَذَى  
فَقَلْبِي مَفْتُوحٌ لِكُلِّ غَرِيبِ  
وَإِنْ كُنْتَ لَا تَبْغِي السَّلْوَ وَلَا تَرَى  
لِقَلْبِكَ بَدْءًا مِنْ جَوَى وَوَجِيبِ  
فَسِرْ بِي بِسِرِّي لَوْعَةِ وَنَحِيبِ  
إِلَى جَدَثٍ فِيهِ يَقِيمُ حَبِيبِي



وَقَفْتُ لَدَى مَثْوَى النُّجُوبِ وَلِلدُّجَى  
جَلَالَةَ مَلِكٍ فِي الْأَنْامِ مَهْيِيبِ  
وَقَدْ خَيَّمُ الصَّمْتِ الرَّهْيِيبِ بِسَاحَةِ  
يَحُومُ عَلَيْهَا الْيَوْمُ كُلُّ أَدِيبِ  
وَمَيْلُ مَعْتَلِ النَّسِيمِ بِكَفِّهِ الـ  
لَطِيفَةِ عُنُقِ الزَّهْرِ عِنْدَ هَبُوبِ  
سَكُونِ ظِلَامٍ لَا يَقْطَعُهُ سَوَى  
حَفِيفِ نَفُوسٍ أَوْ حَنِينِ قُلُوبِ  
وَمَا هِيَ إِلَّا وَقْفَةٌ ثُمَّ ضَرْجَتِ  
ثِيَابِي بِدَمْعٍ بِالدَّمَاءِ خَضِيبِ

وقد هلع العصفور من هول ما رأى  
فقال بصوت خافت ومريب  
علام أرى هذي النفوس حزينه  
وأسمع في ذا القفر صوت نحيب  
فقلت وقلبي واجف ونواظري  
تشير إلى مثنوى إليّ قريب



هنا أيها العصفور مضطجع الوفا  
هنا أيها العصفور قبر نجيب  
بشارة

\*\*\*\*

## الخطب جلل! مات بطرس داغر

مات فالقصر مظلّم وطيور الد  
قصر خرّسٌ ووجنة الفضل تلطمُ  
عصفة للخطوب كانت وبنيها  
ن المعالي من أسه قد تهدّم  
فمن القصر وهو أرحب من يمّ  
م إلى القبر وهو أضيق من سمّ  
ولسان بالأمس كان فصيحاً  
فإذا اليوم واللسان تلعثم  
وجنان ما نام يومها عن الفض  
ل فننادت به المنية نم! نم!



أيها القبر ضم قلبك شخصاً  
كل قلب في صدر كل فتى ضم  
فإذا مرّ فيك صاحب قلب  
طأطأ الرأس ثم صلى وسلّم  
بشارة



---

- البرق، تشرين الثاني، ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ١١٥، ص: ٩٦.

## الخطب الأليم

فتحي وصادق طياران عثمانيان استشهدا وهما يؤديان واجبهما الوطني،  
فرثتهما بيروت ودمشق، نشرت البرق ثلاث قصائد: الأولى للياس فياض، والثانية  
لشبلي ملاط، والثالثة لبشارة عبدالله الخوري، وهذه قصيدته:

خانت الأرض (بطيّريها) السماء  
يا سماء عفواً فما هذا وفاء  
هما ضيفاك فماذا لاقيا  
بعض ما قد لاقيا منك الفناء  
قرنا الشوق بمنطادهما  
فالجنّاحان هواء والهواء  
يتعلّى بهما ذا عزة  
وعليه لتبباهي خيلاء  
طائر يخفق قلبان به  
مثلما يخفق في البئر الرشاء  
ودّعانا فاتحي سبل العلى  
ثم ما قالّا لنا أين اللقاء  
أجزاء الحب ما نالهما  
إن ما نالهما ليس الجزاء  
هبك أنّ الأرض هذي رسالها  
وهي تبغي الفتح فالرسل براء  
لا! فإنّا أمة من دينها  
أن يموت الشرّ أو يحيا الإخاء

يا سما نحن حليفاً مبدأ  
أفما كان «الهالين» اللواء؟



إن للعلم رجالاً بعض ما  
بذلوا في سبل العلم الدماء  
تنفج الأيام ابنها بهم  
نفحة المقتري شجيه العطاء  
زينوا الأرض بأثارهم  
هكذا تزدان بالزهر السماء  
ركبوا الموت لكي نحيا بهم  
فأرونا كيف يقضي الشهداء  
نحن لولاهم لكونا أمة  
ترتيه ثم يرتديها الشقاء  
نحن لولاهم لكونا أمة  
لا تريها المعجزات الكهرباء  
نحن لولاهم لكونا أمة  
يتمشى فاتكا فيها الوباء



من تراه الكوكب الهادي وقد  
قلق النسرو قد ريع الحداء  
وأصاب الطير منه نكبة  
فلها في جانب المثوى رثاء  
عجبت كيف هوى جبارها  
عجبت كيف به ذل الفضاء

جـزعت نفس ذكاء أن ترى  
ذلك الهول فلم تطلع ذكاء  
وهلال الأفق ممماً نوابه  
بأخيه اصفرُّ في فيه السناء  
حادث في عالم الطير له  
عالم الإنسان لو شاء فداء



أي صلاح الدين ضيفاك وقد  
يحتفي بالبسلاء البسلاء  
زورة لو كنت حياً عندها  
لتولى كرم الناس الحياء  
هما ركنا أمة غادرتها  
ولديها أُم الأرض إماء  
عرشها السؤدد والحلم لها  
صولجان والبساط الكبرياء  
فامتطأها الجهل حتى مضَّها  
فانجلي عن ذلك الوجه الضياء  
أهملت حيناً ولكن لم يطل  
أن تصبَّأها البنون النجباء  
ذاك فتحي وأخوه صادق  
فهما - حياهما الله - رجاء  
نهضة عثمان إن يشعربها  
وهو في القبر يخامرُه انتشاء

أي صلاح الدين ذا يوم القرى  
جاء ضيفك فأكرم ما تشاء



لهف بيروت وقدماً ضحكت  
لحبيبها فهل حان البكاء  
ذوياً كالزهر في أكمامه  
إن عمر الزهر صبحٌ ومساء  
غرسا فيها الهوى مذ أقبالا  
فإذا ماتا فما مات النماء





## العذارى الثلاث

وقفن حيال القبر من بعد ما انثنى  
عن القبر أحباب الذي سكن القبرا  
ثلاث عذارى كلّ عذراء شموع  
على عنقها الذواوي لمدمعها مجرى  
يَسْلُنْ كما سال «الدفين» تهالكا  
على العلم لا شكراً أراد ولا أجرا  
ويهمسن فوق القبر ما همس الندى  
بمسمع زهر الروض لما همى فجرا  
فقرّبت خطوي لا يحسُّ بي الثرى  
كطيف إلى غاياته ركب الفكرة  
وإذ صرت خلف الباقيات خشيت أن  
ينبّه منها الحسّ زفرا تي الحرّى  
فألقيت صدري في يديّ لعلني  
أعالجه بالصبر - لو أحمد الصبرا



وما هي إلا وقفة كنت عندها  
كأني إلى الدنيا بعثت من الأخرى  
فما راعني في موقفي غير زفرة  
على ذلك المثوى بها باحت الكبرى

---

- قيلت في رثاء محيي الدين الخياط.

فقالَت لأختيها فقدت به فتى  
سموت به نثراً وفقت به شعرا  
فجعت به كالزهر يفجع بالندى  
فإن أنا أنوي فالندى فارق الزهرا  
فقالَت لها الوسطى صدقت وقد رنت  
بلحظٍ يتيمٍ يصدع الرجل الصخرا  
إذا فقدت أختي من التاج درة  
فإنني من روعي فقدت به شطرا  
فقد كان مني موضع الحس في الفتى  
وكان اسمي المحبوب في وجهه يُقرا  
فقالَت لها الصغرى صدقت وأجهشت  
فقلت لنفسي آه من لوعة الصغرى  
فما ملكتُ من نفسها فضل قوة  
لترثي بلى كانت مدامعها حمرا  
وألقت على ذاك الضريح بنفسها  
فألقت عليها نفسها أختها الكبرى



هنا انسحقت نفسي فلملمت قوتي  
وهرولت أمشي مشية المنتشي سkra  
وكننت قرأت اسم العذارى مسطراً  
على مبسمٍ.. سبحان من صور الفجرا  
فما كانت الكبرى سوى اللغة التي  
بها نزل الفرقان للناس بالذكرى

وقد كانت الوسطى المروءة والتي  
رمت نفسها، وهي الوداعة ، فالصغرى  
لئن تبكه هذي الفضائل فالسما  
بكت منه روحاً مثل نجمتها الزهرا



ألا أيها الثاوي المكفن بالوفا  
محبوك جاعوا.. أين طلعتك الغرا؟  
وأين النثير الجزل يعبث بالنهى  
وأين النظيم العذب نحسبه سحرا  
أتيناك نستسقي البيان وعهدنا  
قريب بذاك الوجه منطلقاً بشرا



له الله ما روى الغليل بلفظة  
فدى لك محيي الدين أكبادنا الحرى  
وداعاً فإنّا بعد حين سنلتقي  
تفرقنا الدنيا وتجمعنا الأخرى



## رثاء يوسف سرسق

أيها النسري عظيم الجناحيد  
من ويا مالى الفضاء الرحيبا  
لست مهما ارتفعت أعلى من الشم  
س وإن كنت للقلوب قريبا  
إن تغب مرة لتسعين عاما  
إن للشمس كل يوم مغيبا  
كنت أعلى من أن ترى الشكريأتي  
لك ابتساما مما وهبت لعوبا  
بل رفعت البناء ضم المصابيد  
من فلاقوا به الدوا الطيبيا  
فأتاك الشكران تسكبه النف  
س رطيبا من العيون وطيبا  
نم على راحة الملائكة واخلد  
كيف تفنى وقد ولدت نجيبا

\*\*\*\*

## فداك الورد

أبا سامي سقى الرضوان سامي<sup>(١)</sup>  
بقلبي ما بقلبك من سهام  
أتجزع إن أصبت بألمعي  
بعيد الهم طمّاح المرامي  
إذن قلّد البنين ذوي خمول  
ولا تنهج بهم نهج الكرام  
إذا عصف الردى بالغيل يوماً  
أيسلم غير شبل للحمام  
وإن الترب معدننا ولكن  
تنوعت المنابت والأسامي



فداك الورد وردة آل قزح  
وما في الورد من صور وسام  
أرادت أن تشق الكم عنها  
ولم يأذن ، فماتت في الكمام



---

١ - رثاء سامي، نجل كمال بك قزح.  
- البرق، أيار ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٢، ص: ٥.

## الأسد الصريع

مات نعوم مكرزل «صاحب الهدى»

هوى النسـر بعد أن نفذ فيه سهم القدر.

وأبيح الفيل بعد أن رقد الأسد رقدة الأبد.

وأظلم الأفق بعد أن محا الموت بـدره الأسنى عن لوحته.

لقد تعطلت لغة الكلام، ووهت عزائم الأقلام عندما قالوا مات المكرزل نعوم.

لقد كان صاحب الهدى أمة بنفسه، وجيشاً بـيراعه وطرسه، بل كان عنوان لبنان المهاجر وآمال لبنان المقيم، لا يعرف في حبهما هـوادة، ولا يقـعده سقام، فهو أبداً فارس الحلبة لا يأتلي جهاداً وجلاداً، ولا ينثني إلا وعليه حلة من الأرجوان والعنفوان.

لقد كان يسمى بحق الصحافي الجبار..

إنه أول من حمل اللغة العربية إلى وراء البحار.

وأول من رفع لواء الصحافة حراً جريئاً.

وأول طلائع الغوث لبلاده في جميع نكباته.

وأول من رفض أن يحمل من الأوسمة إلا جراح المعارك القلمية التي خاضها في سبيلها. لقد كان بيت «الهدى» بيت لبنان في غربته، وملجأ اللبناني في محنته ونجمة القطب في الليالي المدلهمة.

لقد مات صاحب «الهدى» وهو يناضل في سبيل عقيدة وطنية حمل نفسه إليها من باريس. مات تحت مبضع الجراح، كما يموت الأسد، لا على فراش الخمول بل في

ساحة<sup>(١)</sup> الجهاد، وكانت نبأة دوت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، إذ تصدعت معاقل آمالها ، وتلاشت غر أحلامها ، ألا وهي ربط لبنان بأبنائه وراء البحار ربطاً وثيقاً بعواطفه ومصالحه وأهدافه.

وقد كانت ترى في صاحب «الهدى» الساعد الأقوى لتحقيق هذه الأماني.

والآن وقد وقعت الكارثة وأصبح نعوم مكرزل خيلاً تطالعه العيون من خلل دموعها والآمال من خلل آلامها.

والآن وقد سكت صوت نعوم إلى الأبد. وهدأت ثورة «الهدى» خمرة النفوس المتمردة، وحببية العقول المفكرة، وصناعة الوطنية الصاخبة.

والآن وقد لفظ الجهاد الوطني آخر انفاسه واضطجع «النمر» عند باب العرين، يحف به وقار الشيب وجلال السنين.

الآن تنحني الرؤوس إجلالاً لمن لم يحن في حياته رأساً ولمن كان في حياته ومماته، قدوة للمجاهدين ودرساً.

أما أنا، أيها الفضاء اللامتناهي من الحب والمروءة ، بل أيها الينبوع المتدفق عذوبة لقارئك ولحبيبك، أما أنا فهذا جفني الباكي وقلبي الحزين يخشعان عند جثمانك الطيب ويناجيان روحك الكريم.

\*\*\*\*

---

١ - كانت في الأصل (ساعة) الجهاد.

- البرق، نيسان ١٩٣٢، عدد: ٣٤٣٠، ص: ١.

## إلى بطل لبنان يوسف بك كرم<sup>(١)</sup>

رجعت كالليث إلى عرينه  
في الذروة الشماء من عرنيه  
تـزأر من دون الحمى ودونه  
مسأماً بحقه ودينه  
وربّ وثاب على حصونه  
كفؤنته بدمه وهونه  
وضحك الثلج على صنيته  
من صلف الباغى ومن جنونه  
يا من رأى سيفك في متينه  
يجود الخطبة في تأبينه  
فما صلاح الدين في حطينه  
يقذف بالعادي إلى سفينه  
أنفذ من ظنك في يقينه  
يا رافع الأرز على يمينه  
وخالع المجد على غصونه  
لأنت نور الله في جبينه

\*\*\*\*

١ - ألقى بمناسبة الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال يوسف بك كرم في إهدن في ١١ أيلول ١٩٣٢، انظر

مقال: بطل لبنان يعود إلى عرينه، ص: ٢٤٦.

- البرق، أيلول ١٩٣٢، عدد: ٣٤٤٦، ص: ١.



## لبنان يشيع والدّة الرئيس «بشارة خليل الخوري»

أعطيتِ لبنان ما لم يعطه أحد  
هذا اللواء المفدى رأس لبناننا  
لولا ما اتحدت شتى طوائفه  
ولا غدا لكتاب المجد عنواننا  
لئن بكاك بعينيه ومهجته  
فقد جزاك على الإحسان عرفانا  
الأخطل الصغير  
١٩٥١

\*\*\*\*\*

---

- الصياد، ١٩٥١، عدد: ٣٤٩، ص: ١٠.

## في سبيل الوظائف معركة دموية في قضاء الكورة<sup>(١)</sup>

ألا ما لقلبك لا يقطر  
دماً ولدمعك لا يبدر  
ألم يأتك النبأ المستطير  
وما فعل الشعب والعسكر  
نبأ سعت البارات به  
فقابلها جفك الممطر  
لقد فتك الجهل بالجاهل  
وعاقبة الجهل لا تنكر  
وقد مارس الدهر منهم رجالا  
كأنفسهم لم تر الأدهر  
إذا أنت تصرعها تستميت  
وإن أنت تضرعها تصبر



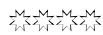
دوت نبأ من شمال البلاد  
فأنت وأن لها المهجر

١ - وقعت هذه المعركة بين الشعب والعسكر أثناء الانتخابات النيابية لمجلس الأمة اللبنانية في «أميون» أيام المتصرف أو هانس قيومجيان باشا وقد أسفرت عن عدد من القتلى والجرحى.

وطاشت لـديها حلوم الرجال  
فكل فتى طـرفه أصـور  
مصـاب به أرهقت خمسة  
وقد جرح العدد الأكثر  
وقد صبغ الثلج لون الدماء  
وفي كل ناحية مجزر



لقد أسفر العيد عن مشهد  
قلوب العذارى له تذعر  
فقد نشرت شعرها الأمهات  
وقد لطمت خدها المعصر  
وسالت عيون الصغار دماً  
فإن أنت لم تبك لا تعذر  
له الله من فاجع عنده  
أشد الفواجع تستصغر



البنان دعني أذيب الجفون  
وأنثر منهن ما أنثر  
فأين هو الليث حول الحمى  
وأين نرى يسرح الجوذر  
لقد كنت عالي الجدار منيعاً  
وكانت تدين لك الأعصر

وكانت اذا خطرت نسمة  
عليك بسمير القنا تعثر  
زمان مضى وأتى غيره  
فذلك يجني وذا يثار  
وربك بيئهم ما أمر  
ومن ذا يرد لما يأمر  
ألبنان إن دماء بنيك  
يحللها «الحاكم الأكبر»  
فمن كان من قبل مثل البغاث  
فلا بدع إن هو يستنسر

\*\*\*\*

---

- البرق، كانون الثاني، ١٩٠٩، مج: ١، عدد: ٢٠، ص: ١٥٣-١٥٤.

1913-1912

يا عييد أما كنت أنت  
الذي أتى منذ عام  
فما عاك صلاتي  
ولا عاك صلاتي  
حتى لأنف من أن  
أضيع فاك كلامي  
دعني أسألك ماذا  
عاقبته في الأنعام  
حتى رجعت اليهم  
بثغرك البسّام  
أفسدت لي حسن ظني  
في هذه الأيام  
يا ضاحك النفوس  
قلوبهن دوامي  
نسيت يوم طرابلس<sup>(١)</sup>  
كيف جزّ الهام؟؟  
ويوم بيروت<sup>(٢)</sup> فعل  
الحديد بالأجسام؟؟

١، ٢ - يشير إلى غزو إيطاليا لليبيا في ما عرف بالحرب التركية الإيطالية عام ١٩١١ وتنكيل جيش الغزو الإيطالي بالشعب الليبي وقصف البوارج الإيطالية لبيروت.

غداة تهمي عليها  
من «غابالدي»<sup>(٣)</sup> هوامي  
قواذف بالشظايا  
نواسف للعظام  
مجرحات قلوبا  
لصبيبة أيتام  
أبصارها شاخصات  
الى وراء الغمام  
كانها سائلات  
عن الرجال الكرام  
فلم تكن لمعة البر  
ق في حنايا الظلام  
أمضى لها من (علي)<sup>(٤)</sup>  
ربّ الفعّال العظام  
نادى بمصر فلبي  
الأمير كلّ همّام  
وليس في الأمر بدع  
فمصر أخت الشام



ما انسى لو كنت أنسى  
يوماً شديداً القتام  
يوماً به دول الببل  
قن<sup>(٥)</sup> انتضت للحسام

٣ - غريبالدي (١٨٠٧ - ١٨٨٢) مقاتل إيطالي حارب في سبيل الوحدة الإيطالية، ولعل ذكره هنا إشارة إلى بارجة إيطالية ربما تحمل اسمه قصفت ميناء بيروت عام ١٩١٢.

٤ - محمد علي باشا، شقيق الخديوي، الذي ترأس الحفلة التي أقيمت في مصر لمساعدة منكوبي بيروت.

فلاح في ثغر روما  
إذ ذاك برق ابترسام  
وصح لامتني  
قول من الإلهام



(مصائب لأنام فوائد لأنام)



كذا بسطنا يميناً  
لهها على ارغام  
فيها طرابلس بل في  
هها خادع الأحلام  
نقول والعين قرحى  
لهها اذهبي بسلام  
ولا تكوني عاليناً  
في جملة اللوام  
بل فاذكري عهد قوم  
لهم حقوق الزمام



يهنك يا عييد أن لا  
تحس بالآلام  
ماذا بقرق كليسه  
من الخطوب الجسام  
بكت هنك المعالي  
تفوق<sup>(٦)</sup> الإسلام

٦ - هكذا في الأصل ولعلها (تفرق) فهي الأقرب للسياق.

وزاغ لـجـيش ذاك  
المجد القديم السامي  
وروعت بـعـزـيـز  
كـرامـة الأهرام



هلال عثماني مهلاً  
ياسيد الأعلام  
لأنت رغم العوادي  
في المعتلى المتسامي  
مجد السنن الخوالي  
لا يستباح بعام  
من ذا تعاقب أو من  
تريشه بلام  
جنوا على الجيش في ما  
غذوه من أوهام  
فراح كل فريق  
يمشي بغير لجام  
عافوا الظبي واستعاضوا  
عنهن بالاقلام  
إن السياسة سيف  
الأديب لا الممقдам  
يا أكلة أكالوها  
والموت بعض الطعام





اربط على القلب بالك  
ف فالخطوب طوامي  
سور من الناس يهوي  
لموطئ الأقدام  
وأنفس غاليات  
تساق كالأنعام  
لا تسمع مع الأذن إلا  
مزجرات الحمام  
ولا ترى السمعين إلا  
النيران ذات الضرام  
ركبت يا يوم برغاس  
أقبح الأثام  
فراع هـولك حتى  
الأطفاف في الأرحام  
ورحت تنسج للعصر  
مئذرا من ظلام  
يهيم أهلك بالفخذ  
لأي أي هـيام  
بل بالهدى بل بحب  
الإخاء بل بالنظام  
فضائل باهرات  
لكنهن أسامي



ويح المـطامع كم ذا  
تجـنـني عـلى الأحلام



غداً بمؤتمر الصلح  
حج عادل الأحكام  
غداً يقولون هذا  
بيت الهدى والسلام  
هنا يعرف ح  
ق الضعيف للمتعامي  
إلام هذي الرزايها  
خفاقة الأعلام  
فحسب سيف المنايا  
حشد الشباب النامي  
\*\*\*\*\*

مزخرفات معان  
في قالب نمام  
\*\*\*\*\*

للياقظين ببيروت  
بعد طول المنام  
تحية من أديب  
كالزهر في الأكمام  
لكن له في ذوي الـ  
رأي جملة استفهام  
قد لا تصيب المرامي  
وقد تصيب المرامي  
من منكم الرأس حتى  
يقودنا بزمام  
من منكم الكفاء لـ  
م يـا ذوي الأفهام

أو من له فـ\_\_\_\_\_يه شيء  
نـ\_\_\_\_\_زر من الإلـ\_\_\_\_\_ام  
والكفء وهو مـ\_\_\_\_\_حال  
سهل أمام الوئـ\_\_\_\_\_ام



فدى للبنان نفسي  
(\*) وصـ\_\_\_\_\_بوتي وغـ\_\_\_\_\_رامي  
لـ\_\_\_\_\_نبت الشيخ فيه  
(\*) ومـ\_\_\_\_\_سـ\_\_\_\_\_رح الأرام  
للهدلات على الغصـ\_\_\_\_\_د  
من من بنات الحمـ\_\_\_\_\_ام  
للـ\_\_\_\_\_اسمات عن الزهـ\_\_\_\_\_د  
رـ\_\_\_\_\_رفي ربى الأكـ\_\_\_\_\_ام  
لـ\_\_\_\_\_كـ\_\_\_\_\_سا واديـ\_\_\_\_\_يه  
من نـ\_\_\_\_\_ابـ\_\_\_\_\_تات الخـ\_\_\_\_\_زام  
هـ\_\_\_\_\_ناك سـ\_\_\_\_\_ينا التـ\_\_\_\_\_جلي  
(\*) ومـ\_\_\_\_\_هـ\_\_\_\_\_بط الإلـ\_\_\_\_\_هـ\_\_\_\_\_ام



يا سـ\_\_\_\_\_ائـ\_\_\_\_\_لي عن بـ\_\_\_\_\_نـ\_\_\_\_\_يه  
(\*) سـ\_\_\_\_\_ألت نـ\_\_\_\_\_فس حـ\_\_\_\_\_ذام  
لـ\_\_\_\_\_كن إذا رشت سـ\_\_\_\_\_هـ\_\_\_\_\_مي  
(\*) فـ\_\_\_\_\_جـ\_\_\_\_\_ارحـ\_\_\_\_\_اتي سـ\_\_\_\_\_هـ\_\_\_\_\_امي  
خـ\_\_\_\_\_ير الشـ\_\_\_\_\_وافي عـ\_\_\_\_\_لاج  
(\*) شـ\_\_\_\_\_مـ\_\_\_\_\_فـ\_\_\_\_\_ى بلا إـ\_\_\_\_\_لام

نَادُوا (المطالِب) لَكُن  
مَاذَا جَنُّوْا فِي الْخِتَامِ  
أَتَتْ نَوَاقِصَ وَالْحَسَدِ  
(\*) مَن كَلَّهَ فِي السَّيِّئَاتِ  
مَتَى أَرَاكُم تَكْـرُؤُ  
(\*) نَ كَرَّةً لِلْأَمَامِ  
وَتَلْبَسُونَ إِلَى الْحَقِّ  
(\*) خُذُوا الْإِقْدَامَ  
وَتُدْرَسُونَ عَلَى الْمَجْدِ  
(\*) سَدَّ كَرَهُ الْأَسْتَرْحَامِ  
عَيشَ الْكَرَامِ مِنَ النَّاسِ  
(\*) سَ غَيْرَ عَيشَ الْإِنَّمِ  
إِنِّي أَخَافُ عَالِيَكُمْ  
(\*) مَلَامَةَ السَّوَامِ



يَا عَامَ أَهْلًا وَسَهْلًا  
نَزَلَتْ عَنَّا كَرَامِ  
هَمٌّ مِنْ خِيَارِ الْبِرَايَا  
فَكُنْ لَهُمْ خَيْرَ عَامِ  
(بشارة)



---

- البرق، ١ كانون الثاني، ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢٠٧، ص: ١٢٤.

## تحايا وتهاني

- ٥٢٩ -

ابيض

## تحية المهاجرين

بقية من مهجتي باقيه  
عصرتها - الليلة - في كاسيه  
ودمعة جارت على مقلتي  
فأصبحت - لا أصبحت - جاريه  
ومقللة نَمَامَة بالهوى  
كأنها الراية في الرابيه  
وأضلع كالقوس محنية  
مطوية على حشى باليه  
كأنما في جوفها هيكل  
نفسى على معبده جائيه  
وكبدي «محفوظة» للهوى  
كأنها الصندوق في الزاويه  
صدري كتاب فافتحوه تروا  
فيه تقارير الهوى الصافيه  
كتبها قيس ومن بعده  
كم لزهير تحتها حاشيه  
حبي لكم حاولت كتمان  
فحاول الكتمان كتمان  
ونار قلبي كيف لا تنطفئ  
وماء عيني فوقها ساقيه؟؟

\*\*\*\*

- البرق، تشرين الثاني، ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ١١٢، ص: ٧٣.

## هدية شاعر

قرأت جملة من الشعر أحببت أن أقدمها هدية إلى فلاحينا في لبنان وكل سوريا،  
هؤلاء الفلاحون الذين نسيهم كتابنا أو تناسوهم ولو أنصفوا لباركواهم في كل مرة تمد  
أيديهم إلى الزاد الذي يشبعون به بطونهم، إنه مما زرع لهم الفلاح وجنى.

حسن:

انظر إلى الفلاح يا محمد  
عليه ثوبه القصير الأسود  
قدمه حافية وصدرة  
عريان حتى بان منه شعره

محمد:

هذا الذي تضحك منه يا حسن  
من يده تخرج خيرات الوطن  
وقيمة الرجال بالأعمال  
لا بثيابهم ولا بالمال

نعم يا سادتي. يا أولياء الأمر ويا كبار هذا الجبل، إن قيمة الرجال بالأعمال .. لا  
بالثياب والمال... أخاف والله أن نزنكم فلا يشيل بكم ميزان.

\*\*\*\*

---

- البرق، تشرين أول ١٩١٢، مج: ٥، عدد: ١٩٧، ص: ٤٤.



## وقد تنفع الذكرى

نحن شئنا والبَطْرَيْرُكُ بحمد الله  
قد شاء مثلهما الله شاء  
فاصطفيناك دون كل حبيب  
وانتدبناك مفعمين رجاء  
واعتقدنا فيك الكفاء فحقّق  
ما اعتقدناه أن فيك الكفاء  
وعقدنا عليك آمال قوم  
نتمنى أن لا تصير هباء  
مركز أنت فيه كالراكب البعد  
مر وقد عارك السفين الماء  
بين قوم غنيهم صاحب القو  
ل وإن كان ليس يدري الهجاء  
والأديب الذي إذا قال قولاً  
عاهد النفس لا يقول رياء  
جفّلته عواطف الحق كيداً  
وتناسى ذكر الحمى فتناءى  
أنت في ملّة يعز على النا  
شئ فيها أن لا ترى زهراء

– نظمت لسيادة المطران شبلي يوم سيم أسقفاً على بيروت.

مَلَّةٌ مَثَلَمَا تَرَى مَلَلُ الشَّرِّ  
قِوَالُ تُبْكِي الْعَيُونَ دُمَاءَ  
مَلَّةٌ مَسَّهَا الْجُمُودُ إِلَى أَنْ  
بَاتَ دَاءُ الْجُمُودِ دَاءً عِيَاءَ  
مَرَضُ سَقَمِهِ الْأَسَاةُ قَدِيمِ  
وَحُمُولُ قَدَحِيَرِ الْعَقْلَاءِ  
فَإِذَا تَمَّتِ الْأَمَانِي فَحَمْدًا  
وَإِذَا لَمْ تَتَمَّ؟ كُنْتَ بِرَاءً..!



أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُوَفِّقُ رَفَقًا  
بِالَّذِي فِيكَ خَالَفَ الشُّعْرَاءُ  
نَظَّمُوا الشُّعْرَ يُؤَثِّرُونَ الثَّنَاءَ  
وَنَظَّمْتَ الْحَقِيقَةَ الْغُرَاءَ  
زَمَنُ عَاشَتْ الْمَدَاجَاةُ فِيهِ  
كَانَ - لَا كَانَ - نَقْطَةُ سُودَاءِ  
أَيُّ عَصْرٍ رَاجَتْ بِهِ سَلْعُ الْمَدِ  
حَ وَمَا كَانَ أَهْلُهُ جَاهِلَاءِ  
أَيُّ حَرٍّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ يَرْضَى  
أَنْ يَكُونَ ابْتِسَامُكَ اسْتَهْزَاءِ  
فَمَنْ الضَّحْكُ مَا يَكُونُ عِقَابًا  
وَمَنْ الضَّحْكُ مَا يَكُونُ جَزَاءِ



خَلْفَ الدِّبْسِ وَهُوَ رَبُّ الْمَعَالِي  
وَهُوَ مَنْ قَدْ بَنَى فَأَعْلَى الْبِنَاءِ

سر بنا للعلی فأنفسنا ظم  
أی إليها واحلل بنا الجوزاء  
وأفدنا عن علمك الجم علماً  
ومن الحزم همة ومضاء  
وبنا فانفخ الحياة وجد  
من قـواننا ووحد الآراء  
وانتدبنا تجد بنا كل ندب  
الذي تبتغي يباري الهواء  
فلنا من شبابك الغض نور  
للأمانی یمزق الظلماء  
فإذا الدبس جاء قبلك شيئاً  
هات يا شبل بعده أشياء

\*\*\*\*

---

- البرق، نيسان ١٩١٠، مج: ٣، عدد: ٨٥، ص: ٢٦٩.

## شفي الحبيب

زحزح لثامك عن جبينك  
وابعث بسحرك من عيونك  
واسكب شعاعك في قلبي  
بلم تـدـن إلا بـديـنك  
سر فالكواكب عن شما  
لك يا هلال وعن يمينك  
وتود أجملهن لو  
هي نقطة برزت بئنونك  
أو وردة بيضاء نا  
بتة على زاهي جبينك  
حدث أمير الليل هـ  
هذا الناس عن ماضي شؤونك  
فالناس في ظمأ إلى  
تخلص شكك من يقيـنك  
حدث عن الفلك المدا  
ر وكل بسسام خديـنك  
وعن السواقر والثوا  
بت والسواقر في سفينك

---

- حبيب باشا السعد، سبقت ترجمته.

والهم فتاك الوحي يس  
تجلي البدائع من فتونك  
طمعاً بوحيك يستمر  
صعوده في طور سينك  
يا دائني هذي القلا  
ئد ما تحصل من مدينك  
أنفقت لؤلؤ أدمعي  
وحرصت أنت على شوؤنك  
ونثرت أزهارى - وكند  
ن الزاهيات - على غصونك



ماذا دهاك فأننت في  
وجه يترجم عن شجونك  
أجزعت إذ مرض الحبيب  
ب على نظيرك بل قرينك  
فبعثت بالأرواح تر  
وي للعالم عن أنينك  
شفي الحبيب لك الهنا  
ء به فجدد من سنينك  
وابثث هواك إلى النجو  
م فهن من خفرات عينك  
واسكب عليهن الشعاع  
ع يعمن في صافي معينك



أحببي لبنان وخوا  
دمه كما هو في «يمينك»  
بشرى شفاك في الجوا  
نح جاوزت حسنى ظنونك  
إن يأسر العنف النفو  
س فأنت تأسرها بليتك  
أما الصدور فما انطوت  
إلا على قلب رهينك  
(بشارة)

\*\*\*\*

---

- البرق، آب ١٩١٣، مج: ٥، عدد: ٢٤١، ص: ٣٨٩ .

## تهنئة البطريرك المعوشي في رأس السنة

أثروا أنفسسهم لا منة  
إنها عبء العلى والسؤدد  
عجباً أنى لهم أن يجدوا  
سيد الموقف لو لم توجد  
أنت - والدنيا ضرام ودم -  
مبتغى اليوم ومأمول الغد

١٩٥٨

\*\*\*\*

---

- الصياد، ١١ كانون الثاني، ١٩٥٨، عدد: ٧٤٤، ص: ٢٦.

## بالرفاء والبنين

رجل ليس له امرأة  
هو في شرع الورى لم يكمل  
وكمال المرء بالمرأة ما  
تم إلا باقتدار الرجل  
شيمة نعرفها في «يوسف»  
مثلها في «افلين» ينجلي  
فهي كالزهرة في أكمامها  
تلحظ الفجر بطرف خجل  
وهو في ما عرف الناس به  
عزة الليث ولطف الحمل



أيها الجاني على أصحابه  
عدّ عن ذكرى الليالي الأول  
واجتل الزهرة وانشق عرفها  
فهي من آدابها في حلل  
نحمد الله فقد نلت المنى  
وتصيّدت طيور الأمل



- تهنئة يوسف بك أبو صعب المشرع.  
- البرق، تموز ١٩١٤، مج: ٦، عدد: ٢٨٣، ص: ٧٣٢.



## تهنئة الياس خليل شديد

قالوا تزوج... قلت من؟  
قالوا الياس فقلت من؟  
أبو شديد قلت؟ قا  
لوا أنت قلت فقلت جن  
مماذا دهواه وكان إن  
نكر الزواج لـديه عن  
ويح القهاوي ليس تذ  
لفق بعده فنجان بن  
ويح النوادي كيف تم  
سي بعد بلبلها الأغن  
ويح الكؤوس فمن يشع  
شعها إذا ما الليل جن  
فمن التي فتنت نها  
ه بحليتيها فافتن؟  
ولقد نظرت إلى العرو  
س وذلك الأدب الحـسن  
فعتبت نفسي واعتذر

ت لمن أسأت له عــــلن  
وعــــرفــــت أن زواجه الـ  
مـبروك من حسن الفطن



يا صاحبي عش بالهنا  
ء وعش تحفاً بك المــــن  
فحبّاك ربك بالبنيد  
ن لــــيستفيد بك الوطن  
ويظل ذكرك قائماً  
في ما يجيء من الزمن



---

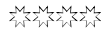
- البرق، حزيران ١٩١٤، مج: ٦، عدد: ٢٨١، ص: ٧١٦.

## شبلي ملاط في عرسه

حسناء قد نازعت شقيقتها الـ  
حسناء قلباً متيماً بهما  
قلب فتى شاعر عواطفه  
ما نالها شاعر ولا وهما  
والناس بالعاطفات ليس بما  
يطلون من باطل وليس بما  
غارت على قلبه وما رحمت  
قلب التي قد أحبها قدما  
فعاتبت هذه شقيقتها  
عتبا كهز المدامة الندما  
قالت لها يا بنة البهاء ومن  
جبينها بالفضيلة اتسما  
ومن إذا افتر حلو مبسمها  
نطالع النجم فيه مبتسما  
ومن إذا استقبلت بوجنتها  
الورد شككنا في الورد أيهما  
بحرمة البيت حيثما درجت  
خطاك والبيت للعفاف حمى  
ردي فتى صبوتي إليّ فما  
أفلح يا أختي الذي ظلما

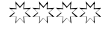
- نظمت عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى.

أحببته منذ شبّ، منذ نما  
نبت الهوى في حشاه مذ نظما  
عرفته باسماء ومكتئبا  
رافقته راضيا ومحتدما  
فكنت أوحى في حالتيه له  
ما يجعل الطرس يحمى القلما  
شواردا تسكر العقول بها  
فتحسب اللفظ وجنة وفما  
لنا على كل ليلة عرس  
نجلوه المرقصات والحكما  
فما لأخت النجوم تغصبني  
فؤاده والوداد والذمما



عروسة الشعر لا أصبت بمن  
لو غادر الشعر يتم الكلام  
أحبها - إنما صبابته التي  
تعدت لا تزال كما  
أحبها - سئة الورى فإذا  
ما اتحدا في الهوى فلاجرما  
قلباهما مذ تقابلا خفقا  
روحاهما مذ تعارفا اندغما  
والكون لولاك يا اندغامهما  
ما افتر عن حسنه ولا انتظما  
مشيئة الله في خليقته  
مذ قال حبا في الخلد بعضكما

واملاً الكون بهجة وسنا  
وزينا صدره بولدكما



عروسة الشعر قدك معتبة  
لما تلومين أن أحب لما؟  
أنت الذي زين الجمال له  
وزين العاطفات والشيمما  
فهل فتاك الذي عتبت سوى  
طير رأى جدولاً وفيه ظمما  
أو أبصر الشمس وهي طالعة  
في موكبيها فجوه النغمما  
أو راقه الغصن خاليا فهو  
أو شاقه النجم باسماء فسما  
محاسن لم يكن ليعلمها  
فأنت علمته الذي علما  
فهام فيها حتى ليعبدها  
عبادة الناس قبلنا الصنما  
لكنه والوفاء شيمته  
يبقى على عهده وإن قدما



شيلي إذا ما أتتك عاطفتي  
و «كنتما» راضيين فاقترسما  
فاهناً بماري وارفق بضرتها  
واعدل إذا ما حكمت بينهما

\*\*\*\*

## أيها الهاجر الليالي

إلى الصديق جورج:

أيها الهاجر الليالي - التي كا  
نت غراماً وأدمعاً وكؤوساً  
وصبابات أنفـس تتلاشى  
وجراحات أكـبـد لا تـوسـى  
ونواحاً وصـبـوة وعـتاباً  
وابتـساماً ووجـمة وعـبـوساً  
واكتـواء بـنـنـارهن ولا فر  
ق أسـلمى أو زـينـباً أو لمـيسـا  
وإذا واصل الحـبـيب، سـعـوداً  
وإذا قاطع الحـبـيب نـحـوسـا  
وذهاباً مع الهوى وإياباً  
وقياماً مع النوى وجلوساً



أيها الهاجر الليالي ظـلماً  
ويك ماذا يتمت من تعريـسا  
و(المريمان) هل حنـنـت إليه  
و(حبـيسـا) هـلـاً ذكـرت حـبـيسـا  
أربـع للهوى تطوف بها الذكـرى  
فتـحـيي من الغـرام نـسـيسـا  
يـوم كـنا نـهـوى مـجـون النـواسـي  
ي ونـقـلى هـذي أرسـطـالـيسـا

---

- تهنئة صديقه الشاعر جرجي سعد.

ننهب اللهو لا نقيس به الخطر  
وكان الضلال أن لا نقيس  
في حمى لمة من الشعر المس  
ود لا عارياً ولا تلبيسا  
وحمى صبوة إذا انتفض الطا  
ووس أزرى انتفاضها الطاوسا  
نزرع الشعر والهوى وكيف سر  
نا والصبابات والصبأ والنفوسا  
يا جنون الشباب إذ أنت تغرّ  
سوف يغدو هذا النفير يبيسا



أيها المبدع الذي بعث الشع  
رَقلنا أحيى العازار عيسى  
بعث الشعر روضة وغديراً  
وسماء ضحاكة وشموسا  
هب لنا منك قدرة السحر يا جرجي  
فنحيي بالسحر هذي الطروسا  
ونرد الشعر النفيس بما تو  
حي فقد ملّت الطروس الخسيسا



يا بنة الصَّيد من طراد وقد طب  
ت وطابوا مجانياً وغروسا  
والملك الذي على شففتيه  
أنزل الطهر وحيه القدوسا  
ما غبطنا نظير جرجي عريساً  
وغبطنا نظير ماري عروسا



– البرق، آذار ١٩٢٦، عدد: ٢٥٥١، ص: ١

## أحسن الزهر ما انعقد

أي هذا البشـير قل  
واللفظ الورد والبـرد  
أي بشري حملتها..  
هي كالروح للجسد  
ما احتفى الروض بالندى  
واشتفى مبسم بخد  
كاحتفال المني (بها)  
إنها نشوة الأبد  
السليم الذي ابتنى الـ  
مجد في جبهة الأسد  
وتحلى به الندى  
وتكنى به البـلد  
حازها مريميَّة الطُّ  
طهر حورية الغـيد  
روضـة من محاسن  
أنت عصفورها الغـرد  
يعشق الزهر إنما  
أحسن الزهر ما انعقد  
سنة ١٩٣٠

\*\*\*\*

- وجه بها إلى صديقه سليم بك تقلاً بمناسبة قرانه وكان محافظاً لمدينة بيروت.  
- البرق، ١٩٣٠، عدد: ٣٤٠٢، ص: ٧.



## تهنئة عبدالله الجابر الصباح

ليلى وما سَمَّى العربُ  
أحلى ولا غنَّى القصبُ  
الزهرة الفواحه  
والنجمه المماحه  
على ضفاف الخالد  
وفي سماء السعد  
حليُّها الشباب  
والأدب اللباب  
كانها عصفوره  
إن غردت أو صوره  
صلت لـها الأرواح  
والليل والصباح



«ليلى» وما سَمَّى العربُ  
أحلى ولا غنَّى القصبُ  
قيثارة الإلهام  
ونشوة الأحلام  
نفحة عبد القادر  
للأريحي الجابر  
الرافع المنائر  
والنناشر المائرا

– نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة عقد قران الشيخ عبدالله الجابر الصباح والأنسة ليلي المرعبي.



## كأن ما كان لم يكن

قالها في حفلة قران الأستاذ فؤاد قاسم رئيس قسم الإذاعة في المحطة اللبنانية.  
قد كنت حرّ الهوى كم من مرشحةٍ  
غنى فؤادك بين الماء والغصنِ  
فماله اليوم لا سجع برابية  
ولا اصطفاق كأنّ ما كان لم يكن  
أسلمته في الهوى رقاً «لعادلة»  
والرق في الحب غير الرق في الوطن

\*\*\*\*\*

---

- من أوارق الشاعر.

## في حفلة تنصير فريد ميشال أبوشهلا

وقد شرب صاحب هذه الجريدة على تهنئة صديقه فقال مما حضره في ذلك المجال:

كنت في أمس تنظم الشعر أشطا  
رأ فتربي بها هنا وهناك  
فإذا أنت تنظم الشعر أنجا  
لأ وتحيي في كل نجل ملاكا  
هم شعر الحياة فانظم فريدا  
وشقيقه للعلى أسلاكا  
وإذا ما أردت فانظم فؤادي  
إنه كان منذ كان فداكا

\*\*\*\*

---

- البرق، كانون الثاني ١٩٢٦، عدد: ٢٧٠٠، ص: ٣.

تهنئة  
الدكتور رئيس أبي اللمع بفاروق

يا بن من يبسم الشفاء لمرضاه كما يبسم اللقاء للمشوق  
والضحى للرياض والماء للظمان والشط لابن ليل غريق  
أيها البرعم الجميل من الورد على صدر المعى عريق  
يملاً البيت بالشذا كلما افترّ ويغزو الأعناق بالتطويق  
دمت في الذروة العلى من أبي اللمع وفي الصالحات من فاروق

\*\*\*\*

---

- من أوراق الشاعر.

## طلعة باشا حرب

يا طلعة العُربُ قد حققت بغيتهم  
فكنت أعطف من أم على الضادِ  
للمال أنأً وللاَدابِ أونةً  
صحائف من مروءات وأمجاد  
في كل يوم على كفيك ماثرة  
كأنها بسملة في ثغر ميعاد

\*\*\*\*

---

- من أوراق الشاعر.

## شرف الجرح

أهدى إليه صديقه الصحفي الأستاذ نجيب الريس صاحب جريدة «القبس»  
كتابه «نضال» فقدم له بهذه الأبيات.

يا جراحاً تقطّر الطيب منها  
أقسم المجد أن تكوني نشيده  
شرف الجرح أن يسيل كريماً  
من كريم على البلاد الشهيده  
حسب هذا «النضال» في طلب الحق  
مضاء الظبي ونور العقيدة

\*\*\*\*

---

- من أوارق الشاعر.

## ميشال معلوف

ألقيت خلال حفلة على البردوني احتفاءً بعودة الشاعر ميشال معلوف من ديار الهجرة.

يا وتر النهر وهمس الوادي  
وبسمة الشعور بثغر الضاد  
لفضل أحيانا ولإنشاد  
هنا أيادٍ وهنا أياد  
تضحك كالنور على الأعواد  
نماكم للمجد والجهاد  
أب جـ واد عن أب جـ واد  
أقبلت باليمن على البلاد  
فلبست بشاشة الأعياد  
ميشال يا خمرة هذا النادي

\*\*\*\*

---

- من أوراق الشاعر.



## يا ناظم العقد

وجهٌ بها إلى المربي جبران مكاري بمناسبةيوبيل مدرسة «المساواة».

يا ناظم العقد فيه كل جوهرة  
من نشء لبنان زانت جيد لبنان  
منائر شقت الظلماء وانبلجت  
في كل ناحية عن فجر عرفان  
بعثتها كالحواريين حاملة  
ألواح علم على ألواح إحسان  
خلعت منهم على لبنان نضرتة  
وزنت هام الربى منهم بتيجان

\*\*\*\*

---

- من أوارق الشاعر.

## الباب الأول: من بقايا الذاكرة

٣	تصدير
٧	كيف عرفت إمام العبد
١٤	كيف عرفت الشيخ اسكندر العازار
٢٠	كيف عرفت معروف الرصافي
٢٨	كيف عرفت الشيخ يوسف أبي صعب
٣٥	كيف عرفت طانيوس عبده
٤٥	كيف عرفت جميل الزهاوي
٥٠	لصقة رماد
٥٤	عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض [١]
٥٨	عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض [٢]
٦٢	عشرون يوما في ريفون باسم حنا فياض [٣]
٦٨	بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧ [١]
٧٢	بين أيلول ١٩١٦ وكانون ١٩١٧ [٢]
٧٧	كيف تعرفت إلى شوقي
٨٠	لماذا تسميت بالأخطل الصغير
٨٥	الشهيد عمر بمناسبة ديوانه
٨٨	هوامش الباب الأول

## الباب الثاني: مقالات سياسية

### أولاً: العهد العثماني

١٠٣	هذا الشعب
١٠٥	لبنان
١٠٨	هذه الفوضى
١١٠	صيحة في واد
١١٢	شيء عن لبنان
١١٧	حول الموضوع <sup>[١]</sup>
١٢١	حول الموضوع <sup>[٢]</sup>
١٢٤	وطن ضائع
١٢٧	هذا الجبل
١٣٠	دمعة على ظل
١٣٣	رجال الغد
١٣٥	فتاة الدستور لسنة ١٩١٠
١٣٩	من عبدالحميد إلى عمانوئيل
١٤٣	يا وطناً لم يغب عن الفكر
١٤٧	للمقابلة <sup>[١]</sup>
١٤٩	للمقابلة <sup>[٢]</sup>
١٥١	بشرى للبنان

١٥٣	السوري المحارب
١٥٦	الانتقام العادل
١٥٨	أثر الأقدام
١٦٠	حول مجيء عزمي
١٦٣	جمعية الإنسان الوحش
ثانياً: عهد الانتداب	
١٦٩	لماذا نريد حكومة لا دينية
١٧١	بين عام وعام
١٧٤	المهاجرون والمقيمون
١٧٨	القضية الوطنية
١٨١	أرميه بورقة فيرميني بحجر
١٨٥	العرس اللبناني
١٨٦	لبنان الكبير
١٩١	تاريخ لبنان يخص اللبنانيين جميعاً
١٩٣	رؤوس أقلام
١٩٥	أعيدوا إلى الأقضية محاكمها تُعيدوا إليها دماءها وحياتها
١٩٧	الخيال اللبناني الأسمى
٢٠٠	لمصلحة من أنشئ لبنان الكبير

٢٠٤	شقاء لبنان الصغير بلبنان الكبير [١]
٢٠٧	شقاء لبنان الصغير بلبنان الكبير [٢]
٢١٢	لا تجوروا على الأطراف وتحافظوا على الرأس
٢١٥	الديموقراطية وشاهدنا عليها
٢١٨	ومن لم يندد عن حوضه بسلاحه... يهدم
٢٢١	١٤ تموز
٢٢٢	أطائفية؟ يا للعار - ويا للخسار
٢٢٤	السياسة... لعنة الله على السياسة
٢٢٦	دستور البلاد عنوانها
٢٢٩	الدستور قدس أقداس الأمة
٢٣١	دستور!
٢٣٣	دستور ولكنه دستور من عجيب
٢٣٦	الدستور بين الباكين عليه والمتباكين
٢٣٨	الحركة الجامدة أو إذا شئت الجمود المتحرك
٢٤٠	هل عندنا زعماء؟
٢٤٣	القوي معبود الضعفاء أين كانوا
٢٤٦	بطل لبنان يعود إلى عرينه
٢٤٨	الزعيم

غاندي سر الفداء العظيم ..... ٢٥٠

النهضة التركية وتأثيرها على الشرق ..... ٢٥٢

نهضة الهند وأثرها في الشرق ..... ٢٥٧

ثالثاً: موقفه من سوريا:

في سبيل دمشق ..... ٢٦١

لنعمل لسوريا ولبنان في سوريا ولبنان ..... ٢٦٥

أحربُ بين إخوان! ..... ٢٦٨

الشقيقتان المتعانقتان ..... ٢٧٠

رابعاً: موقفه من القضية الفلسطينية

قتل شعب آمن ..... ٢٧٧

في سبيل الإخاء ..... ٢٨١

صدى مقالين - الإخلاص يملئ فنكتب ..... ٢٨٣

الأقربون أولى بالمعروف - في سبيل فلسطين ..... ٢٨٧

واجب اللبنانيين المقدس إزاء نكبة إخوانهم في فلسطين ..... ٢٨٩

لبنان ومأساة فلسطين ..... ٢٩١

أهذا هو العدل الذي انتظرناه؟ ..... ٢٩٤

هوامش الباب الثاني ..... ٢٩٧

### الباب الثالث: مقالات اجتماعية

- ٣١٧.....الفقر والغنى على باب الشتاء
- ٣١٩.....خطرات أفكار بين القصور والأكوخ
- ٣٢١.....ليس الداننوا كلهم بل الأسافل كلهم
- ٣٢٣.....بنات لبنان في الولايات المتحدة
- ٣٢٥.....عززوا مدارس الصنائع والفنون
- ٣٢٨.....ذكرى الفصح
- ٣٣٠.....كل عام وأنتم بخير
- ٣٣٢.....داء السياسة لا يشفيه إلا العمل
- ٣٣٥.....حاربوا الفقر بالاقتصاد
- ٣٣٨.....إلى بعض الأغنياء
- ٣٤٠.....لبنان بين مخالب الرزايا
- ٣٤٣.....١٩٣٠ - بين الأمس واليوم والغد
- ٣٤٥.....يا موت خذ ما أبقت الأيام مني

### في الحياة الاجتماعية

- ٣٥١.....الما بين في لبنان

### الهجرة اللبنانية

- ٣٥٧.....ماذا يُعوّز العيد... أين المهاجرون؟
- ٣٥٩.....دمعة على الظلل البالي

المهاجرة في البيان الوزاري ..... ٣٦١

الجنسية الضائعة ..... ٣٦٥

#### الطائفية

من لهذه الراية ..... ٣٦٧

لو ملكت الأمر يوماً وثيلة ..... ٣٧٠

إلى أخي في عيده عاطفة تتجدد ..... ٣٧٢

بناياتنا الوطنية لا تقوم على المجاملة الدينية ..... ٣٧٦

في سبيل الوثام من أنتم ومن نحن ..... ٣٧٨

مولد الرسول العربي الكريم ..... ٣٨١

المولد السعيد ..... ٣٨٤

لماذا تكتمون العلة إذا أردتم الشفاء ..... ٣٨٦

الفصل بين الحكومة والمعبد ..... ٣٨٩

صلِّ. أحسن. قل الحق ..... ٣٩٢

بماذا يبرر الطائفيون مواقفهم ..... ٣٩٤

في سبيل الوفاق ..... ٣٩٨

الطائفية واللاطائفية ..... ٤٠١

هوامش الباب الثالث ..... ٤٠٤



#### الباب الرابع: مقالات أدبية

٤١٣	على الملعب
٤١٦	الصحافة والحياسة
٤١٨	السياسة في الشعر
٤٢١	الأدب بعد الحرب
٤٢٣	حفلة المطران
٤٢٦	الأدبان الأبيض والأحمر
٤٢٨	شاعر بائس
٤٣١	الأدب العبد
٤٣٣	الأدب بين عهدين - بين الحكم المطلق والحكم الوطني
٤٣٥	تولستوي
٤٤٠	إلى اللواء الإيطالي (الإيطالي)
٤٤٢	كيلنج يحيي بوانكاريه يوم زار لندن عام ١٩١٣
٤٤٦	الرديلة المعبودة
٤٤٩	هوامش الباب الرابع

#### الباب الخامس: اخوانيات ومناسبات

٤٥٧	مدخل
٤٥٩	سركيس والنحلة

٤٦٢	في بئر حسن
٤٦٣	مفكرات شاعر/ شوارد النفوس يرهقها
٤٦٤	مفكرات شاعر/ أين الكرام
٤٦٥	مفكرات شاعر/ لَهف نفسي
٤٦٧	مفكرات شاعر/ أتسألوني شعراً
٤٦٨	فاحتكرت المروءة
٤٦٩	فوزي بريدي
٤٧٠	يداك أم يدا ملك
٤٧١	الأخطل والأستاذ عبدالوهاب
٤٧٢	المهاجرون يكرمون الأمير خالد شهاب
٤٧٥	الدستور بين الأخطل الصغير ودموس
٤٨٠	البرق والريحاني
٤٨٣	صلح ويستاني مبعوثان
٤٨٦	بنديكتس الحادي عشر
٤٩٠	بطرس داغر
٤٩١	عن المدارس
٤٩٢	بطروا للغنى
٤٩٣	في الحمى سنة ١٩٠٥

## الرثاء

- رثاء الأمير محمد أرسلان ..... ٤٩٧
- وردة على غصن ..... ٤٩٨
- رثاء نجيب حبيقة ..... ٥٠١
- الخطب جلل مات بطرس داغر ..... ٥٠٤
- الخطب الأليم ..... ٥٠٥
- العذارى الثلاث ..... ٥٠٩
- رثاء يوسف سرسق ..... ٥١٢
- فداك الورد ..... ٥١٣
- الأسد الصريع ..... ٥١٤
- إلى بطل لبنان يوسف كرم ..... ٥١٦
- لبنان يشيع والدة الرئيس ..... ٥١٧
- في سبيل الوظائف ..... ٥١٨
- تاريخ عام ١٩١٢ - ١٩١٣ ..... ٥٢١

## تحايا وتهاني

- تحية المهاجرين ..... ٥٢٩
- هدية شاعر ..... ٥٣٠

٥٣٣	وقد تنفع الذكرى
٥٣٦	شفي الحبيب
٥٣٩	تهنئة البطريك المعوشي في رأس السنة
٥٤٠	بالرفاء والبنين/ تهنئة يوسف بك أبو صعب
٥٤١	تهنئة الياس خليل شديد
٥٤٣	شكلي ملاط في عرسه
٥٤٦	أيها الهاجر الليالي/ تهنئة جرجي سعد
٥٤٨	أحسن الزهر ما انعقد/ تهنئة سليم تقلا
٥٤٦	تهنئة عبدالله الجابر الصباح
٥٥١	كأن لم يكن/ تهنئة فؤاد قاسم
٥٥٢	في حفلة تنصير فريد ميشال أبو شهلا
٥٥٣	تهنئة الدكتور رثيف أبي اللمع بفاروق
٥٥٤	طلعة باشا حرب
٥٥٥	شرف الجرح/ إلى نجيب الرئيس
٤٥٩	سركيس والنحلة
٥٥٦	ميشال معلوف
٥٥٧	يا ناظم العقد/ الى جبران مكارى

\*\*\*\*